محمد علي سعد

الأحوص بن محمد الأنصاري

حياته وشعره

منشورات
دار الآفاق الجديدة
بيروت

الأحوص بن محمد الأنصاري

حياته وشعره

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

الإهداء

إلى والديّ ...

أهدي هذا الكتاب ...

فهو روح من روحهما وبعض عبق من كريم عبقهما .

وفاءً ببعض حقهما عليّ

وإيماناً بعظيم فضلهما الذي غمرني وملأ دنياي .

وعهداً أن أمضي قدماً في الطريق الذي وجّهاني

فيه وأن أسير في هدى ما زوّداني به من جميل

الخصائل وكل رجائي أن أحوز رضاهما

ورضا ربّ العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمدلله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الرحيم، مالك يوم الدين. خلق الانسان من سلالة من طين ثم سوّاه بشرا فتبارك الله أحسن الخالقين. فضّل الانسان على سائر مخلوقاته بأحسن نعمة وآلائه فآتاه الحكمة وعلّمه البيان. والصلاة والسلام على نبيه الأمين سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من الصديقين الى يوم الدين.
وبعد، فهذه دراسة لشخصية الأحوص بن محمد الانصاري وشعره قامت على ما تجمّع لديّ من شعره واخباره وتعود صلتي بدراسة الأحوص الى ثلاث سنوات خلت حيث علقت هذا الموضوع في أوائل العام ثمان وسبعين وتسعماية بعد الالف الاول من ميلاد نبينا عيسى عليه السلام وسارعت اتلقف اشعاره وأخباره من بطون المصاد ولم تمض فترة من الزمن على شروعي بعملي حتى صُدمنا باجتياح جنوبنا الغالي وتهجير ابنائه وكان نصيب قريتنا «معركة» لا يختلف عما اصاب غيرها من الاحتلال ولحق بي التهجير أسوة بابناء منطقتي فشُلَّتْ أعصابي عن متابعة العمل وبقيتُ مجمّدا مسمّرا لا اطيق حراكا في عملي فترة عام ونيّف غير انني تمالكت أعصابي وشددت العزم على إتمامه وسط أصداء المعارك ودويّ الانفجارات وقصف المدافع وهدير الطائرات اسارق

اوقاتي خلسة واتحين الفرص سلّة وسط الكثير من مشاغلي في عملي كمعلم لمادة الرياضيات ومادة العلوم في «مدرسة معركة الرسمية» وأعود الى تفصيل عملي في دراسة الأحوص عبدالله بن محمد، الذي كان ثاني اثنين نهضا بالغزل في الحجاز من بني أمية نهضة واسعة قفزت به من الدور التقليدي - الا في القليل النادر - الى دور قائم بنفسه يستغرق دواوين كاملة رحب الجوانب، بعيد الأفاق، حلو النغم ينتفش بالحياة. فكنت اسجل ما يقع في حسّي من ملاحظات واستنطق كل بيت واختلس الدلالة من كل تركيب واستوحي الظاهرة من كل تعبير حتى اذا انتهيت من جولتي بين المصادر صَنَّفتُ هذه الملاحظات وشرعت بالدراسة على هدى ما تهيأ امامي من ملاحظات مستقاة من شعره واخباره. وانبسطت لديّ معالم الدراسة في بابين: تناول الاول بيئة الأحوص وحياته وتناول الثاني: أغراضه وخصائصه الفنية وآراء المتصلين بشعره وغيرها.

حوت دراسة البيئة شيئاً من جوانب الحياة السياسية في عصره والحياة الأقتصادية والاجتماعية والادبية واتصال الأحوص وتأثره بكلٍ من مظاهر هذه الحياة وانتقلت بعدها الى حياة الشاعر ففصّلت اخبار عائلته واوردت بعدها فصول حياته الخاصة حيث كنت اجد الكثير من الصعوبات في ايجاد ما يوضح بعض معالم هذه الحياة من جهة ومن جهة اخرى كنت اواجه بصعوبات اقسى في الوصول الى الحقيقة وسط الكثير من الاخبار المتناقضة المتناولة لبعض جوانب هذه الحياة.

ولعل في نظرتي الى المصادر وفي صلب موضوع الدراسة ما يوضح هذه الناحية.

اما شعر الأحوص فيغلب عليه اللون الغزلي المترافق مع حركة الغناء في المدينة وحياتها الاجتماعية وهو بدون شك رعيم شعراء الغزل في المدينة حيث اخذ الغزل في شعره دورا متطورا لم يكن من قبل

مألوفا ومعروفا. واخذت القصيدة عنده شكلا جديدا يبتعد عن الشكل التقليدي ويستلهم الموضوع الواحد فيها.

وكانت لي في نهاية المطاف وقفة عند الخصائص الفنية في شعر الأحوص وآراء كل من اتصل بشعره وما قيل فيه وأتبعت ذلك بشيء من المناقشة والتحليل. ثم رأيت ان اطرق باب التأثر والتأثير في صنيع الأحوص واختصرت موضوع التأثر بشيء من اقوال القدماء وبالحياة الدينية الجديدة والتأثير اقصرته على ترجيحات شعر الأحوص في الحياة العقلية العربية بعده.

وبعد، فهذا عرض سريع لما بسطت في هذه الدراسة من اطراق القول وما وصلت اليه من نتائج البحث وازى لزاما عليّ في ختام هذه الكلمة ان اتقدم باطيب معاني الشكر واحلى آيات الامتنان الى الاستاذ الكبير الدكتور جبرائيل جبور الذي تفضّل بالاشراف على هذه الدراسة التي اعددتها رسالة لنيل «الماجيستير» في اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية فكان لي من تشجيع استاذي وتوجيهه السديد أطيب العون على اكتمال هذه الدراسة واستقامة منهجها.

واتوجه بجزيل شكري الى القيمين على شؤون مكتبة كلية الآداب في الجامعة اللبنانية والى القيمين على شؤون مكتبة الجامعة الامريكية حيث تمكنت من العثور على معظم مصادر بحثي وتسنّى لي فيها الاطلاع على فيلم مصور لاحد المصادر العربية المهمة بمساعدة بعض العاملين فيها.

واذا كان قد عرا عملي هذا شيء من نقص واكتنفه غير قليل من الزلل فشفيعي صدق ما بذلت فيه من جهد وطول ما عانيت من عناء ولله الكمال وحده والله اسأل العون والتوفيق والسداد.

معركة في ١٠ كانون الاول ١٩٨٠

محمد سعد

الباب الأول

حياة الشاعر وشخصيته

الفصل الأول

نقد المصادر

لا بد لي من وقفة عميقة امام المصادر التي استقيت منها مادة موضوعي لأتبين من خلالها مدى اهمية الأخبار التي نقلتها هذه المصادر ولاوضح بعض الهفوات التي سقط فيها غير واحد من اصحابها ولاحاول تعيين نوعية الاخبار التي وردت في كل منها والاثر الذي تركته اخبار كل مصدر في ايضاح جوانب الموضوع وابرازه، مسترشدا بتواريخ اصحابها لتقرير منبع الاخبار الاساسي منها والمعتمد على غيره ممن سبقه في ايراد ما زوّدنا به.

ويمكنني ان افصل بين مصادري على اسس تنطلق من نوعية المادة التي وردت فيها والجانب الذي انارته وساعدتني على كشفه وابرازه من حياة الاحوص وما اتصل بهذه الحياة من معالم وفصول. فمن المصادر قديمها ومتأخرها ما تعرض لذكر عائلة الشاعر واعمال اعضاء هذه العائلة لا سيما جده وخاله في الاسلام ككتب الطبقات الاسلامية وكتب التواريخ والسير والمغازى وكتب التراجم الاسلامية. وتعرض هذه المصادر لاسم الأحوص عفوا دون تفصيل لاخباره لان هذه الاخبار لا تشكل المادة الاصيلة لهذه الكتب. بينما زودتنا كتب الادب وبعض كتب التواريخ والتصانيف باخبار متفاوتة الاهمية مختلفة في طَرْقها لفصول حياة الشاعر واخباره تبعا لتفاوت المواضيع التي تناولتها هذه

الكتب واختلافها في الغايات التي رمى اليها اصحابها في سردهم اخبار الأحوص.

ونجد كثيرا من المصادر التي استشهدت بشعر للاحوص دون ان تتعرض لذكر شيء من اخباره بل اكتفى اصحابها بمادة الشعر دون صاحبه. ولن اتناول هذه المصادر في هذا المقام كما اجد من غير الضروري التعرض للمراجع والكتب الحديثة التي مرّت بشيء من اخبار الأحوص والوانه بطريقة عفوية حينا او بنظرة سطحية حيناً آخر واعتمد اكثر اصحاب هذه الكتب على ما نقله ابو الفرج دون تكليف انفسهم عناء النظر الى المصادر الاخرى فجاءت تحليلاتهم واحكامهم مبتورة تنقصها الدقة وجودة الاستدلال ونجاعة الاستقراء ولكني استثني منهم الدكتور طه حسين الذي تميز بجرأته العميقة وصلابة رأيه وحسن تحليلاته التي اودعها كتابه حديث الاربعاء حين تناول دراسة الشاعر.

واعود الى المجموعتين الاوليين من المصادر لاعرض لهما كلّ على حده تبعاً لاختلاف موضوعاتها ووفقا لتباين الاخبار والمواد التي استقيتها منها مبتدئاً بها حسب الترتيب الذي وردت فيه اخبار مصادر هاتين المجموعتين في توضيب مواد هذا البحث.

وكون رأيت من المناسب تقدمة عرض أخبار عائلة الأحوص على ما يتعلق بحياته من الأخبار فعليّ أن أتناول المصادر التي تحدثت عن عائلة الشاعر قبل غيرها من المصادر التي طرقت أخباره.

- لم يكن كتاب « السيرة النبوية » الذي جمعه « ابو محمد عبد الملك بن هشام » (المتوفى ٢١٣ هـ - ٢١٨ هـ) اقدم مصادر المجموعة الاولى تاريخا. الا ان اعتماد ابن هشام على سيرة « محمد بن اسحاق » (٨٥ هـ ١٥١ هـ) يعطي لهذا المؤلَّف صفة الاقدمية على غيره من المصادر لان سيرة محمد بن اسحق تعتبر اول تاريخ للسيرة وصلنا باطاره الكامل

بعد ان هذّبها ابن هشام.

جمع صاحب السيرة الاوّل اخبار عاصم بن ثابت بن ابي الاقلع جد الأحوص واخبار خاله حنظلة الغسيل واثبت اعمالهما في الدعوة الاسلامية وتفاصيل حادث استشهاد كل منهما. واعتمد ابن اسحق في سرده لحادث الرجيع الذي قضى فيه عاصم على رواية عاصم بن عمر بن قتاده (م: ١٢٠ هـ، ١٢٩ هـ) وهذه الرواية تعتبر من اتم الروايات وادقها واصدقها كما سنبين فيما بعد. ويأتي كتاب السيرة في مقدمة كتب السير ثقة وامانة وحسن اطلاع مما جعل العلامة الذهبي يفرد كتابا خاصا لتراجم الرجال الذين روى عنهم محمد بن اسحق رئيس اهل المغازى.

ويأتي بعده «ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي» (١٢٩ هـ-٢٠٧ هـ) ذاكرا في مغازيه مآثر جد الأحوص واخبار خاله مستفيضا في سرد تفاصيل حادثتي استشهادهما. واستند الواقدي في خبر غزوة الرجيع على منابع متعددة وجمع بين اكثر الروايات المعرفة والّف بين نصوصها فجاء خبره مختلفا عما نقلته المصادر الاخرى وركز خلال تعاطيه للاخبار على نصوص تشهد بعظمة اصحابها ورفعة شأنهم وعلو منزلتهم عند الله عزّ وجلّ. فكان الواقدي اول من ذكر غسل حنظلة بماء المزن في صحاف من الفضة بين الارض والسماء. واضاف ان رأس حنظلة كان يقطر ماء وما حوله ماء.

واعطى الواقدي ارقاما محددة لمن ثبتوا مع رسول الله (ص) يوم احد وللصحابة الذين بايعوه على الموت وللرماة المشهورين الذين ثبتوا في مواقعهم يوم احد وابلوا في المعركة بلاء حسنا.

وتلاه تلميذه «ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري» (١٦٨ هـ-٢٣٠ هـ) مقتفياً اثره في امور كثيرة مخالفا له في العديد من اخبار المغازي.

ولعل سعة اطلاع صاحب الطبقات جعلته يعتمد على اسانيد متعددة الى جانب ما تزوّد به من معارف معلمه. فنقل خبر حادثة الرجيع في اماكن متفرقة من كتابه وجعلها في كل موضع متمثلة بتفاصيل واصول مختلفة تبعا لاختلاف روايات اصحاب السير الاوائل التي اطّلع عليها.

ولابن سعد فضل كبير لايراده كثيرا من الحقائق التي اودعها كتابه الكبير فكان اول من ذكر والد الشاعر محمد بن عاصم وذكر اسم الشاعر وهو اول من ترجم لاصول عائلة الاحوص كما كان الوحيد الذي ذكر فروع هذه العائلة ولم يبخل علينا ببعض اخبار هذه الفروع. فنال كتابه المرتبة الاولى في اعتمادي عليه لاعطاء صورة واضحة عن عائلة الشاعر.

وذكر «أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي» (م:٤٥ هـ) في «محبَّرة» بعض أعضاء عائلة الأحوص الى جانب خبر مختصر يوضح فيه بعض تفاصيل استشهاد عاصم وحماية الدَّبر له وساق معاصره «الامام أحمد بن محمد بن حنبل» (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ) خبر استشهاد عاصم مستندا على رواية الزهري (م:- ١٢٤ هـ) ولكن هذه الرواية تحمل في طياتها بعض الغموض وتبدو تفاصيلها مبتورة غير مكتملة كما سأوضح فيما بعد. واعتمد على هذه الرواية كثيرون منهم «ابو عبد الله البخاري محمد بن أبي الحسن» (١٩٤ هـ - ٢٦٥ هـ) في صحيحه و«أبو عبيد البكري» (م:٤٨٧ هـ) في معجمه ومؤلفون آخرون سنذكرهم فيما بعد لأنهم لم يقتصروا على إيراد هذه الحادثة في مؤلفاتهم بل تعدّوها الى أخبار أخرى تتعلق بعائلة الشاعر.

ويأتي «احمد بن يحي البلاذري» (م: ٢٧٩ هـ) في الجزء الاول من «أنسابه» باخبار مستقاة من مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد مقتفيا اثرهما في ذكر الارقام والنصوص التي ذكراها ولكنه اثبت نصا مختصرا

لرواية ابن اسحق عن بعث الرجيع وعلّق عليه باقوال واردة في رواية الزهري.

وذكر ابو العباس المبرد (م: ٥ - ٢٨٦ هـ) في الكامل خبر مقتل حنظلة وغسله في معرض تسميته لمن كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية.

واعتمد محمد بن جرير الطبري م: ٣١٠ هـ) في تاريخه على من سبقه في ذكر المغازي فساق رواية ابن اسحق في بعث الرجيع وأعقبها برواية الزهري دون أن يبدي رأياً فيها وأورد بقية أخبار عائلة الأحوص نقلا عن ابن اسحق. وكان ابن واضح اليعقوبي (م:٢٨٤ هـ) قد ساق رواية ابن اسحق في تأريخه لمغازي الرسول(ص).

وأتى بعده ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (م: ٣٢١ هـ) فذكر في «المجتنى» قصة قتل أبي عزّة الشاعر بسيف عاصم بعد أن أمره الرسول(ص) بذلك. ويعتمد الأزدي في «الاشتقاق» كما فعل في خبر مجتناه على ابن اسحق في ذكره لبعض أعمال عاصم وحنظلة وأورد في معرض كلامه عن الأول اسم حفيده الأحوص.

واقتفى ابو الفرج الأصبهاني (م: ٣٥٦ هـ) خطط شيخه الطبري ونقل عنه حرفيا ما ذكره حول حادثة بعث الرجيع. وانفرد ابو الفرج بذكر نزول بعض المهاجرين على عاصم وذكر كنيه هذا الاخير ضمن ترجمته للاحوص.

ولم يأت المسعودي (م: ٣٤٥ هـ) بجديد في التنبيه والاشراف بينما اعتبر «ابو عبد الله المزرباني» عاصما واحدا من الشعراء مرتكزا الى ما قاله عاصم من الشعر يوم استشهاده.

ونقل «ابو منصور الثعالبي» (م: ٤٢٩ هـ) في ثماره خبر غسل حنظلة دون باقي اخبار عائلة الأحوص نقلا عن المبرد.

ومن كتب التراجم الاسلامية المهمة كتاب «الاستيعاب» «لابي عمر ابن عبد البر النمري» (٣٦٣ هـ - ٤٦٣ هـ) و «أسد الغابة» «لعز الدين ابي الحسن علي ابن الاثير» (م: ٦٣٠ هـ) و «الاصابة» لشهاب الدين بن حجر العسقلاني (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ) وقد رأيت ان اقرنها معا لتشابهها مادة وتوافقها مضمونا. فيمكننا ان نلاحظ اعتمادا ابن الاثير على ابن عبد البر واعتماد ابن حجر عليهما معا الى جانب اتصاله بمصادر اخرى اضاف منها بعض النصوص التي لم ترد في الكتابين الاولين. وقد ذكر الثلاثة تراجم للاصول والفروع من عائلة الأحوص الذين كان لهم شأن في الاسلام. واثبت ابن عبد البراسم الأحوص في ترجمة عاصم بينما جعل الاخران ترجمة خاصة لمحمد بن عاصم والد الأحوص استقياها من مصادر مفقودة تعود الى ابن مندة وابن شاهين وابن القداح وابن الدباغ وغيرهم. وعليّ ان اسجل لابن حجر حسن صنيعه في تحقيق صواب بعض الاوهام التي سقط فيها سابقاه.

واعتمد العلامة «ابو محمد ابن حزم» (٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ) في جوامعه على سيرة ابن اسحق في كل ما ذكره من اخبار عاصم وحنظلة خلال الفترة التي جاهدا فيها نصرا لدين الاسلام.

اما صاحب الاستبصار «موفق الدين قدامة بن منقذ» (م: ٦٢٠ هـ) فانه ذكر تراجم لاكثر اعضاء عائلة الشاعر مع اخبارهم واعمالهم في الاسلام وساق بينهم محمد بن عاصم واورد اسم الشاعر واعتمد على «النمري» في اكثر اخباره ومنها خبر حادثة الرجيع التي ذكرها حسب رواية الزهري كما فعل النمري.

ونسخ «ابن ابي الحديد» (م: ٦٥٥ هـ) في شرحه نصوص الواقدي حرفيا في معرض استطراده الى ذكر اعمال عاصم وخبر استشهاد حنظلة الغسيل. واختصر «ابو الفداء» (٦٧٢ هـ - ٧٣٢ هـ) في تاريخه رواية ابن اسحق حول بعث الرجيع. واستند «ابن كثير» (م:

٧٧٤ هـ) في قسم المغازى من تاريخه الى اخبار سيرة ابن اسحق وعند ذكره لحادثة الرجيع أورد رواية الزهري نقلا عن البخاري وفصّل الاختلاف بين الروايات المعروفة وحكم لابن اسحق بفضل التقدّم في هذا المجال ثم ساق روايته.

وتابع المقريزي (م: ٨٤٥ هـ) في «امتاعه» سبيل الواقدي والبلاذري وعرّج على غيرهما فوقع في بعض التناقض والخطأ ومشى على درب الزهري في خبر الرجيع.

ولدينا مجموعة من كتب السير المتأخرة منها عيون الأثر لإبن سيد الناس (٦٧١ هـ - ٧٣٤ هـ) و «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٨٥٣ هـ - ٩٢٣ هـ)، و «تاريخ الخميس» للديار بكري (م: ٩٦٦ هـ)، و «السيرة الحلبية» لعلي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ هـ - ١٠٤٤ هـ) والآثار المحمدية لدحلان (م: ١٣٠٥ هـ). تتصف هذه الكتب بسعة الاطلاع ووفرة المادة وكثرة النصوص وتشابكها لأن أصحابها نبشوا السير السابقة واستقوا منها معظم نصوصها وركّزوا على الخارق منها وجعلوا تفاسير وتحليلات لهذه الخوارق.

- بعد هذا العرض المقتضب لمصادر السير والطبقات الاسلامية اعود الى تناول المصادر الادبية التي تحدثت عن حياة الأحوص واعماله وعلاقاته بمن اتصل بهم وعاش بينهم.

فأول من ذكر الأحوص من هذه المصادر هو كتاب «النقائض» لابي عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ هـ - ٢٠٩ هـ) واقتصر ذكر الاحوص في هذا الكتاب على خبر نزول الفرزدق عليه حين قدم المدينة واكرام الأحوص له وتعرضهما لشعر جرير بعد سماعهما الغناء به. ويلاحظ ان موضوع الخبر الاصيل لم يكن ليحفل بذكر الأحوص الا لكون هذا الذكر يشكل مادة مهيئة للحكم الاخير في الخبر.

ويواجهنا الأصمعي (١٢٢ هـ - ٢١٤ هـ) في كتابه «فحولة الشعراء» بجملة فريدة يقول فيها «والأحوص مولد نبت بقباء حتى هرم» ولم يكن الأحوص من المولدين بل هو عربي أصيل يشهد على ذلك عراقة نسبهِ في الأوس ولعل هذا الخطأ من عمل النساخ والرواة وأظن أن صواب الجملة هو «والأحوص ولد ونبت بقباء حتى هرم».

وكان محمد بن سلام الجمحي (م: ١ - ٢٣٢ هـ) رأس العلماء الذين تناولوا اخبار الأحوص في مادة مخصصة بدراسة شاعرنا فوضعه في الطبقة السادسة من الاسلاميين وقرنه بابن قيس الرقيات وجميل والنصيب وكأن حكمه على الشعراء الاربعة يكاد يكون مقتصرا على ما قالوه من الشعر الغزلي الحجازي دون سواه من الضروب الشعرية الاخرى وذلك لعلو شأنهم في مجال الغزل. ولعل النظرة الاخلاقية التي كان الجمعي يزن بها الشعر وصاحبه افقدت الأحوص بعض قيمته ووضعت مكانته واخرت منزلته وطبقته عند ابن سلام.

غير ان الجمعي قدّم لنا افضل المساعدة فذكر مع معاصره ابن سعد اسم الأحوص بصيغة صحيحة اذ جعلا عاصم بن ثابت جدا مباشرا للأحوص بينما جعله بعضهم جده الاعلى وذكر ابن سلام بعض اخبار الأحوص لا سيما المتصلة منها بيزيد بن عبد الملك وتناقلتها المصادر الاخرى عنه في حين نقل ابو الفرج اخبارا تحدثت عن الأحوص مسندة الى الجمحي ولم ترد هذه الاخبار في طبقاته.

اما محمد بن حبيب البغدادي (م: ٢٤٥ هـ) فكان اول من ذكر كنية للأحوص في كتابه «كنى الشعراء» فكناه «بابي عاصم» في حين كناه غيره «ابا محمد».

وعدّ الجاحظ (١٦٠ هـ - ٢٥٥ هـ) شاعرنا بين العرجان بحجة اتكاء الأحوص على العصا حين قدم البصرة ونقل في نفس المقام خبر

لقاء الأحوص والفرزدق ومزاجهما كما جاء في طبقات ابن سلام.

واكتفى الزبير بن بكار (م: ٢٥٦ هـ) في جمهرته بايراد خبر لقاء مؤلم للأحوص مع بعض آل الزبير وكان ابن بكار قد الف كتابا اسماه «اخبار الأحوص» جمع فيه كل ما تناهى الى سمعه من اخبار الشاعر كما قال ابن النديم. الا ان هذا الكتاب لم يصلنا اسوة بغيره من الكتب التي أُلّفت في اخبار الأحوص.

واعتمد ابو الفرج في كثير من اخباره التي اودعها كتابه «الاغاني» على روايات للزبير بن بكار. ولعله استقى هذه الأخبار من كتاب الجمهرة نفسه وأكثرها نقله الأصبهاني عن الحرمي أو الطوسي اللذين أخذا عن الزبير بما فيها الخبر الوارد في كتاب الجمهرة.

وترسم الاخبار المسندة الى الزبير في الاغاني صورة واضحة لحياة الأحوص وتشتمل على اكثر فصول هذه الحياة كما تعرض للكثير من اعماله وعلاقاته بمن حوله. وقد رأيت ان اتناول هذه الاخبار في معرض الكلام على الزبير لانها تشكل - حسب ما اعتقد - مادة الكتاب المفقود السابق الذكر. ولم يزد ابو الفرج على جمعها وتصنيفها شيئا. واعود فيما بعد الى تناول بقية الاخبار التي نقلها الاصبهاني من مصادر اخرى.

جعل الزبير كنية الأحوص «ابا محمد» وكان الوحيد الذي ذكر اسم امّه وما بقي له من الرجال وقدم لنا صورة زاهية لمظهر الشاعر ولباسه ولهوه في قصته مع عبد الحكم الجمحي. وكان الزبير اول من ذكر اجتماع الأحوص مع عمر بن ابي ربيعه والنصيب في جيمة كثير بن عبد الرحمن واحتجاجهم بما سقط من اشعار البعض منهم. وذكر الزبير شيئا من عبث الشاعر ومجونه مع بعض النساء من قومه. كما زودنا بمعظم اخبار هجاء الأحوص لقومه ومنها خبر هجاء الأحوص لمجمع بن يزيد ولسعد بن مصعب ولابن بشير الانصاري ولفتى من بني جحجبى.

واخبار الأحوص مع ابي بكر بن عبد العزيز بن مروان تلقاها ابو الفرج عن الزبير الذي كان سباقا الى ذكرها كما انفرد في رواية رأي عبد الملك بن مروان في الأحوص حين خطب في المدينة.

وتبع كثير من اصحاب المصادر رواية الزبير لاخبار الاحوص مع ام جعفر وما تبعها من خصومه بين الشاعر ووالي المدينة ابن حزم وما جرّته هذه الخصومة من هجاء الشاعر للوالي وجلد الاحوص على يد الحزمي واحتمال بني زريق لصاحبنا من على البلس ومدحه لهم.

كما سبق الزبير الى ذكر خبر وفود الاحوص على الوليد بن عبد الملك وتعرضه للخبازين وما جرّ له هذا العمل من اهانة وتشهير. ولكن الزبير لم ينج من بعض التناقض والخطأ في تقريره حقيقة نفي الأحوص وسبب هذا النفي فحينا يجعل السبب في خنث الاحوص وحينا آخر في تشبيبه بنساء ذوات اخطار ويختلط عليه الفصل في صاحب الامر في نفي الاحوص فيجعله مرة لابن حزم ومرة اخرى لسليمان بن عبد الملك. ثم ذكر الزبير شيئا من استعطاف الشاعر لعمر بن عبد العزيز اثناء خلافته. وتعود روايات الزبير الى النناقض في ايراد خبر رد الأحوص من المنفى فمرة يجعل غناء حبابة بشعر الأحوص الذي اطلقه به يزيد بن عبدالملك عفوياً ومرة أخرى يذكر أن الأحوص دسّ الى حبابة الشعر فغنت يزيد به فأطلقه.

ويرد في روايات الزبير ما يدل على إكرام يزيد للأحوص وفيها خبر يجمع فيه الشاعر والخليفة والوالي السابق ابن حزم في مركز الخلافة يذكر فيه أن يزيد سفّه الأحوص حين أراد أن ينال من ابن حزم فذمَّ الخليفة دون قصد منه. وأسدى لنا الزبير مساعدة جليلة بتزويدنا بخبر وفاة الأحوص بعد هروبه الى البصرة خوفاً من والي المدينة عبدالواحد النصري.

وليس الحاقنا لهذه الاخبار بالزبير انكارا لفضل ابي الفرج بل له

القدر الأكبر من الفضل لوصلنا بهذه الاخبار وغيرها من الاخبار التي سنلمّ بها لاحقا.

وساق «أبو محمد بن قتيبة الدينوري» (٢١٣ هـ - ٢٧٦ هـ) ترجمة للأحوص في كتابه «الشعر والشعراء» وكان اول من جعل عاصم بن ثابت جدا اعلى للشاعر بخلاف من سبقه ولكنه كان في الوقت نفسه اول من اكّد ان نفي الأحوص قد تمّ بامر من الخليفة عمر بن عبد العزيز والحقه بخبر وفود بعض الانصار على عمر طلبا للعفو عن الشاعر. ونقل ابن قتيبة خبرا عن حماد الرواية يفيد ان الأحوص وفد على عمر بن عبد العزيز مع كثير والنصيب حين تولى عمر الخلافة وفي هذا الخبر بعض الشكوك لان حمادا يقول انه تلقى الخبر من لسان كثير وعندما توفي هذا الاخير لم يكن حماد يملك من العمر سوى عشر سنوات فكيف يمكنه ان يرحل الى المدينة لرواية الاخبار وهو لا يزال فتى طريّ العود؟ ثم هل كان حماد الفتى على معرفة وطيدة بشيخ مثل كثير؟ هذه الأمور وحجج اخرى سنعرضها في مجال وضع الخبر في نصابه.

ونقل ابن قتيبة كذلك خبر الأحوص ويزيد بن الملك وحبابة حين أراد الخليفة التشبّه بعمر بن عبد العزيز فوقع في حبائل حبابة والأحوص وارتد الى العبث والمجون. وكان ابن سلام قد سبقه في ذكر هذا الخبر.

ووقع «ابو العباس المبرد» (٢١٠ هـ - ٢٨٦,٥ هـ) في التناقض حين اورد اسم الأحوص بصيغتين مختلفتين فجعل عاصما جده المباشر مرة وجده الاعلى مرة اخرى. وانفرد بذكر خبر الأحوص مع عقيلة العقيقية ومعبد وبعض زوار دار عقيلة ونقل عن الزبير اجتماع الشعراء في خيمة كثير وهجاء الأحوص لسعد بن مصعب الزبيري. واورد خبر قدوم الفرزدق المدينة ونزوله على الأحوص بزيادة في الاشعار التي فيها الغناء.

وساق «وكيع» (م: ٣٠٦ هـ) في «اخبار القضاة» ما كان بين الأحوص وابن حزم في معرض ذكره لاخبار الحزمي. وسقط «ابن عبد ربه» (م: ٣٣٧ هـ)في الخطأ والتناقض عند تسميته للشاعر فجعله مرة: «محمد بن عبدالله بن عاصم» ومرة اخرى «ابن محمد بن عبدالله بن عاصم» وساق خبرا مردودا ينقل فيه عن بعضهم تفاصيل وفود مزعوم للأحوص على الوليد بن يزيد في قصة مزعومة رواها ابو الفرج بتفاصيل تحمل بعض الاختلاف عما في العقد ونقل ابو الفرج عن الزبير وابن شبّة قولهما ببطلان القصة والشعر الذي نسب فيها للاحوص. ونسخ الاندلسي عن اخبار القضاة اخبار الاحوص مع الحزمي كما استقى من «الكامل» بقية الأخبار التي تناول فيها الأحوص حرفيا. وأثبت في عقده كذلك رواية ابن الكلبي الباطلة حول وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة.

ونقل «ابو القاسم الزجاجي» (م: ٣٣٧ هـ او ٣٤٠ هـ) بعض الاخبار الواردة في طبقات ابن سلام ولكنه زوّدنا بخبر قيم اخذه من طريق سند حسن عن الاصمعي يؤكد فيه نفي الأحوص بأمر من عمر ابن عبد العزيز بسبب تشبيب الأحوص بنساء الأشراف. فقطع الزجاجي بهذا الخبر دابر الشك في هذا الأمر.

وساق المسعودي (م: ٥ - ٣٤٦ هـ) والمقدسي (م: ٣٥٥ هـ) خبر الأحوص ويزيد بن عبدالملك وحبابة كما ورد في المصادر الأخرى ولكن المسعودي أسدى إلينا معروفا عظيما في إيراده شعراً للأحوص يقوله في معاوية بن ابي سفيان او في ابنه يزيد فأعاننا على معرفة حدود ولادة الشاعر بصورة تقريبية.

واعود مرة اخرى الى أبي الفرج الاصبهاني (م: ٣٥٦ هـ) لاناقش الاخبار التي نقلها من طرق مختلفة غير طريق الزبير بن بكار. فنلاحظ

ان ابا الفرج وافق تسمية ابن قتيبة للاحوص في ترجمته له وخالف هذه التسمية في موقعين آخرين وشرح لنا معنى اللقب الذي عرف به الشاعر ونقل عن عمر بن شبة خبر الفرزدق والاحوص الوارد في « النقائض » كما نقل عنه اخبارا اخرى للشاعر مع جرير لا يخلو بعضها من الشك وروى عنه مفاخرة الاحوص لسكينة بنت الحسين (ع) وهجاء الأحوص لمعن بن حميد الأنصاري وخبر وعد أحد المخزومبين للأحوص بإعانته عند الوليد بن عبد الملك على ابن حزم واخلافه لوعده. كما ساق عنه خبر الأحوص وحبابة ويزيد الوارد في طبقات ابن سلام والشعر والشعراء.

واخذ ابو الفرج عن الحسين بن يحي مجموعة من الاخبار لا يخلو بعضها من الخطأ كخبر استدعاء الخليفة عمر بن عبد العزيز لعمر بن ابي ربيعه والاحوص وتوبة المخزومي على يديه ونفيه للاحوص الى دهلك. وقصة الاحوص المزعومة مع معبد وجارية آل الوحيد التي ذكرها صاحب العقد بصيغة مختلفة عن رواية الاغاني وكان ابو الفرج قد اخذ القصة كذلك عن الزبير وعمر بن شبة اللذين ذكرا في خبرهما اعتقادهما ببطلان هذه القصة وما جاء فيها من الاشعار على لسان الاحوص كما يقول ابو الفرج في خاتمة خبره.

وتزداد صورة نفي الاحوص تناقضا عند ابي الفرج بنقله عن الحسين بن يحي قوله ان السبب في نفي الاحوص من قبل سليمان او الوليد هو قول الشاعر لجملة منكرة اضافة الى مفاخرته لسكينة بنت الحسين (ع).

ويتابع هذا التناقض برواية أخرى يزعم فيها «ابن يحيى» أن الأحوص دسّ الى حبابة فغنت يزيد بن عبد الملك بشعر من قصيدة الأحوص الدالية المشهورة وهوّنت امره فأمّنه وأطلقه من المنفى. والمعروف ان هذه القصيدة أنشدها الأحوص بناء لطلب حبابة يوم اراد يزيد التشبّه بعمر بن عبدالعزيز أي بعد إطلاق الأحوص من

منفاه بزمن غير يسير كما تؤكد المصادر السابقة الذكر.

وأخذ عنه أبو الفرج كذلك خبر وفود ابن سريج على الوليد بن عبدالملك وغنائه بشعر الأحوص وطلب الوليد استقدام الأحوص وإجازته. وخبر وفود الأحوص والغريض على يزيد بن عبدالملك ونيلهما جائزة الخليفة وجاريته سلامة. واستقى أبو الفرج من مصادر أخرى رواية نزهة الأحوص وكُثيِّر والنصيب في العقيق ومغامرات الأحوص مع جميلة وزوارها كالعرجي وعمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق وحكاية الأحوص مع سلامة وابن قيس الرقيات. وأخذ عن ابن سلام خبر مكيدة الجرّاح الحكمي للأحوص بعد هجائه لآل المهلب بأمر من يزيد بن عبدالملك.

واتى ابو الفرج بخبر حماد الرواية المأخوذة عن كثير والمتعلق بوفود الاحوص وكثير والنصيب على عمر في خلافته ومدح بعضهم له ولم ينتبه ابو الفرج لما يحمله هذا الخبر من بذور الشك. ولكنه كان مثال الامانة والدقة حين اثبت بحسن فراسته بطلان القصة التي نسخها من كتاب احمد بن سعيد الدمشقي والمروية عن الزبير بن بكار من حديث لابي محمد الجزري، كما قال الدمشقي.

ورغم كل ما حمله رواة اخبار الاغاني من الهفوات فان ابا الفرج استطاع ان يرسم لنا من خلال اخباره اوضح مشاهد حياة الاحوص وزوّدنا باكمل وجه من اعمال الشاعر وبيّن لنا اصدق هيئة لعلاقات الشاعر مع المحيطين به. فكان كتاب الاغاني في رأس الكتب والمصادر التي اعتمدت عليها لبيان ما وسعني الظرف من اوجه شخصية الأحوص.

ولم يأت الآمدي (م: ٣٧٠ هـ) بجديد في كتابه «المؤتلف والمختلف» ولكن ضياع كتابيه «المشهورين» و «اشعار الاوس والخزرج» فوت علينا فرصة الاستفادة مما ذكره فيهما من اخبار الاحوص واشعاره كما

يقول(١).

وعالج «ابو عبدالله المزرباني» (م: ٣٨٤ هـ) في «الموشح» بعض اخبار الاحوص التي تدخل في اهتماماته واكثر هذه الاخبار وارد في الاغاني سوى خبر لقاء الاحوص وعمر بن ابي ربيعة عند باب صاحبة الاحوص «عبلة».

واخبار الاحوص التي نقلها «الثعالبي» (م: ٤٢٩ هـ) في «ثماره» و «الحصري» (م: ٤٥٣ هـ) في «الزهر» و «ذيله» منتقاة من كتاب الاغاني. بينما اخطأ «المرتضى» (م: ٤٣٦ هـ) في«اماليه»حين جعل نفي الاحوص من فعل الوليد بن عبد الملك.

ولقد اعتمدت في تقرير نسب الاحوص على ما اورده «ابن حزم» (٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ) في «جمهرته» وزاد على ذلك فعرفنا بجماعة كانوا في الاندلس ينتسبون الى اوس بن عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت وعبدالله المذكور هو الأحوص الشاعر الذي نحن بصدد دراسته.

واعتمد ابن رشيق القيرواني (م: ٤٦٣ هـ) على الاغاني في اخباره التي تناول فيها الأحوص كما اعتمد البكري (م:٤٨٧ هـ) على من سبقه في «التنبيه» و«سمط اللآلي».

وروى السراج (حوالي ٥٠٠ هـ) في المصارع عن ابن الاعرابي قصة مزعومة لموت الشاعر منسوجة على هيئة ما عرف عن قصص العشاق المشهورين في التاريخ العربي. واخذ عن الزبير رواية تشبُّه يزيد بعمر بن عبد العزيز وما رافقها من تفاصيل.

وتبع صاحب «المنازل والديار» «اسامة بن منقذ» (م: ٥٨٤ هـ) خطى ابي الفرج في ما نقله من اخبار الاحوص اما ابن الجوزي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ) فانه نقل في «سيرة عمر بن عبد العزيز» روايتين

---

(١) - المؤتلف والمختلف ٥٩.

مختلفتين لخبر وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ولا تخلو الروايتان من الخطأ والتناقض في الوقت الذي تكمن بذور الشك في طياتها. وفي كتابه «ذم الهوى» لم ينثنِ عن ايراد قصتين شهد ابو الفرج ببطلانها: احداهما نقلها من كتاب الدمشقي وقلبها وغير فيها مخالفا اصل الحكاية والثانية تروى مشهد الاحوص ومعبد مع جارية آل الوحيد وقد شهد الزبير وعمر بن شبة ببطلانها كما قال ابو الفرج.

ونقل «البصري» (م: ٦٥٩ هـ) في «حماسته» اشعاراً مختلفة للاحوص وراح يدلل عليها بصيغ خاطئة لاسم الشاعر. وساق «المقري الانباري» (منتصف القرن السابع الهجري) في «مختاره» حكاية الاحوص وحبابة ويزيد التي تداولتها المصادر السابقة كما نقل رواية ابن الكلبي الباطلة عن وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة. ونسخ النويري (م: ٧٣٣ هـ) في «نهاية الأرب» اخبار الأحوص مع بعض المغنيات عن كتاب الاغاني بنصوصها الحرفية.

ووضع الذهبي (م: ٧٤٨ هـ) شاعرنا في الطبقة العاشرة بعد المائة الاولى من تاريخه ولعله كان يقصد التدليل بذلك على تاريخ وفاة الاحوص واليه استند - فيما اعتقد - كل من جعل وفاة الاحوص في هذه السنة ولكن هذا الرأي باطل لان الزبير بن بكار كان قد حدد موت الاحوص اثناء ولاية عبد الواحد النصري للمدينة بين سنتي ١٠٤ هـ و١٠٦ هـ.

وسرد «ابن القيم الجوزية» (م: ٧٥١ هـ) في «اخبار النساء» موضوع تشبيب الاحوص بام جعفر وما رافقه من حوادث ولم يخلُ سرده من بعض الاختلافات عما في غيره من المصادر.

ونسخ الكتبي (م: ٧٦٤ هـ) في «عيون التواريخ» اخبار الاحوص عن الاغاني حرفيا ولكنه اسدى الينا معروفا مهما حين ذكر جملته الشهيرة

«وممن جهل تاريخ موته من المشهورين ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك: الاحوص الشاعر» وجرى ابن كثير (م: ٧٧٤ هـ) في «البداية والنهاية» وراء بعض القصص المشكوك بها المتعلقة بالاحوص فساق قصة الدمشقي وخبر حماد الرواية المنقول عن كثير وخبر وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز مأخوذا عن الهيثم بن عدى. وزيّن خبر الاحوص وحبابة ويزيد بشيء من تعليقاته.

واورد الحموي (م: ٨٣٧ هـ) في «ثمراته» رواية الهيثم بن عدي عن وفود الشعراء على عمر بينما اورد الابشيهي (٧٩٠ هـ - ٨٥٠ هـ) نفس الخبر نقلا عن رواية ابن الكلبي وكلا الروايتين باطل.

وقع العيني (م: ٨٥٥ هـ) في الوهم فاعطى للشاعر اسمين مختلفين ولقبين احدهما محرف من الآخر هما: الاحوص والاخوص. ولعل هذا الخطأ من النساخ.

ونقل النواجي (م: ٨٥٩ هـ) في «الحلبة» عن ابن رشيق خبر اطلاق الاحوص من منفاه. وسارع صاحب «تزيين الاسواق» الانطاكي (م: ١٠٠٨ هـ) الى ذكر حكاية الاحوص مع يزيد وحبابة. بينما نسخ البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ) في «خزانته» اخبار الاحوص من كتاب الاغاني مصرحا بذلك ولكنه افادنا بشكل ملحوظ حين انفرد بذكر خبر وفود الاحوص مع ابيه على معاوية بن ابي سفيان فاستطعنا التدليل على حدود ولادة الاحوص بواسطة. هذا الخبر الذي يمكن ان يكون البغدادي قد نقله من مصدر لم يصلنا ذكره وضاعت نصوصه.

بعد هذا العرض الذي قدمت فيه معظم جوانب الاستفادة التي افدتها من المصادر جمعاء فان عليّ ان اسجل بصورة خاصة لكل من ابن اسحق وابن سعد والواقدي والبلاذري فائق الفضل فيما نقلته من اخبار عائلة الاحوص. كما اسجل لكل من الاصبهاني والجمحي والدينوري والزجاجي والمبرد مثل هذا الفضل ومثل هذه الميزة فيما اثبته من اخبار

حياة الاحوص في جميع فصولها. لان معظم اصحاب المصادر الباقين قد اكتفوا بتسجيل ما اورده هؤلاء الاعلام الاوائل من الاخبار.

الفصل الثاني

بيئة المدينة

تمهيد

في الوقت الذي كانت فيه المدينة المنورة مسرحا للفتنة التي نشبت رأسها في مواجهة عثمان بن عفان (ر) نقمة على ما اتاه عماله الامويون من الظلامات في سائر انحاء الدولة الاسلامية كان منزل احد ابناء الصحابة الانصار الاولين يشهد فرحة استقبال مولود لم يشعر بقدومه التاريخ لانه لم يكن ابن احد من الاشراف سُمّي هذا المولود عبد الله ولُقّب فيما بعد بالأحوص. والده محمد بن عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح وجده عاصم عزف بعد استشهاده في يوم الرجيع بحميّ الدَّبْر.

نبت هذا الانصاري الصغير بقباء احد احياء بني عمرو بن عوف من الاوس وقوي عوده فاذا به شاعر الانصار الاول وزعيم شعراء المدينة في عصر الامويين دون منازع ونال مكانة في الشعر جعلت كلا من الفرزدق وجرير يحجم عن هجائه والتعرض لسطوة لسانه الحاد[1] كما دفعت شهرته عمر بن عبد العزيز الى اتقاء هذه السطوة[2]. ورووا انه «قيل لحرز بن جعفر: أنت صاحب شعر ونراك تلزم الانصار وليس هناك منه شيء. قال: بلى والله ان هناك للشعر عين الشعر وكيف لا

---

(١) - الاغاني (د) ٢٦٣/٤ العمدة ٣٨/١ عيون التواريخ ١٦٩/٥.

(٢) - الاغاني (ث) ٢١/ ١٠٩ ذيل زهر الاداب ٥٩ المنازل والديار ٤٢٩/١ الخزانة ٢٥٠/١.

يكون الشعر هناك وصاحبهم الاحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه   وذلك حين الفاجعات وحيني... »[١]

ولم يكن الاحوص شاعر الانصار فحسب بل كان شاعر المدينة باسرها في عصره اذ حمل مشعل الشعر الغنائي فيها وشارك ابن ابي ربيعة في زعامة شعراء الغزل في الحجاز ولكنه لم يقصر شعره على الغزل بل تعداه الى اغراض اخرى كانت لها صفة العلاقة الواضحة بظروف حياته الشخصية القاسية فشحذ لسانه مدافعا عن كرمته موسعا من اتصل بهم هجاء واصفا سوء حالته المادية وضيق العيش به ليستدر عطف الخلفاء عليه. فخلّف في الادب العربي اثرا قيّما وحفظ للاجيال بعده تراثا شعريا عظيما.

وتشاء الأقدار ان يقتل عثمان (ر) غيلة في منزله وتهب المدينة لمبايعة علي ابن ابي طالب (ع) بالخلافة من بعده وتشهد الدولة الاسلامية احداثا غريبة كان من فصولها اغتيال الامام علي واستلام الامويين مقاليد السلطة وانتقال مركز الخلافة الى الشام وقسوة الامويين في الحكم على اهل المدينة بصفة عامة والانصار بصفة خاصة لما كانوا يظهرونه من العداوة للبيت الاموي.

وحريّ بنا ان نلقي نظرة خاطفة على حياة المدينة في هذا العصر قبل تناول حياة شاعرنا الخاصة. علّنا نتمكن من فهم شيء عن الوسط الذي تقلب فيه شاعرنا والحياة التي الفها شباب المدينة في ذلك العصر الذي كان من اهم مراحل تطور المدينة وانتقالها من الجدب والعزلة الى الخصب والانفتاح على حضارة امم اخرى فتحها المسلمون وقتئذ.

بدأ الانقلاب الكبير في حياة المدينة مع انتقال محور الثورة الاسلامية الكبرى اليها بفعل الهجرة النبوية الشريفة فاخضعت هذه

---

(١) - الاغاني (د) ٢٦٨/٤.

الثورة كامل الجزيرة العربية لسلطانها وامتد جنودها الى اطراف الارض فيما بعد يخضعون الشرق والغرب لسلطان الدين الجديد الذي بسط ظله على شمالي افريقية واسبانيا وبعض فرنسة غربا والهند والسند شرقا في مدة لم تتجاوز القرن من الزمن.

واصبح هذا العصر الذي ملأته الفتوحات والثورات عصر لهو ومجون لا سيما في مدينة الرسول الكريم (ص) حيث ولد شاعرنا، رفعت فيه للهوارية حملها ابناء ذلك الجيل وبشكل خاص اولئك الاشراف من ابناء المهاجرين والانصار وقد شجعهم على المضي في عبثهم اكثر خلفاء بني امية وامرائهم الذين اعرضوا عن شرائع الدين الجديد وخرجوا عن جادة صراطه المستقيم.

وكان لهذه التغييرات اثر عظيم في تكييف انماط حياة ابناء ذلك الجيل من اهل المدينة وغيرها نتج عنه تطور سريع في الأدب العربي واغراضه ومراميه.

موقع المدينة:

تقع المدينة في اقليم الحجاز المتميز بكثرة جباله ومرتفعاته واوديته ومنتخفضاته وهي تنبسط على رقعة تحيط بها الجبال من اكثر نواحيها ففي شمالها جبل أُحُد وجبل ثَوْر وفي جنوبها جبل عَيْر[1] ويحيط بها من الشرق والغرب مرتفعان يتألفان من حجارة سود نخرة بركانية وهما حرتا واقم والوَبْرَة.

وارض المدينة حرّاء بركانية غير ان تربتها في الجهة الجنوبية مشبعة من المياه التي يندر وجود مثلها في سائر الحجاز. وتكثر هذه المياه بعد نزول الأمطار وتَحَدُّر السيول ويغور بعضها ويستقر في جوف التربة[2]

(١) - معجم ما استعجم ٣/٩٨٤.

(٢) - معجم البلدان ٤/٤٥٩.

حيث يتفجر آباراً وعيوناً وينابيع تستعمل لسقي الزرع. وتنبت في تربتها الخصبة انواع كثيرة من الأشجار المثمرة اهمها النخيل ومناخها مُحْتَمَل لا يخلو من الجودة الملائمة لنمو المزروعات والأشجار المثمرة.

العقيق:

يبعد اول العقيق عن المدينة نحو ميلين او ثلاثة من الجهة الجنوبية الغربية وراء حرّة الوَبْرَة[١] وهو احد اودية المدينة الكثيرة التي تنتشر في ثنايا المرتفعات المحيطة بها الا انه اشهرها واجملها دون منازع وتكثر في اودية المدينة العيون والآبار واشهرها بئر عُرْوَة وبئر رومة وعين الأزرق في وادي العقيق الذي تتحدّر اليه السيول الهابطة من الجبال حوله فتجعل منه نهرا كبيراً يضطرب في بعض الأحيان مثل مدّ الفرات[٢] ثم يهوي على الجنائن والبساتين فيروي نخلها ويسقي ارضها وينعش نفوس زواره من اهل المدينة[٣] وكان بالعقيق ساحات تسمّى العرصات منها عرصتان تُعدّان من افضل بقاع المدينة وأكرم اصقاعها وكان ذوو الأمر من بني امية يمنعون بناء المنازل فيها صوناً لها وضنّاً بها الا بأمر من الخليفة[٤].

وعلى بعد ميلين من آخر المدينة على يسار القاصد الى مكة تقع قُباء التي نبت فيها الأحوص وفيها نشأ حتى هرم.

المدينة في الجاهلية وصدر الاسلام

أ - المدينة في العصر الجاهلي:

يحوط الغموض اكثر تاريخ المدينة في العصر الجاهلي واول من

---

(١) - معجم البلدان ٣/٧٠٠.

(٢) - الاغاني (ب) ٢/١٧٢.

(٣) - الموسوعة الاسلامية تحت (Al-Akik)

(٤) - معجم البلدان ٣/٦٤١.

سكنها العمالقة وكانوا اهل عزّ وبغي شديد وكانوا اول من اتخذ فيها النخيل والزرع[1] عليهم اليهود في القرن الأول للميلاد[2] فعاشوا على الزرع والحرث واحترف بعضهم الصناعة. وقدم الأوس والخزرج المدينة من اليمن في القرن الخامس الميلادي فغلبوا أهلها اليهود وسادوا المدينة[3]. وكان مستقر الخزرج داخل المدينة وفي الشرق والشمال الشرقي منها بينما استقر الأوس في الجنوب والجنوب الشرقي من المدينة. وانتقلت عدوى التناحر بين القبائل التي كانت سائدة في جزيرة العرب الى الأوس والخزرج فاشتعلت نيران ولعداوة والبغضاء بينهما وساعد على حدها اليهود الذين كانوا يمدونهم بالأسلحة التي كان اليهود يتقنون صناعتها.

ب - المدينة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين:

حُملت مشاعل الاسلام الى المدينة بواسطة نفر من أهلها لقيهم الرسول (ص) في مكة وبايعه وفد منهم بيعة العقبة الأولى وقام وفد اكبر بالوفادة على النبي (ص) الكريم فسألوه الخروج معهم وبايعوه بيعة العقبة الكبرى[4] ولم تلبث أنوار الدين الجديد أن أضاءت في المدينة بهجرة الرسول الأعظم (ص) اليها فآخى بين المهاجرين والأنصار كما آخى بين الأوس والخزرج. وأيّد الله رسوله بنصر مبين على المشتركين في غزواته وحروبه فدانت له جزيرة العرب وأتّم الله نعمته عليه ففتح مكة في العام الثامن للهجرة ولم يأتِ العام التاسع حتى كانت المدينة تكتظّ بوفود القبائل التي جاءت تعلن الاسلام.

ولم يلبث النبي (ص) ان لبّى نداء ربه وانتقل الى الرفيق الأعلى،

---

(١) - الاغاني (ب) ١٩/٩٦.
(٢) - الاغاني (ب) ١٩/٩٥.
(٣) - الاغاني (ب) ١٩/٦٩ و١٣/١١٩.
(٤) - اليعقوبي: ٢/٣٨.

وكاد يدبّ الشقاق بين المسلمين بعد انتقاله إذ قام الأنصار بعقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة يريدون جعل الأمر فيهم. كما رووا - فعالجهم بعض المهاجرين وأقنعوهم بوجوب جعل الأمر في قريش وبويع لأبي بكر (ر) بالخلافة بينما اعترض كثيرون على هذا الأمر معتقدون بوجوب إيلاء الإمامة لوصيّ الرسول علي بن ابي طالب (ع) مستندين الى احاديث شريفة متعدّدة روتها كتب الحديث والى وصية الرسول (ص) لعلي في بيعة غديرخم[1]. وقد كان هذا الأمر العامل الرئيسي في تبلور عقيدة الشيعة التي كانت دائما المصدر الأول للثورة ضد الأمويين فيما بعد.

وقام ابو بكر بجمع القرآن وجمع في الوقت نفسه العرب على كلمة الاسلام وانطلقت جيوشه من المدينة لفتح الشام وفارس. وعندما حضرته الوفاة اوصى بالخلافة الى عمر بن الخطاب (ر) فتابع عمر بعده امداد الجيوش وفتح البلدان حتى اصبحت فارس والشام ومصر تابعة لدولة الاسلام المتمركزة في المدينة المنورة. وامتدت الأيدي الآثمة الى عمر متمثّلة بأبي لؤلؤة فيروز المجوسي سنة ٢٣ هـ[2] فجعل عمر الأمر في ستة من أصحابه وطلب منهم أن يختاروا واحدا منهم فعملت ظروف كثيرة على اختيار عثمان بن عفان (ر) الذي أسلم أموره الى بعض ذويه من بني أمية فتغلغلوا في قنوات الدولة الاسلامية وتحكّموا بمقاديرها، الأمر الذي سبّب الثورة على عثمان (ر) وقتله سنة ٣٥ هـ[3]، وبايع أهل المدينة عليّا بالخلافة[4] وبايعه الناس. فسارع في عزل ولاة عثمان ومنهم معاوية بن أبي سفيان الذي كان يتولى الشام فلم يستجب هذا الأخير لأمره بل رفع راية العصيان مطالبا بثأر عثمان، ووقف أهل الحجاز والعراق الى جانب الخليفة وتحصّن معاوية بأهل الشام وجرت بين

---

(١) - اليعقوبي ١١١/٢ - ١١٢ والعقد ٩٩/٥ - ١٠٠ وتلخيص الشافي ٥٦/٢ - ٧٠ وغيرها كثير.
(٢) - فتوح البلدان ٣٤.
(٣) - تاريخ الرسل والملوك I / ١٩٨٠.
(٤) - اليعقوبي ١٧٨/٢.

الفريقين معارك ونزاعات أشهرها معركة صفين التي تغلّب فيها الدهاء على الحكم وقام الخوارج يقضّون مضجع أصحاب الأمر فرجع عليّ الى الكوفة ليحاربهم فاغتيل فيها سنة ٤١ هـ وبويع لابنه الحسن بعده فعمل معاوية على حمله للدخول معه في صلح ومبايعته بالسلطة. وبذلك لم تأت الفرصة لبني أميّة فأمسكوا بزمام الدولة الجديدة فترة قاربت القرن من الزمن.

ويمكننا ان نعتبر عصر الدولة الاسلامية الأول عصر المدينة الذهبي إذ كان فيها مقام الرسول الكريم (ص) وكانت مركز الخلافة لدولة الراشدين فتحدر اليها الفيء واكثر الرقيق والسبي وفيها بقيت اكثر عائلات المهاجرين الأولين ومن هم اصحاب شأن ومال كثير. وزاد جمال رياضها في لين معيشتها وغنى اهلها فعرفت نوعا من الثراء والخصب بعد الفقر والجدب.

المدينة في عصر بني أُمَيَة

- الحياة السياسية:

١ - في ظل معاوية وابنه يزيد: (٤١ هـ - ٦٠ هـ - ٦٤ هـ)

اتيح لأهل المدينة بعد التطور السريع الذي شهدته مدينتهم ان يستريحوا نحو عشرين عاما في ظل معاوية فركنوا الى السكوت رغم معارضتهم الضمنية لسلطة بني امية وكان كثير منهم يرون ان الأمويين غاصبون للخلافة[١] فولى عليها معاوية مروان بن الحكم[٢] ثم عزله وولى سعيد بن العاص ثم اقاله وولى مروان ثانية. وكان اكثر ولاة المدينة في هذا العصر من بني امية ولم يولّ عليها من الأنصار سوى ابن حزم فيما بعد.

---

(١) - اليعقوبي ٢/٢١٦ و٢٥٠.

(٢) - الطبري II /١٦.

وتجمّع في المدينة اكثر رجالات الاسلام التابعين العديد من ذوي النفوذ مثل الحسن بن علي(ع)[1] والحسين بن علي(ع)[2] وآل الزبير وكان فيها محمد بن الحنيفة[3].

وكان معاوية يعتبر أهل المدينة قتلة عثمان(ر) أعداءه[4] فقضى على كل من اتُّهم بمعاونته على عثمان من أهلها[5].

ومات معاوية بعد ان مكن لابنه يزيد من الخلافة فتولاها من بعده. فخرج عليه الحسين بن علي(ع) وقصد العراق لجمع المسلمين على قتاله ولكنه قتل في كربلاء وبُعث برأسه الى الشام وأُجلي اهله الى المدينة سنة ٦١ هـ.[6]

وبعد سنتين اضطرب الحجاز ضد الامويين لا سيما المدينة فتحرك اهلها تحت لواء عبدالله بن حنظلة الغسيل وهو نسيب الأحوص. فأُجلي الامويون عنها عنوة. واعلن اهلها العصيان على بني امية فسيّر اليها يزيد قائده مسلم بن عقبة المرّي واوصاه بالعنف والشدّة والسيف والمنجنيق حتى يبايعوا على انهم خولة ليزيد يحكم في دمائهم واموالهم وأهليهم ما شاء[7].

فدخلها الامويون بعد ان قُتل عبدالله واولاده الثمانية واباحوا المدينة لجيوشهم ثلاثة ايام واخذوا البيعة من اهلها على ما ذكرنا وقتلوا كل من لم يعترف بكفره بعد اشتراكه في الثورة[8].

---

(١) - الطبري II /٦.
(٢) - الطبري II /٩.
(٣) - الاخبار الطوال ٣٠٨.
(٤) - الطبري II /٩٢.
(٥) - الطبري II /٢٢ واليعقوبي ١٩٧/٢.
(٦) - الطبري II /٢٨٣ - العقد الفريد ٣٨٢/٤.
(٧) - الطبري II /٤٠٩ و٤٢٠ و٤٢٣ والعقد ٣٨٩/٤.
(٨) - العقد الفريد ٣٨٧/٤ - ٣٩٠ اليعقوبي ٢٥٠/٢.

وثارت مكة اثر ذلك تحت لواء عبد الله بن الزبير. فحُوصرت ورُمي البيت الحرام بالمنجنيق واحترقت الكعبة ومات يزيد خلال فترة حصارها دون تحقيق ما كان يحلم به. فقويت الثورة ضد بني امية في انحاء الدولة الاسلامية واندلعت نار الشقاق بين العصبيات المختلفة وانقصمت عرى الوحدة العربية حتى وافت عرفات سنة ٦٨ هـ اربعة الوية[١]. وهذه الفترة تمثل مرحلة الصبا والشباب الأول من حياة شاعرنا الأحوص الذي نشأ وسط هذا الخضم من المعارك والثورات.

٢ - في عهد عبد الملك بن مروان: (٦٥ هـ - ٨٦ هـ).

بعد يزيد تولى الحكم ابنه معاوية فلم يمكث طويلا حتى مات فتمكن مروان بن الحكم من السيطرة على مقاليد السلطة. وقهر القيسيين الموالين لابن الزبير ثم مات فقام بعده ابنه عبد الملك الذي فتك بعمر بن سعيد بن العاص مناوئه على الزعامة فقتله غدرا[٢] واسكت تحرّك الروم بجزية كان يدفعها لهم[٣].

وقضى عبد الملك تسعا من سني ملكه في اخماد نار الثورات[٤] التي اندلعت ضده وكان آخرها القضاء على عبد الله بن الزبير حيث نُصب رأسه في المدينة ثم أُخذ الى عبد الملك في الشام[٥].

وركنت المدينة الى الدعة والسكون بعد هذه الموجة من العنف التي اجتاحت الدولة الاسلامية وأخذ اهلها بالشدة والقسوة من قبل عمال عبد الملك فاحسوا نوعا من الراحة ممزوجا باليأس المطبق. فلما قدم عبد الملك بن مروان حاجا سنة ٧٥ هـ جلس على المنبر فشتم اهل المدينة

---

(١) - الطبري II /٧٨٢ اليعقوبي ٢/٢٦٣.
(٢) - الطبري II /٧٩١.
(٣) - الطبري II /٧٩٦.
(٤) - الطبري II /١١٧٢.
(٥) - الطبري II /٨٤٤ - ٨٥٢.

ووبّخهم ثم عيّرهم بِمُخَنَّثِهم وأخيهم الأحوص. فقام أهلها يطلبون منه المعذرة ويرجون منه الحلم والعفو عما كان منهم[١]. وجاراه خطباؤه في صنيعه[٢] وكان اكثر عماله قسوة على المدينة هشام بن اسماعيل المخزومي الذي أساء السيرة وجار في الأحكام وتحامل على آل الرسول(ص)[٣] وأظهر لهم العداوة وضرب فقيه المدينة سعيد بن المسيب ستين سوطا لأنه كان يبغض خلفاء الأمويين وطاف به[٤].

٣ - في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ - ٩٦هـ)

تولى الوليد مقاليد السلطة بعد وفاة والده فالتفت الى التوسع في انحاء مختلفة من الدولة الاسلامية ولكنه ظل يعامل اهل المدينة كما كان يعاملهم والده من قبل فلما حج سنة ٩١ هـ مرّ بالمدينة لينظر ما أصلح من مسجد الرسوم(ص) فلقيه اشرافها لقاء حسنا فقسم فيهم عطاءه من جهة وخطب فيهم وتوعّدهم من جهة اخرى ومما قاله لهم: انكم اهل الخلاف والمعصية[٥]. وكان قد ولّي عليها عمر بن عبد العزيز ثم عزله وولي عليها عثمان بن حيان المرّي[٦] الذي كان شديدا ذا باس فطلب منه ان يفرّق من فيها من اهل الأهواء[٧].

٤ - في عهد سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك (٩٦هـ - ١٠٥هـ).

تولى سليمان الخلافة بعد اخيه الوليد وكان قاسيا في معاملته لسكان المدينة التي ظلت موطنا من مواطن المعارضة ولكنه عيّن عليها أنصاريا هو

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٤/٤ عيون التواريخ ١٦٩/٥ اليعقوبي ٢٧٤/٢.
(٢) - العقد ٤٠٢/٤ و٤١٧.
(٣) - اليعقوبي ٢٨٠/٢.
(٤) - اليعقوبي ٢٨٠/٢ العقد ٤٢١/٤.
(٥) - الطبري II /١١٦٩.
(٦) - اخبار القضاة ١٣٥/١.
(٧) - الطبري II /١٢٦٠.

ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[1] الذي كان يخاصم الاحوص ويتربّص به للنيل منه بالضرب والتشهير. وسننقل اخبارهما في فصل لاحق. واوصى سليمان بالخلافة لعمر بن عبد العزيز على ان يتولاها بعده يزيد بن عبد الملك. فاشتدّ عمر في مقارعة اهل الباطل اينما وجدوا وقسا بحكمه على مخنثي المدينة واصحاب المجون فيها بينما كان هوى يزيد في هؤلاء واضرابهم من الشعراء الماجنين والمغنين العابثين فكان يرسل في طلبهم من المدينة وينادمهم ويجزل عليهم العطايا الى ان مات في همّهِ على جاريته المغنية حبابة. وعرف شاعرنا الاحوص نوعا من الهدوء خلال فترة حكمه بعد ان قاسى امر الظروف في عهد سابقَيْه حيث ضُرب وشُهر به وغُرّب في عهد عمر الى دهلك كما سنعرض فيما بعد.

- الحياة الاقتصادية للمدينة في عصر بني امية:

١ - غنى بعد فقر:

لم تكن المدينة تعرف التجارة في الجاهلية مث مكة بل كانت تكبُّ على الزراعة فافاء الله على الجزيرة لا سيما المدينة فيئا عظيما فاشبعها بعد ان كانت جائعة[2] فكان يُحمل اليها الطعام من مصر عن طريق البحر ويُحمل معه الزيت ويُقسم بين اهلها بمكيال[3] حتى صار سعر المدينة كسعر مصر مما زاد في عمران المدينة وصلاحها[4]. وقدم ابو عبيدة المدينة باربعة الاف راحلة من الزاد وقُسّم ذلك على المسلمين حتى رخص الطعام فيها واستغنى اهلها[5] ووفد ابو هريرة من البحرين على المدينة بخمسمائة الف[6] وصالح عبد الله بن ابي سرح بطريق افريقية بعد

(١) - اخبار القضاة ١/١٤١.
(٢) - الطبري II /٢٨٠٨ - ٢٨١٤ - ٢٨٦٠.
(٣) - فتوح البلدان ٢١٦.
(٤) - الطبري II /٢٥٧٧ حسن المحاضرة ١/٧٦ - ٧٧.
(٥) - الطبري II /٢٥٧٦ - ٢٥٧٧.
(٦) - فتوح البلدان ٤٥٣.

فتحها على ثلاثمئة قنطار من الذهب[١] وبلغ خراج السواد على زمن عمر قريبا من مئة مليون درهم[٢]. ولم تعدم المدينة حظها من الفيء زمن بني امية فقد قسم فيها الوليد رقيقا كثيرا عجما بين الناس وآنية من ذهب وفضة واموالا[٣].

٢ - المزارع والآبار:

واخذ بعض اهل المدينة يلتفت الى أهمية الزراعة وامتلاك المزارع فحمل سعيد بن عثمان اولاد الصغد من خراسان الى المدينة والقاهم في ارض يعملون له بالمساحي[٤] وابتنى سعيد بن العاص بعرصة العقيق قصرا واحتفر بيرا وغرس النخل والبساتين وكان نخل بستانه اكبر نخل في المدينة[٥].

٣ - الدور والقصور:

وقد ساعد الفيء العظيم اشراف المدينة في بناء الدور وتشييد القصور التي كان يرقطّها بعضهم بحجارة مختلفة الالوان ويجصّصها من الظاهر والباطن. فابتنى كلٌّ من عثمان بن عفان وسعد بن أبي وقاص دارا له بالمدينة وحاراها في البناء كلٌّ من طلحة والمقداد وعبد الرحمن ابن عوف حتى بلغ البناء في المدينة سلعا[٦]. وكان لسكينة قصر في العقيق يقال له البريدي[٧] وكان لعروة بن الزبير مثله، واتسع البناء فيها ضنّاً بها ومحافظة على جمالها إلا بإذن من الخليفة[٨] وتزايد عدد

---

(١) - فتوح البلدان ٢٢٧.

(٢) - فتوح البلدان ٢٧٠ ابن خرداذبه ١٤.

(٣) - الطبري II /١٢٣٣.

(٤) - المعارف ١٠١.

(٥) - معجم البلدان ٦٤١/٣.

(٦) - الطبري II /٢٨٦٠.

(٧) - الاغاني (ب) ١٧٢/١٤.

(٨) - معجم البلدان ٦٤١/٣.

القصور بشكل ملحوظ وادّى الرخاء الذي عرفته المدينة الى ارتفاع ثمن الأبنية حيث تنافس الناس في امتلاك الأبنية المترفة الفخمة حتى اشترى معاوية دارا له في المدينة بستين الف درهم وكان صاحبها اشتراها بزق خمر وكانوا يقولون لصاحبها: قد غبنك معاوية[١].

٤ - شباب المدينة ينعم بالمال:

وقلّت قيمة المال عند الاشراف حتى صارت اعطيات الامراء بالمئات والألوف من الدنانير وصار مهر بعض الكريمات يصل حدود المليون درهم[٢] واغدق بنو امية الأموال على شباب الاشراف في المدينة وغيرها بغية الهائهم وحجزهم في الحجاز حتى لا يتعدوها الى مكان آخر يحدثون فيه ما يقلق جانب السلطان. فكانوا يحرمون اكثرهم من المشاركة في اعمال الدولة ويوسعونهم العطايا ليشغلوهم عن السياسة فكان هؤلاء ينفقون الأموال في سبيل اللهو والعبث والمجون او في الضيافات والكرم. فزعموا ان يزيد بن معاوية اعطى عبد الله بن جعفر اربعة الاف الف. وقال: انما اعطيتها اهل المدينة اجمعين فما يده فيها الا عارية[٣]. وكانت هذه الخيرات مدعاة للهو حتى صار عبد الله ابن جعفر مثلا للشباب اللاهي في المدينة وحجة لهؤلاء على ذويهم[٤].

وكان للتوسع السياسي وما جره من الفيء والرخاء الاقتصادي والسعة والعمران أثر عظيم في حياة اهل ذلك الجيل الاجتماعية والحياة الاجتماعية مرآة الحياة الاقتصادية.

---

(١) - المعارف ١٥٩.

(٢) - الاغاني (ب) ٥٨/١٠ و١٦٨/١٤ - ١٧١ و٥٦/١٠.

(٣) - العقد ٧٠/٢.

(٤) - العقد ٤٥/٤.

- الحياة الاجتماعية في المدينة:

١ - الانقلاب العظيم:

بعد الثورة السياسية العظيمة والانقلاب الاقتصادي الكبير تطورت حياة العرب الاجتماعية في المدينة بصورة واضحة فعرفوا حياة جديدة تختلف عما كانوا يألفون. فبلغ التطور الاجتماعي جانبا عظيما من حياتهم وظهرت آثاره في خلقهم وفي سبل عيشهم وتغيرت نظم كثيرة ألفوها في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم وانتقلوا من خشونة العيش وشظفه الى رغده وهنائه وسعته.

فراح كثيرون منهم يشتون في موضع ويصيفون في موضع آخر[١] وناقلت سكينة مالها بالزوراء الى قصر بالعقيق يقال له البريدي وكانت تحسب الساعة في هذا القصر خير من الزوراء[٢] ولم تنفرد سكينة في حبها للعقيق ولقصور العقيق ولحياة اللهو والمرح بين رياض العقيق بل شاركها في ذلك عدد غير قليل من شريفات ذلك العصر واشرافه.

٢ - المدينة مرآة لحضارة الأمم المغلوبة:

وتعلق العرب لا سيما اهل المدينة باسباب من حضارة الأمم المغلوبة بعد اتصالهم بالسبايا والرقيق الذي وُزِّع بينهم بحيث قلّ ان يخلو بيت عربي منها وخير دليل على تعاظم عدد السبايا بلوغ عدد السبي من قيسارية وحدها اربعة آلاف رأس قسمها عمر بن الخطاب على يتامى الانصار[٣] فغلب هؤلاء اهل المدينة على عاداتهم واخلاقهم فكان اول منكر ظهر بالمدينة طيران الحمام والرمي على الجلاهقات[٤] واخذ بعضهم

---

(١) - الاغاني (ب) ٣٠/٦.

(٢) - الاغاني (ب) ١٧٢/١٤.

(٣) - فتوح البلدان ١٤٢.

(٤) - تاريخ السيوطي ٦٤.

يستعمل الأَسِرَّة وربما استعملها والد الأحوص محمد بن عاصم حيث رووا ان عبدالله بن عمر كان واقفا بين عامودي سريره حين شهد جنازته[١]. واخذ بعض الأشراف يلتفت الى ما قد يعرض لاجسامهم كما فعلت سكينة بنت الحسين[٢] وشدّ بعضهم اسنانه بالذهب[٣]. وصار العرب يتأنقون في الملبس والمأكل واخذت بعض النساء العربيات ومولياتهن يلتقتن الى التزين في الثياب والهندام ويرغبن في احراز اللآلي والحلي[٤] كما شاع تصفيف الشعر بأشكال خاصة عرف بعضها بالجمة السكينية التي شاعت بين الرجال والنساء[٥] وتسابقت النساء الى لبس القمصان الاسكندرانية الرقيقة والثياب القوهية المعصفرة التي تكاد تشقّ عن اجسادهن[٦].

وتأنق الرجال في هيئتهم فكان جبير بن مطعم اول من لبس الطيلسان في المدينة[٧] وكان الأحوص اذا خرج الى نوادي اللهو يلبس ثوبين معصفرين مدلوكين ويضع على اذنه ضغث ريحان ويلطخ جسده بالخلوق[٨]. واذا سار مع كثير ونصيب الى العقيق كانوا يلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب[٩].

ويمكننا ان نلاحظ حركتين متعاكستين استطاع العرب في الأولى تحقيق الانتصار على امم كثيرة دخلت تحت طاعتهم السياسية ولكنهم اخذوا يخضعون في الثانية لسلطة الحضارة المستقاة من هذه الأمم

---

(١) - الاصابة ٣٥٧/٣ اسد الغابة ٣٢٣/٤.
(٢) - الاغاني (ب) ١٧٣/١٤.
(٣) - تاريخ السيوطي ٥٨.
(٤) - الاغاني (ب) ١٦٨/١٤.
(٥) - الاغاني (ب) ١٦٥/١٤.
(٦) - العقد ٦٧/٦ - ٦٨ و١٠٣/٦. والاغاني (ب) ١٤٣/٧ - ١٤٤.
(٧) - المعارف ٢٧٤.
(٨) - الاغاني (د) ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.
(٩) - الاغاني (د) ٣٥٦/١.

المغلوبة فانتصر المغلوب على الغالب في كثير من عاداته واخلاقه واسباب حضارته واساليب لهوه.

٣ - مظاهر الحضارة الجديدة في المدينة:

أ - الغناء: يكاد يكون الغناء اهم مظاهر الحياة الاجتماعية المستقاة من الأمم المغلوبة ولا يختلف المؤرخون في التمييز بين الغناء الذي عرفته المدينة في العصر الأموي الغناء الذي ألفته في العصر الجاهلي. وكان أهل المدينة بطبيعتهم يحبون الغناء ويعجبهم الغزل وتُعتبر المدينة من اهم القرى العربية التي تأصّل فيها الغناء وتفشَى فيها قبل الاسلام[١] ولكنه لم يكن منتشرا ومتقنا كالذي شاع فيها بعد الفتوحات.

وكان اول من صنع العود بالمدينة وغنى به سائب خاثر مولى بني ليث واصله من فيء كسرى استقى سائب الحانه من اماء نائحات أُتيَ بهن الى المدينة ومن رجل فارسي يُدعى نشيطا كان يغني بالفارسية فصنع سائب مثل غنائه بالعربية[٢] وشاع الغناء بشكل بارز في هذا العصر واستعملت الملاهي وانتشرت مجالس اللهو والغناء في المدينة ولم تكن مألوفة قبل ذلك وصار الغناء فنا منظما يقصد اليه وله حدوده ورجاله ومعلموه.

وسار الغناء الى جانب الترف حتى ملك على شباب المدينة قلوبهم وعقولهم فشُغلوا به الى حد جعل كتب الأدب القديمة مفعمة باخباره وكتاب الأغاني خير دليل على ما نقول.

وامام اتساع سلطان الغناء في قلوب الناس حاول بعض ولاة الامويين المتشدّدين القضاء عليه الا انهم لم يفلحوا بل وقعوا في شباكه

(١) - العقد ٦/٢٧.
(٢) - الاغاني (ب) ٧/١٨٨.

فعندما قام عثمان بن حيان المرّي باصدار امره بطرد المغنين من المدينة خلال ثلاثة ايام أتاه ابن ابي عتيق ومعه سلامة القس. فلما سمع عثمان غناء سلامة اقرَّها في المدينة وترك جميع المغنين فيها[١].

واصبح الغناء موضع عناية الاشراف وعامة الناس على حد سواء[٢] وتبوأ مكانة خاصة في نفوس الشعراء فاشتهرت المدينة بالغناء كما اشتهر العراق بالشراب حتى قال بعضهم: «ما اعجب امركم يا اهل المدينة في هذه الاغاني ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها[٣]».

ولم يفت بعض طلاب اللهو الذين يفدون الى المدينة طلب الاستمتاع بلذة سماع الغناء فيها فحين قدم الفرزدق المدينة ونزل فيها على الأحوص سأله مضيفه عما يشتهيه فقال: شواء وطلاء وغناء فاصطحبه الأحوص الى قينة بالمدينة وغنته بشعر لجرير[٤] ومثله كان امر هذا الأخير في ضيافة الأحوص[٥].

ويبدو ان الغناء بلغ في عصر بني امية من الرقي مبلغا عظيما وازدهر ازدهارا كبيرا وكثر الطلب على سماعه بحيث اتُّخذت له في المدينة اندية خاصة وعُقدت له اجتماعات خاصة منها ما اقتصر على تكريم مغن كما فعلت سكينة[٦] ومنها حفلات عامة ضمّت العديد من المغنين كالتي نظمتها جميلة في دارها لمغني الحجاز وغنى فيها كل مغنٍ بدوره بناء لطلب جميلة[٧].

وكانت جميلة تقيم بالمدينة حفلات الغناء لبعض الاشراف وللشعراء

(١) - الاغاني (ب) ١٠/٨ والكامل ٢٣٦/٢ - ٢٣٨.
(٢) - الاغاني (ب) ٦٣/٢ - ٦٤ و١٤٢/٧ و١٥١/١.
(٣) - العقد ١١/٦.
(٤) - الاغاني (ب) ٤١/٧.
(٥) - عيون الاخبار ١٩٨/٣ العقد ٢٩٥/٦.
(٦) - الاغاني (ب) ١٢٧/٢.
(٧) - الأغاني (ب) ١٢٨/٧ - ١٢٩.

وصحبهم من طلاب اللهو[١] وكان شاعرنا واحدا من اكثر المترددن على دارها[٢] وكانت تلبس في بعض هذه الحفلات لباسا خاصا وتُلبس من كان عندها من المغنين مثله[٣]. وجعلت جميلة في المدينة مدرسة للغناء تعلم الجواري فيها وعنها اخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشاسيتان خليدة وربيحة[٤].

وبلغت عزة الميلاء بالمدينة قريبا من منزلة جميلة ففتنت رجالها ونساءها حتى قيل «كأن على رؤوس اهل مجلسها الطير من تكلم او تحرك نقرت رأسه[٥]» ورووا انها شُكيت الى امير المدينة فبعث اليها برسول يطلب منها ترك الغناء فهبّ عبد الله بن جعفر وابن ابي عتيق يناصرانها ويبطلان ما رُميت به[٦].

وكان الغناء ينشد في مثل الحفلات التي ذكرنا في الولائم والاعراس وحفلات الختان وحلقات اللهو والمنتزهات كوادي العقيق وكانوا يودعون الحجاج به في طريقهم الى مكة.

وكان الخلفاء يستأنسون بالمغنين ويسمعون غناءهم وكانوا يغدقون عليهم العطايا ويخبرنا الجاحظ أن اكثر خلفاء بني امية اتخذوا المغنين وشجعوا الغناء[٧]. وبرع المغنون في اداء الحانهم حتى اخذوا يشعرون بشيء من المنافسة بينهم كما جرى في دار سكينة[٨] وفي حفلة جميلة[٩] وعرف مغنّو المدينة نوعا من المنافسة بينهم وبين مغنّي مكة[١٠].

(١) - الاغاني (ب) ١٢٩/٧ - ١٣٥.
(٢) - الاغاني (ب) ١٤٥/٧ - ١٤٧ و١٣٣/٧ - ١٣٤.
(٣) -الاغاني (ب) ١٤٣/٧ - ١٤٤.
(٤) - الاغاني (ب) ١٢٤١٧.
(٥) - الاغاني (ب) ١٤/١٦.
(٦) - الاغاني (ب) ١٩/١٦ - ٢٠.
(٧) - التاج ٣٣، وللخلفاء اخبار كثيرة تدل على طربهم بالغناء.
(٨) - الاغاني (ب) ١٢٧/٢.
(٩) - الاغاني (ب) ١٢٩/٧ - ١٣٥.
(١٠)- الاغاني (ب) ٩١/٨ و١٤٣.

ب - الشراب: وسار مع الغناء في المدينة ضرب آخر من اللهو هو الشراب ويبدو ان بعض الشباب كانوا يجمعون بين الاثنين فيسمعون الغناء ويشربون المسكر في آن معا. وكان الشباب المدني واقعا بين امرين احدهما وجوب التعلّق بقواعد الدين وثانيهما الرغبة في مجاراة معيشة الأمم التي فتحها العرب. ومن ضروب هذه المعيشة التي رأوها تعاطي الشراب.

فكانت نتيجة وفرة المال واليأس وتجاهل السلطة لاولاد الاشراف ومنعهم من التداول في الشؤون السياسية ان انكمش هذا الشباب على نفسه وراح يتعاطى بعض ضروب العبث المحرمة الى جانب ادائه لبعض واجباته الدينية. فتعاطى الشراب بعضُ التابعين واشتهر به السري بن عبدالرحمن الشاعر وبعض اقرانه[١].

وشجّع العامة في هذا المجال الأمويون أنفسهم بما اشتهر عنهم من تعاطي الشراب «فكان يزيد بن معاوية لا يمس الا سكران ولا يصبح الا مخمورا وكان عبدالملك يسكر في كل شهر مرة... وكان ابنه الوليد يشرب يوما ويدع يوما وسليمان كان يشرب في كل ثلاث ليالٍ ليلة ولم يشرب عمر بن عبدالعزيز - كما يقول الجاحظ - منذ افضت اليه الخلافة الى ان فارق الدنيا» - وهذا النص لا ينفي فعل الشرب عن عمر في ايام ولايته المدينة - ويتابع الجاحظ قوله: «وكان هشام بن عبدالملك يسكر في كل جمعة وكان يزيد بن عبدالملك والوليد بن زيد يدمنان اللهو والشرب»[٢].

وانتقلت عدوى الشراب الى الأحوص بل ربما كان من روادها المشهورين لما عُرف عنه من التهالك في مجونه وعبثه فشرب الخمر مع

---

(١) - الاغاني (ب) ٦٧/١٨.

(٢) - التاج ١٥١.

جميلة وابن أبي ربيعة وابن أبي عتيق[1] وشربها مع الفرزدق[2] ومع جرير[3] وشربها مع يزيد بن عبد الملك الذي لم يزل ينادمه وينافس به حتى مات[4]. ولقد ذكر الأحوص الخمرة في شعره الذي وصلنا غير مرة فقال:

اكرع الكرعــة الرويــة منهــا ثم اصحو ومــا شفيــت عليــلي

وقال في الخمرة ايضا

كـــأن مــــدامــــه مــــا حوى الحـــانوت من مَقَـــدِ
يُصَفِّـــقُ صَفْوَهـــا بـــالمســـكِ والكـــافـورِ والشَّهَـــدِ

جـ - النساء: وكانت المرأة عنصرا متمما للهو الشباب المدني الى جانب لهوهم في الغناء والشراب وربما كانت من اهم العوامل التي اثرت في حياة ذلك الجيل الاجتماعية والأدبية.

ويمكننا ملاحظة التمييز بين المرأة العربية والمرأة الأجنبية التي ملكها العربي في الفتوحات فصارت امته يتزوج منها اذا شاء او يبيعها او يمنّ عليها بالحرية فتكون مولاة له.

- السبيات: كان السيل الجارف من السبيات داعيا لافساد الاخلاق ودافعا لانغماس الشباب المدني في العبث واللهو وكانت النخاسة امرا شائعا وكان تجار الرقيق يجوبون كل نواحي الدولة الاسلامية. وربما كان انفصال السبيات عن ذويهم مصدر صدمة عنيفة لهن فككّت عُرى حياتهن الاجتماعية وتركتهن دون وازع او رادع يمنعهن من المنكر او المجون والعبث.

---

(١) - الاغاني (ب) ١٣٤/٧.
(٢) - الاغاني (ب) ١٣٤/٧.
(٣) - العقد ٢٩٥/٦ عيون الاخبار ١٩٨/٣.
(٤) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.

وكان لتطور طباع المدنيين وأخذهم بأسباب الحضارة الى جانب وفرة اموالهم اليد الطولى في تفشي اللهو والمجون في مجتمع المدينة فظهر في بعض اوساطهم الفساد وعرف بعضهم بالمخنثين الذين كانوا يفسدون الناس ويجمعون بين الرجال والنساء ويتوسطون بينهم بالمنكر[١].

وفتنت بعض السبيات الجميلات الحاذقات في اساليب اللهو الشباب المدني وملكن عليه عقله فخضع لسلطانهن فكان يزيد بن عبد الملك خاضعا لارادة حبابة التي استطاعت بمساعدة الأحوص ان تمنعه من التشبّه بعمر بن عبد العزيز عندما غنته قول الأحوص:

اذا انت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

فطُرب يزيد وشقّ حلته وعاد الى سيرته الماجنة[٢].

وازداد ولع اهل المدينة بالجواري وغلا ثمن الجميلات منهن. فرووا ان موسى شهوات عشق جارية بالمدينة وشُغف بها فجمع كل ما يملكه وأتمّ ثمنها عشرة آلاف درهم واشتراها[٣]. وبلغ ثمن الذلفاء التي فتنت اهل المدينة وشُغف بها الأحوص الف الف درهم[٤]. واخذتِ الجواري نصيبا كبيراً في التوسط بين العشاق بطرق مختلفة لا تخلو بعضها من الفسق والاثم والمنكر. وكن انفسهن مدعاة لهذا الفسق ومشجعا رئيسيا في تفشي الفساد. وخير ممثل للفسق والفساد في المدينة الاحوص الشاعر وقرناؤه من المغنين فكانت له مواقف عابثة عديدة مع جميلة وعقيلة العقيقية وغيرها من الجواري والنساء وبلغ به الفسق حدا جعله يزني

---

(١) - الاغاني (ب) ٦/٩٠ و١٦/٦٠.
(٢) - الاغاني (ث) ١٥/٩٩ - ١٠١. ابن سلام ٥٣٨ - ٥٣٩ الشعر والشعراء ٤٢٥ - ٤٢٦ أمالي الزجاجي ٤٨ - ٤٩ وغيرها كثير جداً.
(٣) - الاغاني (ب) ٣/١١٨.
(٤) - العقد ٦/٦٨.

وهو في مُنىَ برفقة جماعة منهم ابن سريج[1].

- المرأة العربية: كانت المرأة العربية تختلف عن الاماء في هذا السبيل ورغم كون بعض العربيات قد انغمسن في ضروب من الفساد والمجون لكن اللهو الذي مارسه شباب المدينة مع العربيات كان او كاد يكون لهوا بريئا بصورة عامة حُفظت فيه للمرأة العربية مكانتها وكان الشباب يقف عند حدود الحرمة والمقام اللذين كانت تتمتع بهما العربيات لا سيما الشريفات منهن.

وكانت بعض النساء الشريفات يبرزن للرجال سافرات لا سيما في بعض المواسم الخاصة كحفلات الغناء او عند مسيل العقيق كما فعلت إحدى نساء بني أمية بين رياض العقيق حيث عقدت مع موليات لها مجلس غناء ولهو بحضور الأحوص ونصيب وكُثيّر[2].

وتمتعت بعض الشريفات بالذوق الأدبي الراقي فعقدن مجالس لاستنشاد الشعر ونقده فكانت سكينة بنت الحسين(ع) تجالس الأجلة من قريش وتجتمع اليها الشعراء[3] ولها اخبار كثيرة في هذا المجال مع الشعراء حيث كانت تستمع الى اشعارهم وتنتقدهم وتطلق الاحكام في اقوالهم وكان للأحوص نصيب منها[4].

د - المواسم: وكانت هناك مواسم سهّلت على الشباب المدني سبل اللهو وساعدتهم على الالتقاء بالمرأة والتعرض لها. وكانت هذه المواسم مدعاة للتطور الاجتماعي الذي عرفته المدينة حيث حفلت بمجالس الغناء التي كانت مقصد الكثيرين من طلاب اللهو لا سيما الاحوص الذي كان من اكثر طلاب العبث افتتانا بهذه المجالس.

---

(١) - الاغاني (د) ١/٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) - الاغاني (د) ١/٣٥٦.

(٣) - الاغاني (ب) ١٤/١٦٥.

(٤) - الاغاني (ث) ١٦/١١٠ - ١١١ و(ب) ١٤/١٧٤ الموشح. ١٦٠ - ١٦١ و١٥٩.

- **العقيق**: كان العقيق اكثر مواضع المدينة حظا من حياة المرح واللهو وكيف لا يكون كذلك وهو وادي المدينة البهيج ومنتزه اهلها ومزار العديد من طلاب اللهو الذين كانوا يهرعون اليه بافواجهم المتلاحقة حين يسمعون خبر جريان مياهه يتمتعون بمنظره الجميل وينفرد بعضهم ليستحم بمائه ويعقد البعض الآخر على ضفافه وبين رياضه حلقات الانس والطرب يستنشدون الشعراء ويستمعون الى العذب من الألحان بينما ينزوي غيرهم تحت نخيلة يشربون ويعبثون(١).

وتبرز مواكب الاشراف من رجال ونساء تحيط بهم الحاشية والجواري. فهنا عبد الله بن جعفر يتنقل بين حلقات المغنين(٢) وهناك موكب سكينة وهي خارجة من قصرها البريدي لتغتسل بماء الوادي(٣) وفي جانت اخر يبدو الاحوص برفقة كثير والنصيب وهم يلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب ويركبون افضل ما يقدرون عليه من الدواب ويسيرون متنكرين يتصفحون هذه الحلقات في العقيق ويرون بعض ما يشتهون حتى رُفع لهم سواد عظيم فأمّوه حتى أتوه فاذا وصائف ورجال من الموالي واذا نساء برزات فيسألنهم النزول فيملكهم شيء من الحياء أن يجيبوهن من أول وهلة ويعدونهن بالرجوع. وفي طريق عودتهم ينزلون ويؤُذن لهم الدخول على امرأة جميلة برزة على فرش لها فرحبت بهم وحيتهم واذا كراسي موضوعة فجلسوا جميعا في صف واحد كلٌّ على كرسي يستمعون الى بعض الجواري وهي تغني بأشعار أحدهم ولم يفت الجلسة بعض النقد لأشعار الآخرَين(٤).

وربما كان بعضهم يذهب الى العقيق ليلاً مع بعض أصدقائه قصد

---

(١) - الاغاني (ب) ١٢٠/٧ و١٤/٧٩ والموسوعة الاسلامية تحت (Al-Akik)..
(٢) - الاغاني (ب) ٧٦/١١ و١٧٢/٢.
(٣) - الاغاني (ب) ١٧٢/١٤.
(٤) - الاغاني (د) ٣٥٦/١.

السمر والاستمتاع بالحديث والانشاد. وعُرفت طبقة من زوار الوادي بمخنّثي العقيق لرقّتهم ونعومتهم حتى قيل «كأنه من مخنّثي العقيق يتقصّف تقصّفا[1]».

وتأصلت للعقيق مكانة خاصة في حياة المدينة الاجتماعية والادبية فكأنه قطعة من جنة ودّعتها الآلام ولفّتها الأحلام الحلوة وامّنها روح المرح وتدفقت بين جنباتها قرائح الشعراء وسرت في سمائها الحان المغنين وأيقظها بيان المحدّثين فتركت في نفوس اهلها وزوارها اثرا لا يعدلها فيه أيّ مكان اخر. «وان شبّهوا دفنة انطاكية بالعقيق فان شجر السرو في انطاكية كان يعرف ان يهمس بينما كان رجالها لا يعرفون كيف يتكلمون... اما العقيق فلم يكن بخرير مياهه وتمايل نخله ورقة نسيمه وضروب لهوه يُقابل بـظرف نصيب وحديث ابن ابي ربيعة وشعر الاحوص وأدب عائشة وسكينة بل يكاد يكون في هؤلاء وحدهم غنى عن العقيق[2]».

وكانت للأحوص ذكريات حلوه في العقيق مع عشيقاته ومنهن عقيلة التي يخاطبها بقوله:

هل تـذكرين عقيـلُ او أنساكِهِ   بعدي تقلبُ ذا الزمان المفسدِ
يومي ويومـك بـالعقيـق اذ الهوى   مـــا جميــع الشمـــل لم يتبــددِ

– الحج: ومن المواسم التي اتّخذها طلاب اللهو مقصدهم موسم الحج ولم يفت الاحوص اذ حج ان يتبع بعض سبل اللهو والمجون فروى ابو الفرج شيئاً من فسقه ليلة بمُنى وعاد الأحوص ليسجل ذلك في شعرٍ دفعه الى ابن سريج فغناه به:

تَعَرَّضُ سَلْماك لمـــــــــا حَرَمـ   تَ ضـــلّ ضـــلالُـــك من مُحرِمِ

---

(١) – الاغاني (ب) ١٨٣/٣ و ٨٦/٧.

(٢) – عمر بن ابي ربيعة ٩٨/١.

تُريدُ به البرَّ يا ليته كفافا من البر والمأثم [1]

هـ - ضروب اللهو الاخرى: وعرفت المدينة ضروبا اخرى من اللهو كان يمارسها بعض الاشراف اهمها الصيد الذي كان يمارس في عقيق المدينة وبقيعه وكان كثير النبت والشجر ومنتدى للناس ومتصيدا[2]. واخذ العرب عن الفرس الجلاهقات فقالوا «ان اول منكر ظهر بالمدينة كان طيران الحمام والرمي على الجلاهقات وهي قوس البندق[3]».

وحفلت الحجاز لا سيما المدينة ببعض اسباب اللهو التي ترافق الترف والحضارة فعرف اشرافها نوعا من النوادي قريبا مما نألفه اليوم ودليلنا على ما نقول خبر رواه أبو الفرج عن الزبير يفيد أن شاعرنا الاحوص كان يجيد اللعب بالشطرنج. فدخل يوما الى منزل عبد الحكم بن عمرو بن عبدالله بن صفوان الجمحي الذي «اتخذ بيتا جعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار اوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جرَّ دفترا فقرأه او بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم[4]».

ويبدو ان الاحوص كان قد سمع بذلك النادي فقصده فلما دخل مع عبدالحكم بيته علق رداءه على وتد وحل ازراره واجتر الشطرنج وطلب من يلعب معه. وهذا ما يدل على اتقان الاحوص لمثل هذه الالعاب وممارسته لها في المدينة.

وعُرف بعض اشراف المدينة وعامتها بالظرف الحجازي كأبي السائب المخزومي الذي سمع قول الاحوص:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٩٤/١.

(٢) - معجم ما استعجم (بقيع).

(٣) - تاريخ السيوطي ٦٤.

(٤) - الاغاني (د) ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.

لقد منعتْ معروفَها امُّ جعفر وانى الى معروفها لفقيرُ
ازور على ان لست انفك كلما اتيت عدوا بالبنان يشيرُ

فاعجبه ذلك وطرب وقال: أتدري يا بن اخي كيف كانوا يقولون الساعة دخل الساعة خرج الساعة مرّ الساعة رجع، وجعل يومىء بابهامه الى وراء منكبيه وبسبابته الى حيال وجهه ويقلبها ويحكي ذهابه ورجوعه[1]. وقريبا من هذا فعل ابو السائب حين سمع ابياتا اخرى للاحوص[2].

ومن الظرفاء ابو عبيدة بن عمار بن ياسر الذي وثب قائما حين سمع قول الاحوص:

إذ أنتِ فينا لِمَنْ ينهاكِ عاصيةٌ واذ أجرّ اليكم سادرا رسني

ثم ارخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العرض ثم رجع. فسأله احدهم: ما شانه؟ فقال: اني سمعت هذا البيت مرة فحلفت لا اسمعه الا جررت رسني[3].

ومثلها كان ابن ابي عتيق وغيره من اعلام المدينة ولم يفت بعض النساء اخذ نصيبهن من الظرف ولعل سكينة اشهرهن في هذا السبيل ولها حكايات ظريفة متعددة مع اشعب وغيره ممن اتصل بمجلسها الأدبي.

وكان في المدينة مضحك يُندِر اهلها ويضحكهم اسمه الناضري ثم خلفه اشعب في هذا المجال فملأ الحجاز ملحا ونوادر[4] اما ظرف المخنثين «مخنثي العقيق» فكان مشهورا مُتعالَما في اوساط المدينة والعقيق.

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٨/٦ - ٢٥٩.
(٢) - الامالي ٤٦/١ الاغاني ٢٦٤/٤ - ٢٦٥ زهر الاداب ١٧٨/١.
(٣) - الاغاني (د) ٢٦١/٤ - ٢٦٢ و(ث) ١٠٥/١٠.
(٤) - فجر الاسلام ١٧٧.

- الحياتان الدينية والعلمية:

١ - الاهتمام بشؤون الاسلام:

لم تكن مظاهر الحياة الاجتماعية المترفة لتمنع اهل المدينة من الالتفات الى شؤون الدين الجديد بل قام بامر الحركة الدينية اكثر الصحابة والتابعين ومن تفقّه عليهم فاهتموا بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد زمن عثمان(ر) والتفت بعضهم الى وضع تفاسير لنصوص القرآن الكريم ووقف بعضهم على تبيان اسباب تنزيلها وسعى غيرهم الى استخراج الاحكام منها وعُنيَ جماعة منهم بالحديث الشريف دراسة وتفسيرا واستنباطا وأولى فريق منهم اهتمامه في تسجيل اعمال النبي الكريم(ص) في ادائه لبعض الفروض كالصلاة والحج والطواف.

ولما كانت العرب قد اختلفت على الزعامة فقد اختلفت في بعض امور الدين فنشأت مذاهب متعددة وتشعبت طرق الاجتهاد وتنوعت المدارس التي كانت تُعنى بتفسير النصوص القرآنية الكريمة ورواية الأحاديث النبوية الشريفة والقول بصحتها او رفضها لأسباب ليست تدخل في صلب موضوعنا والتي تطورت الى ان عُرفت فيما بعد بعلم الجرح والتعديل.

٢ - القراءة والكتابة:

كان الكثيرون من اهل ذلك الجيل يكتبون ويقرأون ويدّونون بعض ما يسمعون من تفسير وحديث وربما ذهبوا الى استعمال الكتابة في المراسلات حتى في تلك التي كانت تجري بين الرجال والنساء اللواتي كان بعضهن يعرفن القراءة والكتابة.

وعمل بعض رجال العلم بالتدوين والتأليف، فعروة بن الزبير كان يدوّن علمه في كتب حسب ما ذكره ابنه هشام الذي قال: «احرق ابي يوم الحرة كتب فقه كانت له فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي

حبٌ اليَّ من ان يكون لي مثل اهلي وولدي[1] ».

٣ - الحركة العلمية البحتة:

تكاد تكون الحركة العلمية البحتة معدومة في اوائل العصر الأموي ويحدثنا ابن النديم ان خالد بن يزيد بن معاوية كان اول من عمل في هذا المضمار وذكر له تآليف منها كتاب الحرارات وكتاب الصحيفة الكبير[2].

ويصعب علينا التمييز بين الحركة العلمية والحركة الدينية في ذلك العصر اذ صبغ الاسلام كل انواع العلوم بصبغته وختم كل النشاطات العلمية بخاتمه فكانت مجمل العلوم تدور في فلكه.

٤ - المدينة: مدينة العلم الأولى:

كانت المدينة المنورة مركز الحركة الدينية الأول اذ اقام فيها الصحابة الأولون امثال علي وعمر وابن عباس وأُبَي بن كعب وزيد بن ثابت وابن مسعود وابن عمر. فكانت مقصد طلبة العلم الذين كانوا يفدون اليها من جميع الأقطار بغية التعرف الى اسباب التنزيل والظروف التي احاطت به وتفسير الآيات الكريمة وجمع الأحاديث النبوية الشريفة ودرسها واستنباط الأحكام منها، وقد تخرج على هؤلاء العلماء الأوائل كثير من التابعين كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونافع مولى ابن عمر. وهم الذين غدوا مدارس التفسير في اكثر مناطق الدولة الاسلامية فاشتهر بعدهم بعض التابعين امثال مجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عباس[3] وسليمان بن يسار واخيرا انتجت المدينة أنس بن مالك امام دار الهجرة[4] ومؤسس المذهب المالكي الذي خلف لنا

---

(١) - الطبقات الكبير: ١٣٢/٥. العقد الفريد ١٤٢/٣ و ٢٣٠.

(٢) - الفهرست ٣٥٤.

(٣) - فجر الاسلام ٢٠٤ و ١٥٣.

(٤) - فجر الاسلام ١٧٦.

كتاب الموطأ الذي كان من اقدم الكتب الاسلامية في الحديث والشرع.

٥ - مدينة القصص والتاريخ:

اعتنى بعض اعلام المدينة بجمع الأخبار والمغازي والسيرة النبوية الشريفة وبعض القصص التاريخي واخبار الفتوحات مما له علاقة بالدين والتاريخ فكانت مدرسة المدينة اغزر المدارس علما وابعدها شهرة تخرج فيها اكثر علماء ذلك العصر في القصص والتاريخ لا سيما قصص المغازي واخبار السيرة الشريفة فكان اول وأقدم من ألف في سيرة الرسول(ص) عروة بن الزبير (٢٣ هـ - ٩٤ هـ) الذي يُعَدّ من أشهر فقهاء المدينة ومحدثيها ومن أعلم أهلها وأورعهم وعنه أخذ ابن شهاب الزهري القرشي (٥١ هـ - ١٢٤ هـ) الذي جمع كتابا في المغازي.

وألّف المغازي كذلك وهب بن منبه صاحب الأخبار (٣٤ هـ - ١١٠ هـ) وهو من اصل فارسي وزاد على ذلك بتأليفه في ترجمة الملوك المتوجه من حِمْيَرَ واخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم.

واهتم كعب الاحبار بالقصص التاريخي والحديث والتفسير بينما ألّف ابان بن عثمان بن عفان (٢٢ هـ - ١٠٥ هـ) في السيرة كتابا جمعه له تلميذه عبد الرحمن بن المغيرة (المتوفي ١٢٥ هـ) وجمع موسى بن عقبة (١٤١ هـ) كتابا في المغازي عُثِر على قطعة منه سنة ١٩٠٤ م[1].

ويعتبر محمد بن اسحق المدني (٨٥ هـ - ١٥١ هـ) رئيس أهل المغازي الذي اعتمد عليه كل من كتب بعده في السيرة والمغازي وكان أعلم الناس بالسيرة وأحفظهم لها فاستحق لقب أمير المحدّثين لحفظه وتعتبر سيرة ابن اسحق أول تاريخ للسيرة وصلنا بإطاره الكامل بعد ان هذّبها ابن هشام (٢١٨ هـ) وقد عُثِر أخيراً على قطعة من مؤلّف ابن اسحق بعنوان (السير والمغازي - الخزانة العامة الرباط - رقم ٥٨ - تقع في

(١) - فجر الاسلام ١٥٨ - ١٦٠ - ١٧٣ - ١٧٥.

١٦٧ صفحة)[١] ويقوم الدكتور عبدالعزيز الدوري بتحقيقها وإخراجها الى النور.

وكان من نتاج مدرسة المدينة الواقدي وتلميذه محمد بن سعد اللذان نبتا في المدينة واعطيا أُكْلَها فيما بعدُ في بغداد.

٦ - النزاع والتوافق بين مظهرين:

لقد سارت الحركة الدينية الواسعة في المدينة بشكل موازٍ للحركة الاجتماعية المترفة الماجنة التي لم تخلُ من خروج على حدود الدين وشرائعه ووصاياه فكان لا بد من وقوع النزاع بين القائمين بامر الدين وبعض العابثين الذين لم يقفوا عند حدود معقولة في مجونهم وفسادهم وكثيراً ما يقع نظرنا على اخبار تدل على النزاع بين هذين المظهرين المتناقضين وخير مجسد لهذا النزاع ما نقرأه من اخبار ملاحقة بعض العمال المتحرّجين لأمثال الأحوص من الشعراء العابثين والمغنين اللاهين والمخنثين الفاسقين في واحدة من اقدس مدن الحجاز واكثرها اهتماما بشؤون الدين الجديد. فقام الولاة بتعذيب بعضهم وسجنهم أو نفيهم بغية ردعهم عن مثل ما يتعاطونه من الأعمال.

وكان للحركة الدينية اثرها الكبير في حياة اهل ذلك الجيل فغيرت كثيرا من عاداتهم واخلاقهم وألانت طباعهم فانعكس ذلك في ادبهم بل تأثر الأدب بالقرآن الكريم فاخذ من تعابيره ومعانيه وتراكيبه الخاصة واستعان به. ومثل هذا الأثر بادٍ في ادب اكثر شعراء ذلك العصر في المدينة وغيرها.

٧ - الحياة الادبية في عصر بني امية:

كان للتطورات التي طرأت على حياة العرب اثر كبير في ايجاد

---

(١) - دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحق ص١٧.

تطور سريع تناول الأدب العربي في ذلك العصر هذا الأدب الذي يعتبر صورة زاهية من صور الحياة الاجتماعية.

واختلف الناس في فهم الأدب وتقديره اختلافهم في امر العوامل التي بعثته وكيفته.

١ - النثر: كان الشعر اعم من النثر واكثر منه قدرة على البقاء في صدور العرب وفي كتبهم حتى نكاد لا نجد الا طائفة قليلة من الخطب والرسائل التي بلغت درجة عالية من الرقي لا سيما الخطب التي خلّفها لنا الامام علي بن أبي طالب(ع) والتي جُمعت فيما بعد في مصنّف أطلق عليه اسم «نهج البلاغة» واهتم الكثيرون بوضح تفاسير لما تضمنه من الخطب والرسائل.

وقد ساعد في رقي النثر بقسميه الخطب والرسائل ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم وما نطق به الرسوم الكريم من الحديث الشريف وما تفرع عن ذلك من عاليم وتصانيف.

الخطابة: كانت الخطابة على نوعين سياسية ودينية تناولت الدينية منها حض الناس على التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وظهرت الخطابة السياسية مع امتداد الفتوحات فدافع من خلالها العمال عن سياسة خلفائهم وهددوا خصومهم وطرقها زعماء الثوار مهاجمين الخلفاء داعين الى جهادهم وتقويض أركان ملكهم.

وقد حدّ بنو امية من ازدهار الخطابة وتطورها بقضائهم على من ناوءهم الملك ولكن الخطب القليلة التي وصلتنا كانت تتمتع بانشاء متين العبارة حسن السبك شديد الأسر وكان وقعها في اغلب الأحيان عظيما[1].

- **الرسائل**: كانت الرسائل تختلف باساليبها عن الخطابة. وقد

---

(١) - عمر بن ابي ربيعة ١٤٧/١.

روعي فيها الايجاز بادىء الأمر وطُوِّلت في اواخر العصر الأموي على ايدي كتاب اختصوا بكتابتها امثال عبدالحميد الكاتب.

٢ - الشعر: راج الشعر في العصر الأموي وانتشر في اكثر مناطق النفوذ الاسلامي واشتدت صلته بعامة الناس وازداد تأثيره في النفوس. وقد ساعد الخلفاء الأمويون في رواج الشعر اذ كانوا يحبونه ويكثرون من روايته ويرغبون في المديح ويطلبون الى الشعراء هجاء خصومهم السياسيين كما فعل يزيد بن عبدالملك حين طلب الى الاحوص هجاء آل المهلب. واستعمل زعماء الثورات الشعراء لمقارعة شعراء الدولة وهجاء القائمين بأمرها.

ولم يكن الفقهاء والأئمة أقل اهتماما بالشعر من الخلفاء وان لم يهدفوا من وراء اهتمامهم به الى تنفيذ غايات خاصة بهم فكان اكثر فقهاء المدينة كعبدالله بن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحبون الشعر ويرغبون في سماعه.

وتعدى الاهتمام بالشعر من ذكرنا الى عامة الناس والى بعض النساء فكان للمرأة سهم كبير في الحياة الأدبية في المدينة وبرزت في المدينة شاعرات واديبات كسكينة بنت الحسين التي كانت مولعة بالأدب مُحِبَّة للشعر تعقد للشعراء مجالس يفدون اليها ويتناشدون في حضرتها فتنقد ما ينظمون وتروي بعض اشعارهم وتشرح فنونهم الأدبية وتفاضل بينهم بما عُرف عنها من ذوق وفهم ودراية. وكثيرا ما وفدت اليها الشعراء يستمعون الى رأيها في اشعارهم ويحتكمون اليها كما فعل جميل وكثير والاحوص[١] واحتكم اليها رواة كثير وجرير والنصيب والأحوص طالبين منها المفاضلة بين اصحابهم لما عرف عنها من عقل وبصر بالشعر ففاضلت بينهم بحذق ودراية واطلقت حكمها النافذ فيهم[٢] ولها اخبار

---

(١) - الموشح: ١٦٠ - ١٦١ (وقال المرزباني: انها عقيلة بنت عقيل بن ابي طالب - وقال ابو الفرج ان عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين (د) ٢٦١/٤).

(٢) - الموشح ١٥٩ الاغاني (ث) ١١٠/١٦ - ١١١.

كثيرة في هذا المجال منتشرة في كتب الأدب المختلفة.

وازدادت سرعة انتشار الشعر واشتدّ اثره في النفوس وجرى على ألسن الناس بسرعة عجيبة حتى رأينا اشعار الاحوص في ام جعفر تملأ الآفاق وتطرق الآذان مما حمل اخاها «أيمن» على الاستعانة بنفوذ والي المدينة ابن حزم طالبا منه الاقتصاص من الأحوص وردعه عن مثل هذا الشعر الذي شهر اخته لكثرة ترديده على السنة المغنين والمغنيات حتى اصبحت ام جعفر اشهر من ان تُعرَّف في ذلك العصر[1].

وكان الغناء من اهم العوامل التي ساعدت في ازدياد سرعة انتشار الشعر اذ كان الشعراء ينظمون اشعارهم في المدينة فتذيع في الاقطار وتصل الى مسامع الخلفاء قبل وفود الشعراء عليهم. فالوليد بن عبد الملك سمع الغناء بقصيدة الاحوص الميميه التي يمدحه بها من فم ابن سريج قبل ان يفد الاحوص عليه[2].

٣ - **بيئة المدينة وتأثيرها في الشعر**: كان لبيئة المدينة التي اجملناها سابقا أثر واضح في الأدب المدني وَسَمَهُ بسمته الظاهرة فسمعنا اصواتا تنسب هذا الأدب الى البيئة التي انطلق منها كأنها تلتمس الخطوط الأولى لنظرية تأثير البيئة في الأدب فكان مفهوم الادب الحجازي يطلق على مجموع ما أنشده شعراء الحجاز، وكانت المدينة واحدة من اكثر بقاع الحجاز عطاءً أدبياً وكانت بيئتها اكثرها تأثيراً في شعر شعرائها.

امتازت المدينة بالعديد من ضروب الحياة الجديدة وكان ادبها خير وسيلة للتعبير عن هذه الحياة اذ كانت نتيجة اندفاع شعرائها في اللهو وابعادهم عن السياسة واغداق الأموال عليهم، ان طُبع اكثر شعرها

---

(١) - اخبار القضاة ١٣٧/١ - ١٣٨ العقدة ١١٠/٥ - ١١١ الاغاني (د) ٢٥٤/٦ - ٢٥٥ اخبار النساء ٩٨.

(٢) - الاغاني (د) ٢٩٨/١ نهاية الارب ٢٤٦/٤.

بالطابع الغزلي الاباحي الماجن الذي لا يخلو من اللهو والدعابة والطرافة التي كانت توافق امزجة اهلها واذواقهم فكان كثير من المهتمين بالأدب في ذلك العصر يميزون بوضوح بين خصائص الأدب المدني وصفاته والوانه. فقال جرير: «انكم يا اهل المدينة يعجبكم النسيب[١]» وقال الفرزدق للأحوص: «قاتلكم الله يا اهل المدينة ما ارق اشعاركم واحسن مناسبكم[٢]» وليس احلى من وصف ابن عبد ربه لشعر المدينة بقوله: «هُو ارق من الماء واصفى من رقة الهواء وكل مدني رقيق قد غُذِّيَ بماء العقيق[٣]» وقال البكري في تفسير بعض الأبيات التي نسبها للأحوص «هذا الشعر لشاعر اسلامي حضري مدني غُذِّيَ بماء العقيق لم يدخل بادية قط[٤]». ولا يمكننا تجاهل تأثير العقيق في نفوس شعراء المدينة وفي شعرهم فجاء غزلهم في الوان شتى كالتي كانت تكسو رياض الوادي البهيج. وخير ممثل لحياة المدينة وشعرها زعيم شعرائها الأحوص.

٤ - الشعر والغناء: ومن اهم العوامل التي ساعدت في تلوين الأدب في المدينة الغناء الذي كان له اثر عميق في زيادة سرعة انتشار الشعر وحفظه في عقول الناس وافئدتهم فكان الغناء في المدينة حلة الشعر وثوبه الذي يقيه الفناء والنسيان. كما كان للغناء دور كبير في تطوير الشعر المدني وتجديده اذ دفع الكثيرين من الشعراء الى تزيين اشعارهم وترصيعها بنقوش والوان جديدة لم يألفها الشعر العربي من قبل. واكثر ما يظهر هذا التأثير في الغزل حيث رقت الالفاظ وسهلت التراكيب وغاب الغريب الوعر الذي لا يوافق مجالس الغناء وحل مكانه نوع من التعابير الطريفة التي تلائم حلقات اللهو واستوجب الغناء على الشعراء نظم مقطوعات خاصة له يكون فيها الغزل هدفا يُقْصَد اليه

(١) - الاغاني (ب) ١/٢٦.
(٢) - النقائض ١٠٤٨/٢ الاغاني (ب) ٤٢/٧ و(ث) ١٠٥/١٥.
(٣) - العقد ٧٨/٦.
(٤) - التنبيه ١٨٧/١.

ولم يعد سبيلا للوصول الى الأهداف الأخرى. ومثل هذه المقطوعات منتشرة بشكل واسع في شعر زعيم شعراء المدينة الأحوص حتى يُخَيَّل الينا ان اكثر ما قاله الاحوص كان مادة للغناء لكثرة ترديد اشعاره على السنة المغنين.

٥ - **قيمة الشعر المدني**: ظلّ شعر المدينة في العصر الأموي عربيا في لفظه واساليبه واشكاله رغم كل المؤثرات التي ذكرناها سابقا غير ان هذا الشعر كان في كثير من الأحيان يخالف الشعر الجاهلي في اغراضه ومعانيه بحكم هذه المؤثرات بَيْدَ انه بقي على جانب كبير من البلاغة والمتانة والجودة مما حدا بابن خلدون الى تفضيله على الشعر الجاهلي بقوله «ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة... ونصيب والأحوص... أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنتره وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد[١]».

وكان هذا الشعر في نفس الوقت مصدرا مهماً لدرس حياة اهل ذلك الجيل اذ كان يشكل صورة ذات طابع زخرفي لحياة اهل المدينة في مختلف الوانها وربما كان الشعر الغزلي من اهم المصادر لدراسة حياة المرأة لا سيما العربية في ذلك العصر وخير دليل على ما نذهب اليه قول الدكتور طه حسين «اعيد ما قلته غير مرة ان في الشعر العربي لهذا العصر كنوزا خليقة ان تستكشف وان تدرس على وجهها ولكن كثيراً من الناس لا يعلمون[٢]».

---

(١) - مقدمة ابن خلدون ١١١٥.

(٢) - حديث الاربعاء ٢٦٣.

الفصل الثالث

شخصية الاحوص وحياته

I - عائلة الاحوص:

مقدمة

اول ما يمكن ان يُفاجأ به الباحث عن اخبار حياة الاحوص هو تشتت هذه الأخبار وتفككها وضياع اغلبها وتشعب المصادر والرواة في نقلها واختلافهم فيها وضياع البعض منهم في غياهب بنات افكارهم وتوغل البعض الآخر في متاهة ايجاد اخبار له من خلال لمحات قليلة من حياته وصلتهم بأصحابها من طرق ضعيفة احيانا وقوية احيانا اخرى.

وقلّ ان نجد علما عانى من الضياع الذي عاناه الاحوص في حياته فقد كانت اجنحته الرقيقة واللاذعة في نفس الوقت ترفرف بين مجموعة من ذوات المخالب والمناسر التي ما فتئت تناوئه حتى ادمته وتركته في الفلاه دون حراك حتى اولئك الذين قطفوا ثمار اشعاره فيهم وأنِسوا بغنائه وتغريده ليالي طوالا لم يتورعوا عن قبول المكائد له.

مقابل هذه المآسي التي عاشها الشاعر في حياته اللاهية والمريرة في آن معا نجد أن الدهر العاتى لم يوفره بعد مماته. فقد أتت الأيام والليالي على اكثر ما جُمع من الأخبار عن حياته وأشعاره فلم تُبقِ لنا منه سوى الذكرى وكلمات قليلة حفظها لنا بعض المؤرخين كما نجد في

كتاب الفهرست فذكر صاحبه أن الزبير بن بكار ألّف كتابا اسمه «أخبار الأحوص[1]» وأضاف ابن النديم أن ابن بسام الشاعر وضع كتابا في «أخبار الأحوص[2]» وأورد كذلك جماعة مثل عيسى بن دأب والشرقي بن القطامي وهشام الكلبي والهيثم بن عدي ألّفوا في أخبار العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والإسلام ومن هؤلاء العشاق «الأحوص وعبدة[3]» ولم يكن شأن هذا الكتاب بأحسن مما أصاب سابقَيْه.

وساق صاحب الفهرست في ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي خبرا يفيد ان كتاب الأغاني الكبير ألّف منه اسحق الجزء الأول وأكمله ورّاق كان له وقد حملت بعض ابواب الكتاب عناوين هي كتابة عن ابيات من اشعار الاحوص وترتيب هذه الأبواب في الكتاب السادس والسابع والثامن وألّف اسحق اخبار جماعة من الشعراء ومنها كتاب «اخبار الاحوص»[4]. ولسوء طالع هذا الشاعر فقد اتى صرف الزمان على هذا الكتاب ايضا.

وقال الآمدي في مصنّفه المؤتلف والمختلف: وذكرت اشياء من اخباره ونتفا من شعره مختارة في كتاب «المشهورين» وفي «اشعار الاوس والخزرج[5]»، ولم يصلنا اي منها.

في غمرة هذا الضياع الذي اكتنف حياة الاحوص ومصير كتب اخباره نجد اكثر المصادر قد اختلفت وتشعبت الى موارد مختلفة في ذكر وقائع حياته وتنازعت فيها بينما نلاحظ من جهة اخرى ان مجمل مصادرنا لا سيما الاسلامية منها قد اكثرت في ذكر بعض الاعلام

---

(١) - الفهرست ص١١١.
(٢) - الفهرست ص١٥٠.
(٣) - الفهرست ص٣٠٦.
(٤) - الفهرست ص١٤٢.
(٥) - المؤتلف والمختلف ص٥٩.

المشهورين من عائلته لسابقتهم في الاسلام وشأنهم الرفيع في الغزوات الاسلامية او لاتصالهم ببعض الخلفاء الراشدين(ر) دون ان تقدم شيئاً عن حياتهم قبل الهجرة النبوية الشريفة.

وقد جاءت بعض هذه المصادر على ذكر الاحوص في سياق الحديث عن هؤلاء الاعلام واعمالهم الرفيعة الشأن في مغازي الرسول(ص) وهذا ما يدفعنا للحديث عن عائلته قبل تناول خصوصيات حياته لنستنير بها في ايضاح بعض الجوانب الغامضة من حياة الشاعر التي تشعبت فيها المصادر الى اكثر من شعبة واحدة.

١ - جد الاحوص ونسبه:

في صفحات كتب السير والمغازي والطبقات الاسلامية تشع أنوار النجوم الأوائل في الدعوة الاسلامية ويطل اسم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واحدا من هذه الكوكبة من الصحابة الأول من الأنصار الذين كان لهم شأن مهم في رفع راية الدعوة الاسلامية عاليا والمدافعة عنها في غمار الحروب والغزوات مقدّما دمه وحياته في سبيل نشر الاسلام وتعاليمه مع غيره من الصحابة الأجلاء. وقد أبلى عاصم في سبيل الله بلاءً حسناً فكان منذ مطلع عهد الهجرة النبوية الشريفة الى المدينة المنورة وأحدا من الأوائل الذين فتحوا صدورهم وبيوتهم لاستقبال الوافدين عليهم من الحرم الشريف فنزل عليه عبد الله وأبو احمد إبنا جحش[١] حين قدما مهاجرَيْن من مكة الى المدينة، وعبد الله بن جحش هو ابن عمة رسول الله (ص) أميمة بنت عبد المطلب[٢]. وآخى رسول الله (ص) بين عاصم وعبد الله بن جحش وهذا شرف عظيم ومكانة مرموقة لعاصم نالها بإخائه لأحد أنسباء النبي (ص) أُضيفت الى مثيلاتها التي نالها واستحقها عاصم في جهاده ودفاعه وثباته في غزوات

(١) - الاغاني (د) ٢٣١/٤.

(٢) - طبقات ابن سعد ٤٦٢/٣.

النبي (ص). وعاصم هو ابن ثابت بن أبي الأقلح وأبو الأقلح هو قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس[1] وقد أوردت معظم المصادر شجرة نسبه مبتورة أو متقطعة أو مختلفة في أسماء بعض الأجداد[2] ولعل هذا الاختلاف يعود في معظمه الى النساخ والرواة او جاء على سبيل الاختصار عند البعض. وكان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية «بنو كِسَر الذهب[3]».

أ - انسباء عاصم حميّ الدَّبْر:

وقيس جد عاصم هو ابو الاقلح والاقلح (على وزن افعل) مشتق من «القَلَح» وهو صفرة في الاسنان «كَدِرَة[4]» ولم تذكر المصادر اية

---

(١) - جمهرة انساب العرب ٣٣٣ الاستيعاب ١٣١/٣ الاستبصار ٢٨٤ تاريخ الخميس ٣٩٨/١ (وقال ابن سلام ان الاحوص من الخزرج وهذا خطأ ظاهر فريد ولعله من صنع الرواة والنساخ).

(٢) - مغازي الواقدي ١٥٩ لم يذكر النعمان واورد النسب حتى عمرو بن عوف.
الطبقات الكبير: ٤٦٢/٣ ذكر «امة» و«عمر» بدل «امية» و«عمرو» وساق النسب حتى «عوف بن عمرو».
سيرة ابن هشام: ٤٩٣ ساق النسب حتى الاوس ولم يذكر «النعمان» وقال «امة» بدل «امية».
تاريخ الطبري: I /٢٧٣٣ لم يذكر «امية» وقال «ضبيعة بن زيد بن الاوس» ولعله اختصر في ذلك.
الاشتقاق: ٤٣٧ ساق حتى «ضبيعة بن زيد» ولم يذكر النعمان واورد «امة بدل «امية».
الاغاني (د): ٢٢٤/٤ اورد النسب كاملا الا انه ساق «عصيمة» بدل «عصمة».
جوامع السيرة: ١٢٥ لم يذكر «عوف وعمرو» قبل «عوف بن مالك بن الاوس» ولعل ذلك جاء من طريق النساخ او على سبيل الاختصار لانه اورد النسب كاملا صحيحا في الجمهرة.
اسد الغابة: ٧٣/٣ أورد النسب كاملا وقال «امة» و«ضبغة» بدل «امية» و«ضبيعة».
الاصابة: ٢٣٥/٢ في ذكره لنسب عاصم انقص «عوف»: ابن عمرو. وابدل «زيد» بـ«بدر».
وفي نسب حنظلة وهو من بني ضبيعة كذلك «لم ترد الاخطاء السابقة ووردت اخطاء اخرى فانقص «النعمان» و«مالك»: والد «زيد» ولعل ذلك جاء من طريق النساخ. شرح الشواهد الكبرى ١٠٨/١ وردت اخطاء كثيرة.

(٣) - مغازي الواقدي ٢٢٨ الاغاني ٢٢٤/٤ مختصر شرح التبريزي ص٨٠.

(٤) - الاشتقاق ٤٣٧.

اخبار عن ثابت بن ابي الاقلح والد عاصم.

ووالدة عاصم هي الشموس بنت ابي عامر الراهب اخت حنظلة الغسيل[١] ادركت الاسلام فاسلمت وبايعت الرسول (ص)[٢] وعاشت بعد استشهاد ولدها عاصم حتى خلافة ابي بكر وقد وصلنا حديث في ذلك[٣]. ثم تنقطع اخبارها ولا ندري سنة وفاتها على وجه التحديد.

واخت ثابت بن ابي الاقلح «عصيمة» بنت ابي الاقلح عمة عاصم ادركت الاسلام وبايعت الرسول (ص)[٤]. وذكرت اكثر المصادر اختا واحدة لعاصم هي جميلة بنت ثابت بن ابي الاقلح[٥] وهي من المسلمات السابقات في الاسلام كان اسمها «عاصية» فسماها رسول الله (ص) «جميلة[٦]» وتزوجها الخليفة عمر بن الخطاب سنة سبع للهجرة فولدت له ذكرا اسمته «عاصما[٧]» باسم اخيها الشهيد فهي ام عاصم وعاصم هذا هو جد عمر بن عبد العزيز لأمه[٨]. ثم طلقها عمر بن الخطاب

---

(١) - الطبقات ٤٦٢/٣ و٣٤٥/٨ المحبر ٤١٧ اسد الغابة ٤٨٨/٥ الاستبصار ٢٨٧ الاصابة ٣٣٤/٤ و ٢٥٤/٤.

(٢) - الطبقات ٣٤٥/٨ واسد الغابة ٤٨٨/٥ والاصابة ٣٤٤/٣.

(٣) - الاستيعاب ٢٥٤/٤ اسد الغابة ٤١٧/٥ الاصابة ٢٥٤/٤.

(٤) - الطبقات ٣٤٦/٨ الاصابة ٣٥٣/٤.

(٥) - الطبقات ٣٤٥/٨ و٣٤٦ الطبري I /١٥٥٦ و٢٧٣٣ المحبر ٤١٧ الاستيعاب ٢/ ٤١٥ و٣ /١٣٥ و٤/ ٢٥٤ الاستبصار ٢٨٧ اسد الغابة ٧٦/٣ و٤١٧/٥ تاريخ المدينة الشريفة ٣٤٣/٢ الاصابة ٤/ ٢٥٤ (وانفرد ابن حزم في الجمهرة بقولة «وابنته (اي عاصم) جميلة ام عاصم» وفي رواية بعث الرجيع عن ابي هريرة قال: (وعاصم هو جد عاصم بن عمر) أي ان جميلة هي بنت عاصم بن ثابت. وورد هذا النص في كل المصادر التي ذكرت الرواية مع ان هذه المصادر بمعظمها قد ذكرت في ترجمة عاصم او في ترجمة جميلة انهما اخوان ومن هذه المصادر وهي كثيرة: المسند ٧٩١٥ البخاري ٧٩/٥ - ٨٠ الاستيعاب ٣/ ١٣١ معجم البكري ٢/ ٦٤١ الاستبصار ٢٨٦ اسد الغابة ٧٣/٣ بداية ونهاية ٤/ ٦٢ الاصابة ٢/ ٢٣٥، وقد انتبه اصحب الاستبصار الى ذلك).

(٦) - الاستيعاب ٢٥٤/٤ اسد الغابة ٤١٧/٥ الاستبصار ٢٨٧ الاصابة ٤/ ٢٥٤.

(٧) - الطبقات ٣٤٦/٨ الطبري I /١٥٥٦ و٢٧٣٣ المحبر ٤١٨ الاستيعاب ٢٥٤/٤ و٣/ ١٣٥ الاستبصار ٢٨٧ اسد الغابة ٥ /٤١٧ الاصابة ٤/ ٢٥٤.

(٨) - اسد الغابة ٧٦/٣. امالي المرتضى ٦٢/٢ سيرة عمر بن عبد العزيزة وغيرها.

فتزوجها «يزيد بن حارثة[١]» وقيل «يزيد بن جارية[٢]» فولدت له «عبد الرحمن» فهو اخو عاصم بن عمر لامه جميلة.

وجميلة بنت ثابت جاء بها الحديث في الموطأ وتفصيل ذلك «ان عمر بن الخطاب ركب الى قُباء فوجد ابنه عاصم يلعب مع الصبيان فحمله بين يديه فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر فنازعته إياه حتى انتهى الى ابي بكر فقال له أبو بكر: خلِّ بينه وبينها فما راجعه وسلَّمه اليها[٣]».

وانفرد صاحب الاصابة بذكر ظبية بنت النعمان بن ثابت بن أبي الأقلح وجعلها من أولى المبايعات المسلمات[٤] ولم يذكر أي مصدر آخر أخاً لعاصم اسمه «النعمان» ولعل النعمان هذا لم يدرك الاسلام وأدركته ابنته ظبية واذا كان النعمان بحق أخاً لعاصم فلسنا ندري إن كانت الشموس هي أمه أم أن له أماً ثانية غير الشموس لأن المصادر ذكرت في ترجمة الشموس أنها والدة عاصم وجميلة ابني ثابت[٥].

وقال ابن حزم في الجمهرة «وعامر بن ثابت اخو حمي الدبر هو الذي ضرب عنق عقبة بن ابي معيط»[٦] وتؤكد المصادر كما يؤكد ابن حزم نفسه في جوامع السيرة ان عاصم بن ثابت هو الذي ضرب عنق عقبة[٧]، ولعل في نص الجمهرة تحريف جاء عن طريق النساخ وابن حزم أعلم من ان يقع في مثل هذا التناقض والخطأ واغلب الاعتقاد ان «عامر» محرف من «عاصم» و«اخو» محرف من «وهو».

---

(١) - الحبر ٤١٨ الاستبصار ٢٨٧ الاصابة ٢٥٤/٤ اخبار القضاة ١٣٥/١.

(٢) - الطبقات ٣٤٦/٨ الطبري I /١٥٥٦ الاستيعاب ٢٥٤/٤ و٢/ ٤١٥ اسد الغابة ٤١٧/٥.

(٣) - الاستيعاب ٢٥٤/٤ اسد الغابة ٤١٧/٥ الإصابة ٢٥٤/٤.

(٤) - الاصابة ٣٤٥/٤.

(٥) - الطبقات ٣٤٥/٨ الحبر ٤١٧ أسد الغابة ٤٨٨/٥ الإستبصار ٢٨٧ الإصابة ٣٣٤/٤ و ٢٥٤/٤.

(٦) - الجمهرة ٣٣٣.

(٧) - جوامع السيرة ١٤٧. المغازي ٨٢، ١١٤، ١٣٨، ١٤٨، ٢٨٢، السيرة ٤٥٨، الطبري I /١٣٣٦ الطبقات ٨/٢ النساب الأشراف ٢٩٧/١ وغيرها.

وعلى ضوء ما تناهى الينا من الاخبار فاننا نستطيع القول ان والد عاصم قد توفي في الجاهلية قبيل الهجرة النبوية الشريفة وهو لا يزال في سن الكهولة المبكرة وله من الولد اثنان او ثلاثة لأن اخت ثابت عصيمة وزوجة ثابت الشموس قد ادركتا الاسلام وعاشت الشموس حتى خلافة ابي بكر كما ذكرنا.

ب - اولاد عاصم وكنيته:

ذكر صاحب الطبقات ولداً واحداً لعاصم هو محمد بن عاصم وأمه هند بنت مالك بن عامر بن حذيفة من بني جحجبى بن كلفة[١]. وقال صاحب الاستبصار: «محمد بن عاصم ولد على عهد الرسول (ص) ولا يعلم له رواية[٢]. فيما قال ابن الأثير في ترجمة محمد بن عاصم إن له حديثا في قتل أبيه عاصم[٣]، بينما ذكر ابن حجر في الاصابة ان محمد بن عاصم أدرك من الحياة النبوية ست سنين بعد وفاة والده وأضاف نقلا عن ابن ساعدة: «شهد جنازته عبد الله بن عمر فكان بين عودي سريره كأني أنظر الى صفرة لحيته[٤]» ولعل الصفرة في اللحية عائدة لابن عمر لأنه اشتهر بالتطيب[٥] وطلاء لحيته بأنواع من العطور. وقد توفي عبد الله بن عمر سنة ٧٤ هـ او ٧٣ هـ[٦].

ونستنتج من ذلك ان وفاة محمد بن عاصم كانت في الستينات او في اوائل السبعينات لأن ابن عمر حسين شهد جنازته كانت لحيته مكتسية بثوب الشيب الجليل ومطيبة بعطر اصبغ عليها نوعا من الاصفرار.

---

(١) - الطبقات ٣/٤٦٢.
(٢) - الاستبصار ٢٨٦.
(٣) - اسد الغابة ٤/٣٢٣.
(٤) - الاصابة ٣/٣٥٧.
(٥) - الطبقات ٤/١٥٧ وما بعدها.
(٦) - الطبقات ٤/١٨٧ انساب الاشراف ١/٢٤٨ البداية والنهاية ٩/٥. وفيات الاعيان ٢/٢٣٦: (٦٣ هـ وهو خطأ ظاهر).

ويكنى عاصم «ابا سليمان[1]» وقد ذكر البعض كنيته هذه وساق بعدها اشعارا له يقول فيها:

انــا ابو سفيــان مثــلي رامــا اضرب كبش العــارض القداما[2]

وورد هذا البيت عند ابن سعد مختلفا:

انــا ابو سلــيمان ومثــلي رامــا ورثـــت مجــدي معشرا كراما[3]

وفي السيرة وغيرها من المصادر ورد نفس البيت بلفظ مختلف عن السابقين:

ابو سلـــيمان ومثـــلي رامـــا وكـــان قومي معشرا كراما[4]

ولعل كلمة سفيانالواردة في البيت الأول محرفة من «سليمان» لأن جميع المصادر السابقة واللاحقة اجمعت على تكنية عاصم بابي سليمان. واغلب الاعتقاد ان سليمان بـن عاصم قد توفي وهو في سن مبكرة قبل الهجرة او بعيدها ولم يكن له شأن في الإسلام فاهملته المصادر التي ترجمت لوالده وخاصة كتاب الطبقات الذي زودنا باخبار مهمة ترجع الى عاصم.

٢ - اعمال عاصم في الدعوة الى الاسلام:

١ - في العقبة الكبرى وبدر:

تكاد تكون اول اخبار المآثر التي وصلتنا عن عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح في الاسلام ما رواه الحسن بن سفيان في مسنده عن طريق رفاعة بن الحجاج عن ابيه عن الحسين بن السائب قال «لما كانت ليلة العقبة او ليلة بدر قال النبي (ص) لمن معه: «كيف تقاتلون؟» فقام

---

(١) - الواقدي ٣٤٧ الطبقات ٤٦٢/٣ السيرة ٦٣٩ الاغاني (د) ٢٣١/٤ الاستيعاب ١٣١/٣ الاستبصار ٢٨٤ وغيرها.

(٢) - الاغاني ٢٣١/٤.

(٣) - الطبقات ٤٦٣/٣.

(٤) - السيرة ٦٣٩ والبداية والنهاية ٦٤/٤ وغيرها من المصادر.

عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح فأخذ القوس والنبل وقال: اذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعسه حتى تقصّف فاذا تقصّفت وضعناها واخذنا بالسيوف وكانت المجالدة. فقال النبي (ص): هكذا نزلت الحرب فمن قاتل فليقاتل كما قاتل عاصم[1] » ولعل دحلان استند الى هذا النص في جعله عاصما بين من شهدوا العقبة[2] ووضعه ابن سعد في الطبقة الاولى من البدريين[3].

وشهد عاصم بدرا مع النبي (ص) وأبلى فيها بلاءً حسناً[4] وقَتل فيها أولَ أنصاري قُتل في الاسلام وهو عامر بن الحضرمي[5].

وروى ابن اسحق عن بعض اهل العلم من اهل مكة ان الرسول (ص) خرج (بعد معركة بدر) حتى اذا كان بعرق الظبية قَتَلَ عقبة بن ابي معيط فقال حين امر به رسول الله ان يُقْتَل: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. قال: فقتله عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح[6] وذكر البعض ان قتل عقبة كان بالصفراء[7].

ب - في أُحُد

وبعد مفخرة بدر كانت لعاصم مفخرة اخرى في أُحُد فابلى فيها احسن البلاء وثبت فيها الى جانب النبي[8] بين اربعة عشر رجلا

---

(١) - الاصابة ٢٣٥/٢ السيرة النبوية والآثار المحمدية ٦٩/٢.
(٢) - السيرة النبوية والاثار المحمدية ٧٠/٢.
(٣) - الطبقات ٤٦٢/٣.
(٤) - السيرة ٤٩٣ الواقدي ١٥٩ بلاذري ٥٤/١ جوامع السيرة ١٢٥ الاستبصار ٢٨٤ امتاع الاسماع ٩٠/١ الديار بكري ٣٩٨/١ وغيرها كثير.
(٥) - الواقدي ١٤٧ انساب الاشراف ٢٩٧/١.
(٦) - المغازي ٨٢، ١١٤، ٢٨٢ السيرة ٤٥٨ تاريخ الطبري I /١٣٣٦ الاغاني (ب) ١٠/١ و١١ جوامع السيرة ١٤٧ الامتاع ٩٠/١ و٩٨.
(٧) - المغازي ١٣٨ و١٤٨ الطبقات ١٨/٢ بلاذري (انساب الاشراف) ٢٩٧/١.
(٨) - الطبقات ٤٦٣/٣ و٤٢/٢ الواقدي ٢٤٠ انساب الاشراف ٣١٨/١ شرح النهج ٣٨٨/٣ امتاع الاسماع ١٣١/١.

نصفهم من الانصار[١] وجعل البعض عددهم خمسة عشر رجلا وعاصم واحد منهم[٢]. وبايع عاصم النبي (ص) في أُحُد على الموت[٣] بين ثمانية رجال بايعوا النبي (ص) فيهم خمسة من الانصار[٤] ويضاف الى سجل عاصم امتداح النبي (ص) لحُسن بلائه في قتال أُحُد فقال لعلي (ع) عندما رأى سيفه مخضباً بالدماء: «ان كنت أحسنت القتال فقد احسن عاصم بن ثابت و...[٥]».

وكان عاصم واحدا من الرماة المهرة المذكورين من اصحاب النبي[٦] وهم ثلاثة عشر رجلا راميا[٧].

واستطاع عاصم ان يرمي من اصحاب لواء قريش يوم أُحُد كلاً من مسافع والحارث ابني طلحة بن ابي طلحة[٨] كلاهما يشعره سهما فيأتي امه سُلافة بنت سعد بن شُهيد فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من اصابك؟ فيقول: سمعت رجلا حين رماني يقول: خذها وانا ابن ابي الاقلح[٩] فتقول: اقلحتني[١٠]. وقال الواقدي: كان عاصم يقول: خذها وانا ابن كِسَرِه فتقول سلافة: أوسي والله كِسَريٌّ انه رجل مِنّاً[١١].

فنذرت ان امكنها الله من رأس عاصم ان تشرب في قحف رأسه

---

(١) - الطبقات ٤٢/٢ المغازي ٢٤٠.
(٢) - انساب الاشراف ٣١٨/١ امتاع الاسماع ١٣١/١.
(٣) - الطبقات ٤٦٣/٣.
(٤) - انساب الاشراف والامتاع (هـ ٣). الأنساب ٣١٨/١ الإمتناع ١٣١/١.
(٥) - الواقدي ٢٤٩ شرح النهج ٣٨٨/٣ امتاع الاسماع ١٣٨/١.
(٦) - الطبقات ٤٦٣/٣ الواقدي ٢٤٣ انساب الاشراف ٣٢٣/١.
(٧) - الواقدي ٢٤٣.
(٨) - الواقدي ٢٢٧ و٣٠٧ و٣٥٥ الطبقات ٤١/٢ و٤٦٢/٣ انساب الاشراف ٣٣٤/١ امتاع الاسماع ١٢٥/١.
(٩) - الواقدي ٢٢٨ الطبقات ٥٦/٢ الاغاني ٢٢٧/٤ معجم البكري ٦٤٢/٢ السيرة ٥٦٨ والطبري I /١٤٣٤. وقال ابن سعد في ٤٦٣/٣ «سلافه بنت سعد بن الشهيد» وكذا الواقدي في (٣٥٥).
(١٠) - طبري I /١٤٠٥ والواقدي ٢٢٨.
(١١) - الواقدي ٢٢٨.

الخمر[١] وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة[٢] وكان عاصم قد عاهد الله ان لا يمسَّه مشرك ابدا ولا يمسّ مشركا ابدا تنجسا منه[٣].

وتشعبت المصادر في تحديد اسماء القتيلين من اصحاب اللواء ابني طلحة وسلافة اللذين رماهما عاصم. فقال الطبري وتبعه ابو الفرج «هما مسافع وكلاب ابنا طلحة[٤]».

وقيل إنهما مسافع والجلاس في عدد غير قليل من المصادر التي استندت الي سيرة ابن هشام[٥] وقال صاحب السيرة عن ابن اسحق ما يفيد أن مسافع والجلاس قتلهما عاصم وكلّاب والحارث قتلهما قرمان، حليف لبني ظفر، وعلّق على ذلك بقوله: «يقال كلاب قتله عبد الرحمن بن عوف[٦]» وهذا التعليق يشكل مصدر الشك في قول ابن اسحق ومن تبعه من المتأخرين عنه.

ونقل صاحب الامتاع نصوصا متناقضة فذكر اسميهما «مسافع والحارث» وغاد في الصفحة التالية لذكرهما «مسافر بن ابي طلحة ثم اخاه الجلاس بن طلحة بن ابي طلحة[٧]» ووجه التحريف والنقص ظاهر في اسم الأول منهما وجاء ذكره للآخر جريا وراء رواية ابن اسحق.

ويقع في التناقض كذلك البلاذري فبعد أن أخذ تسميتهما عن السيرة عاد ليوردهما نقلا عن الطبقات[٨] ويناقض نصه الأول حين يذكر أن

---

(١) - الواقدي ٢٢٨ و٣٥٥ الطبقات ٤٦٢/٣ السيرة ٥٦٨ الطبري I /١٤٠٥ و١٤٣٤ الاغاني ٢٢٧/٤ المعجم البكري ٦٤٢/٢ البداية ٢٠/٤ امتاع الاسماع ١٣٥/١ تاريخ الخميس ٤٢٧/١ المواهب ١٣٣/١ وغيرها كثير.

(٢) - الواقدي ٢٢٨ و٣٣٥ الطبقات ٤٦٢/٣ تاريخ الخميس ٤٢٧/١.

(٣) - نفس مصادر الهامش ١ بأجزائها وصفحاتها.

(٤) - تاريخ الطبري I /١٤٠٥ الاغاني (ب) ١٩/١٤.

(٥) - السيرة ٥٦٧ و٦١٠ معجم البكري ٦٤٢/٢ تاريخ الخميس ٤٢٧/١، بداية ونهاية ٢٠/٤: (نافع والجلاس).

(٦) - السيرة ٦١٠.

(٧) - امتاع الاسماع ١٣٥/١ و١٢٦/١.

(٨) - انساب الاشراف ٥٤/١ و٣٣٤/١.

الجلاس قتله طلحة بن عبيد الله حسب قول الواقدي وابن سعد[١]، وقد ذكرا كذلك أن كلّاب قد قتله الزبير بن العوام[٢].

وأسر في معركة أُحُد أبو عزَّة الشاعر واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جُمَح[٣] ولم يُؤسر غيره. وكان أُسِر يوم بدر فسأل النبي (ص) أن يَمُنَّ عليه وذكر عيالا وفقرا فَمَنَّ عليه وأخذ عليه ألَّا يحضض عليه ولا يظاهر عليه أَحَداً وقال أبو عزَّة شعرا مدح به النبي (ص) ثم رجع الى مكة فاستهواه صفوان بن أُمية وضمن له القيام بعياله فخرج مع قريش يوم أُحُد فأُسر، فسأل النبي أن يَمُنَّ عليه فقال النبي (ص): «إن المؤمن لا يلدغ (وقيل لا يلسع[٤]) من جحر مرتين[٥]» لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدَّعت محمدا[٦] (سخرت بمحمد)[٧] مرتين. اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت. فضرب عاصم عنقه[٨].

وقد ورد في بعض المصادر خبر يفيد بان أسر ابي عزة الشاعر وقع بعد حمراء الاسد اذ تركه المشركون نائما فيها حتى ارتفع النهار ولحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد وكان الذي اخذه عاصم بن ثابت فأمره النبي (ص) فضرب عنقه[٩].

---

(١) - انساب الاشراف ٣٣٤/١ والواقدي ٢٢٨ و٣٠٧ الطبقات ٤١/٢.

(٢) - الواقدي ٢٢٨ و٣٠٧ والطبقات ٤١/٢.

(٣) - الواقدي ٣٠٩ و١١٠ الطبقات ٤٣/٢ المجتنى ١٨ الفاخر ٣٠٣ السيرة ٤٧١ و٥٥٦ و٥٩١ (وفيه خلاف) وغيرها من الكتب.

(٤) - المجتنى ١٨ السيرة الحلبية ٢٨٧/٢.

(٥) - الواقدي ٣٠٩ الطبقات ٤٣/٢ السيرة ٥٩١ تاريخ الخميس ٤٤٩/١ الاثار المحمدية ٦٧/٢ السيرة الحلبية ٢٨٧/٢.

(٦) - السيرة ٥٩١ تاريخ الخميس ٤٤٩/١ الآثار المحمدية ٦٧/٢ السيرة الحلبية ٢٨٧/٢.

(٧) - الطبقات ٤٣/٢الواقدي ٣٠٩.

(٨) - الواقدي ٣٠٩ الطبقات ٤٣/٢ السيرة ٥٩١ المجتنى ١٨ الفاخر ٣٠٣ وغيرها كثير وقال ابن هشام في نفس الصفحة المذكورة «اضرب عنقه يا زبير» ونقضها بروايته التي اثبتناها. ولم يجرِ مجراه احد من المتقدمين.

(٩) - الواقدي ٣٠٩ السيرة ٥٩١. انساب الاشراف ٣٣٦/١ المجتنى ١٨ امتاع الاسماع ١٦٠/١.

وساق ابن هشام خبر مقتل أبي عزة الشاعر مضافا الى خبر مقتل معاوية بن المغيرة[١] الذي أتى المدينة بعد أُحُد فأمَّنه الرسول (ص) ثلاثاً يطلب من عثمان بن عفان (ر) فأقام فيها ثلاثة أيام وتوارى فبعث النبي (ص) زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال لهما إنكما ستجدانه في موضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه[٢] وجاء في كتاب «شعر الأحوص الأنصاري» خبر غريب نقل فيه المحقق ما قيل لأبي عزة الشاعر وجعله لمعاوية بن المغيرة وقال: إن عاصم هو الذي قتل معاوية[٣]. ويظهر أن المحقق لم يطَّلع جيدا على نصّ ابن هشام فوقع في الوهم والخطأ وأخطأ مرة أخرى حين أسند نفس الخبر الى ابن سعد في طبقاته وعيَّن صفحة محدَّدة وليس الخبر فيها.

وحفظ لنا الواقدي خبرا مهما ينير جوانب مظلمة من شخصية عاصم بن ثابت ويوضح لنا خصائل اخلاقية حميدة كان يتمتع بها هذا الصحابي الجليل. قال الواقدي: «ما علمنا احدا من اصحاب رسول الله (ص) الذين اغاروا على النهب فاخذوا ما اخذوا من الذهب بقي معه من ذلك شيء رجع به حيث غُشنا المشركين واختلطوا إلا رجلين: احدهما عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح جاء بمنطقة وجدها في العسكر فيها خمسون دينارا فشدها على حقويه من تحت ثيابه وجاء عباد بن بشر بصرة فيها ثلاثة عشر مثقالا القاها في جيب قميصه... فاتيا بذلك رسول الله (ص) بأُحُد فلم يخمّسه ونقلها إياه[٤]».

وهذا الخبر يدل على كرم عاصم وعفّته وابائه وشهامته ويظهر لنا

---

(١) - السيرة ٥٩١.

(٢) - السيرة ٥٩١ الواقدي. ٣١٠ جوامع السيرة ١٧٥ المواهب ١٢٩/١ تاريخ الخميس ٤٤٩/١ السيرة الحلبية ٢٨٧/٢ الآثار المحمدية ٦٦/٢ وغيرها كثير.

(٣) - شعر الاحوص الانصاري (ع.س.جمال) ص١١ استند الى السيرة (مط حلبي ١٣٧٥ هـ) ١٠٤/٢ والطبقات (بريل ١٣٢٢ هـ) ٣٠/٢.

(٤) - الواقدي ٢٣١ - ٢٣٢.

عِزّة نفس عاصم وكبرها ويبين مدى تأثير الدين الجديد في نفوس الصحابة الأوائل ومنهم عاصم فهو صادق امين ينافع ويدافع عن دينه غير طامع بمال وليس يطمع في جهاده وغزواته بغنائم يتخذها لنفسه ليدفع بها فقرا ملمّاً به او ليكدسها فوق اموال وثروات ورثها او كسبها بل نلاحظ ان لا هِمّة له من فقر أو فاقة وهو لا يهتم بالحياة الدنيا وبهرجها بل يطمح لإرضاء ربه بالجهاد بين يدي رسوله يخوض غمار الحروب مبايعا الرسول(ص) على الموت ثابتا معه في احلك الظروف رغم فرار الآخرين متمسكا بعقيدة راسخة وايمان صادق بالرسول الوافد الى مدينتهم وبما أُوحي له من رب العالمين.

ولعل مآثره في الاسلام وقتاله الشديد والعنيد الى جانب الرسول(ص) وقتله لأكثر من واحد من المشركين كل هذه الأمور جعلته هدفا للمكائد اللئيمة ودفعت المشركين الى التربُّص به للنيل منه حيناً ولنيل الجوائز التي جُعلت لمن جاء برأسه أحيانا. حتى وقع في مكيدة دُبِّرت له واستشهد عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح رافعاً سيفه عزيزاً بدينه الجديد في غزوة الرجيع وكان استشهاده مفخرة أخرى تضاف الى سجله المليء بالمفاخر ولعل هذه الأخيرة أعظمها، فوفّاه الله حق عمله وحماه من المشركين وبعث عليه مثل الظلمة من الدَّبر منعت المشركين من الاقتراب منه وبعث الوادي فاحتمله ليبقى طاهرا متطهراً كما تمنى ورغب.

جـ - **استشهاد عاصم بن ثابت حميّ الدَّبر**: استشهد عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح يوم وقعة الرجيع وكانت في صفر على رأس ٣٦ شهرا من الهجرة(١) اي في مطلع السنة الرابعة الهجرية(٢) وتعرف هذه السنة

(١) - الطبقات ٥٥/٢ و٤٦٣/٣ المغازي ٣٥٤ المواهب ١٣٠/١ تاريخ الخميس ٤٥٥/١ الآثار المحمدية ٧٠/٢ امتاع الاسماع ١٧٤/١ وقال ابن حزم في جوامعه ١٧٦: «نصف صفر في آخر تمام السنة الثالثة».

(٢) - الطبري I /١٤٣٢ التنبيه والاشراف ٢١٢ المختصر في اخبار البشر ٣٥/٢ البداية والنهاية ٦٢/٤ الآثار المحمدية ٧٠/٢.

« بسنة الترفيه[1] ».

وقد اختلفت السير والمغازي وكتب التواريخ في تحديد تفاصيل هذه الحادثة تبعا لاختلاف مصادر روايتها وجامعيها الاولين وأول من جمع الروايات في مؤلَّف خاص بالمغازي مكتوبا كان أو مرويا محمد بن اسحق[2] وابن شهاب الزهري[3] وعروة بن الزبير بن العوام[4] وموسى بن عقبة[5] وغيرهم وكل منهم طرق الوقعة من باب رواية معينة استند اليها. فاستند الواقدي[6] في مغازيه الى الغالبية منهم فأورد مجموعة من الاسانيد واتى بنص واحد من صياغته الخاصة لاءم فيه بين كل الروايات، واقتفى اثره كاتبه محمد بن سعد[7] فذكر سند رواية ابن اسحق وسند رواية الزهري ودمجها في نص واحد وادخل فيه تفاصيل لم ترد في الروايتين السابقتين.

---

(١) - التنبيه والاشراف ٢١٢.

(٢) - محمد بن اسحق بن يسار (٨٥ هـ - ١٥١ هـ) نشأ في المدينة ودرس السيرة والمغازي على شيوخها واول من كب في السيرة تاريخا باطار كامل (دراسة في سيرة النبي مؤلفها ابن اسحق) ص ١٧.

(٣) - ابن شهاب الزهري القرشي (٥١ هـ - ١٢٤ هـ) جمع كتاباً في المغازي وقد جمع كتبا كثيرة في خزائنه وشملت هذه الكتب اكثر العلوم المعروفة في عصره وكان عالما في السُّنة والحديث ولعل مغازيه كانت على شكل روايات اخذها عنه «معمر» كما هو واضح في السند الآتي ذكره.

(٤) - عروة بن الزبير بن العوام (٢٣ هـ - ٩٤ هـ) من اشهر فقهاء المدينة ومحدثيها كان اقدم من ألّف في سيرة رسول الله (ص) تخرج على علماء المدينة كعلي وعمر وابن عمر وابن عباس. وقد احرق كتبا كثيرة كانت له يوم وقعة الحرة. وعند اخذ اكثر المحدِّثين في السيرة والمغازي ومنهم ابن اسحق وابن شهاب وغيرهما.

(٥) - موسى بن عقبه (١٤١ هـ) جمع كتابا في المغازي وعُثِر على قطعة منه وطبعت سنة ١٩٠٤ م والظاهر انها رُويت عنه ولم يشرف بنفسه على كتابها ومن رواتها اسماعيل بن عبد الله بن ابي اويس المدني.

(٦) - محمد بن عمر الواقدي (١٢٩ هـ ٢٠٧ هـ) نشأ الواقدي في المدينة وتخرج في مدرستها واعتمد كثيرا على موسى بن عقبه وابن اسحق. وهما من تلامذة الزهري. سنده في المغازي (٣٤٥).

(٧) - محمد بن سعد بن منيع الزهري (٢٣٠ هـ) روى مغازيه في الجزء الثاني من طبقاته عن اربعة مصادر هي الواقدي ورُويم بن يزيد المقرىء - ويتصل هذا بمغازي موسى بن عقبة - وابو معشر أحد الذين كتبوا في المغازي واسماعيل بن عبد الله المدني احد رواة مغازي ابن عقبة عدا روايات اخرى.

★ ويؤلف الجميع مدرسة المدينة التي انتقلت بانتقال من عاصر العباسيين منهم، فيا بعد الى بغداد.

ولعل اكثر روايات حادثة الرجيع تصبُّ في معين رواية ابن اسحق وتتفق معها، وبشكل خاص في مقدمة طرح فصولها فقد جعل ابن اسحق سبب السرية قدوم رهط من عضل والقارة على رسول الله (ص) طالبين منه ارسال نفر من اصحابه معهم ليعلموهم اصول الدعوة الاسلامية وجعل عدد هذا النفر ستة من الاصحاب وسماهم باسمائهم ونسبهم بانسابهم والأمرة كانت في هذه السرية لمرثد بن ابي مرثد الغنوى[١] وتخالفه في ذلك وبشكل ظاهر رواية معمر عن الزهري، فورد فيها سبب الغزوة بعث النبي (ص) لعشرة من اصحابه بامرة عاصم بن ثابت ليكونوا عينا على قريش[٢] ولم تسم الرواية كل اصحاب السرية بل ذكر في منتصفها اسماء كل من خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق الذين نزلوا في عهد المشركين وهم مذكورون في هذا الموقع من رواية ابن اسحق وغيرها من الروايات. وواقع الاتباك ظاهر في هذه الرواية ولعل مرد ذلك الى تأخر تاريخ تدوينها[٣] وتفرع الرواة فيها[٤].

وينطلق الواقدي من مجموع الروايات فيقول: إنه بعد في مقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي قدم بنو لحيان الى عضل والقارة ودفعوهم فرضا على القدوم الى النبي (ص) في طلب ما ذكره ابن اسحق وجعل الواقدي عدد افراد السرية سبعا بزيادة معتب بن عبيد اخي

---

(١) - السيرة النبوية ٦٣٨ وبقية المصادر التي نقلت عنه وسنذكرها فيما بعد.

(٢) - المسند ٧٩١٥ البخاري ٧٩/٥ - ٨٠ الاستيعاب ١٣١/٣ معجم البكري ٦٤١/٢ - ٦٤٢ الاستبصار ٢٨٥ اسد الغابة ٧٣/٣ - ٧٤ الاصابة ٢٣٦/٢.

(٣) - اول من اوردها في مؤلَّف ابن حنبل في مسنده ٧٩١٥ عن سليمان بن داوود عن ابراهيم بن سعد عن الزهري وبسندين آخرين، عن يعقوب عن ابيه عن الزهري وسليمان الهاشمي عن عمر بن اسيد الثقفي.

(٤) - استند البخاري - وكل من اتى بعده ونقل عنه جاراه في ذلك - الى ابي كريب عن جعفر بن عون العمري عن ابراهيم بن اسماعيل عن عمر او عمرو بن اسيد عن ابي هريرة.
وفي الإستيعاب عن «عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عمرو بن ابي سفيان الثقفي عن ابي هريرة» وجرى مجراه صاحب «اسد الغابة» وصاحب «الاصابة».

عبد الله بن طارق لأمه. وقال: «اميرهم مرثد ويقال عاصم» واكمل روايته متواقفا مع سرد ابن اسحق عدا بعض الجزئيات البسيطة[١].

ويخالفه تلميذه وكاتبه محمد بن سعد بطرحه نفس السبب الذي ذكره ابن اسحق ولكنه يجعلهم عشرة رهطا فيسمّي منهم سبعة جريا على خطى معلمه الواقدي ويهمل الثلاثة الباقين ويتبع معلمه في تقريره امير السرية موردا تفاصيل جزئية لم ترد في الروايات السابقة وهذا ما يظهر استناده الى مجموعة روايات - كما هو الحال عند معلمه - الى جانب سنده المذكور في طبقاته[٢].

والملاحظ ان الطبري نقل روايتي ابن اسحق وابي كريب منفصلتين متتابعتين دون ان يكون له رأي في ترجيع احداهما[٣] وتبعه في ذلك ابو الفرج ناقلا نصوصه حرفيا مصرحا بذلك[٤].

أما كُتّاب السيرة المتأخرين فقد اتّبعوا سبيلا خاصا في سرد وقائع حادثة الرجيع فهم يقسّمون الوقعة الى فصول فنراهم يسردون كل فصل مستقلاً عن غيره معتمدين على كل الروايات بعضها تلو بعض، ذاكرين النصوص الفريدة في بعض الرويات، ومن هذه النصوص ما وُضع لبيان عظمة أصحاب هذه السرية. وذكروا تفاصيل وشروحا لبعض الخوارق التي ظهرت في هذه الوقعة[٥] ومنهم من اعتمد الى جانب ذلك انتقاء بعض الفصول، كل فصل من رواية مختلفة عن سابقتها[٦].

---

(١) - المغازي ٣٥٤ - ٣٣٥ ونقل عنه المقريزي في امتاع الاسماع ١٧٤/١ - ١٧٥ ودحلان في آثاره ٧٠/٢ وما بعدها.

(٢) - الطبقات ٥٥/٢ - ٥٦.

(٣) - الطبري I /١٤٣٢ - ١٤٣٤ و I /١٤٣٤ - ١٤٣٧.

(٤) - الاغاني (د) ٢٢٤/٤ - ٢٢٧ و٢٢٧/٤ - ٢٣٠.

(٥) - المواهب ١٣٠/١ - ١٣٣ تاريخ الخميس ٤٥٤/١ - ٤٥٩.

(٦) - الاثار المحمدية ٧٠/٢ - ٧٥.

اما صاحب البداية والنهاية فانه يعد ان سرد رواية البخاري[١] اوضح مخالفة ابن اسحق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير لهذه الرواية وقال ان «محمد بن اسحق امام في هذا الشأن غير مدافع وكما قال الشافعي: من اراد المغازي فهو عيال على ابن اسحق[٢]» ثم سرد رواية ابن اسحق.

وابن اسحق وموسى بن عقبة أخذا السيرة عن عروة وهذا الأخير اقدم من ألَّف في السيرة وكان أعلم اهل المدينة وأروعهم[٣] في زمانه وهو بحر لا تكدره الدلاء[٤].

ونظرا لتقارب وتوافق روايات موسى بن عقبة وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحق[٥] وكون رواية ابن اسحق أتم الروايات واوضحها رؤية وادقها معنى وابن اسحق «امير المحدّثين لحفظه[٦]» «وكان من احفظ الناس[٧]» و«من اراد المغازي فعليه بابن اسحق[٨]» وسيرته وضعت على اسس راسخة وقوته تتجلى في القسم الخاص بالمغازي في المدينة[٩] لكل هذه الأمور وغيرها فقد رأيت اعتماد النص الذي اورده ونقله عنه ابن هشام في سيرته[١٠]، قال:

---

(١) - البداية والنهاية ٦٢/٤ - ٦٣.
(٢) - البداية والنهاية ٦٤/٤ تاريخ بغداد ٢٢٦/١ وفيات الاعيان ٦٨٧/١.
(٣) - فجر الاسلام ١٥٨ و١٧٥.
(٤) - العقد الفريد ١٤٢/٢ و٢٣٠/٢.
(٥) - البداية والنهاية: ٦٤/٤.
(٦) - التاريخ الكبير (بخاري) ج ١ ق١ /٤٠.
(٧) و (٨) تاريخ بغداد ٢٢٠/١.
(٩) - دراسة في سيرة النبي ص ١٧.
(١٠) - السيرة ٦٣٨ - ٦٣٩ الطبري I /١٤٣٢ - ١٤٣٤ اليعقوبي ٧٢/٢ - ٧٣ الأغاني ٢٢٤/٤ - ٢٢٧ أنساب الأشراف ٣٧٥/١ جوامع السيرة ١٧٦ - ١٧٧. ووردت الرواية في كتب كثيرة بشكل مختصر منها: المختصر في اخبار البشر ٣٥/٢ ابن خلدون ٧٦٨/٢ التنبيه والإشراف ٢١٢.

حدَّث عاصم بن عمر بن قتادة[١] قال: قدم على رسول الله (ص) بعد أُحُد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله ان فينا اسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقّهونا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام. فبعث رسول الله (ص) نفرا ستة من اصحابه: مرثد بن ابي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح اخا بني عمرو بن عوف وخُبَيْب بن عدي اخا بني جحجبى بن كُلفة بن عمرو بن عوف وزيد بن الدَّثِنَة اخا بني بياضة بن عامر وعبد الله بن طارق حليفا لبني ظفر. وأمَّر رسول الله (ص) على القوم مرسد بن أبي مرثد الغنوي فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة - غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فلم يُرع القوم وهم في رحالهم الا بالرجال في ايديهم السيوف قد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا: والله ما نريد قتالكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئاً من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه الا نقتلكم.

فاما مرثد بن ابي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح فقالوا: إنّا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا ابدا فقال عاصم بن ثابت:

ما علني وانا جلد نابلُ — والقوس فيها وتر عنابلُ
تزل عن صفحتها المعابلُ — الموت حق والحياة باطلُ
وكل ما حمَّ الاله نازلُ — بالمرء والمرء اليه آيلُ
ان لم اقاتلكم فامي هابلُ

---

(١) - عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري الظفري: أبو عمرو ويقال أبو عمر المدني (١٢٠ هـ أو ١٢٧ هـ عن أبي عبيدة أو ١٢٩ هـ عن الواقدي) قال عنه ابن سعد «كان له رواية للعلم وعلم بالسيرة والمغازي، عالماً ثقة» وثّقه ابن معين وجماعة.
روى عن أبية وجابر وجدته رُميثة ولها صحبة وعبيد الله الخولاني ومحمود بن لبيد وعلي بن الحسين وجماعة. تراجم الذهبي ص٢٢.

وقال ايضا:

ابو سلـــيمان وريش المقعـــدِ   وضالـةُ مثـل الجحـيم الموقـدِ
اذا النواحي افـترشت لم أرعـدِ   ومجنّـــأ من جلـــد ثور أجردِ
ومؤمن بما على محمدِ

وقال ايضا:

ابو سلـــيمان ومثـــلي رامـــا   وكـــان قومي معشرا كرامـــا

ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه.

فلما قُتل عاصم ارادت هذيل اخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيْد - وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر - فمنعته الدَّبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يُمسي فتذهب فتأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به.. فكان عمر بن الخطاب يقول «يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ابدا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته[1]...».

وجد رسول الله (ص) على عاصم واصحابه وجدا شديدا[2] فقنت عليه السلام شهرا يلعن رعلا وذكوان وبني لحيان[3]. وقال حسان بن ثابت في عاصم يرثيه:

هم قتلوا يوم الرجيـــع ابن حرة   اخـــا ثقـــة في وده وصفـــاءِ
فلو قُتلوا يوم الرجيـــع بـــاسرهم   بذي الدَّبر ما كانوا له بكفاءِ
قتيـل حمتـه الـدَّبر بين بيوتهم   لـدى اهـل كفر ظـاهر وجفاءِ[4]

وقال حسان ايضا في عاصم واصحابه:

---

(١) - للحديث تتمة توضح اخبار باقي القوم.

(٢) - الطبقات ٧٨/٢ الواقدي ٥٣٥.

(٣) - الاستيعاب ١٣١/٣ اسد الغابة ٧٤/٣، الاصابة ٢٣٦/٢، الاستبصار ٢٨٥.

(٤) - السيرة ٦٤٧ معجم البكري ٦٤٢/٢.

لعمري لقد شابت هذيل بن مدرك احاديثُ كانت في خبيب وعاصم
احاديث لحيان صَلَوا بقبيحها ولحيان ركّانون شر الجرائمِ[1]

وقال حسان أيضا:

والعاصمُ المقتولُ عند رجيعهم كسب المعالي إنه لكسوبُ[2]

وقد غزا رسول الله (ص) بني لحيان في جمادي الأولى من السنة الخامسة الهجرية انتقاما لعاصم واصحابه[3].

وروى ابن اسحق بسنده عن ابن عباس قال: لما اصيبت هذه السرية اصحاب خبيب بالرجيع بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين: «يا ويح هؤلاء المفتونين (المقتولين) الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في بيوتهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم» فانزل الله عز وجل في ما اصاب اولئك النفر من الشهادة والخير من الله:[4] «(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ)[5]» وقيل: أنزل الله في اصحاب السرية كذلك[6]: «(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ)[7]».

وقد جعل المرزباني عاصما واحدا من الشعراء واستشهد باشعاره

(١) - السيرة ٦٤٦ الاستيعاب ١٣١/٣ الواقدي ٣٥٣ أسد الغابة ٧٤/٣، الاصابة ٢٣٦/٢، البداية والنهاية ٦٨/٤.
(٢) - السيرة ٦٤٨.
(٣) - السيرة ٦٥٠ الطبري I / ١٥٠٠ (وقال الواقدي ٥٣٥ وابن سعد ٧٨/٢: ربيع أول سنة ٦ للهجرة - وفي البداية والنهاية ٨١/٤ سنة ٤ هـ).
(٤) - السيرة ٦٤٢ تفسير الطبري ٢٣٠/٢ ، ٢٣١/٢ تفسير القرطبي ١٥/٣ البحر المحيط ١١٣/٢ البداية والنهاية ٦٧/٤.
(٥) - سورة البقرة الآية ٢٠٤.
(٦) - البداية والنهاية ٦٧/٤.
(٧) - سورة البقرة الآية ٢٠٧.

الواردة في قصة بعث الرجيع[1].

وقال الأحوص يفتخر بجدّه:

فانا ابن الذي حمت لحمه الدَّبْـ ـرُ قتيل اللحيان يوم الرجيعِ
غسَّلت خالي الملائكة الابـ ـرار ميتا اكرم به من صريعِ[2]

٣ - خال الاحوص: غسيل الملائكة:

وخاله الذي يفتخر به ايضا هو حنظلة بن ابي عامر وهو خال عاصم بن ثابت فوالده عاصم هي الشموس بنت ابي عامر اخت حنظلة الغسيل[3]. وله اخت ثانية اسمها حبيبة بنت ابي عامر[4] وامها سلمى بنت عامر بن جذيفة من بني جحجبا بن كُلفة واسلمت حبيبة وبايعت الرسول، وام حنظلة والشموس هي عميق بنت الحارث من بني واقف[5].

واسم أبي عامر: عمرو[6] أو عبد عمرو[7] بن صيفي بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد من الأوس[8] وكان يُعرف أبو عامر في الجاهلية بالراهب وكان يذكر البعث ودين الحنفية[9] فلما بعث النبي (ص) عانده وحسده على ما من الله به عليه فخرج الى مكة ثم قدم مع قريش

(١) - معجم الشعراء ١١٦.
(٢) - الكامل ١٠٣/٤ الاغاني (د) ٢٢٤/٤ ثمار القلوب ٥٠.
(٣) - الطبقات ٤٦٢/٣ و ٣٤٥/٨ الحبر ٤١٧ اسد الغابة ٤٨٨/٥ الإستبصار ٢٨٧ الإصابة ٣٣٤/٤ و ٢٥٤/٤.
(٤) - الطبقات ٣٤٥/٨ الاصابة ٢٦٣/٤.
(٥) - الطبقات ٣٤٥/٨ الاصابة ٢٦٣/٤.
(٦) - السيرة ٥٦٧ الاستيعاب ٢٧٩/١ أسد الغابة ٥٩/٢ الاصابة ٣٦٠/١ وغيرها كثير.
(٧) - المغازي ٢٢٣ الطبقات ٦٥/٥ جوامع السيرة ٢٧٩/١، الاستيعاب واسد الغابة والاصابة بصفحاتها الهامش السابق وغيرها كثير.
(٨) - ينتسب الى بني ضبيعة بن زيد من بني عمر بن عوف فهو وعاصم بن ثابت من نفس البطن.
(٩) - المغازي ٣٦٧ الاصابة ٣٦٠/١.

يوم أُحُد محاربا فسمَّاه رسول الله (ص): أبا عامر الفاسق، فلما فُتحت مكة لحق بهرقل الروم هارباً من اثنين من الكفار ومات هناك في سنة تسع وقيل في سنة عشر من الهجرة(١).

وروى ابن شاهين باسناد حسن عن عروة بن الزبير قال: «استأذن حنظلة بن ابي عامر رسول الله (ص) في قتل ابيه فنهاه عن ذلك(٢)».

وتزوج حنظلة جميلة بنت عبد الله بن أُبَي بن سلول(٣)، رأس المنافقين(٤)، فأُدخلت عليه في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أُحُد(٥)، وكان قد استأذن رسول الله (ص) ان يبيت عندها فأذن له(٦)، وأرسلتْ جميلة الى اربعة من قومها فأشْهَدَتْهُم على ذلك وقيل لها بعد: لِمَ أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فُرِجَت فدخل فيها حنظلة ثم اطبقت(٧).

وعلقت جميلة بعبد الله بن حنظلة الذي ولد بعد أُحُد بتسعة أشهر(٨).

وفي صبيحة يوم أُحُد «أخذ حنظلة سلاحه ولحق برسول الله (ص) وهو يسوِّي الصفوف فلما انكشف المشركون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس، ويقع أبو سفيان الى الأرض فجعل يصيح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب،

---

(١) جوامع السيرة ١٥٩ الاستيعاب ٢٨٠/١ اسد الغابة ٥٩/٣، البداية والنهاية ٢١/٤، الاصابة ٣٦٠/١ وغيرها.

(٢) - الاصابة ٣٦٠/١ تاريخ الخميس (عن الصفوة) ٤٢٧/١. (ولم أجد كتاب الصفوة هذا).

(٣) - المغازي ٢٧٣، الطبقات ٦٥/٢، الاصابة ٢٩١/٢ و ٢٥٦/٤ أسد الغابة ١٤٧/٣. (وفي الاستيعاب ٢٥٦/٤ وأسد الغابة ٤١٦/٥ وجوامع السيرة ٣١٣ والبداية والنهاية ٢١/٤ والمواهب ١٢٢/١ «جميلة بنت أبي بن سلول اخت رأس المنافقين». وقال صاحب الاصابة ان هذه الأخيرة هي عمة زوجة حنظلة وشرح ذلك وحاول صاحب اسد الغابة ان يثبت انها واحدة مع اعترافه قبل ذلك بانها بنت عبد الله المنافق).

(٤) - السيرة ٥٩١ الطبري I /١٤٥٢ وغيرها كثير جدا.

(٥) - الطبقات ٦٦/٥ المغازي ٢٧٣ تاريخ الخميس (عن الصفوة) ٤٢٨/١ أسد الغابة ١٤٧/٣.

(٦) - و(٧) نفس مصادر الهامش السابق باجزائها وصفحاتها.

(٨) - الطبقات ٦٦/٥ المغازي ٢٧٣ تاريخ الخميس (عن الصفوة) ٤٢٨/١ أسد الغابة ١٤٧/٣.

وحنظلة يريد ذبحه حتى عاينه شدَّاد بن الأسود وهو المعروف بابن شعوب الليثي[١] فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه فيه ومشى حنظلة اليه في الرمح فضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدو على قدميه فلحق ببعض قريش فأردفه وراءه[٢] » وفي ذلك يقول ابن شعوب:.

لأحمينَّ صـــاحــــبي ونفسي   بطعنــة مثــل شعــاع الشمسِ[٣]

وقال ايضا:

ولولادفاعي ياابن حرب ومشهدي   لألفيت يوم النعف غير مجيبِ[٤]

وردّ عليه ابو سفيان بقوله:

ولو شئــت نجتني كميــت طمرة   ولم احمل النعماء لابن شعوبِ[٥]

وقال ابو سفيان في قتله: حنظلة بحنظلة (اي حنظلة بن ابي سفيان الذي قتل يوم بدر[٦]).

وجعل ابو سفيان يطوف بابي عامر الفاسق بين القتلى في المعرك ومَرَّ بابنه حنظلة فقال له ابو سفيان: من هذا يا ابا عامر؟ قال: هذا أعز من ها هنا عليّ هذا حنظلة بن ابي عامر[٧]، وقال لابنه الشهيد: «إنْ كنت لاحذرك من هذا الرجل (يعني النبي(ص)) من قبل هذا المصرع. والله إن كنت لبرا بالوالد شريف الخلق في حياتك وان مماتك لمع سراة اصحابك واشرافهم » ثم نادى يا معشر قريش « حنظلة لا يُمَثَّل

---

(١) - السيرة ٥٦٨، المغازي ٢٧٣ جوامع السيرة ١٦١، أسد الغابة ٥٩/٢، الاستيعاب ٢٨٠/١، الاصابة ٣٦٠/١، الاشتقاق ٤٣٨ تاريخ الخميس ٤٢٧/١ السيرة الحلبية ٢٦٦/٢ الآثار المحمدية ٤٦/٢. - المواهب ١٢٢/١ والبداية والنهاية ٢١/٤ (قالا إنه شداد بن أوس وهو خطأ). -

(٢) - المغازي ٢٧٣ شرح نهج البلاغة ٣٧٨/٣ امتاع الاسماع ١٤٩/١ تاريخ الخميس (عن الصفوة) ٤٢٧/١.

(٣) - السيرة ٥٦٨، البداية والنهاية ٢١/٤، الاستيعاب ٢٨٠/١ أسد الغابة ٥٩/٢ الاصابة ٣٦٠/١.

(٤) - السيرة ٥٦٨ - ٥٦٩ البداية والنهاية ٢١/٤.

(٥) - (السيرة ٥٦٨ الإستيعاب ٢٨٠/١ اسد الغابة ٥٩/٢ الإصابة ٣٦٠/١ البداية والنهاية ٢١/٤.

(٦) - المغازي ٢٩٧، الاستيعاب ٢٨٠/١ أسد الغابة ٦٠/٢ الاصابة ٣٦٠/١ البداية والنهاية ٢١/٤ وغيرها كثير.

(٧) - الواقدي ٢٣٦ - ٢٣٧.

به وان كان خالفني وخالفكم » فمُثِّلَ بالناس وتُرك حنظلة ولم يُمَثل به[1].

وعندما جاء النبي (ص) واصحابه لتفقد الشهداء وعمل ما يلزم مرَّ الرسول (ص) على حنظلة فقال: « ان صاحبكم لتغسله الملائكة فسألوا صاحبته ما شأنه » فَسُئلت صاحبته عنه فقالت: « خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة » فقال رسول الله (ص): « لذلك غسلته الملائكة[2] ».

ووردت في بعض المصادر تفاصيل كثيرة عن قصة حنظلة منها انه غَسَلَ أحد شقَي رأسه وخرج حين سمع الهائعة وأن الملائكة غسلته بماء المزن في صحاف من الفضة بين الأرض والسماء وأن رأسه كان يقطر ماء وما حوله ماء[3].

وقد اصبح حمي الدبر عاصم وغسيل الملائكة حنظلة موضوع فخر للأوس على الخزرج فيما بعد لمنزلتهما عند الله عز وجل[4].

ولحنظلة ولد واحد هو عبد الله بن حنظلة الغسيل ولدته امه جميلة بعد أُحُد بتسعة اشهر وكان عبد الله شريفا فاضلا عابدا، وكانت له مكانة ممتازة كما كانت لأبيه، وفرض له عمر بن الخطاب حين فرض للناس العطاء الفي درهم فاتاه طلحة بابن اخ له ففرض له دون ذلك فقال طلحة: « يا امير المؤمنين فضلت هذا الانصاري على ابن اخي » فقال عمر: « نعم لأني رأيت اباه يوم أُحُد يستتر بسيفه كما يستتر الجمل[5] ».

ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة وفد عليه جماعة من اهل المدينة وبينهم عبد الله بن حنظلة وثمانية من بنيه، فاعطاه يزيد مائة الف

---

(١) - الواقدي ٢٧٤ شرح نهج البلاغة ٣٧٩/٣ البداية والنهاية ٢١/٤.
(٢) - السيرة ٥٦٨، الواقدي ٢٧٤ جوامع السيرة ١٦١ الاستيعاب ٢٨١/١ وباقي المصادر المتأخرة.
(٣) - الواقدي ٢٧٤ امتاع الاسماع ١٤٩/١، تاريخ الخميس ٤٢٨/١ السيرة الحلبية ٢٦٦/٢ الاثار المحمدية ٤٧/٢.
(٤) - الاستيعاب ٢٨٢/١ اسد الغابة ٦٠/٢ الاصابة ٣٦١/١.
(٥) - الطبقات ٦٥/٥.

واعطى كل واحد من بنيه عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملانهم، فلما رجعوا الى المدينة اجمعوا على اخراج بني امية منها وخَلْع يزيد وذكروا مساوئه لاهلها فقام الناس يسبّون يزيد فكفّهم عبدالله عن الشتم وقال لهم: أصدقوهم اللقاء فوالله لو لم أجد سوى بنيّ هؤلاء لجاهدتهم بهم » فبايعه الناس رئيسا للانصار. فبعث يزيد اليهم مسلم بن عقبة المرّي فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين بعد الهجرة النبوية الشريفة، وقاتل عبدالله في هذه الوقعة قتالا شديدا، قدَّم بنيه الثمانية الواحد تلو الآخر حتى قُتلوا جميعا وتفرّق الناس عنه. فقال له مولاه: «والله يا ابا عبد الرحمن ما بقي احد فعلامَ نقيم؟» فقال: «ويحك انما خرجنا على ان نموت». ثم انصرف من الصلاة وبه جراحات كثيرة فتقلد السيف ونزع الدرع واخذ يحث الناس على القتال وهم يفرون كالنعام الشرود. وقاتل حتى قُتل. وعلى أثر وقعة الحرة هاجر قسم من اهل المدينة باتجاه افريقيَة الشمالية والاندلس[١].

وذكر ابن حزم ان بني ربيع بن محمد بن ربيع وسكناهم بمقبرة بني العباس في الجانب الشرقي من قرطبة ينتسبون الى احد ابناء عبدالله بن حنظلة الغسيل وكانوا يتولون الاهراء بقرطبة[٢].

ونستطيع ان نلحظ في اخبار هؤلاء الاعلام من اسرة الاحوص الذين سبق ذكرهم ان هذه الاسرة أبلت في سبيل دين الله احسن البلاء فكان افرادها يُعدون من سادات المسلمين وفضلائهم ويمتازون باسلام حسن وايمان غير مشوب دفع بهم الى الشهادة في سبيل الله عز وجل.

وكانت لهم مكانة مرموقة شفعت للاحوص اكثر من مرة وكانت له سندا وعونا لقرابته من بني مروان امراء الدولة الاموية عن طريق الخؤولة لبني عبد العزيز بن مروان الذي تزوج ام عاصم ليلى بنت

(١) - الطبقات ٦٥/٥ - ٦٧ العقد الفريد ٣٨٨/٤ - ٣٨٩.

(٢) - جمهرة انساب العرب ٣٣٣.

عاصم بن عمر بن الخطاب وام عاصم بن عمر هي جميلة بنت ثابت اخت عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح جد الاحوص.

٤ - والد الاحوص ووالدته:

اهملت المصادر ذكر والده ولم تقدم لنا اية اخبار توضح حاله واعماله سوى ما ذكره البغدادي في خزانته من خبر قدوم الاحوص مع ابيه على معاوية بن ابي سفيان فخطب الاحوص فقام ابوه ليخطب فكفّه وقال له: «يا اياك قد كفيتك[١]»، وجاء ذكر البغدادي لهذا الخبر تعقيباً على قول للعيني في نسبة احد الابيات الساقطة للأحوص، فعلل البغدادي وجه الوهم في قول العيني واردف بالخبر المذكور اثباتا لرأيه وقال ابو الفرج ان والدة الاحوص هي اثيلة بنت عمير بن مخشي ونقل عنه ابن شاكر في فواته. ولم يرد ذكر لها في اي خبر آخر وفي اي مصدر آخر[٢].

IIشخصية الأحوص:

١ - **اسمه:** لم تكتف المصادر بإهمال ذكر والد الشاعر بل اختلفت في تقرير درجة قرابة عاصم بن ثابت له فمنهم من جعله جده المباشر ومنهم من جعله جده الاعلى.

واسم الاحوص الصغير هو عبدالله[٣] ولم تذكر له المصادر اسما آخر مختلفا.

والثابت لدينا ان والد الاحوص يُسمّى محمداً واكثرهم ذكره في الاخبار باسم الاحوص بن محمد ولا خلاف في ذلك الا في بعض النصوص المتأخرة والضعيفة، وبعض الزيادات أو النواقص التي وردت

---

(١) - الخزانة ٢٨٩/١ - ٢٩٠.

(٢) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤ فوات الوفيات ٢١٨/٢.

(٣) - الاغاني (د) ٢٢٤/٤ الحماسة البصرية ٣٧/٢ و١٧٨/١، فوات الوفيات ٢١٧/٢ سمط اللآلي ٧٣/١ عيون التواريخ ١٦٥/٥. شرح العيني ١٠٨/١.

في بعض الكتب القديمة عن طريق الرواة او عن طريق النساخ وسأحاول ان أبيّن هذه الامور بقدر من التفصيل مع شيء من المناقشة للوصول الى اثبات الحقيقة فيما اختلف فيه بإثبات النصوص القوية في ذلك مرة وبالاستنتاج العقلي مرة اخرى.

أول المصادر التي تحدثت عن اسم الأحوص هو طبقات ابن سعد إذ قال: «وكان لعاصم من الولد محمد وأمه هند بنت مالك بن عامر... ومن ولده (أي عاصم) الأحوص الشاعر ابن عبدالله بن محمد بن عاصم[(١)]» وورد في طبقات معاصره ابن سلام: «والأحوص بن عبدالله بن محمد بن عاصم...»[(٢)] وفي طبعة مصر التي حققها محمود محمد شاكر انتبه المحقق الى وجود كلمة «ابن» قبل الاسم «عبدالله» فحذفها ولكنه أضاف الى النص الأصلي عبارة «ابن عبدالله» واضعا إياها بين قوسين وأدخلها بين «محمد» و«عاصم» مستندا في عمله هذا الى بعض المتأخرين عن ابن سلام مُرجِّحاً لهم عليه[(٣)].

وبعده يأتي ابن قتيبة بنص جديد «الاحوص بن محمد بن عبدالله ابن عاصم[(٤)]...».

ويقع المبرّد في التناقض فيورد اسم الاحوص بنصين مختلفين: «الاحوص بن محمد بن عاصم[(٥)]» و«الاحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم»[(٦)] ويقع صاحب العقد بالتناقض والخطأ ايضا وقد نقل اكثر اخبار الاحوص عن المبرّد[(٧)]. ويناقض صاحب الاغاني نفسه فيجعل اسم

---

(١) - الطبقات ٤٦٢/٣.

(٢) - طبقات فحول الشعراء (طبع اوروبا) ١٣٧.

(٣) - طبقات فحول الشعراء (طبع مصر) ٥٢٩.

(٤) - الشعر والشعراء ٤٢٤.

(٥) - الكامل ١٠٣/٤.

(٦) - الكامل ١٧٨/١ و٢١١/٢.

(٧) - العقد الفريد ٤٨/٤ (الاحوص محمد بن عبدالله بن عاصم) و٢٤/٦ (الاحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم).

الأحوص في ترجمته له «الاحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت[١]» وفيما يسبق الترجمة ويليها كذلك يجعله «الاحوص بن محمد بن عاصم[٢]..» ويقول معاصره ابو القاسم الآمدي :«الاحوص بن محمد ابن عـاصم...[٣]» ويتبعـه المزربـاني في معجمـه بقولـه «عـاصم جـد الأحوص[٤]» ويفسِّر هذه العبارة في الموشح بقوله: «الأحوص بن محمد بن عاصم»[٥]. ويقول صاحب زهر الآداب: «الأحوص بن محمد بن عاصم»[٦] ويخالف بذلك صاحب الأغاني مع أنه نقل أخبار الأحوص عنه.

وابن عبد البر يقول في الاستيعاب «ومن ولده (اي عاصم) الاحوص الشاعر واسمه عبدالله بن محمد ابن عاصم[٧]». ويقول العلامة ابن حزم في الجمهرة: «وابن ابنه (اي عاصم) الشاعر الاحوص وهو عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عاصم» ويضيف: «وبباجه: آل حفص» وهم ينتسبون الى «أوس بن عبد الله بن محمد بن عاصم»[٨].

وتنقسم بقية المصادر الى فريقين بعضهم يقول: «الاحوص بن محمد بن عاصم[٩]» وبعضهم الاخر يقول «الاحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم[١٠]» ومنهم من وقع في الوهم والخطأ وهم قلة[١١].

(١) - الاغاني (د) ٢٢٤/٤.
(٢) - الاغاني (د) ٢٩٥/١ و(ث) ١٣/٨. (نقلا عن الحسين بن يحيى) و(عن عمر بن شبَّة).
(٣) - المؤتلف والمختلف ٥٩.
(٤) -معجم الشعراء ١١٦.
(٥) -الموشح ١٨٨.
(٦) -زهر الآداب ٢١٣/١.
(٧) - الإستيعاب ١٣١/٣.
(٨) - جمهرة انساب العرب ٣٣٣.
(٩) - مختصر شرح الحماسة (تبريزي) ص٨٠ الاستبصار ٢٨٦ شرح شواهد المغني ٢٦١ وفي معجم البكري «عاصم جد الاحوص لأبيه» ٦٤١/٢.
(١٠) - سمط اللآلي ٧٣/١ تاريخ الاسلام (الذهبي) ٩١/٤، المنازل والديار. ٤٣٠ عيون التواريخ ١٦٥/٥ خزانة الادب ٢٣٢/١ فوات الوفيات ٢١٧/٢. (استندوا الى الأغاني).
(١١) - الحماسة البصرية ١٢٧/١ (الاحوص بن الاقلح بن عاصم) و١٢٨/١ (الاحوص بن عاصم) و١٧٨/١

اكثر العاملين في حقل الادب في العصر الحديث والمعاصر وافقوا صاحب الاغاني في الطرح الاول[1] الذي ذكرناه عدا القليل منهم[2].

ونعود قليلا الى ما سبق في ذكر عائلته فنرى ان حنظلة الغسيل هو خال عاصم بن ثابت[3] وانطلاقا من جدهما الاعلى المشرك «النعمان» بن مالك بن أمية يكون حنظلة بموازاة ثابت بن ابي الاقلح والد عاصم[4]. وحنظلة هذا على ما يبدو قتل يوم أُحُد وهو في سن الشباب اذ كان في اولى ليالي زواجه الاول والوحيد[5]. وام عاصم الشموس بنت ابي عامر وعمته عصيمة ادركتا الاسلام[6] وعاشت والدته الشموس الى خلافة ابي بكر الصديق[7] واخته جميلة لابيه وامه[8] كانت في سنة سبع للهجرة في مقتبل شبابها فتزوجت عمر بن الخطاب ثم بعد طلاقه لها تزوجت غيره[9].

نستنتج من كل ما ذكر ان عاصما استشهد وهو في ريعان الشباب وان كان يكنى ابا سليمان فان ابنه هذا على الاغلب توفي وهو في

(عبد الله بن عاصم الاسدي) و٢/٣٧ (عبد الله بن محمد الأوسي).
شرح الشواهد الكبرى ١٠٨/١ (الاحوص: عبد الله بن محمد بن عاصم) و٤٦٧/٣ و٤٣٥/٤ (الاحوص: محمد بن عبد الله بن عاصم).

(١) - (عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم): الاعلام ٢٥٧/٤ فؤاد افرام البستاني (دائرة المعارف) ٣٣٧/٧.
الذريعة ٣١٩/١ تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٩/١ الشعر والغناء في الامصار الاسلامية ١١٤ والعصر الاسلامي ٣٥٤ عمر فروخ ٦٣٧/١ ابن ابي شنب (هامش الجمل) ١٥٩. عبود الشالجي (هامش نشوار المحاضرة) ٢٧٣/٥ احمد ابو علي: المنتخل ملحق بالمنتحل ٣٠٢. [محمد محي الدين عبد الحميد: هداية السالك بذيل اوضح المسالك ٣٣٤/٢ يقول (محمد بن عبد الله بن عاصم)].

(٢) - محمد ابو الفضل ابراهيم (هامش امالي المرتضى) ١٣٥/١ (الاحوص بن محمد ابن عاصم).

(٣) - الطبقات ٤٦٢/٣ و٣٤٥/٨ المحبر ٤١٧ الإستبصار ٢٨٧ وغيرها.

(٤) - جمهرة انساب العرب ٣٣٣ الإستيعاب ١٣١/٣ الإستبصار ٢٨٤ وهما من بني ضبيعة بن زيد.

(٥) - المغازي ٢٧٣ الطبقات ٦٥/٥ أسد الغابة ١٤٧/٣.

(٦) - الطبقات ٣٤٦/٨ والاصابة ٣٥٣/٤.

(٧) - الاستيعاب ٢٥٤/٤ الاصابة ٢٥٤/٤ أسد الغابة ٤١٧/٥.

(٨) - الطبقات ٣٤٥/٨ الطبري I /٢٧٣٣ المحبر ٤١٧ الإستيعاب ٢٥٤/٤ وغيرها كثير.

(٩) - الطبقات ٣٤٦/٨ الطبري I /١٥٥٦ و٢٧٣٣ المحبر ٤١٨ الإستيعاب ٢٥٤/٤ وغيرها كثير.

طفولته او في صباه ولم يُذكر له سوى ولد واحد اسمه محمد في كتب الطبقات وتذكر هذه الكتب كافة اولاد المترجَم لهم مع ذكر امهات هؤلاء الاولاد وامثلة ذلك منتشرة في الطبقات. ومحمد بن عاصم ولد على عهد الرسول بشهادة ابن سعد وصاحب الاستبصار وغيرهما[1]. وقد رجَّح اغلب الدارسين ان يكون الاحوص قد ولد في حوالي سنة خمس وثلاثين للهجرة[2] لانه قدم مع والده على معاوية بن ابي سفيان وكفى والده عبء الخطاب[3]، ومعلوم ان سنة وفاة معاوية هي سنة ستين للهجرة.

فالفترة الزمنية الممتدة بين سنة ولادة محمد بن عاصم في مطلع الهجرة وسنة ٣٥ للهجرة السنة المحتملة لولادة الاحوص لا تحتمل وجود أب وجدًّ بين الاحوص وعاصم بن ثابت.

فاغلب الاعتقاد - والحالة هذه - ان يكون محمد بن عاصم هو والد الاحوص وهذا الاعتقاد هو ما يمكن ان نجزم به اذا افترضنا ان كلمة «ابن» الواردة في نص ابن سعد قبل الاسم «عبدالله» هي من صنع النساخ كما فعل محقق طبقات ابن سلام وكان حريّاً بهذا المحقق ان يشير الى رأيه واعتقاده بشأن اسم الاحوص في الهامش وان لا يضيف عبارته السابقة الذكر الى النص الاصلي.

ويمكننا ان نجزم باعتبار كلمة ابن الواردة في نص ابن سلام هي من عمل النساخ لان ابن سلام ذاته يعود ليذكر في طبقاته عبارة «الاحوص ابن محمد الشاعر»[4] فيكون اسم الاحوص لديه «عبدالله بن محمد بن عاصم» كما هو الحال عند ابن سعد وباقي المصادر المذكورة آنفاً.

---

(١) - الطبقات ٤٦٢/٣ الاستبصار ٢٨٦ أسد الغابة ٣٢٣/٤ الاصابة ٣٥٧/٣.

(٢) - فؤاد ا. بستاني (دائرة المعارف) ٣٣٧/٧ عمر فروخ ٦٣٧/١ كارل بتراشك الموسوعة الاسلامية بالفرنسية ٣١٤/١.

(٣) -الخزانة ٢٨٩/١ - ٢٩٠.

(٤) - طبقات فحول الشعراء ٥٤٠.

٢ - كنيته، اولاده، زواجه: اول المصادر التي ذكرت كنيته هو كتاب كنى الشعراء وجاء فيه «الاحوص بن محمد: ابو عاصم[١]» ووافقه في ذلك عدد لا يستهان به من المتأخرين عنه[٢]. وجاء في كتاب الكامل ضمن احد اخباره انه «ابو محمد»[٣] وقال صاحب الاغاني - وأخذ عنه الكتبي - نقلاً عن الزبير «كنية الاحوص: ابو محمد[٤]».

واضاف ابو الفرج في خبره «ولم يبق له من ولده غير رجلين[٥]» وجاء عند ابن حزم : «وبباجة: آل حفص بن أحمد بن عمار بن جبير بن يوسف بن ثعلبة بن يزيد بن ثعلبة بن أوس بن عبدالله بن محمد بن عاصم[٦]» وعبدالله بن محمد هو الاحوص نفسه.

ولعل اوس المذكور في خبر ابن حزم هو احد الرجلين اللذين ذكرهما ابو الفرج اما الثاني فهو غير معروف على وجه التحديد ويستفاد من نص الاغاني انه كان للاحوص عدة من الاولاد ذكورا واناثا ولعل من هؤلاء عاصماً ومحمداً وربما غيرهما وتوفي بعضهم وهو في سن مبكرة ولم يبق منهم غير اثنين رجلين احدهما أوس.

واغلب الاعتقاد ان يكون الاحوص قد تزوج غير امرأة واحدة فقد ذكر ابو الفرج خبره مع مطر - وسنعرض له فيما بعد - بسندٍ يعود الى «ابي عبدالله بن سعد الانصاري» ونقل في نهاية الخبر عن الزبير قوله ان «ابا عبدالله بن سعد» الذي حدث بهذا الحديث أمه بنت الاحوص وأمها التميمية اخت زوجة مطر «واضاف في نفس الخبر

---

(١) - كنى الشعراء ٢/٢٩٠.
(٢) - تاريخ الاسلام ٩١/٤ شرح الشواهد الكبرى ١٠٨/١ المزهر ٤٢٥/٢ شرح شواهد المغني ٢٦١ سمط اللآلي ٧٣/١ وقال الذهبي في تاريخه والسيوطي في شرحه «وقيل ابو عثمان» ولم يرد ذكر ذلك عند غيرهما مما وصلنا.
(٣) - الكامل ٢٦٢/٢.
(٤) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤. عيون التواريخ ١٦٦/٥.
(٥) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤.
(٦) - جمهرة انساب العرب ٣٣٣.

بسند يعود الى حماد » ان امرأة الاحوص التي تزوجها هي احدى بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم » ولم يذكر اسمها كما تجاهل ذكر هذا الاسم غيره من المؤلفين(١).

ومن هذا الخبر نعلم ان للأحوص بنتاً واحدة على الاقل من زوجته التميمية واغلب الاعتقاد ان لا تكون التميمية أم الرجلين اللذين ذكرهما ابو الفرج وان يكون قد تزوج قبلها ولم تشر المصادر الى ذلك، لان قدوم الاحوص الى البصرة(٢) ونزوله على « عمرو بن عبيد(٣) » كان على ما يبدو في سن متأخرة فالجاحظ يصف قدومه الى البصرة بقوله « فجاء يتوكأ على عصا » واستند الجاحظ الى ذلك في جعله واحدا من العرجان(٤)، ثم ان فارق السن بينه وبين مضيفه عمرو بن عبيد يؤكد ان قدومه الى البصرة جاء متأخرا. وذكر ابو الفرج في خبر الاحوص مع مطر ان شاعرنا خطب الى رجل من بني تميم ابنته وذكر له نسبه فلم يزوجه اياها الا بعد ان جاءه بمن شهد امامه ان الاحوص هو ابن حمي الدَّبر(٥). وتتلازم كل هذه الوقائع لتؤكد الاعتقاد بزواجه من التميمية وهو على عتبة شيخوخته. ونكاد نجزم والحالة هذه ان يكون الاحوص قد تزوج في المدينة ولعل زوجته هذه توفيت عنه ولم ينس الاحوص ان يسجل وقائع مهمة من حياته في شعره اهملتها المصادر فيما بعد..

وحفظ لنا كتاب الزهرة مقطوعة ثمينة من شعره تكاد تُنبىء عن واقع الاحوص بفقد عزيزة عليه بل بفقد زوجته يقول فيها:

نفـــى نومي وأسهرني غليــــلُ   وهمٌّ هـــاجـــه حزن طويـــلُ
وقـالوا قـد نحلـتَ وكنـتَ جلـدا   وأيسر مـا مُنيـت بـه النحولُ

---

(١) - الاغاني (ث) ٢٣٤/١٥ - ٢٣٥.
(٢) - طبقات فحول الشعراء ٣١٢ البرصان والعرجان والعميان والحولان ١٢٧.
(٣) - من شيوخ المعتزلة توفي بمران سنة ١٤٤ هـ. رثاه المنصور ولم يُسمع بخليفة رثا احدا سواه.
(٤) - البرصان ١٢٧.
(٥) - الاغاني (ث) ٢٣٤/١٥.

فـإن يكن العويـــل يرد شيئـــا	فقــد أعولــت ان نفــع العويــلُ
وكــانــت لا يــلائمهــا مبيــتٌ	عليهـــا ان عتبـــتُ ولا مقيـــلُ

الى ان يقول:

فصـــبرا للحوادث كـــل حي	سبيــل الهــالكين له سبيــلُ[1]

ولمن يقول الشاعر رثاءً كهذا غير زوجته؟. وقد ورد في احد نصوص ابن عبد ربه في سياق سرده لاحدى القصص الموضوعة على الاحوص قوله: «وام سعيد كانت للاحوص بالمدينة[2]» وهذه الجملة جاءت اعتراضية مضافة من معلومات خاصة بصاحب العقد، ولم ترد عند غيره ممن نقل القصة التي سنتناولها فيما بعد ومن جهة اخرى نجد في شعر الاحوص كثيرا من الاشعار الغزلية باسماء قريبة من الاسم المذكور منها سعدى وسعاد وسعدية ولعل اسم زوجة الاحوص الاولى التي خلَّفت له الرجلين كان واحدا من هذه الاسماء واغلب الظن انها كانت تُسمَّى سعدى لكثرة تردد هذا الاسم في شعر الاحوص الغزلي وغيره.

٣ - **لقبه وبعض صفاته**: غلب على الاحوص لقبه حتى ان كل المصادر ذكرته به ولم تذكره باسمه الا قليلا منها مما جعل ابا فراس الحلبي يقول «ولم يذكر له احد اسما فكان لقبه اسمه[3]» «ولُقِّب الاحوص «لحوص كان في عينيه[4]» وقد اختلف علماء اللغة في تحديد معنى الحوص فقال بعضهم «الحوص: ضيق في مؤخر العين[5]» واخذ الازهري على الليث قوله: «الحوص: ضيق في مؤخر احدى العينين دون الاخرى» وردَّ عليه بقوله «الحوص عند جميعهم ضيق في العينين

---

(١) - الزهرة ٣٠٦.
(٢) - العقد الفريد ٤/٤٥٦.
(٣) - المفضل بهامش المفصل ص٣٣.
(٤) - الاغاني (د) ٤/٢٣٤. عيون التواريخ ٥/١٦٦ فوات الوفيات ٢/٢١٨.
(٥) - اللسان والقاموس المحيط مادة حوص.

معا [1] «وقال بعض المتأخرين «الحوص ضيق في مؤخر العينين[2]».

وكان الاحوص «احمر كأنه وحرة»[3]، والوحرة يعسوب احمر ينزل الانبار وكان «قصيرا دميما»[4] ونحيفا[5] وقد اعترف الاحوص بنحافته في قوله:

وقالوا قد نحلتَ وكنت جلدا وايسر ما منيت به النحولُ

وعيّر عبد الملك بن مروان اهل المدينة في خطابه لهم بمخنثهم الاحوص[6].

وساق ابو الفرج ببيتين من الشعر ونسبهما للاحوص في هجائه لنفسه وهما:

اقبحْ به من واحدٍ واشقحِ مثل جري الكلب لم يفقحِ
إنْ يَر سوءا لم يُقمْ فينبحِ بالباب عند خلقهِ المستقْبَحِ[7]

ولم يرد هذان البيتان الا عند الجاحظ في كتابه الحيوان[8] وقال إنهما لابي الاحوص[9] يهجو بهما ابناً له. فاختلط الامر - حسب ما هو ظاهر - على ابي الفرج فنسبهما للاحوص واقتفى اثره في ذلك كل من محقِقَيْ شعر الاحوص دون اعطاء الاهمية اللازمة لنص الجاحظ في كتاب الحيوان وهو سابق لأبي الفرج زمانا. وكان الجاحظ قد ذكر الأحوص في العرجان لقدومه الى البصرة متوكئاً على العصا ولم يذكر له

(١) - تهذيب اللغة ١٦١/٥.
(٢) - شرح الشواهد الكبرى ١٠٨/١ شرح شواهد المغنى ٢٦١ الخزانة ٢٣٢/١.
(٣) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤.
(٤) - اخبار القضاة ١٣٧/١.
(٥) - العقد الفريد ١١٠/٥ اخبار النساء ٩٨.
(٦) - الاغاني (د) ٢٥٤/٤.
(٧) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤.
(٨) - الحيوان ٢٥٤/١.
(٩) - ابو الاحوص الشاعر هو من معاصري الدولة العباسية وقد ذكر الجاحظ في كتابه البخلاء ص٤٥ ولعله كان ملقباً بالعنبري (وهو محمد بن عبد الله الانصاري اخبار القضاة ١٥٨/٢).

صفة أخرى ولم يشر من بعيد أو من قريب الى البيتين السابقين وهو الوحيد الذي ذكرهما قبل أبي الفرج ولم يذكرهما أي مصدر آخر.

مراحل حياته:

١ - مولده:

اكتنف الضياع حياة الاحوص ولفّ كتب اخبار حياته بوشاحه القاتم، وفي غماره المظلمة يفاجئنا الاصمعي في كتابه فحولة الشعراء بجملة فريدة يذكر فيها الاحزص قائلا: «والاحوص مولد نبت بقباء حتى هرم[١]» وقد اثبتها محقق الكتاب «توري» دون اي تعليق. هذه العبارة مطلعها باطل مردود. فالاحوص - كما شبق وذكرت - عربي أصيل أباً وأجداداً بإجماع كل المصادر سابقها ولاحقها وأغلب الظن أن يكون هذا الخطأ من عمل النساخ أو من عمل الرواة، فالأحوص أشهر من أن يخطئه الأصمعي والأصمعي أرفع من أن يُوضع في موضع الحرج. فلعل أصل العبارة: «الأحوص وُلد ونبت بقباء حتى هرم» فحُرِّفت بفعل النسخ أو الرواية حتى وصلتنا بالنص الذي أثبته المحقق.

وتاريخ مولد الاحوص مجهول وهو في ذلك لا يختلف عن غيره من الاعلام ممن ترجمت لهم المصادر والكتب العربية. اذ كانوا لا يهتمون بولادة احد من الناس سوى بعض ابناء الخلفاء والامراء ومن كانوا في مركز يجعل منهم موضع اهتمام المترجِمين. واذا اشتهر احد من العامة وصار له ذكر وشأن ذكرت المصادر في احيان كثيرة سنة وفاته ولكن مصادرنا اغفلت ذكر سنة وفاة الاحوص ايضا كما اغفلت ذكر سنة ولادته واخبار نشأته الاولى. ولم يصلنا من اخباره الا ما اتصل منها بخلفاء بني أمية - ولا سيما المتأخرون منهم - وما وقع بينه وبين بعض أصحاب الجاه من القرشيين والأنصار وما تعلق من هذه الأخبار

(١) - فحولة الشعراء ص٢٠.

بالمغنين المشهورين وبعض المغامرات العاطفية مع مَنْ أستهن المصادر ذوات الأخطار وجملة من الأخبار التي تلقي بعض الضوء على جوانب من شخصية الأحوص.

عاش شاعرنا حياته بجملها في الثلثين الاخيرين من القرن الاول الهجري وعاصر الدولة الاموية منذ نشأتها وعايش فترات تطورها من التفكك والضعف بعد معاوية بن ابي سفيان الى القوة والتوسع في ايام عبد الملك وابنه الوليد ومن تبعهما من الخلفاء الأمويين حتى أوائل القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة.

وسنحاول استقراء اخباره لتحديد الفترة الزمنية التي ولد فيها الاحوص تحديدا يطئمن له الباحث عن طريق الاستدلال العقلي والاستنتاج المنطقي من خلال نتف قصيرة وربما كلمات حفظتها لنا بعض مصادرنا.

وجلّ ما وصلنا في هذا المقام يمثل نصين ثمينين يمكن ان نستدل بهما على اتصال الاحوص بمعاوية بن ابي سفيان ووفوده عليه مع والده وربما مدحه بشعر لم يصلنا منه شيء. النص الاول أوصلنا به البغدادي في خزانته فقال في معرض تعليقه على نسبة بيت من الشعر يرد بذلك على العيني[1] الذي نسبه للاحوص: «زعم العيني ان قائله الاحوص وهو وهم انما قوله (اي قول الاحوص) نثر لا نظم. وهو انه لما وفد مع ابيه على معاوية خطب فوثب ابوه ليخطب فكفه وقال: يا اياك قد كفيتك[2]..»

وقال المسعودي في ذكره لاخبار يزيد بن معاوية «وفي يزيد وتجبره وانقيادالناس الى ملكه يقول الاحوص:

ملك تدين له الملوك مبارك   كادت لهيبته الجبال تزولُ

(١) - شرح الشواهد الكبرى (بهامش الخزانة) ٤/٢٣٢.

(٢) - الخزانة ١/٢٨٩ - ٢٩٠.

تُجبى لـه بلـخ ودجلـة كلهـا   ولـه الفرات ومـا سقى والنيـلُ

وقيل إن الاحوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه[١] ».

والمعروف ان يزيد بن معاوية لم يحمل هيبة تكاد تزول لها الجبال ولم تدن له الملوك ولم يكن مباركا من اكثر الناس ولم يكن مطاعا كأبيه معاوية،وفي عهده القصير الذي دام اقل من أربع سنوات (نصف رجب سنة ستين للهجرة - الرابع عشر من ربيع الاول سنة اربع وستين للهجرة) اشتعلت خلالها الثورات ضده من كل جانب ومنها ثورة الحسين بن علي (ع) سنة احدى وستين هجرية وثورة الحرة سنة ثلاث وستين وبعد فراغ قائده مسلم بن عقبة من اخماد ثورة الحرة توجه الى مكة في طلب ابن الزبير ولم يزل محاصرا لها حتى توفي يزيد في ربيع الاول سنة ٦٤ هـ[٢]. فكيف يمكن للاحوص ان يمدح يزيد ويذكر امتثال خراسان والعراق وغيرهما ليزيد وقد كانت الثورات في اكثر ارجاء الدولة الاموية، لذلك نرجح ان يكون الاحوص قد قال هذا الشعر في رثاء معاوية لان هذا القول يكاد يكون صدق في معاوية منه في ابنه يزيد وبمثل هذا قطع المستشرق نالينـو بجعله قول هذا الشعر في رثاء معاوية[٣].

وسواء أقيل هذان البيتان في رثاء معاوية ام كان قولهما في مدح ابنه يزيد فان خبر المسعودي جاء ليؤكد ما ذكره البغدادي الذي يعد متأخرا ولا شك ان صاحب الخزانة قد استقى خبره من مصدر قديم لم يصلنا وكان موجودا في عصر البغدادي.

واستنادا الى ما سبق يمكننا القول ان وفود الاحوص وابيه على معاوية بن ابي سفيان كان قبيل سنة ستين للهجرة وهي سنة وفاة

---

(١) - مروج الذهب ١٦/٣.

(٢) - العقد الفريد ٣٧٥/٤ - ٣٩٢.

(٣) - تاريخ الآداب العربية ١٣٠.

معاوية او في اوائلها. ويستدل من روعة الشعر الذي قاله الاحوص في رثاء معاوية او في مدح يزيد ابنه في حدود الزمن الذي ذكرته ان الاحوص كان وقتئذ قد نضج وامتلك ناصية الشعر بقبضة مطمئنة واثقة يواجه معها الخلفاء دون وجل ويزيدنا اعتقادا بذلك خبر البغدادي الذي نستنتج من خلاله ان شاعرنا كان حين وفوده مع والده على معاوية قد اخذ مكانته المعتبرة في مجتمعه وصارت له قيمته المعلومة لدى الخليفة واصبح يملك من الرجولة ما دفعه الى التقدم على ابيه في خطابه لمعاوية وكفايته اياه في ذلك.

واغلب الاعتقاد عندي ان يكون شاعرنا حينئذ في الخامسة والعشرين من عمره او انه كان في حدود هذا العمر واستنادا اليه يصبح الراجح عندي ان تكون ولادة الاحوص في السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة او قبلها بقليل او بعدها بقليل ايضا.

ولقد سبق بعض الباحثين في العصر الحديث الى اعتبار ان ولادة الاحوص كانت في السنة الخامسة والثلاثين بعد الهجرة[١] بينما ذهب محقق شعره الى جعلها في حوالي السنة الاربعين من الهجرة النبوية الشريفة[٢].

وقد نجد بين اصحاب المصادر من كان يتمثل بشعرٍ للاحوص ويستدل على قائله بمفاهيم لا تعبر تعبيرا صادقا وصحيحا عن واقع الزمن الذي عاصره الاحوص.

فالثعالبي يقول في التمثيل والمحاضرة: «ومن الابيات السائرة لبعض المخضرمين:

يا بيت عاتكة الذي أتعزَّلُ ... حذر العدا وبه الفؤادُ موكَّلُ

---

(١) - فؤاد ا. بستاني دائرة المعارف ٣٣٧/٧. عمر فروخ تاريخ الادب العربي ٦٣٧/١، الموسوعة الاسلامية بالفرنسية ٣١٤/١.

(٢) - شعر الاحوص الانصاري (جمال) ص٢٢.

اصبحت امنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميلُ[١]»

ثم يورد في مكان لاحق من الكتاب ذاته نفس الشعر وينسبه للاحوص(٢). ويقع الباحث ازاء ما تقدم في حيرة من امره لايجاد تعليل لهذا الوصف الذي الحقه الثعالبي بالاحوص فمفهوم المخضرم حسب ما هو معروف لدينا يطلق على من عاش قسما من حياته في الجاهلية وادرك الاسلام وعايشه في بقيتها. واغلب الاعتقاد ان يكون تفسير ما ورد عند الثعالبي قد يتأتى في واحد من وجهين: اولهما ان الثعالبي لم يكن يعرف بصورة واضحة حدود حياة الاحوص مبتدئها ومنتهاها وثانيهما ان تكون كلمة مخضرم تعني لدى الثعالبيت مدلولا يختلف عن مفهومها لدينا هذا في حال افتراضنا ان الوجه الاول لا ينطبق على الثعالبي وهو المعروف بسعة اطلاعه ووفرة ادراكه وكثرة علمه مع الاخذ بعين الاعتبار كونه اعتمد في سرده لبعض الاخبار القليلة التي تناول فيها الاحوص على كتاب الاغاني بصورة رئيسية.

اما اذا افترضنا ان كلا الوجهين الاولين باطل فيمكننا في هذه الحالة ان نعيد وقع هذا الخطأ الى عمل النساخ في عصور متأخرة.

وورد في «الاشباه والنظائر» بيت من الشعر لقيس بن ذريح وأُلحق هذا البيت بتعليق جاء فيه «وقد اخذه بعض المحدثين فقال:

قالت، وقلت: تحرجي وصلي حبل امرىء بغرامكم صبِ.. الخ[٣]»

وهذا الشعر للأحوص ولا خلاف في نسبته له. ولربما يمكننا أن نعزو عدم نسبة الأبيات الى جهل من كتب العبارة بصاحب الأبيات وهو الأمر الذي جعله يظن أن قائلها نشأ بعد القرن الأول الذي عاش فيه قيس بن ذريح، فنُسب الأبيات الى بعض المحدثين، وليس الأحوص

---

(١) - التمثيل والمحاضرة ٦٨.

(٢) - التمثيل والمحاضرة ٢١٢.

(٣) - الاشباه والنظائر ٢٧/١.

منهم فمكانة الأحوص لدى علماء اللغة معروفة وقد استشهد بشعره كبار أئمة اللغة والنحو أمثال سيبويه وغيره ولا تستشهد العلماء بشعر المحدثين. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد ينطبق بعض ما بيَّناه في تعليل قول الثعالبي على أحد مصنفي الكتاب أو عليهما معا.

٢ - نشأته الاولى:

ولد الأحوص بقباء[١] وهي قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد الى مكة، وكانت فيها مساكن بني عمرو بن عوف، وهم رهط الأحوص، وفيها نشأ وعلى مسرحها دارت فصول عديدة من حياة الأحوص[٢] ومنها انطلقت فصول أخرى واليها كانت تعود[٣]. وكانت قباء محط أنظار القاصدين الى الأحوص واليها كانت تنتهي طريق الزائرين له[٤] وقد ذكرها في بعض أشعاره فقال:

ألَّمت بعَشْرٍ من قباء تزورنا وأنَّى قباء للمزاور من عَشْرِ

و «لم يدخل الاحوص بادية قط»[٥] بل قضى طفولته ومن ثم شبابه في المدينة وغُذِّي بماء العقيق[٦] والعقيق منتزه اهل المدينة ووادي لهوهم[٧] وهو يبعد عن المدينة نحو ميلين او ثلاثة من الجهة الجنوبية الغربية[٨] تنحدر اليه السيول من الجبال[٩] فكان العقيق كثير النبت والشجر ومنتدى الناس ومتصيدا[١٠] وكان العقيق احد المنتزهات التي ينشد

(١) - فحوله الشعراء ٢٠.
(٢) - الاغاني (د) ٢٤١/٤.
(٣) - الاغاني (د) ٢٩٥/١ و٢٥١/٤.
(٤) - الاغاني (د) ٤١٤/٤.
(٥) - و(٦) - التنبيه على أوهام القالي ١٨٧/١.
(٧) - الاغاني (ب) ١٧٢/٢.
(٨) - معجم البلدان العقيق.
(٩) - الاغاني (ب) ١٧٢/٢.
(١٠)- معجم البكري البقيع.

فيها الغناء[١] وكانت تقام فيه ندوات خاصة للشعر[٢] وكانت شريفات ذلك العصر يقصدن العقيق ليمرحن وليأخذن قسطهن من اللهو[٣]، بينما كان ينزوي بعض زوار العقيق تحت نخيلة ليشرب ويعبث بعيدا عن أعين الناس[٤] ، وكان شاعرنا من رواد هذا المنتزه الجميل، ولربما قضى اوقاتا طويلة على ضفاف مائه الجاري وبين رياضه المعشبة الانيقة وانتقل بين جنائنه الغناء التي «سفّه اعالي اشجارها مر الرياح النواسم»[٥] وانخرط في حلقات اللهو والعبث والمرح التي كانت تقام بين نخيلاته واستمتع بحسن غناء المغنين بين جنباته واستمع الى ما تنتجه قرائح الشعراء في مجالس العقيق الادبية وشارك فيها وحفظ لنا كتاب الأغاني نصا ثمينا يرسم لنا صورة زاهية الألوان تبيِّن متانة العلاقة بين شخصية شاعرنا ومرحه مع غيره من الشعراء من جهة ومكانة العقيق وتأثيره العميق في نفوس قاصديه من جهة ثانية فكانوا يتزينون باحسن ما يقدرون عليه حتى يخيل للقارىء انه كانت للعقيق جلالة تفوق جلالة الملك وله سحر وبهجة لا تماثله فيها الأعراس. فكان النصيب وكثير والاحوص يقصدون الى العقيق ليمتعوا فيه ابصارهم فيركبون افضل ما يقدرون عليه من الدواب ويلبسون احسن ما يقدرون عليه من الثياب ثم يتنكرون حتى اذا اتوا العقيق جعلوا يتصفحون ويرون ما يشتهون ويستمتعون في جلسات سمر وغناء مع نساء بـرزات[٦].

وكان الاحوص يتخذ العقيق منتزه لهوه ومرحه في فتوته ومسرح عبثه وملتقى مغامراته العاطفية في شبابه ونراه يخاطب عقيلة قائلا:

---

(١) - عمر بن ابي ربيعة ١/٥٧.
(٢) - عمر بن ابي ربيعة ١/٩٥.
(٣) - الاغاني (ب) ١٤/١٧٢.
(٤) - الاغاني (ب) ٧/١٢٠ و١٤/٧٩.
(٥) - عمر بن ابي ربيعة ١/٩٧.
(٦) - الاغاني (د) ١/٣٥٦.

هل تـذكرين عقيـلُ أو أنساكـهِ بعـدي تقلُّـب ذا الزمـانِ المفسدِ
يومي ويومـك بـالعقيـق إذ الهوى منــا جميــع الشمــل لم يتبــدَّدِ

ولا نستبعد ان يكون للعقيق تأثير عميق في بناء شخصية الاحوص وللندوات الادبية والغنائية التي كانت تحفل بها جنبات العقيق شأن بعيد في تنمية موهبته الشعرية وطبعها بالوان رقيقة صافية جعلته شاعر الغناء الاول في المدينة حتى اصبحت سمة الرقة والصفاء في الشعر تضاف الى من غذى بماء العقيق الدافقة(١).

ولم تزودنا المصادر بما يشفي غليل المتعطش لمعرفة المزيد من اخبار نشأة الأحوص الأولى، فليس فيها ما يِوضح لنا بعض خصوصيات البيت الذي عاش فيه فقيرا كان او غنيا ولم تذكر المصادر اباه الا لماما. واخبار سنوات صباه وشبابه المبكر تكاد تكون مجهولة تماما فلسنا نعلم من هم شيوخه الذين تلقى عنهم. وقصارى ما وصل الينا لا يقدم لنا صورة واضحة عن زملاء شبابه سوى ما وردنا من الأخبار التي تدل على اتصاله ببعض الشعراء من معاصريه امثال النصيب وكثير والعرجي وعمر بن ابي ربيعة واختلافه الى دور بعض المغنيات مثيلات جميلة وفتياتها وصحبته لمعبد المغني وابن سريج وابن صياد النجاري وغيرهم من اعلام الظرف والغناء في عصره.

ولنا في اصحابه هؤلاء بعض العزاء في محاولتنا استنباط بعض جوانب حياة الاحوص وبعض حقائق شخصيته التي طُبع بها ولازمته في المدينة وحيث حطّت به الرحال خارج المدينة.

موقفه من الحكم:

تكاد تكون ظواهر حياة شعراء الغزل الحجازيين في العصر الاموي

---

(١) - العقد الفريد ٦/٣٣.

واحدة لا تختلف إلا في بعض الأصول والجزئيات. فكانوا يعيشون في ظروف حياتية صعبة ويعانون ضغوطا سياسية قاسية ويحسون فراغا اليما جعلهم يتطلعون لملئه بضروب من العيش طابعها اللهو والعبث وقد امتلأت ايديهم بعطاء وافر اجراه عليهم الخلفاء دون حساب لمنعهم من التطلع الى مركز الخلافة والطمع به وقد ربط طه حسين بين نشأة الغزل الاباحي في الحجاز وبين الحجر السياسي الذي فرض على ابناء المهاجرين والانصار في تلك المنطقة من الدولة الاسلامية في الوقت الذي انتقل فيه مركز الخلافة الى دمشق وأصبحت الشام مسرح السياسة ومجتمعها واصبحت العراق مرتكز المعارضة وموطنها. فانصرفت الحجاز او كادت تنصرف عن الاشتراك في الحياة العامة وفرغت للحياة الخاصة فإنطوت على نفسها وأحسّت شيئا من اليأس والحزن غير قليل فهي مهد الاسلام وفيها نشأت الخلافة ثم هي تجد الامويين قد جردوها من كل فضل واساؤوا الظن بها واخذوا اهلها بحكم لا يخلو من القسوة والعنف[1]. والى جانب اليأس الذي طبع حياة معظم ابناء المهاجرين والانصار كان هؤلاء على جانب من الثراء عظيم وكان الخلفاء صانعونهم ويدرّون عليهم الاموال الطـائلة ويحتجزونهم في الحجاز بحيث لا يتعدونها الى مكان آخر يحدثون فتنة فيه[2]. وقد بلغ غنى بعضهم حدّاً يصعب تصوره فالعرجي مثلا أنفق ما كفى الناس المجاعة في إحدى السنوات وصرف من ماله الخاص ما كفى لتهيئة جيش بأسره[3].

واندفع وافرو المال حاملين يأسهم نحو اللهو والعبث وتوغل بعضهم في المجون واكثروا من الاختلاف الى مجالس الغناء والشراب والاسراف في المرح حتى اصبح بعضهم حجة لفتيان المدينة على اهلهم اذا نهوهم

(١) - حديث الاربعاء ١٩١ وما يليها.
(٢) - عمر بن ابي ربيعة ١/٢٧ - ٢٨.
(٣) - الاغاني (ب) ١/١٥٤ و١/١٥٧.

عن الملاهي تمثلوا ببعض ذوي الجاه ممن يحضرها ويتخذها[١].

وكان شاعرنا يعاني من كل هذه الأمور ويعيش في نفس الظروف القاسية وإنْ كان يماني النسبة فقد اشتد اتصاله بالمضرية عامة وقريش خاصة ولكنه مع ذلك كانت له ظروف تختلف في بعض الوجوه عن الظروف التي عاشها قرناؤه جعلته يتميز عنهم في مواقف كثيرة فهو قبل كل شيء أنصاري مدني وليس قرشيا ولا مكيا وإن كانت جنسيته اليمانية لم تَطْفُ على سطح أشعاره فقد كانت تسري في بواطن ما قاله من الأشعار للخلفاء ولمن عاصرهم من المحيطين به. فلم يكن الأحوص يستطيع الافتخار بقرابته للخلفاء كما فعل شعراء قريش ولم يكن الخلفاء بحاجة الى مصانعته لقرابة تربطهم به أو لمكانة كانت له، فكان في هذه الحالة مضطرا الى يأس مظلم شديد الظلام دون أية بارقة من أمل بإشراف جديد إذ كان الحكم الأموي يكره الأنصار ويفتنُّ في ظلمهم والقسوة عليهم وكان الأمويون لا يتورعون عن استئجار الشعراء لهجائهم كما فعل يزيد بن معاوية حين طلب الى الأخطل أن يقول في هجائهم فأنشد:

ذهبت قريش بالمكارم كلها　　　واللؤم تحت عمائم الانصار

واحتجت الانصار مستنكرة هذا القول وردَّ النعمان بن بشير مشهور في هذا المقام[٢]. الا ان هذا الهجاء كان يلاحق الاحوص بصفة خاصة فقال له رجل من بني مخزوم ليؤذيه: اتعرف الذي يقول: (ذهبت قريش....) فقال له الاحوص: لا ادري ولكني اعرف الذي يقول:

الناس كنّوه ابا حكم　　　والله كنّاه ابا جهلِ

ابقت رياسته لاسرته　　　لؤم الفروع ودقّة الاصلِ[٣]

---

(١) - العقد ٤/٤٥.

(٢) - العقد ٥/٣٢١.

(٣) - الكامل ١/١٧٨ والعقد ٤/٤٨.

وتعود مواقف اليمانية والانصار منهم بصفة خاصة من الخلافة الى وقائع مشهورة كثيرة منها اجتماع يوم السقيفة واقصاؤهم عن الامارة التي طالبوا بها في الاجتماع ومن ثم رفض مشورتهم وعدم اخذ رأيهم في الخليفة بعد عمر بن الخطاب مما جعلهم يميلون بأكثريتهم الى بني هاشم لان كلا الطرفين محروم من المشاركة في شؤون الخلافة. ولست أدّعي في ذلك ان الاحوص كان ممن أيّد الهاشميين ودافع عنهم في شعره فلم يكن لشاعرنا موقف واضح معلن من هذه المسألة ولم يرد في شعره الذي بين ايدينا ما يجعل لنا دالة على ذلك.

وكانت أوجع الضربات ألماً ما واجه به معاوية الأنصار من الكراهية وما استَنَّه للخلافة من اتجاه نحو القيصرية حين اخذ البيعة لابنه يزيد بالخلافة من بعده فنجد ان الانصار كانوا سبَّاقين للانقلاب على بني امية تحت راية عبد الله بن حنظلة الغسيل وهذا الاخير نسيب للاحوص فهو، الى جانب كونه من بني ضبيعة بن زيد، ابن خال الاحوص، ولكن بني امية اسرفوا في العنف بالانصار اسرافا شديدا وامر وقعة الحرَّة مشهور متداول.[1] واشتد الخلفاء وعمالهم على من بقي من الانصار في المدينة وكانوا يتخذون شرطتها من الأعراب الذين لا تربطهم باهلها اية صلة[2].ومن اخبار الظرفاء والشعراء والعمال الذين توالوا على المدينة نتأكد من ان حكام الشام كانوا يوغرون في نفوسهم كرها شديدا للانصار ويسرفون في اساءة الظن بهم ويأخذونهم في ضروب من العنف والاذلال لا تليق بمكانتهم في الاسلام فانصرف شبابهم عن السياسة الى اللهو او الى الفقه.

وكان الاحوص واحدا من الشبان الذين عاشوا هذه المآسي وعايشوا محنة المدينة وهو ممن نال قسما كبيرا من العذاب والهوان والتشهير على

---

(١) - العقد ٣٨٨/٤ - ٣٨٩. اليعقوبي ٢٥٠/٢ - ٢٥١

(٢) - حديث الاربعاء ٢٦٨.

يد عمال المدينة بامر من الخلفاء الامويين او دونه.

ولكن الاحوص كان من ناحية اخرى يصانع الخلفاء الامويين بمدحه لهم جريا وراء الكسب المادي ولم يكن مدحه اقتناعا منه بحقهم في الخلافة اذ لم يثبت لدينا من خلال ما وردنا من اشعاره انه خاض معركة الحكم السياسية ضد خصومه من العلويين والزبيريين وغيرهم بل نراه يحدد هدفه من مدح الخلفاء في قصائده جميعها معلنا حاجته المادية راجيا وفره العطاء دفعا لديونه وحاجاته وخير دليل على ذلك قوله في يزيد بن عبد الملك:

وما كان مالي طارفا من تجارة ... ولا كان ميراثا من المال متلدا
ولكن عطايا من امام مبارك ... ملَا الارض معروفا وجودا وسؤددا

وقوله في الوليد بن عبد الملك:

فدعها واخلف للخليفة مدحه ... تزل عنك بؤسى أو تفيدك انعما

وامر آخر دعاه الى مدح آخرين من الخلفاء والولاة الامويين هو قرابته بعبد العزيز بن مروان وابنيه عمر وابي بكر فقد كان عبد العزيز قد تزوج ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وعاصم بن عمر هو ابن جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت جد الأحوص(١). وكان شاعرنا يصرح بهذه القرابة ويعتز بها في مدحه هؤلاء ويغتنمها حجة لطلب المال والعطاء فقال في عبد العزيز بن مروان:

اني وجدِّكِ يدعوني لارضهم ... قرب الاواصر والرفد الذي رفدوا

وقال في عمر بن عبد العزيز:

فقلت انِ ابا حفص تداركني ... منه نوال كفاني الدَّيْنَ والسفرا

ولكنه اصبح يلوم هذه القرابة ويعرِّض بها حين نُفي الى دهلك وجفاه عمر بن عبد العزيز ولم يعره اذنا صاغية في استعطافه له فقال:

وكيف ترى للنوم طعما ولذة ... وخالك امسى موثقا بالحبائل

---

(١) - امالي المرتضى ٢/٦٢ سيرة عمر بن عبدالعزيز ٥ اعلام الناس ٥٠ وغيرها كثير.

وصار يدين هذه القرابة ويتنكر لها بعد ان اطال عمر جفاءه فقال:

وكنا ذوي قربى لديك فاصبحت قرابتنا ثديا اجدّ مصرّما.

ولم ينس الاحوص ان يسجل سخطه واستنكاره لاعمال بعض الخلفاء الذين اشتدوا في القسوة عليه بما يشبه اللّوم ويقارب الهجاء فقال في سليمان بن عبد الملك:

سليمان اذولاك ربك حكمنا وسلطاتنا فاحكم اذا قلت واعدل

وعرف الاحوص نوعا من الرخاء ووفرة المال في ايام يزيد بن عبد الملك وكان يجمع بينهما سوء عمل ابن حزم تجاههما[١]. فحاول الأحوص أن يميل الى مقارعة أعداء يزيد السياسيين من آل المهلب، فانقلب عليه ذلك ضربا وتشهيرا في شيخوخته دون أن يلتفت الى إهانته الخليفة بل أغضى الخليفة على ما أصاب الأحوص من جراء هجائه لآل المهلب[٢].

٤ - علاقته ببعض القرشيين في عصره:

لم تكن حادثة المخزومي الذي عرَّض بالاحوص لكونه من الانصار تمثل كل ما نال الاحوص من القرشيين بل أصابته منهم ضروب مختلفة من الشتم والتهديد والاحتقار فنرى الفضل بن العباس بن ابي لهب يحاول ان ينال من شاعريه الاحوص فيجيبه الشاعر بشعر يهجوه فيه ويذكر ما ورد في القرآن الكريم بشأن جدته حمالة الحطب قائلا:

ما ذات حبل يراها الناس كلهم وسط الجحيم ولا تخفى على احدِ

ترى حبال جميع الناس ومن شعر وحبلها وسط اهل النار من مسدِ

فهب الفضل مدافعا منافحا مفتخرا بنسبه في قريش.[٣]

واتُّهِمَ سعدُ بن مصعب الزبيري بامرأة في ليلة مناحة وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الاحوص يمازجه :

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٢/٤ - ٢٥٣.

(٢) - طبقات فحول الشعراء ٥٤٢ - ٥٤٣ الاغاني (د) ٢٥٥/٤ - ٢٥٦.

(٣) - نسب قريش ٨٩ الاغاني (ث) ١٢٠/١٦ ثمار القلوب ٢٤١.

وليس بسعد النار من تزعمونه ولكن سعد النار سعد بن مصعبِ
الم ترَ أن القوم ليلة جمعهم بغوهُ فالفوه لدى شرّ مركبِ
فما يبتغي بالشر لا درَّ درُّه وفي بيته مثل الغزال المربَّبِ

فامر سعد بن مصعب بسفرة وقال للاحوص: اذهب بنا الى سد عبيدالله بن عمر نتغد عليه ونشرب من مائه ونستنقع فيه فلما صارا الى الماء امر به فأوثق واراد ضربة فقال له الاحوص: دعني والله لا اهجو زبيريا ابدا.فحلّه[1]...وفي خبر آخر رواه الزبير واخذه عنه ابو الفرج ذُكر ان محمد بن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير خرج مع جماعة من آل الزبير الى العمرة حتى اذا كانوا قريبا من قُدَيْد لحقهم الاحوص على جمل برحل فذكر أُنسه بهم فقال له محمد بن عباد: «ولكنا والله ما غبطنا انفسنا بك ولا نحب مسايرتك فتقدَّمْ عنا او تأخر». فقال الاحوص: «والله ما رأيت كاليوم جوابا» قال: هو ذاك. فتقدم عنه الاحوص فلما هبط القوم «المُشَلّل» على «خيمتي ام معبد» سمع احدهم الاحوص يقول «خيمتي ام معبد» «محمد» كأنه يهيء القوافي فأخبر محمد بن عباد بذلك وطلب منه ان يدعهم فيعتذروا له ويرضوه أو يخلي بينهم وبينه فيضربوه لان المكان خالٍ ومناسب لضربه. فقال لهم محمد بن عباد: «كلا، ان سعد بن مصعب قد اخذ عليه ان لا يهجو زبيريا أبداً»[2].

ونقل ابو الفرج خبرا مشابها لسابقه اسنده الى الحرمي أو الطوسي عن الزبير ومفاده ان الاحوص مر بعباد بن حمزة (والد محمد) ومحمد بن مصعب بخيمتي ام معبد وهما يريدان الحج وكان الاحوص راجعا من عند يزيد بن عبد الملك وهو على نجيب فاره ورحل فاخر وبزّة مرتفعة. فحدثهما انه قدم على يزيد فأجازه وكساه واخدمه. فلم يرهما يهشان لذلك فجعل يقول: «خيمتي ام معبد» «عباد» «محمد» كأنه يروّض

(١) - الكامل ٢/٢٦٣ الاغاني (د) ٤/٢٤٤ ثمار القلوب ٤٦٨.
(٢) - جمهرة نسب قريش ٧٢ - ٧٣ الاغاني (د) ٤/٢٤٣.

القوافي للشعر يريد قوله. فقال له محمد بن مصعب: اني اراك في تهيئة شعر وقواف واراك تريد ان تهجونا كل مملوك لي حرّ لئن هجوتنا بشيء ان لم اضربك بالسيف مجتهدا على نفسك. فقال الاحوص: جعلني الله فداك. إني أخاف أن تُسمع هذا فيّ عدّواً فيقول شعراً يهجوكما به فينحلنيه وأنا أبرئكما الساعة كل مملوك لي حرّ إن هجوتكما ببيت شعر أبداً[1]

ووجه الشبه بين الخبرين قائم فمكان الحادثة في كليهما «خيمتي ام معبد» وتهيئة القوافي في الخبرين جاءت بالفاظ متشابهة وان زِيْدَ عليها اسم «عباد» فذلك عائد لكون عباد موضوع الخبر الثاني ونلاحظ نفور كلمة «عباد» عن مثيلاتها «خيمتي ام معبد» و «محمد». وفي الخبر الاول نجد القوم جادين في طلب العمرة وفي الثاني نجدهم راحلين في واجب الحج ثم ان القوم في كلا الخبرين من آل الزبير واكثر من ذلك نجد محمد بن عباد بن حمزة في الخبر الاول وعباد بن حمزة نفسه في الثاني ويقول أبو الفرج في خبره الأخير إن الأحوص كان وقتئذ عائداً من مقام يزيد بن عبد الملك غانما مجازا مكرما مخدوما فاذا كان اتصال الاحوص بعباد بن حمزة في اواخر ايامه بعد زمن من بداية ولاية يزيد فكيف يمكن ان يكون له لقاء بنفس المواصفات مع ابنه محمد؟ واذا كان الاحوص عائدا من الشام الى المدينة فكيف يلتقي مع جماعة يقصدون الحج من المدينة الى مكة؟ ثم ان الخبر الاول نقله ابو الفرج عن الزبير بن بكار بنفس السند الذي اورده الزبير في كتابه واسند الاصبهاني الاخير الى الزبير عن بعض اصحابه وواضح في ذلك انقطاع السند وهذا ما يشكل مصدر شك بحد ذاته ومن ثم لو كان الزبير يعلم فعلا هذا الخبر لاورده في كتابه دون اي تأخير.

وسواء صحَّ خبر الاغاني الاخير أم لم يثبت فان الاحوص قد لقي

(١) - الاغاني (د) ٤/٢٤٢.

من الهوان والإحتقار والازدراء ما لم يلقَه احد غيره وهذا دليل على ازدراء المضريين عامة والقرشيين خاصة لكل من كان ينتسب الى اليمانية ومرجع هذا الاحتقار يعود الى العامل السياسي فالسياسة حسب ما يبدو كانت تشكل المورد الاساسي في صبغ الاحوص بما عرف عنه من الطباع والاخلاق والصفات.

٥ - علاقته بقومه:

انعكست علاقة الاحوص بالحكم الاموي وتصرفات بعض القرشيين معه وقسوة الظروف عليه وعلى الانصار، انعكست كل هذه الامور على علاقات الاحوص بمن حوله من قومه. من هذه الزاوية يمكننا ان نفهم ما وصف به الاحوص من شدة الكبرياء والزهو على الناس والازدراء لهم جميعا فاخذ يهجو كل من حوله ويسرف في هجائهم حتى قيل انه اوسع قومه هجاء فملأهم شرا فلم يبقَ له فيهم صديق[١].

هجا الاحوص قومه الانصار لانه كان يكره فيهم الاذعان والخضوع وحقد على قريش لما فيهم من سلطان وجبروت وسرعان ما اشتد تأثير ذلك في نفسه فاصبح سفيها سبابا يهجو حبا بالهجاء حتى انه اعان فتى من بني جحجبى ولم يكن قد بقي له صديق غيره يقوم بحوائجه وينهض في جهازه حين اراد الخروج الى يزيد بن عبد الملك. وكان الاحوص يود بكل جوارحه ان يبيد قُباء عن بكرة ابيها بحرب طاحنة لو استطاع الى ذلك سبيلا[٢].

ومن حوادثه المشهورة في هذا المقام هجاؤه لمعن بن حُمَيْد الانصاري احد بني عمرو بن عوف بن جحجبى[٣] فقال له:

(١) - الاغاني (د) ٢٤٠/٤.
(٢) - الاغاني (د) ٢٤١/٤.
(٣) - الاغاني (د) ٢٤١/٤.

رأيتــــك مَزْهُوّا كـــأن ابـــاكم صُهَيْبَة أمسى خير عوف مركّبا
عليك أدنى الخطب إن أنت نلته وأقصِرْ فلا يذهب بك التيهُ مذهبا

وان كان ابو الفرج لم يذكر سبب هذا الهجاء فان مضمون القول يكاد ينضح بما هو كائن قبله ويكاد يوضح لسبب في هذا القول فالاحوص ينكر على معن بن حُمَيْد زهوه عليه حتى يخيل لمن يراه انه ابن امير او ابن رجل له شأن كبير وخطر عظيم ولكن الاحوص لم يدع له الفرصة لذلك فتحداه ان ينال اية مكرمة له ولقومه وعاد ليؤكد قصر باع المهجوّ في هذا الامر ويستنكر ذهاب التيه به هذا المذهب والانصار كلهم غارقون في خشوع مميت لدولة بني امية ولعمالها القساة.

وينكر الاحوص خبث البعض من رجال قومه ويسجل ذلك في اشعاره فيقول لمجمع بن يزيد بن حارثة:

وجُمِّعْتَ من اشياء شتى خبيثة فسُمِّيت لما جئت منها مجمّعا

وذكر ابو الفرج ان مجمعا قد سبّه وشتمه بعد ان سمع هجاءه له وعيّره بخالاته السواحر[1].

وهجا الأحوص ابن بشير الانصاري احد بني حرام وكان هذا الأخير مُكْثِراً[2]. ولعل الشعر الذي هجاه به قوله:

وشرُّ (الحزامين) ذو السنّ منهم وخير (الحزاميين) يَعْدُلُهُ الكلبُ..
فإن جئْت شيخا من (حزام) جَدْتَهُ من النَّوك والتقصير ليس له قلبُ
فلو سبَّني عون إذاً لسببتُه بشعري أو بعض الأولى جدُّهم كعبُ
أولئك أكفاء لبيتي بيوتهم ولا تستوي الأعلات والأقدح القُطْبُ

وذكر ابو الفــرج هذه الابيات في مقام هجاء الاحوص لابن حزم ناقلا عن الزبير العبارة التالية: ومما ضُرب فيه قوله...[3] ». وفي اعتقادي أن

(١) - الاغاني (د) ٢٤٥/٤ (وقال ابو الفرج: مجمع بن زيد بن جارية).
(٢) - الاغاني (د) ٢٦٣/٤ العمدة ٣٨/١.
(٣) - الاغاني (د) ٢٤٠/٤.

كلمة «الخزاميين» محرَّفة من كلمة «الحراميين» و«حزام» محرّفة من «حرام» لأن «بني حزام» بطن قائم بذاته ينتسبون الى حكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى[1]، وليس للأحوص معهم أخبار ولا اتصال بينه وبينهم ولا يمكن للأحوص أن يهجو ابن حزم ويأتي بكلمة «حزاميين» بدل «حزميين» لأن في قوله هذا تعرُّض لجماعة عن الناس تختلف عمَّن أراد في الأصل. ثم إن ظاهر القول يدل على أن الخلاف بينه وبين من يهجوه شخصيٌّ حرَّكته الشتيمة ولم يكن بين الأحوص وابن حزم موضوع شتائم بل كانت بينهما خصومة سياسية تعود الى القسوة التي عامل بها والي المدينة الأحوص ولم يرد في شعر الأحوص الذي يهجو فيه ابن حزم مثل هذه المعاني التي تحمل الشتائم في ثناياها والتعبير بضِعة النسب ودقّة الأصل في مضامينها.

بعد هذا التعليل يمكننا أن نعتقد بإنشاد الأحوص للبيتين الأولين على الشكل التالي:

وشر الحراميـــين ذو السن منهم وخير الحراميين يعدله الكلبُ
فإن جئت شيخاً من حرام وجدته من النَّوك والتقصر ليس له قلبُ

وكان ابن بشير الانصاري مُكثِرا وبخيلا ولعل بخله كان مدعاة للشتيمة بينهما. وبعد هجاء الاحوص له قدم ابن بشير محمّلا بالهدايا على كل من الفرزدق وجرير مستجيرا بهما من الاحوص طالبا منهما نصرته عليه ولكنهما خذلاه ولم ينصراه على الاحوص فعاد الرجل حاملا افضل من الهدايا التي وفد بها على الفرزدق وجرير وقدمها للاحوص وصالحه.

وساق ابو الفـرج خـبرا مستغربـا ونقلـه عنـه صـاحـب عيون التواريـخ يفيد ان الاحوص بعد ان هجا معن بن حُمَيْد الانصاري انصرف حتى اذا كان عند احجار المراء بقباء لقيه ابن ابي جرير احد

(١) - جمهرة انساب العرب ٣٥٨.

بني العجلان وكان شديدا ضابطا وبخيلا فقال له الاحوص:

وان يقوم سوَّدوك لحـــاجـــة الى سيـــد لو يظفرون بسيـــدِ

فالقي ثيابه واخذ بحلق الاحوص ومع الاحوص راويته وجاء الناس ليخلصوه فحلف لئن خلصه احد من يديه ليأخذنه وليدعنّ الاحوص فخنقه حتى استرخى وتركه حتى افاق ثم قال له: كل مملوك لي حر لئن سُمع أو سمعتُ هذا البيت من أحد من الناس لأضربنك ضربة بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت استار الكعبة. فاقبل الاحوص على راويته فقال: ان هذا مجنون ولم يسمع هذا البيت غيرك فاياك ان يسمعه منك خلق.[1]

ووجه الغرابة في الخبر يكمن في نسبة هذا البيت للاحوص اذ لم ينسبه احد له غير هذين المصدرين بينما اجمعت باقي المصـادر على نسبته لأبي نخيلة الراجز[2] والراجز توفي في أواخر خلافة المنصور في حدود العام ١٥٨ هـ فالاحوص اذاً متقدم على ابي نخيلة في الزمن ومختلف عنه في المكان ويستبعد ان يكون قد اخذ البيت عنه ويُرجّح ان تكون هذه الرواية من عمل رواتها. ولا نستبعد ان يكون الاحوص قد تعرَّض لحادث قريب منها مع ابن أبي جرير المذكور فزاد الرواة فيه وساقوه على النحو الذي ذُكِر.

وبيدو مما سبق من الاخبار مدى ازدراء الاحوص لقومه بسبب ما فيهم من الضعة والمسكنة وما في بعضهم من الخبث واللؤم والبخل كما يظهر فيها مدى حقد قومه عليه وكرههم لبعض تصرفاته واحتقارهم له بسبب ما كان يرمى به من الباطل[3].

---

(١) - الاغاني (د) ٢٤١/٤ عيون التواريخ ١٦٥/٥ (وقال الكتبي: ابن ابي خدين).

(٢) - الشعر والشعراء ٥٨٤/٢ الحيوان ٨/٣، البيان والتبيين ٣٣٦/٣ الخزانة ٨٠/١.

(٣) - جمهرة نسب قريش ٧٢ الاغاني (د) ٢٤٣/٤.

وتكاد تكون اقصى درجات السخط والسفه التي انتابت الاحوص فخره على سكينة بنت الحسين (ع) وقد كان يوما عندها فأذّن المؤذّن فلما قال: اشهد ان لا اله الا الله، اشهد ان محمدا رسول الله » فخرت سكينة بما سمعت. فقال الاحوص من ساعته:

فَخِرتْ وانتَمَتْ فقلتُ ذريني ... ليس جهلٌ أتيتِهِ ببديعِ
فأنا ابن الذي حمتْ لحمه الدَّبـ ... ـر قتيلِ اللحيان يوم الرجيعِ
غسّلت خالي الملائكة الأبـ ... ـرار أكرم به من صريعِ[1]

وفجّر هذا القول غضب سكينة وغيرها ومنهم من كَفَّر الاحوص واتخذ الامويون هذا القول وغيره من الافعال التي اقدم عليها الاحوص وسيلة لاهانته والتشهير به. وقد شاء سوء الحظ الا يبقى من هذه القصيدة سوى هذه الابيات الثلاثة ولو كان بين ايدينا شيء مما قبلها او مما يأتي بعدها لاستطعنا ان نستنبط بعض ما كان يريد الاحوص قوله ولم تنبئنا عنه هذه الابيات. وربما صحَّ ما ذهب اليه طه حسين في تفسيره قول الاحوص تفسيرا يردّه الى السياسة والخلافة ومشاكلها في ذلك العصر مدافعا عن الاحوص مدينا لبني امية فقال «لم يكن الاحوص مجنونا ولا سخيفا ولم يكن يريد ان يفاخر سكينة ولا ان يضع جده وخاله بازاء النبي (ص) وانما كان يائسا محزونا يريد ان يقول لسكينة: فيمَ هذا الفخر والامر في قوم آخرين لم يبلوا في الاسلام بلاء حسنا وهل عصمكم انتماؤكم الى النبي (ص) من هذه المنكرات التي جناها عليكم بنو امية وقد سالت دماؤكم... وانما رثى لها ولنفسه ولأمثالها وهجا بني امية »[2].

ومهما يكن من أمر هذا التفسير فإن الأحوص قد اقترف خطأً عظيماً في بيته الأول. فلو كان فخر بهذا القول على غير سكينة لحق له ذلك

(١) - الاغاني (د) ٢٣٤/٤ عيون التواريخ ١٦٦/٥ الخزانة ٢٣٣/١.
(٢) - حديث الاربعاء ٢٦٩.

فبأبي سكينة (ص) حمت أباه الدَّبْرُ وغسلت خاله الملائكة.

٦ - لهو الاحوص ومجونه:

فيما مضى من الاخبار نستطيع ان نلحظ نفسية فاجرة ساخطة سيطرت على الاحوص، وعنفواناً وكبرياءً وازدراءً للناس طبعت قسما كبيرا من مصانعته لقومه، ونلاحظ هذه النفسية مع بعض الاختلاف لدى غير واحد من قرنائه واصدقائه ومنهم العرجي الشاعر. ولكن العرجي كان ينفّس عن حاله بالعنف تارةً وبالحرب احيانا وباللهو والمجون اطوارا، اما الاحوص فقد اندفع بكل جوارحه مسرفا في اللهو متماديا في المجون الى غير حد.

وكان الاحوص فيما يظهر طامعا كغيره من ابناء المهاجرين والانصار بمركز مهم في احدى قنوات الدولة الاموية ويتضح ذلك في خبر قدومه مع كثير والنصيب على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة، اذ كان كل واحد من الشعراء الثلاثة «يدلّ بسابقته عند عبد العزيز واخائه القديم لعمر، وكل منهم لا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة[١]». فلما رأى الاحوص حرمانه وحرمان قومه من قطف ثمار جهاد آبائهم ومعاملتهم معاملة المجرمين والاسرى بينما ينتفع غيرهم بنعمة الخلافة حقد الاحوص وانكر الناس من حوله وربما وصل به ذلك الى الاتيان باعمال تنافي الدين نفسه كالذي رواه ابو الفـرج ومفاده ان الاحوص اتى جماعة بمُنى يريدون الغدوّ الى عرفات فقال لهم: أبيت بكم الليلة. فقالوا: بالرحب والسعة. فلما جنَّه الليل لم يلبث ان غاب عنهم ثم عاد ورأسه يقطر ماء فسأله احدهم عن أمره فقال:

تَعَرَّضُ سَلْماك لما حرمـ ـت ضلّ ضلالك من محرمِ
تريد به البر يا ليته كفافا من البر والمأثمِ

(١) - العقد ٨٦/٢ الاغاني (ث) ٢٤٨/٩ عيون التواريخ ١٢٩/٥ البداية والنهاية ٢٥٢/٩ الشعر والشعراء ٤١١ الخزانة ٥٤٥/٣.

فقيل له: زنيت ورب الكعبة! فقال: قل ما بدا لك. ثم طلب من ابن سريج ان يغنيه بها ففعل[1].

ولها الاحوص عن الناس وشؤونهم بهذه اللذات المنكرة التي كان يتهالك عليها تهالكا شديدا حتى لم يرع كرامته فيها ومع تلك الحالة التي وصل اليها يمكن للمرء ان يصدق ان الاحوص قد قال جملته الشهيرة المنكرة التي يخجل المرء من روايتها «انا ان القيت جريري....[2] ».

وهذه الجملة النكرة تمثل نفسا فاجرة لا تحفل بأدب ولا مروءة ولا دين. وكان الاحوص فاجرا باوسع ما تدل عليه الكلمة من معنى فشرب واسرف في الشراب وأحب النساء والغلمان وغيرها فكان بنو أمية يجدون بذلك بعض الحجة في القسوة عليه وأخذِهِ بما أخذوه به من الشدة والعنف.

كان الاحوص اذاً فاجرا فاسقا ومخنثا كما قال عنه عبدالملك بن مروان[3]. وساعده على المضي قدما في مجونه تنوع ما عرفه الحجاز والمدينة بصورة خاصة في العصر الاموي من ضروب اللهو والمجون المأخوذ من ضروب الحياة عند الامم المغلوبة على امرها في الفتح. فقيل ان «اول منكر ظهر بالمدينة طيران الحمام والرمي على الجلاهقات[4] ».

والى جانب ذلك كانت بعض نساء المدينة ومولياتهن يلتفتن الى التزين بالثياب والهندام والهيئة وكن يرغبن في احراز الحجارة الكريمة واللآلي وانواع الحلي وكن يتزين بها[5].وتغير ثياب الناس شغفاً وصار يجمع من كل وجه ويغالى به[6] وقد أثَّر هذا الامر في نفوس الشباب

(١) الأغاني (د) ١/ ٢٩٤.
(٢) - الاغاني (د) ٤/ ٢٣٣ عيون التواريخ ٥/ ١٦٦ الخزانة ١/ ٢٣٣.
(٣) - الأغاني (د) ٤/ ٢٥٤ عيون التواريخ ٥/ ١٦٩.
(٤) - تاريخ السيوطي ٦٤.
(٥) - الطبقات الكبير ٨/ ٣٤٣ الاغاني (ب) ١٠/ ٥٧ و ١٤/ ١٦٨.
(٦) - الاغاني (ب) ٦/ ١٢٩.

المدنيين وزاد من تماديهم في الغي والمجون حتى ان النصيب وكثيرا والاحــوص خرجوا غُبّ يوم امطرت فيه السماء فقال لهم النصيب: هل لكم ان نركب جميعا فنسير حتى نأتي العقيق فنمتع فيه ابصارنا؟ فركب الشعراء الثلاثة افضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا احسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا[1]...ولم يكن ما اقدم عليه الشعراء الثلاثة عبثا بل كان التزين ظاهرة شائعة بين الجنسين وكل منهما يتخذها لاثارة استلطاف الجنس الآخر.

ثم ان تصفيف الشعر وهو ما عرف فيما بعد بالجُمَّة السكينية قد شاع بين الرجال والنساء وفتن به بعض الناس بحيث انكره عمر بن عبد العزيز فجلد واحدا ممن صفّف بذلك وحلقه[2].

ومهما يكن من امر الاخرين فان شاعرنا كان يتأنق باحسن مظاهر الاناقة ويختلف الى نواد خاصة للهو والغناء والتسلية كانت منتشرة في المدينة ومكة بوجه خاص وفي الحجاز بصورة عامة فروي ابو الفــرج ان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار اوتادا فمن جاء علّق ثيابه على وتد منها ثم جرَّ دفترا فقرأه او بعض ما يُلعب به فلعب به مع بعضهم... وكان عبد الحكم يوما في المسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحناطين، باب بني جمح، عليه ثوبان معصفران مدلوكان وعلى أذنه ضغت ريحان وعليه ردع الخلوق فاقبل يشقّ الناس حتى جلس الى عبد الحكم... فتحدث اليه ساعة ثم اهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحناطين.... ودخل مع عبد الحكم بيته فعلّق رداءه على وتد وحلّ ازراره واجترّ الشطرنج وقال: من يلعب؟ فبينما هو كذلك اذ دخل

(١) - الاغاني (د) ١/٣٥٦.
(٢) - الاغاني (ب) ١٤/١٦٥.

الابجر المغني فقال له: أي زنديق ما جاء بك الى ها هنا؟ وجعل يشتمه ويمازحه. فقال له عبدالحكم: اتشتم رجلا في بيتي فقال: أتعرفه! هذا الاحوص. فاعتنقه عبدالحكم وحيَّاه وقال: اما اذ كنت الاحوص فقد هان عليّ ما فعلت"[١]. ويتضح من الخبر مدى اهتمام الأحوص بمظهره الخارجي واناقته المفرطة منذ فتوته، فهو يلبس الاثواب المعصفرة المدلوكة ويضع فوق اذنه ضمة من الازهار العطرة ويلطخ جسده وثيابه بالعطور المستوردة من خارج الجزيرة العربية. وهو يرتاد دور اللهو ويتقن مختلف الالعاب المأخوذة عن الامم المغلوبة بفعل الفتح الاسلامي.

ولم تكن دور اللهو الوحيدة التي كان يرتادها الاحوص بل اكثر شاعرنا من ارتياد دور المغنيات وبيوتهن واختلف الى جواريهن وسمع منهن الغناء الشجيّ باشعاره وقال فيهن من الشعراء ما يُستلطف ويُستعذَب واشعاره فيهن تكاد تكون من اروع ما قاله في الغزل.

ومن دور الغناء التي كان الأحوص يكثر من الاختلاف اليها دار عقيلة المغنية، فكان يتحدث اليها ويسمع من غنائها ومن غناء جواريها. وفي دارها كان يلتقي معبدا المغني ومعاذاً الانصاري الزرقي وابن صياد المغني النجاري[٢].

فاما معبد فهو من اشهر المغنين الذين اتصل بهم الاحوص وعايشهم فترة من الزمن غير قصيرة وطرب بغنائهم وتمتع معهم بضروب الحياة المختلفة من طعام وشراب وغناء وما أكثر غناء معبد بشعر الأحوص! وابن صياد المغني رجل يزعم اهل المدينة انه الدجَّال[٣]، وكان سيء السمعة متهتكا مما جعل مروان بن الحكم والي المدينة ايام معاوية يلوم الفرزدق

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.

(٢) - الكامل ٢٦٢/٢ العقد ٢٥/٦.

(٣) - الاغاني (ب) ٢٥/١٩.

ويؤنِّيه لخروجه من دار ابن صياد حين قدم المدينة اثر طرد زياد له من العراق وكان ابن صياد يتردد على دار ابن جعفر ويغني فيه ويقيم فيه مجالس غناء لضيوف ابن جعفر ومثل هذا يمكن ان يقال في بقية صحب الاحوص الذي لم ينس أن يسجلهم في شعره ويبين حقائق اخلاقهم غداة يوم زار فيه عقيلة[١] مع معبد فوجدهم على بابها فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الاحوص. فانها قالت: نحن غضاب على الاحوص فانصرف الاحوص وهو يلوم اصحابه على استبدادهم ويقول:

ضنَّت عقيلة لما جئت بالزَّادِ	وآثرت حاجة الثاوي على الغادي
اني جعلت نصيبي من مودتها	لمعبد ومعاذ وابن صيادِ
لأبن اللعين الذي يخبا الدخان له	وللمغني رسول الزور قوَّادي
اما معاذ فاني لست ذاكره	كذاك اجداده كانوا لأجدادي

وكان معاذ جلدا فخاف الاحوص ان يضربه. اما معبد فحلف ان لا يكلم الاحوص ولا يتغنى في شعره فشقَّ ذلك على الاحوص. فلما طالت هجرته اياه رحل نجيبا له وجعل طلاء في حقيبة رحلِهِ واعدَّ دنانير ومضى نحو معبد فاناخ ببابه- ومعبد جالس بفنائه - فنزل اليه الاحوص وكلمه فلم يكلمه معبد... ولكن ام كردم زوجة معبد لامته على هجرانه للاحوص واصلحت ذات البين بينهما وامضوا بعض الوقت في احسن حال. فأكلوا شواء وشربوا طلاء واستمع الاحوص الى غناء معبد وانصرف مع العصر وهو يميل بين شعبتي رحله[٢].

وفي ابياته السابقة تصوير واقعي لحقيقة اصحاب الاحوص وحقيقة اكثر رواد دور الغناء التي كان يختلف اليها معهم. وللاحوص مع عقيلة هذه مغامرات عاطفية ماجنة ذكرها في شعره قائلا:

---

(١) - العقد ١٨/٦.

(٢) - الكامل ٢٦٢/٢ العقد ٢٥/٦.

هل تـذكرين عقيـلُ أو أنساكـه بعـدي تقلـب ذا الزمـان المفسدَ
يومي ويومـك بـالعقيـق اذ الهوى منـا جميـع الشمـل لم يتبـددِ
لي ليلتـــان فليلـــة معسولـــة القـى الحبيـب بها بنجم الاسعدِ
ومريحـــة همّي عـــلي كــأنني حـتى الصباح معلـق بـالفرقـدِ

ولم تكن عقيلة المغنية الوحيدة التي كانت تقيم مجالس الغناء واللهو في المدينة بل كانت جميلة المغنية تثيم الحفلات الغنائية لطلاب اللهو. واخبارها غنية بذلك وممن كان يتردد على دارها الاحوص والـعرجي وهما صديقان حميمان جمعت بينهم المصيبة والآلام التي تعرضا لها من جراء قسوة الحكم الاموي عليهما كما كان يجمع بينهما دار جميلة ولطالما تمتعا في هذه الدار بغنائها وغناء جواريها وعندما قام العرجي بعمله المنكر تحول نحو المدينة فاتى جميلة مستخفيا بعدما علم والي مكة بفعله فاحست جميلة ان منزلها لا يمكن ان يكون مخبأ سريا للعرجي وادركت ان مثله لا يمكنه الاختفاء الا عند الاحوص. ويظهر ان الاحوص كان مجانبا له لشيء ما وقع بينهما في دار جميلة اثناء حفلة غناء سابقة - وفي ذلك دليل قاطع على كثرة ترددها الى هذه الدار - فقال لها العرجي: أنّى لي بالاحوص مع الذي كان بيننا؟ فأشارت عليه جميلة ان يأتي الاحوص بدلا عنها ويذكر له رغبتها في اصلاح ما فات من امرهما ورغبتها في انهاء قطيعة الاحوص لها بعد ان غنت بشعره. فقال لها العرجي: ليس هذا بمقنعي اما اذا أبَيْتِ ان أقيم بمنزلك فوجِّهي معي رسولا الى الاحوص فان منزله احب المنازل اليَّ بعد منزلك. فوجَّهت معه بعض مولياتها. فانزله الاحوص واكرمه واحسن جواره وسرّ امره. وراح الاحوص بعد ذلك يشفع للعرجي لدى جميلة لتفرِّج ما به من غمّ ولتؤنسه بغنائها بعد ان فارق من يحب ويهوى [١]

---

(١) - الاغاني (ث) ٨/٢٢٩ - ٢٣٠.

وكان الاحوص قد صار الى جميلة في احد الايام بغلام جميل الوجه يفتن من رآه فشغل اهل المجلس وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن فاشارت جميلة الى الاحوص ان يُخرج الغلام فأبى الاحوص وتغافل وكان بالغلام معجبا - حسب قول ابي الفرج - فآثر لذته بالنظر الى الغلام مع السماع، ولكن جميلة آثرت الابقاء على هدوء المجلس فأمرت بعض من حضر باخراج الفتى فأُخرج. وغضب الاحوص فخرج مع الغلام.

وعزَّ على جميلة غضب الاحوص. فلما تفرق اهل المجلس بعثت اليه تعتذر عن فعلها وتذكره بخطئه في عدم ابلاغها خبر صحبته الغلام من قبل. فقال الاحوص: ليس هذا لك بعذر إنْ لم تجعلي لي وله مجلسا نخلو فيه جميعا تمحين به ما كان منك. قالت: افعل ذلك سرا. فقال الاحوص: قد رضيت. فجاءاها ليلا فاكرمتها ولكنها اظهرت العجائز من مواليها عليها في هذا المجلس[١].

واكثر الاحوص التردد الى دور مغنيات اخريات، منهن سلامة القس واختها ريا، ومن جملة أخباره معها اجتماعه مع ابن قيس الرقيات في منزلها. وفي هذه الجلسة طلب ابن قيس منها ان تغنّياه بشعر يقوله مادحا لها ففعلتا واعاد الاحوص الطلب نفسه ففنتاه بشعره فيها:

اسلام هــــل لمتيّم تنويــــلُ　　　ام هل صرمت وغال ودّك غولُ...

فلام ابن قيس سلامة لحسن غنائها بشعر الاحوص. فقال له الاحوص: على قدر حسن شعري عن شعرك جاء حسن الغناء به. واختلفا ذلك النهار فلما صار الاحوص الى منزله جاءه ابن قيس الرقيات معتذرا منه[٢].

---

(١) - الاغاني (ث) ٢٣١/٨ - ٢٣٢.

(٢) - الاغاني (ث) ٣٣٩/٨ - ٣٤٠ نهاية الارب ٥٣/٥.

وبلغ من لهو الأحوص وإسرافه مبلغ جعله أشهر من أن يجهل في المدينة بصفة عامة ولدى نسائها بصفة خاصة ويحدثنا أبو الفرج بخبر نسوة اجتمعن عند امرأة من أهل المدينة فطلبن منها أن ترسل الى الأحوص كي يتحدثن معه ويسمعنا شيئا من شعره. فردّت عليهن وذكرت خشيتها من أن يشهرهن إذا عرفهن وينظم الشعر فيهن. فلم يزلن بها حتى أرسلت اليه رسولا يذكر له أمرهن ولا يسميهن ويطلب منه أن يأتيهن مخمَّر الراس. ففعل وتحدث معهن وأنشدهن فلما أراد الخروج وضع يده في توربين أيديهن فيه خَلُوق وغطّى رأسه وخرج فوضع يده على الباب ليستطيع في اليوم التالي تمييزه بتلك العلامة. ثم تفقد الموضع الذي كان فيه فغدا اليه وطاف حتى وجد أثر يده على الباب. قال:

خمس دسسن اليّ في لطـــــــف	حور العيون نواعم زُهْرُ
فطرقتهن مـــع الجريّ وقـــد	نـــام الرقيـــب وحلّـق النَّسْرُ
فعكفن ليلتهن نـــاعمـــة	ثم استفقن وقـــد بـــدا الفجرُ
قـــامـــت تخـــاصره لكِلّتهـــا	تمشي تـــأوّد غـــادة بِكْرُ
كـــلٌ يرى ان الشبـــاب لـــه	في كـــل غـــايـــة صَبْوَة عُـــذْرُ
حـــتى اذا أبـــدى هواه لهـــا	وبـــدا هواهـــا مـــا لـــه سِتْرُ
سفرت ومـــا سفرت لمعرفـــة	وجهـــا اغر كـــأنـــه البَـــدْرُ

ولعل في هذا الشعر مبالغة في وصف المغامرة لان ابا الفرج يسرد بعده اخبارا متعددة متضاربة حول لقاء الاحوص بالنسوة الخمس وسبب اللقاء ومكانه وموعده وفي كل خبر منها يرد تكذيب للاحوص بلسان واحدة من النسوة وكل منهن تصف خبرا مختلفا.(١)

ومهما يكن من أمر المغامرة المذكورة فإن نسوة المدينة كن يستعذبن شعر الاحوص ويستلطفنه ويرغبن في سماعه منه أو من غيره. ويحدثنا

(١) - الاغاني (ث) ٢٦٧/١٧ - ٢٦٨.

أبو الفرج في أكثر من وجه أن امرأة شريفة طلبت من أحد أبناء الأحوص - وقد دخل عليها يوما - أن ينشدها قول أبيه:

لي ليلتـــان فليلـــة معسولـــة   القى الحبيـب بهـا ينجم الاسعـدِ
ومريحـــة همّي عـــليّ كـــأنني   حتى الصبـاح معلـق بـالفرقـدِ

فقالت المرأة لابن الشاعر: اتدري ايّ الليلتين يبيت فيها معلقا بالفرقد؟ قال: لا والله قالت: هي ليلة امك التي يبيت معها فيها. وقال ناقل الخبر لأشعب: يا ابا العلاء فاي الليلتين المعسولة؟ فقال: هي ليلة الاسراف ولا تسأل عما بعدها.[١]

وكانت كثيرات من نسوة المدينة يستعذبن مجالسة الشعراء الغزليين لا سيما الظرفاء منهم وكن يسألنهم الجلوس اليهن ودليلنا على ذلك ما رواه ابو الفرج في خبره الذي تناول فيه النصيب وكثيرا والاحوص وقد خرجوا حتى اتوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرون ما يشتهون حتى رُفع لهم سواد عظيم فأمّوه فاذا وصائف ورجال من الموالي ونساء برزات فسألنهم ان ينزلوا فاستحيوا ان يجيبوهن من اول وهلة. وقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا. فحلّفنهم ان يرجعوا اليهن. ففعلوا واتوهن فسألنهم النزول فنزلوا ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم. ولم تلبث المرأة ان جاءت فقالت: اذخلوا. فدخلوا على امرأة جميلة برزة على فرش لها. فرحبت وحيّت واذا كراسي موضوعة فجلسوا جميعا في صف واحد كل انسان على كرسي. فخيّرتهم المرأة وهي من بني أمية - حسب قول ابي الفرج - بين الغداء وسماع الغناء فاختاروا الأمر الثاني لكون الاول لن يفوتهم. فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن لا كلا ولا حتى جاءت جارية ذات جمال قريب من جمال مولاتها فغنتهم بشعر للنصيب وجاءت به كأحسن غناء باحسن لفظ واشجى صوت ثم

(١) - الاغاني (د) ٢٦٠/٤ - ٢٦١.

غنتهم بشعر آخر للنصيب بناء لطلب مولاتها فزها النصيب حتى خيّل اليه انه من قريش وان الخلافة له وامتعض الاحوص وكثير واحتجّا على اهمال اشعارهما فواجهتهما سيدة المجلس ببعض اشعارهما الساقطة وعيّرتهما بذلك فخرجا منكسِرَيْن[١].

ويبدو واضحا في هذا الخبر تحرش بعض النسوة والموالي بالشعراء الغزليين في ذلك العصر بقصد الاستئناس بمجالستهم والاستمتاع باستنشادهم بعض اشعارهم والطرب في الغناء بها. والغريب في الامر ان الشعراء باتوا يتظاهرون بنوع من الحياء في قبول الدعوات مباشرة ولأول وهلة متّخذين طبائع النساء اللواتي كن يوصفن بالحياء والخفر والامتناع.

وتمادى الاحوص في مجونه واغرق في التهالك جريا وراء ملذاته الآنية واقدم على مضايقة بعض النسوة العفيفات بقصد احراجهن لنيل ما يصبوا اليه مهددا اياهن بالتشهير بهن في حال رفضهن طلبه. فاتى امرأة يقال لها ام ليث، وكانت امرأة صدق طالبا منها ان تدخله الى بيتها ليكلم امرأة اخرى انصارية من خوخة كانت بين منزليهما وكانت الانصارية من اجمل النساء خلقا فابت ام ليث طلبه فعرض بها الاحوص في شعر له قائلا:

قامت تراءى وقد جدّ الرحيل بنا　　بين السقيفة والباب الذي نُقبا
اني لمانحها ودّي ومتّخذ　　بأمّ ليثٍ الى معروفها سببا

فلما بلغ زوجَ الأنصارية الشعرُ سدّ الخوخة وأبى أن يقبل اعتذار أم ليث اليه ورفض أن يصدّقها. فكانت أم ليث تدعو على الأحوص لسوء عمله وقلة مروءته[٢].

---

(١) - الاغاني (د) ٣٥٦/١ - ٣٥٧.

(٢) - الاغاني (د) ٢٤٥/٤.

وبكلمة موجزة نستطيع ان نعبّر عن مجرى حياة الاحوص الذي اندفع في مجونه الصارخ ولهوه المفرط الى ابعد الحدود دون رقيب او وازع من دين حتى اتى المحرّمات والمنكرات واتخذ عبثه سببا في الانتقام من الناس وممن عبث معهم وبهم في بعض الاحيان.

٧ - حب الاحوص:

لم تكن كل اسماء النسوة التي نسب بها الاحوص في شعره اسماء محبوبات منه بل كان بعضها يدل على محبوباته او يشكل رموزا لاسماء حقيقية تختبىء تحتها. وبعضها الاخر لا يشكل سوى مجرد عنصر متمم للصورة الغزلية التي كان يبتدىء بها الشاعر بعض مدائحه.

وعرف الاحوص الحب المطبوع باحاسيس عفوية وعاطفة جامحة واعجاب واستلطاف صادقين ومَثَّل في نفس الوقت دور المحب الذي يصبو لتحقيق بعض النزوات الآنية. وامتلك عليه حبّه لبعض المغنيات والجواري كل جوارحه حتى يُخَيَّل للناظر في شعره ان اروع المقطوعات وارقها واصفاها ما قاله من الشعر فيهن.

ويبدو ان اول حب للاحوص كان حبه لزوجته الاولى ام الرجلين اللذين بقيا له من ولده - حسب قول ابي الفرج[١] - وان كانت المصادر قد اغفلت ذكرها فلم يغفل شعر الاحوص هذا الذكر واثبت صاحب الزهرة إحدى أجمل قصائد الأحوص وهي مرثية تنضح عما فيها من اللوعة والاسى لفراقه حبيبته التي غيَّبها القدرُ ويتّضح من معاني القصيدة ان هذه الحبيبة ليست سوى شريكة عمر الاحوص الذي اصبح بعدها غارقا في سهاد مضنٍ وهمّ مظلم واوجاع قاسية يبكي بدموع أحرّ من الجمر حتى نَحَل وبات قوامه كعود عرّته رياح الخريف بعد ان كان جلدا قبل وفاتها. وتنساب اللوعة من احشائه لتسيل على

(١) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤.

لسانه ابياتا رائعه من الشعر يصور فيها حاله قائلا:

نفـــى نومي واسهرني غليـــلُ وهمّ هـــاجـــه حزن طويـــلُ
وقالوا قـد نحلت وكنت جلدا وأيسر مـا منيـت بـه النحولُ
فـان يكن العويـل يردّ شيئـا فقـد أعولـت ان نفـع العويـلُ
وكـانـت لا يـلائمها مبيـت عليهـا ان عتبـت ولا مقيـلُ

ويمضي الأحوص في قصيدته راسما صورة زاهية الألوان كانت تطبع حياتة الصافية مع زوجته وقد كانت أيامهما تحاكي ماء المزن بصفائها، وكان لا يطيق البعاد عنها فأصبح بعدها لا يبالي أسار الركب أم طال النزول ويختم مرثيته بقوله:

فصبرا للحوادث كل حي سبيلُ الهالكين له سبيلُ[1]

وبعد زوجته التي لم يصرح باسمها في قصيدته استلطف الاحوص او احب مغنيات وجواري كثيرات ولعل فقدانه العاطفة الزوجية دفعه لمحاولة التعويض عن ذلك بالتعلق بهوى الكثيرات شأنه في ذلك شأن كل من يفقد حبّه الذي يملأ حيّزا كبيرا من حياته. فشغف الاحوص بعقيلة المغنية وكان يتردد الى دارها ويتمتع بغنائها ويبادلها الهوى ويتغنى بها في اشعاره:

ضنت عقيلة لما جئت بالزاد وآثرت حاجة الثاوي على الغادي
فقلت: والله لولا ان تقول له قد باح بالسر اعدائي وحسّادي
قلنا لمنزلها: حييت من طلل وللعقيـق: الا حييـت من وادي
اني جعلـت نصيـبي من مودتها لمعبـد ومعـاذ وابن صيـادِ

وتتفجر غيرته عليها في هذه الابيات بعد ان رفضت الاذن له بالدخول الى منزلها وقالت: نحن غضاب على الاحوص في الوقت الذي سمحت

---

(١) - الزهرة ٣٠٦.

فيه لمعبد ومعاذ وابن صياد بالولوج الى دارها[١]. وللأحوص مع عقيلة جلسات عاطفية ومغامرات غرامية وليالٍ معسولة وايام جمعتهما بالعقيق بين رياضة الغناء ومناظره الجميلة ويصف الشاعر حلاوة ايامه معها بقوله:

يا للرجالِ لوجدِك المتجدِّدِ ولما تؤمل من عقيلة في غدِ
هل تذكرين عقيل أو أنساكِهِ بعدي تقلُّبُ ذا الزمان المفسدِ
يومي ويومك بالعقيق إذ الهوى مِنَّا جميعُ الشمل لم يتبدَّدِ
لي ليلتان فليلة معسولة ألقى الحبيب بها بنجم الأسعدِ
ومريحة همّي عليّ كأنني حتى الصباح معلق بالفرقدِ[٢]

وقيل إن عقيلة التي شبب بها الأحوص في المقطوعة الثانية وذكرها في مواضع أخرى من شعره هي من ولد عقيل بن أبي طالب. وقال الزبير إن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين عليه السلام كنى الأحوص عنها بعقيلة[٣]. ولكننا لا نملك دليلا في أخباره على هذين الاعتبارين. ونرجِّح أن يكون قوله هذا في عقيلة المغنية لوجود دليل على علاقته بها في أخبار سبق ذكرها.

وقبل شغفهِ بعقيلة تعلق الأحوص بحب جميلة المغنية وكان معجبا بها ولا يفارق منزلها إذا جلست[٤]، وكانت له مكرمة[٥]. وذكر حبه لها في شعره وتغزَّل بها في مواضع عديدة منه. ومن جميل قوله فيها:

شأتكَ المنازلُ بالأبرقِ دوارس كالعين في المهرقِ
لآل جميلة قد اخلقت ومهما يطل عهده يخلقِ
فان يقل الناس لي عاشق فاين الذي هو لم يعشقِ

(١) - الكامل ٢/٢٦٣ العقد ٦/٢٥.
(٢) - الاغاني (د) ٤/٢٥٨.
(٣) - الأغاني (د) ٤/٢٦١.
(٤) - الاغاني (ث) ٨/٢٣٠.
(٥) - الاغاني (ث) ٨/٢٠٢.

ولم يَبْـــكِ نُوَيـــا عـــلى عَبْرَةٍ   بـــداء الصبـــابـــة والمَعْلَـــقِ

ويبدو ان معبدا المغني - وكان صديقا حميا الاحوص - كان يعلم بأمر المحبة بين الاحوص وجميلة فزارها مرة وغناها بهذه الابيات فسرّت وتبسّمت وقالت: حسبك يا ابا عباد. اما الذلفـاء التي شبب بها الاحوص فهي التي فُتِن بها اهل المدينة[1]ويقف صاحبنا في مقدمة المعذبين بحبها ويقول فيها شعرا يتّسم بعاطفة صادقة وحب مخلص واعجاب ظاهر:

انمـــا الذلفـــاء همّي   فليـــــدعني من يلومُ
احسن النـــاس جميعـــا   حـــــين تمشي وتقومُ
حبّـــب الـــذلفـــاء عنـــدي   منطـــق منهـــا رخـــيمُ
اصـــل الحبـــل لـــترضى   وهي للحبـــــل صرومُ
حبّهـــا في القلبـــب داءٌ   مستكـــــين لا يريمُ[2]

وتحدثت المصادر عن حب آخر للاحوص عو عشقه لسلامة القس. وقد افرد لها حيّزا مهما في شعره شغلته دون غيرها من المغنيات والجواري. وتداولت الالسن شعره الجميل الذي انشده متغزلا بسلامة لكثرة الغناء بهذا الشعر. ولندع الفرصة للاحوص كي يعبر عن حاله معها:

أسلام هـــل لمتيّم تنويـــلُ   ام هل صرمت وغال ودّك غولُ
لا تصرفي عني دلالـــك انـــه   حسن لـدى وانْ تَخِلّـتِ جميـلُ
ازعمت أن صبابتي اكذوبة   يومـــا وان زيـــارتي تعليـــل

وكان قد انشد هذا القول امام سلامة مادحا لها بعد ان انشدها ابن قيس الرقيات شعرا آخر في نفس الموضوع وغنتها سلامة باشعارها

---

(١) - الاغاني (ث) ٢٠٣/٨.
(٢) - الاغاني (ث) ٢٠١/٨.

فجاء غناؤها بشعر الاحوص احسن منه في شعر ابن قيس فقال لها ابن قيس الرقيات: «يا سلامة احسنت والله اظنك عاشقة لهذا... ». واشار الى الاحوص وحسده على حسن غنائها بشعره معتبرا ان مرد ذلك الى حبها له. فقال له الأحوص: على قدر حسن شعري عن شعرك هكذا الغناء به وما هذا منك الا حسد. وتشاجرا ذلك النهار فعرضت عليهما سلامة حكومة منها بينهما فرفض ابن قيس الرقيات معللاً رفضه بحب سلامة للأحوص معلنا أن الحكم في هذه المسألة سيكون لمصلحة الحبيب دونه(١).

ويتألم الأحوص بحبه لسلامة ويعاني منها آلام الصدود وهي تجفوه وتقابله بالإمتناع حينا وبشيء من الاستلطاف أحيانا وتواجه أقواله الجادة بكلمات نديّة دون أن تؤكد له أي ارباط لها به فينوء تحت عبء آلامه واصفا حاله معها بقوله:

أسلام انك قد ملكت فاسجحي ... قد يملك الحر الكريم فيسجحُ
منّي على عانٍ اطلت عناءه ... في الغُلّ عندك والعُنَاة تُسرَّحُ
اني لانصحكم واعلم انه ... سيان عندك من يغش وينصحُ
واذا شكوت الى سلامة حبها ... قالت: أجدّ منك ذا أم تمزح(٢)

ويتعذب الاحوص لفراق سلامة وبُعْدها عن المدينة ولا يجد عزاء له سوى الشعر فيقول:

عاود القلب من سلامة نَصْبُ ... فلعيني من جوى الحب غَرْبُ
ولقد قلتُ أيها القلب ذو الشو ... ق الذي لا يُحبُ حبَّك حِبٌّ
إنه قد دنا فراق سُليمى ... وغدا مطلب من الوصلِ صَعْبُ

انشد الاحوص هذا الشعر بعد انتقالها الى الشام وكان الشاعر معجبا بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها فاشتراها يزيد بن عبد الملك فلما اراد

(١) - الاغاني (ث) ٨/٣٣٩ - ٣٤٠ نهاية الارب ٥/٥٣.
(٢) - الاغاني (ث) ٨/٣٣٨ نهاية الارب ٥/٥٥.

الاحوص الرحلة الى يزيد بعث بالابيات الى سلامة وعند وصول الشعر اليها غنت به يزيد واخبرته الخبر[١].

وتبدو صبابة الاحوص وصدق عاطفته وعذابه في حب سلامة بصورة واضحة في قوله:

يا سَلْمُ ليت لسانا تنطقين به ... قبل الذي نالني من حبكم قُطعا
يلومني فيك اقوام اجالسهم ... فما أبالي أطار اللوم أم وقعا
أدعو الى هجرها قلبي فيتبعني ... حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

ونستطيع ان نلحظ في مجموع ما قاله الأحوص من الشعر لسلامة بعداً مهماً في علاقته بها فهو يرسم صورة واقعية لهذه العلاقة فهو يتودد اليها وتصدُّ عنه يصارحها بحبه وتواجهه بالاكرام والاحسان يبثّها اشواقه وتحاول اطفاء نيرانه بعطفها عليه. يعاملها معاملة العشيقة والحبيبة وتصانعه مصانعة الخليل والصديق المميَّز والانيس المسامر. ويمكن ان يكون احسن وصف لحالها ما قاله بعد ابياته السابقة:

لا استطيع نزوعا عن محبتها ... اويصنع الحب بي فوق الذي صنعا
كم من دنيٍّ لها قد صرت اتبعه ... ولو صحا القلب عنها صار لي تبعا
وزادني كلفا في الحب ان منعت ... وحَبُّ شيءٍ الى الانسان ما مُنعا[٢]

واستند الوشّاء الى جملة اخبار الاحوص مع سلامة وشعره فيها فجعل الاحوص وسلامة في قائمة العشاق المشهورين في التاريخ العربي القديم[٣].

وذكر ابن النديم في كتابه ان جماعة من العلماء ألّفوا في اخبار العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والاسلام وجعل منهم «الاحوص

---

(١) الاغاني (ث) ٣٤٢/٨.
(٢) - الاغاني (د) ٣٠٠/٤ ذيل الامالي والنوادر ٢١٥/٣.
(٣) - الموشى ٨٤.

وعبدة»[1] ولم يرد ذكر لعبدة في اي من اخبار الاحوص كما لم يرد لها ذكر في شعره. ونقل المزرباني بسنـد حسن يعود الى الاصمعي ان عمر بن ابي ربيعة لقي الاحوص وقد اقبل من عند «عبلة» فقال له: «يا احوص ما زوّدت صاحبتك ولا تكن كالذي قال:

سأهدي بها في كل عام قصيدة واقعـد مكفيـا بمكـة مكرمـا

فأهدى لها ما لا ينفعها.

قال: قد والله فعلت قال: انشدني ما قلت. فأنشده:

الا يا عبلُ قـد طـال اشتيـاقي اليـــــك وشفَّني خوف الفراقِ

كــــأني في هواك اخو فراش تجلجــــل نفسه بــــين التَّراقي

لأنـــت في الفؤاد أشدّ حبّـــا من الصادي الى الكأس الدهاقِ

فقال له عمر: «ما تركت لي شيئا لقد اغرقت في شعرك»[2].

ويرجح عندي ان يكون اسم «عبدة» الوارد عند ابن النديم محرَّف من اسم «عبلة» المذكور في كتاب الموشح...

وخاض الاحوص تجربة اخرى حين قدم الى البصرة وخطب إحدى بنات بني تميم وتزوجها وعاد بها الى المدينة. وفي الطريق عدل معها لزيارة أخت لها وكانت عند رجل من بني تميم قريبا من طريقهم وكان زوجها يسمى مطرا. فأكرمتهم وذبحت لهم وكانت من أحسن النساء خلقا وأخلاقا. فأقاموا حتى رجع زوجها مع إبله في المساء. فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه، وكان مطر قبيحا دميا. فقالت له زوجته: قُم الى سلفك وسلم عليه فقال: - وأشار الى أخت زوجته بإصبعه:

سلام اللــــه يــــا مطرٌ عليهــــا وليس عليــــك يــــا مطرُ السلامُ

واشار الى «مطر» باصبعه وذكر الابيات الباقية. فوثب اليه مطر

---

(١) - الفهرست ٣٠٦.

(٢) - الموشح ٢٣١.

وبنوه وكاد الامر يتفاقم حتى حُجز بينهم[١].

واختلفت المصادر في سر تفاصيل هذا الخبر فقال العيني «ان امرأة مطر كانت من اجمل النساء واحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فانشد الاحوص القصيدة يصف احوالها».[٢]

وقال صاحب تزيين الاسواق «وحكي ان الاحوص (بن جعفر) الشاعر كان يهوى اخت زوجته ولا يفصح باسمها فتزوجت برجل من العرب اسمه مطر فاشتد الغرام بالاحوص فباح به وانشد قصيدته»[٣].

وذهبت الى قريب من قول الانطاكي مصادر اخرى ولكن أصحابها لم يقعوا في مثل الخطأ الذي صاغ الأنطاكي به اسم الشاعر فقالوا «وكان الأحوص يهوى أخت امرأته ويكتم ذلك وينسب بها ولا يفصح باسمها فتزوجها مطر» فأنشد الأحوص قصيدته المذكورة[٤].

واختلفت المصادر كذلك في تسمية زوجة مطر فورد اسمها سلمى عند الزجاجي[٥] وام حفص عند السيوطي[٦] ونخلة عند الانطاكي[٧]. واستقى هذا الأخير تسميته لها من «كتاب الأمالي» ولم أعثر على هذا الاسم في أي من كتب الأمالي المعروفة لدينا.

٨ - اخباره مع الشعراء:

نقلت بعض المصادر اخبارا للاحوص مع امثاله الشعراء لا يخلو بعضها من السفه والمنكر والاجوبة اللاذعة الفاحشة. منها ان

---

(١) - الاغاني (ث) ٢٣٤/١٥ - ٢٣٥ الخزانة ٢٩٤/١ - ٢٩٥.

(٢) - شرح الشواهد الكبرى ١٠٩/١.

(٣) - تزيين الاسواق ٣٠ - ٣١.

(٤) - طبقات فحول الشعراء. ٥٤٠ الجمل ١٦٦ الامالي (زجاجي) ٥٢ - ٥٣.

(٥) - الجمل ١٦٦.

(٦) - شرح شواهد المغني ٢٦١.

(٧) - تزيين الاسواق ٣١.

الفرزدق قدم المدينة فاتى مجلسا فانشده الاحوص شعرا فقال له الفرزدق: من أنت؟ قال: الأحوص بن محمد. قال: ما أحسن شعرك؟ قال الأحوص: أهكذا تقول لي والله لأنا أشعر منك. قال: وكيف تكون أشعر مني وأنت تقول:

يقر بعيني مـــا يقر بعينهـــا   واحسن شيء ما بـه العين قرّتِ

واكمل الفرزدق حديثه بكلام فاحش يخجل المرء من ذكره[1].

بينما تذكر مصادر اخرى لا سيما المتقدم منها ان الفرزدق حين قدم المدينة نزل على الاحوص بن محمد فأعدّ له شواء وطلاء واسمعه غناء حسنا بشعرٍ لجرير في مجلس احدى الجواري[2].

ويبدو ان معرفة جيدة وصداقة متينة كانت تربط بين الفرزدق والاحوص دفعت الفرزدق للرد على كـثَيِّر عندما تهجَّم على الاحوص بحضوره فـــأسكتـــه بقولـــه: «إن هـــذا من عـــداوة الشعراء بعضهم لبعض»[3]. وتمازح الفرزدق والأحوص حين التقيا في البصرة بشيء من الفحش بدأه الأحوص بسؤاله: متى عهدك بالزنا يا أبا فراس؟ قال: مذ ماتت العجوز[4]. وبشكل موازٍ لما ذكرته بعض المصادر من مآخذِ للفرزدق على البيت السابق المنسوب للأحوص نقلت مصادر أخرى خبرا يفيد أن جريراً الشاعر قدم المدينة فاحتشدوا له فقام لحاجة فأتى الأحوص من قباء على حمار فقال: أين هذا؟ فأجابه بعضهم: قام لحاجته فما حاجتك اليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعر منه وأشرف. فأخذ القوم يدعونه للانصراف، فخرج. وجاء جرير فأقبل

---

(١) - مجالس ثعلب ٤٣٤/٢ الموشح ١٨٧.

(٢) - النقائض ١٠٤٨/٣ الاغاني (ث) ١١/٨ و١٠٥/١٥ تزيين الاسواق ١٩ الكامل ٢٦١/٢ العقد ٢٤/٦ (وفي المصدرين الاخيرين زيادة في الاشعار المغنّاة).

(٣) - الاغاني (ب) ١٩٨/١٨ - ١٩٩.

(٤) - طبقات فحول الشعراء ٣١٢ البرصان والعرجان ١٢٧ بهجة المجالس ٩٧/١.

عليه الأحوص وقال له: السلام عليك يا جرير. فقال: وعليك السلام، فقال الأحوص: يا ابن الخطفي الفرزدق أشعر منك وأشرف فسأل عنه جرير فسُمِّيَ له فعيَّره بقوله:

يقر بعيني مـــا يقر بعينهـــا   واحسن شيء ما بـه العين قرتِ

واردف بكلام جارح فاحش[١].

ونلاحظ ان هذه الحادثة وردت في كتاب الاغاني مرتين مع بعض النقص في الالفاظ والاختلاف في سرد التفاصيل وربما شكَّل هذا التباين مصدر شك في الخبر نفسه او في تفاصيل وجزئيات منه. ونجد من جهة اخرى خبرا ينص على ان الأحـوص قال لجرير لما قدم المدينة: ماذا ترى ان نُعِدَّ لك؟ قال: شواء وطلاء وغناء. قال قد أُعد لك.[٢] مما يدل على معرفة شخصية جمعت بين الشاعرين ويحدثنا ابو الفرج ان جريرا كان في قُبـاء اذ طلع الاحوص وجرير ينشد:

لولا الحيـــاء لعـــادني استعبـــار   ولزرت قـــبرك والحبيـــب يُزارُ

فلما نظر الى الاحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول:

غوى الشعراء بعضهم لبعـــــض   عـــليّ فقـــد أصـــابهم انتقـــامُ

ثم عاد من حيث قطع، فلما فرغ قيل له: ولِمَ قلت هذا؟ قال: قد نَهَيْت الاحوص ان يُعين عليّ الفرزدق فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ولولا حقكم ما تعوذت منه[٣].

ولعل بعض الرواة استغل هذه الحادثة ليبني عليها ما ذكرناه سابقا متعمدا ايراد ما يدل على جهل جرير بشخص الاحوص.

وعلينا ان لا ننسى امتناع كل من الفرزدق وجرير عن نصرة ابن

---

(١) - الاغاني (د) ٢٩٥/١ و(ث) ١٢/٨ (مع اختلاف في التفاصيل) الموشح ١٨٨ الامتاع والمؤانسة ١٨٤/٣.

(٢) - عيون الاخبار ١٩٨/٣ العقد ٢٩٥/٦.

(٣) - الاغاني (ب) ٦٥/٧ - ٦٦.

بشير الانصاري الذي قدم عليهما طالبا اعانته في دفع اذى الاحوص حين هجاه[1].

ولم يقف الرواة عند حدود المعقول في محاولتهم النيل من الاحوص وفي سعيهم لطبعه بمظهر مُخزٍ سخيف فساق كل من التوحيدي والثعالبي خبرا منكرا وجعله الاول بين الاحوص وجرير بينما جعله الثاني بين الاحوص والفرزدق مما يدفعنا الى ترجيح بطلان الخبرين معا[2].

ويُلاحظ من أخبار الأحوص وكُثَيِّر أن البيت الذي طُعن به الأحوص قد تقاسمه مع كُثَيِّر ونقلته نفس المصادر التي نسبته للأحوص بنسبة أخرى الى كُثَيِّر، وعُيِّر هذا الأخير بكلام يشبه ما عُيِّر به الأحوص في هذا المقام[3]، ونسبه آخرون الى كُثَيِّر دون أن يلصقوه بالأحوص[4].

ولا يفوتنا في هذا المقام التنويه بتصارع الشعراء فيما بينهم وتطارحهم الشعر وانتقاد كل منهم الآخر لسقوطه في قول غير مناسب كما حدث للاحوص وعمر النصيب في خيمة كُثَيِّر الذي اخذ على الاحوص قوله:

فان تصلي اصلك وان تعودي ... لهجر بعد وصلك لا ابالي

واستحسن قبل ذلك قوله:

ادور ولولا ان ارى ام جعفر ... بابياتكم ما درت حيث ادورُ[5]

وحمل الاحوص على كثير لقوله:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٦٣/٤ - العمدة ٣٨/١ عيون التواريخ ١٦٩/٥.

(٢) - الامتاع والمؤانسة ١٨٤/٣ الكتابة والتعريض ٣٥.

(٣) - الاغاني (ث) ١١٠/١٦ الموشح ١٥٩.

(٤) - الزهرة ٨٧ مفتاح العلوم ٣٠٦.

(٥) - الكامل ١٥٥/٢ - ١٥٧ العقد ٣٧٢/٥ - ٣٧٣ الاغاني (ث) ١٠٤/١٢ - ١٠٩ الموشح ١٦٢ - ١٦٤.

وقلن - وقد يكذبن - فيك تعيُّف   وشؤم اذا ما لم تُطَع صاح ناعقه[1].

ويظهر ان الشعراء الغزليين في الحجاز قد عرفوا الميل الى التنافس في قول الشعر الملائم لطبائع المرأة واوصافها وما يليق بها وما يعبر تعبيرا صادقا عن اهوائها ونفسيتها وربما احتكموا في اقوالهم الى بعض الملمين بناصية الادب والثقافة[2].

ولم يفت بعض الشعراء النيل من غيرهم وانتقادهم لشعر سياسي او مدحي قالوه او لمعنى جاءوا به في قصيدة مدحية يدل على طمع بمال او خلاف ذلك من المعاني المكروهة في المديح. ومن هذه المآخذ ما عيّر به كُثَيِّر الاحوص في قوله يمدح بعض الامويين:

وما كان مالي طارفا من تجارة   ولا كان ميراثاً من المال مُتْلَبدا

ولكن عطايا من امام مبارك   ملا الارض معروفا وجودا وسؤددا

وعلق كثير على الشعر قائلا: انه لضرع قبحه الله[3].

٩ - حالة الاحوص المادية وتأثيرها على مواقفه:

يبدو ان الاحوص قد نشأ في عائلة فقيرة لا تملك من اسباب المعيشة ما ملكته عائلات اخرى لا سيما أسر المهاجرين والصحابة الاولين، او من اتصل بالخلفاء الامويين وعمالهم. وافصح الاحوص في شعره عن حاجته الى المال في حين اغفلت جميع المصادر ذكر هذه الحاجة الملحة فكان الاحوص لا يمدح خليفة او واليا ممن اتصل بهم الا تعمّد في مدحه ايراد تعابير توضح حاجته الى العطاء والمال كما يتضح من شعره الذي عيّره به كُثَيِّر. فمال الاحوص لم يكن من ثروة آبائه واجداده ولم يكن شاعرنا يتعاطى التجارة والربح ليحصل على ما يكفيه حاجته وليس ما بين يديه من الثروة سوى عطايا ممدوحه يزيد بن عبد الملك. وقبل

---

(١) - الاغاني (ث) ١٢/١٠٨.

(٢) - الاغاني (ث) ١٦/١١٠ - ١١١ والموشح ١٥٩ و١٦٠ - ١٦١.

(٣) - الاغاني (ث) ٩/٨ الموشح ١٨٨.

اتصاله بيزيد كان الاحوص يقطع المسافات الطويلة تاركا رياض العقيق ومن فيها من الاوانس والعشيقات لينال بعض عطاء من امير مصر عبد العزيز بن مروان معللا مشقات رحلته معزّيا نفسه بما يأمله من غنيمة يجريها عليه نسيبه الممدوح فيقول:

اني وجدك يدعوني لارضهم   قرب الاواصر والرفد الذي رفدوا

ونلاحظ صراحة الاحوص في ذكر حاجته وبؤسه وكثرة الدين المتراكم على كاهله في خطابه لعمر بن عبد العزيز بقوله:

فقلت: ان ابا حفص تداركني   منه نوال كفاني الدين والسفرا

ويواجهه في موضع آخر بحقيقة امره قائلا:

ووعدتني في حاجتي فصدقتني   ووفيت اذ كذبوا الحديث وبدلوا

وشكوت غُرما فادحا فحملته   عني وانت لمثله متحمل

ويقف الاحوص امام الوليد بن عبد الملك دون وجل او حياء ليصارحه بان مدحه اياه لم يكن الا لنيل جميل يزيل عنه البؤس ويدخله في نعمة من الخليفة فيقول:

فدعها واخلف للخليفة مدحة   تُزل عنك بؤسى او تفيدك أنعما

وتكاد لا تخلو قصيدة مدح قالها الاحوص في خليفة او امير من ابداء طمعه بمال يُذهب عنه حاجته وفقره ويوغل الى حدود ابعد من ذلك فيصرح بثقل عبء الديون عليه وغرقه في البؤس والشقاء.

ويمكن ان نعلل حاجة الاحوص الى المال الكثير لسعيه الدائب في مجاراة زملائه طلاب اللهو الأغنياء في ضروب الحياة والمعيشة من زهو باللباس الفاخر واغراق في الانفاق دون حساب. فكان يتأنق في لبسه ويضمخ جسده وثيابه بعطور فاخرة مستوردة من الامصار المفتوحة. ويسرف في الزينة ارضاء لمواقفه من النساء واستدعاء لاعجابهن به وميلهن اليه.

ولربما كان الاحوص يتميز بشيء من الكرم والسخاء في الانفاق تجاه

النازلين ببابه والوافدين اليه من الشعراء وغيرهم وهو يفخر بكرمه قائلا:

عودت قومي اذا ما الضيف نبهني	عقر العشار على عسري وايساري
اني اذا خفيت نار لمرملة	ألفى بأرفع تل موقدا ناري

امام هذه المتطلبات كان الاحوص مضطرا للوفود على الخلفاء طلبا للمال وطمعا في الاعطيات لا سيما بعض الامويين ممن تربطه بهم علاقة قربى.

ثم لا ننسى ان الحكم الاموي كان مجانبا للانصار في المدينة وكان الأنصار فيها خاضعين لنوع من الحكم لا يخلو من الشدة والعنف انزله بهم الامويون وخضعوا له مستكينين، وكان الاحوص - حسب ما ذكرت - يكره في قومه هذا الخضوع وهذه الاستكانة فهجا قومه هجاء مراً وملأهم شراً مثيرا كراهتهم له وسخطهم عليه حتى لم يعد له فيهم صديق ولا رفيق فتحول الى مدح الخلفاء طمعا بشيء من الرفعة والمجد وحسن المكانة عندهم كي يستطيع الاعتزاز على قومه وليزيل عنه بعض ما رُمي به من السوء وما وُضع فيه من الاحتقار والضّعة.

ولم تكن وفادته الى الامويين محققة لرجائه وآماله في كل المرات ولم يكن الخلفاء الامويون متساوين في معاملتهم له فلقي من بعضهم النكبات والمآسي ولقي من بعضهم الاخر عطاء مغلفا بالمكائد.

١٠ - اتصاله بالامويين: أ - مع معاوية وابنه يزيد (... - ٦٤هـ)

اشرت فيما سبق الى خبر نقله البغدادي وقال فيه ان الاحوص وفد مع ابيه على معاوية بن ابي سفيان فخطب الاحوص فوثب ابوه ليخطب فكفّه وقال: يا اياك قد كفيتك[(١)].

---

(١) - الخزانة ١/٢٨٩ - ٢٩٠.

وفي يزيد وتجبُّره وانقياد الناس الى ملكه يقول الاحوص:

ملـك تـدين لـه الملوك مبـارك		كـادت لهيبتـه الجبـال تزولُ..
تُجبـى لـه بلـخ ودجلـة كلهـا		ولـه الفرات ومـا سقـى والنيـلُ

وقيل ان الاحوص قال هذا في معاوية بعد وفاته يرثيه(١) ويُرجَّح ان يكون هذا القول في معاوية لان ما ورد فيه من المعاني تعتبر ألزم بمعاوية منها بابنه يزيد. ويغلب ان يكون البيتان اللذان ذكرهما المسعودي جزءا من قصيدة طويلة لم يصلنا منها سواهما.

وعثرتُ في شعر الاحوص على بيت واحد مفرد لم يبق غيره من قصيدة يمدح بها احد بني حرب يقول فيه:

وان بني حرب كما قـد علمتم		منـاط الـثريـا قـد تعلت نجومهـا(٢)

وقول الاحوص هذا لا يبعد عن معاوية او عن ابنه يزيد مما يدفعنه الى ترجيح وفادة الاحوص على معاوية ومدحه باكثر من قصيدة لم تصلنا لضياع ديوان الاحوص المصنوع ولان شعره الذي رسا بين ايدينا لا يمثل سوى مقطّعات متناثرة حفظتها لنا المصادر المختلفة.

ونقل صاحب الاغاني خبرا غريباً معتمدا على رواية للزبير بن بكار عن ابي محمد الجزري قال: كانت بالمدينة سلامة من احسن الناس وجها واتمهن عقلا... وكان عبد الرحمن بن حسان والاحوص يختلفان اليها فيرويانها الشعر ويناشدانها اياه فعلقت الاحوص وصدت عن عبد الرحمن.

وذكر لكلٍ من عبد الرحمن وسلامة والاحوص بيتا من الشعر في هذا المقام.

«فاضرب عنها عبد الرحمن وخرج ممتدحا ليزيد بن معاوية فاكرمه

---

(١) - مروج الذهب ١٦/٣.
(٢) - الكتاب ٢٠٦/١ تحصيل عين الذهب ٢٠٦/١.

واعطاه» ثم ان عبد الرحمن نصح يزيد بن معاوية بشراء سلامة «فاشتراها وحُملت اليه فوقعت منه موقعا عظيما»...

«وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالاحوص وهو قاعد على باب داره مهموماً واراد ان يزيده الى ما به فقال:

يا مبتلي بالحب مفدوحا   لاقى من الحب تباريحا..

(الى آخر الابيات)

فأمسك الاحوص عن جوابه. ثم ان شابين من بني أمية اراد الوفادة الى يزيد فاتاهما الاحوص وسألهما ان يحملا له كتاباً ففعلا. فكتب اليها معهما:

سلام ذكرك ملصق بلساني   وعلى هواك تعودني احزاني..

(الى آخر الابيات)

ثم غلبه جزعه فخرج الى يزيد ممتدحا له... فقربه يزيد واكرمه... فدست اليه سلامة خادما واعطته مالا على ان يُدخله اليها فأخبر الخادم يزيد بذلك. فقال: امضِ برسالتها. ففعل ما امره به وادخل الاحوص وجلس يزيد بحيث يراهما. فلما بصرت الجارية بالاحوص بكت اليه وبكى اليها. وأمرت فألقي له كرسي فقعد عليه «فتشاكيا شدّة الشوق وتحدثا الى السَّحر ويزيد يستمع اليهما من غير ان يكون بينهما ريبة ولدى خروج الاحوص قال:

امسى فؤادي في هم وبلبالِ   من حبّ من لم أزل منه على بالِ
فقالت: صحا المحبّون بعد النأي اذ يئسوا   وقد يئست وما أصحو على حالِ
فقال: من كان يسلو بيأس عن اخي ثقة   فعن سلامة ما امسيت بالسالي
فقالت: والله والله لا انساك يا سكني   حتى يفارق مني الروح أوْصالي
فقال: والله ما خاب من امسى وانت له   يا قرة العين في أهلٍ وفي مالِ

ثم ودّعها وخرج. فأخذه يزيد ودعا بها «وطلب منهما ان يصدقاه ما كان بينهما فاخبراه وانشداه ما قالاه فلم يحرفا حرفا فقال له يزيد:

اتحبها يا أحوص؟ قال: أي والله يا امير المؤمنين:

حبّا شديدا تليدا غير مطرف بين الجوانح مثل النار يضطرمُ

فقال لها: أتحبينه » قالت: نعم يا امير المؤمنين:

حباشديداجرى كالروح في جسدي فهل يفرق بين الروح والجسدِ

فقال يزيد: انكما تصفان حبا شديدا. خذها يا أحوص فهي لك ووصلة بصلة سنية فانصرف بها الى الحجاز[1].

وجاءت هذه القصة في البداية والنهاية مستقاة من نفس المنبع مع بعض الاختلاف في الرواية ونقص في الاشعار وابدال لبعض الاقوال[2].

وقلب ابن الجوزي هذه القصة وجعل الجارية تعلق بعبد الرحمن وتصدّ عن الاحوص وحذف من بعض الاشعار شيئا وزاد في بعضها الآخر أبياتا. وما أُتي به من الشعر ساقط سخيف[3].

وفي اختلاف روايات القصة وما ورد فيها من الاشعار التي لا تشبه من قريب أو من بعيد نمط الاحوص وجزاله شعره ومتانة الفاظه مصدر شك في القصة برمتها.

فالمعروف ان سلامة اشتُريت ليزيد بن عبد الملك وكانت قبل شرائها جارية لمصعب بن سهيل الزهري[4] ثم ان أثر التوليد ظاهر في القصة وقد كان ابو الفرج أفرس من أن يخفى عليه وضع هذه القصة الباطلة وانتحال هذا الشعر الساقط فقال في مبتدأ خبره وقبل ان يشرع بعرض فصول الرواية «ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبر الاحوص مع سلامة التي ذكرها في هذا الشعر وهو مصنوعٌ لا أشكّ فيه لان شعره المنسوب الى الاحوص شعر ساقط

---

(١) - الاغاني (ث) ١٢٩/٩ - ١٣٢.

(٢) - البداية والنهاية ٢٣٤/٨ - ٢٣٥.

(٣) - ذم الهوى ٦١٢ - ٦١٥.

(٤) - الاغاني (ب) ١٢/٨.

سخيف لا يشبه نمط الاحوص والتوليد بَيِّنٌ فيه يشهد على أنه محدث. والقصة ايضا باطلة لا اصل لها. ولكن ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة ».

ب - مع عبد الملك واخيه عبد العزيز: (٦٥ هـ - ٨٦ هـ)

تكاد تقتصر اغلب الاخبار التي وصلتنا عن الاحوص على علاقته بالخلفاء من بني الحكم والامراء منهم منذ تسلمهم للسلطة وحتى وفاة الشاعر في فترة بلغت قريبا من اربعين عاما حفلت بشتى الوان العلاقات الممكنة بين شاعر وحاكم فاحتقره بعضهم واكرمه البعض. ومنهم من أمر بجلده ونفاه ووصل الامر بالشاعر الى درجة هجاء احدهم واستعطف غيره ومدح عددا منهم في مناسبات عديدة وبعض الامويين نادمه وسامره ونافس به ولم يتورع عن قبول المكائد له من الآخرين.

وكانت فترة معايشة الشاعر لحكمهم مثخنة بشتى اشكال التعامل جيّدها ورديئها ولكن الاحوص اخلص في مدحه لهم بشيء من الصدق حينا وبكثير من الوصولية احيانا فكان يأمل في ممدوحيه مصانعةً مقبولةً له كما طمع مرارا بمركز مرموق لديهم دون ان ينال ما يبتغيه. ومن أقواله فيهم:

وان اظلمت يوما من الناس طخية ... اضاء بكم يا آل مروان منسمُ[1]

ورغم امتداد فترة حكم عبد الملك بن مروان ردحاً من الزمن يربو على العشرين عاما ويساوي نصف المدة التي عاصر خلالها الأحوص حكم بني مروان أو يزيد عنه قليلا، فإن ما وصلنا من أخبار الشاعر لا يحمل في طياته أي نبأ عن لقاء مباشر بين الأحوص وعبد الملك ولم يردنا في شعره ما يدل على مدحه له.

(١) - اللسان، والتاج: مادة (نسم).

ولعل عدم اتصال الاحوص بعبد الملك يرجع الى اسباب يعود بعضها الى السياسة وموقف الخليفة من اهل المدينة الانصار اذ عرف اول عهد عبد الملك في الخلافة انتفاضة الحجاز عليه بقيادة عبدالله بن الزبير وبعد قضائه على هذه الانتفاضة اخذ عبد الملك اهل المدينة بالعنف[١] فثار اهلها بقيادة ابن الاشعث وما لبث الحجاج ان اخمدها بالقّوة والشدّة وطلب ممن أسرهم بعد اخضاع المدينة، الاختيار بين الاعتراف بالكفر والقتل صبرا جزاء انخراطهم في صفوف الثورة[٢].

ولم يجتمع الناس على عبد الملك الا بحلول العام الثالث والسبعين بعد الهجرة. فقدم المدينة حاجا سنة خمس وسبعين فجلس عبد الملك على المنبر فشتم اهل المدينة ووبخهم ثم قال: «اني والله ياهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفسون القليل وتحسدون على الكثير وما وجدت لكم مثلا الا ما قال مخنثكم واخوكم الاحوص:

وكم نزلت بي من خطوب مهمة ... خذلتم عليها ثم لم اتخشعِ
فادبر عني شرها لم أبل بها ... ولم ادعكم في كربها المتطلعِ.

فقام اليه بعضهم قائلا: «يا امير المؤمنين اقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة فعد بحلمك فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا فقد قال من ذكرت بعد بيتيه الاولين:

واني لَمستأن ومنتظر بكم ... وان لم تقولوا في الملمات دَعْ دَعِ
أُؤمّلُ منكم ان تروا غير رأيكم ... وشيكا وكيما تنزعوا خير منزعِ[٣].

ويظهر من الخبر المذكور مدى التباعد والبغضاء وانعدام الثقة التي كانت تسود العلاقة بين عبدالملك واهل المدينة كما يظهر ان الخليفة كان يعرف الاحوص ويسمع اشعاره ويعرف اخلاقه واوصافه ولربما

(١) - العقد ٢/١٦٨.
(٢) - العقد ٢/١٤٣ و٢/٤٦٤ - ٤٦٥.
(٣) - الاغاني (د) ٤/٢٥٤ عيون التواريخ ٥/١٦٩.

وصله شعر الأحوص من طريق الرواة لأن نظرة عبد الملك في الأحوص ووصفه له بالخنث لا يشجعان على الاعتقاد بان يكون الشاعر قد اكثر من الوفادة على عبد الملك الذي كان رجل جِّدٍ قسوة وأدب[١].

وسيق اسم الاحوص في خبر لكثير بن عبد الرحمن مع عبد الملك بن مروان اذ ادعى كثير انه من كنانة قريش قائلا:

اليس أبي بالصلت ام ليس اخوتي بكل هجان من بني النضر أزهرا (الخ)

فقال له عبد الملك: لا بد ان تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة. وحمله وكتب به الى العراق في امره. واخذ ابو الفرج هذا الخبر وتوابعه من مصدرين مختلفين، احدهما يعود الى عمر بن شبّة ولم يتجاوزه الى احد والاخر تلقاه الزبير بن بكار عن عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن وَلَدِ جمعة بنت كثير الذي وجد الخبر ومعه الشعر في كتب ابيه التي فيها شعر كثير.

وكان ابو الفرج مثالا للامانة في تفصيله الاختلاف بين الروايتين، بشكل دقيق وواضح فنقل عن عمر بن شبّة قوله: «فاجابته خزاعة الحجاز الى ذلك وقال فيه الاحوص: - وزاد ابو الفرج: ويقال بل قاله سراقة البارقي -

لعمري لقد جاء العراق كثير باحدوثة من وحيه المتكذّبِ (الخ)

وقال كثير - حسب ما روى ابن شبة - يجيب الاحوص. وفي خبر الزبير: «قاله لابي علقمة الخزاعي»:

أيا خبث اكرم كنانة انهم مواليك إنْ أمرٌ سَمَا بك مَعلقُ (الخ)

فاجابه الاحوص فقال:

دعِ القوم ما حلوا ببطن قراضم وحيث تقشّى بيضهُ المتفلقُ
فانك لا عمرا أباك حفظته ولا النضران ضيعت شيخك تلحقُ[٢]

---

(١) - العقد ٢/١٦٧ و٤٢١ و٤٧٩ و١٧٧ و١٤٣.

(٢) - الاغاني (ث) ٩/١١ - ١٣.

ولم يذكر الاصبهاني مصدر نسبه الابيات الاخيرة للاحوص واغلب الاعتقاد ان يكون عمر بن شبّة مصدرها لان الزبير لم يورد فيما سبق من روايته ذكرا للاحوص. ويُرجّح عندي الاخذ بما اخبر به الزبير بن بكار وردُّ ما رواه عمر بن شبّة لان انقطاع سنده يضعف الرواية من جهة ومن جهة اخرى فان الاحوص لم يدخل باب الخصومة السياسية والعقائدية والقبلية وانما كان مدحه لمن اتصل بهم ممهورا بدافع الطمع بالمال والعطاء لرد فقره ودفع الدَّيْن عنه وبدافع القرابة في بعض الاحيان.

ولا ننسى ان الزبير بن بكار كان ملما باخبار الاحوص فجمعها في كتابه « اخبار الاحوص[1] » واستند ابو الفرج الى هذا الكتاب في نقله لاكثر اخبار الشاعر، وما لنا نبعد كثيرا وبين ايدينا ما يثبت خبر الزبير ويبطل اقحام الاحوص في هذه المعركة السياسية. وهذا الدليل حمله المصعب الزبيري واوضح فيه بما لا يدع مجالا للشك ان الخصومة كانت بين كثير وابي علقمة الخزاعي وقال ان صاحب الابيات الاخيرة هو عبد العزيز بن وهب بن جبير مولى خزاعة[2]. وهذا القول اقرب الى الصحة لان الابيات المذكورة تنفر عن نمط الاحوص ومذهبه في الشعر.

ووجد الاحوص طيلة سنوات حكم عبد الملك متنفّسه في مدحه لعبد العزيز بن مروان الذي كان بادىء الامر وليا لعهد أخيه ثم استعمله اخوه على مصر سنة خمس وستين لابعاده عن ولاية العهد وليتسنى له عقدها لابنه الوليد. وبقي عبد العزيز واليا على مصر حتى وافته المنية سنة اربع وثمانين. وعبد العزيز هو زوج ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ووالدة عاصم بن عمر هي جميلة بنت ثابت بن ابي الاقلح، أخت عاصم بن ثابت جد الاحوص.

---

(١) - الفهرست ١١١.

(٢) - نسب قريش ١١ - ١٢.

وشَّكلت هذه القرابة منفذ الاول لولوج قصور بني مروان طمعا بنيل العطايا الوافرة كي يسدَّ بها ما لحق به من فقر ودَيْن وليدفع بهم ما ناله من احتقار ومجافاة واضطهاد.

وكان عبد العزيز اقرب الامويين الى الاحوص الذي كان بدوره صادقا في مدحه له فسطّر في اشعاره مدائح كثيرة قالها في عبد العزيز وما وصلنا منها على قلته يكاد يفوق بعدد ابياته ما مدح به كل خليفة او امير أموي منفردا. ولعل لسان حال الاحوص متمثل في بيت واحد قاله في عبد العزيز ولم يصلنا غيره من قصيدة طويلة يقولها فيه:

متى ما أقل في آخر الدهر مدحةً فما هي إلاّ لابن ليـــلى المكرّمِ[1]

فيبدو واضحا ان اتصال الاحوص ببني مروان ومدحه لهم كان مرده لمكانة عبد العزيز وكرامته عند الاحوص وقرابته له فكان عبد العزيز رمز متمثل في كل معنى صاغه الاحوص مادحا من جاء بعد عبد العزيز وفي مقابل هذه المودة التي حملها الشاعر للاميركان والي مصر يُجري على الاحوص اعطيات ما تكاد تنضب حتى اصبح ما في يدي الاحوص فرعا من النهر الكبير الدافق المنبعث من اكف عبد العزيز وغدا الشاعر يقصد ارض الجود والكرم ليستقي من النبع الفائض كلما أحس جفافا داهما. فيقول:

اني وجـــدك يـــدعوني لأرضهم قربالاواصروالرفدالذيرفدوا

وارض عبد العزيز هي وادي النيل التي بقي واليا عليها منذ بدء سيطرة بني مروان على الحكم تقريبا حتى وفاته قبيل انتهاء عهد اخيه عبد الملك.

فهل زار الاحوص مصر مادحا لعبد العزيز؟ ام كان مدحه له اثناء اقامته في المدينة قبل توليه ارض النيل؟

---

(١) - عيار الشعر ٧٦.

أورد ابن سلام قصيدة مدح بها الأحوص عبدالعزيز دون أن يذكر مكان حصول اللقاء بينهما وزمانه ولم يذكر أية تفاصيل تساعدنا على تبيان ذلك.[1] ولكن الأحوص لم ينسَ أن يسجل في قصائده ما يصبو اليه الباحث من حقائق لمعرفة ما أهمِل من أخبار حياته فقال في القصيدة المذكورة:

اهم لانسى ذكرهـــا فيشوقني رفـاق الى اهـل الحجـاز نوازعُ
وانّـا عـدانـا عن بـلاد نحبهـا امـام دعـانـا نفعـة المتتـابـعُ
أغرٌّ لمروان وليـــلى كـــأنـــه حسام جلت عنه الصياقل قاطعُ

يتخلص الاحوص من الغزل ليدخل في موضوع المديح بذكر رفاق دربه الى الممدوح وهم قرناؤه في الحجاز ولعل هؤلاء الرفاق كانوا من الشعراء المعاصرين له. فالنصيب اكثر من الوفود الى مصر ومدح مولاه عبد العزيز وكُثَيِّر بن عبد الرحمن رحل الى مصر ايضا مادحا لواليها. ولا نستبعد ان يكون النصيب وكُثَيِّر وغيرهما من الشعراء رفاق درب الاحوص في رحلته الى مصر وقد كان للشعراء الحجازيين الثلاثة مجتمعين مواقف مشتركة كثيرة في حياتهم فوفدوا معا على عمر بن عبد العزيز وكانت لهم دالة على عمر ومعرفة قديمة به وكان كل واحد منهم يعتقد ان عمر سيشركه في الخلافة لسابقته عند عبد العزيز بن مروان.

ويمكننا الاعتقاد بان الاحوص قد زار مصر مادحا لعبد العزيز مع رفاقه هؤلاء تاركا بلادا يحبها مدعّوا بطلب النفع المتلاحق من والي تلك البلاد النائية. ويُقوّي هذا الرأي ما وصفه الاحوص في قصيدة دالية اخرى يمدح بها عبد العزيز من أمر رحلته الى الممدوح فيذكر الشاعر تفاصيل الرحلة ودقائقها بشكل واضح وجميل بدءا بالحوار بينه وبين فتاته التي تحاول اقناعه بالبقاء قربها ولكنه يعاندها مؤثرا ترك البلاد التي تقيم فيها حبيبته متحملا وزر الشوق القاتل زائرا اهل

---

(١) - طبقات فحول الشعراء ٥٣٤.

حلوان غير مبالٍ ببعد تلك الديار التي زارها بفعل قرابته بالممدوح وعطائه الواسع. ويصف الشاعر ناقته وحالها في تلك الرحلة صادقا في تصوير دقائق تحركاته عند تهيئة حوائج رحلته وخلال مسيرة الطويل ذاكرا النيل واهل مصر ومناطق منها فيقول:

قالت أقم لاتَبِنْ منّا فقلت لها … اني وان كنت ملعوجا بيَ الكَمَدُ
لتاركٌ ارضكم من غير مقلية … وزائر اهل حلوان وان بعدوا
اني وجدك يدعوني لارضهم … قرب الاواصر والرفد الذي رفدوا
هل تبلغنّي بني مروان ان شحطت … عني ديارهم عيرانةٌ أُجُدُ

ويصل الى قوله:

وما مدحت سوى عبد العزيز وما … عندي لحيٍ سوى عبد العزيز يدُ
لو كان ينقص ماء النيل نائله … امسى وقد حان من جمّاته نَفَدُ

ج - مع الوليد بن عبد الملك وعماله على المدينة: (٨٦هـ - ٩٦هـ)

يبدو ان العلاقة بين الوليد والاحوص قد عرفت نوعا من الموازاة في المعاملة والتعامل. فمن جهة كان الاحوص يكثر من المديح للوليد ومن جهة اخرى كان الخليفة يقابل الشاعر بالاكرام عليه وانزاله منزلة حسنة عنده وربما كان يقابل بعض اخطاء الشاعر بالحلم والمسامحة.

ولعل زواج الوليد بن عبد الملك من ام البنين، بنت عبد العزيز بن مروان[١] جعل له مكانة عالية عند شاعرنا الذي كان يحمل مودة عظيمة لقريبه عبد العزيز ويمكن ان يكون الاحوص قد وفد على الخليفة غير مرة وقد مدحه بشعر كثير لقي معظمه الضياع ووصلنا منه عدد محدود من الابيات والمقطعات بقواف مختلفة ومنها بيت مفرد ساقته لنا بعض معاجم اللغة كشاهد في مادة «غضض» يقول فيه:

سأطلب بالشام الوليد فإنه … هو البحر ذو التيار لايتغضغضُ[٢]

(١) - العقد ٤/٤٢٢.
(٢) - اللسان، التاج، الصحاح مادة «غضض».

وحفظ لنا صاحب الاغاني نصا ثمينا يقول فيه «ركب الوليد بن عبد الملك الى المساحد فاتى مسجد القصبة فلما صلّى قال للاحوص: يا احوص اين الزوراء التي قال فيها صاحبكم:

إني أقيم على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاخوان ذو المالِ

فاشار له الاحوص اليها وقال: ها هي تلك لو طولت لاشقرك هذا الحال عليها...[1]

ويلقي الخبر المذكور الضوء الساطع على المعرفة الشخصية التامة التي كان يحملها الوليد تجاه الاحوص والثقة التي كان يوليه اياها. ويبيّن الخبر ان الاحوص كان في تلك الفترة يتمتع بصفة مميزة لدى الوليد بن عبد الملك جعلته يرافقه في جولته داخل المدينة ويصلّي معه في المسجد وبهذه الصفة اصبح الاحوص محطّ نظر الوليد وموضع سؤاله لمعرفة ما يتطلع الخليفة الى ادراكه في محيط الاحوص.

وحدث مرة ان كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة ليُشخص اليه ابن سريج فاشخصه فلما مثل بين يديه اندفع فغنى بشعر الاحوص في مدح الوليد:

أمنزلتَيْ سُلمى على القدم اسلما فقد هجتما للشوق قلبا متيّما

ومنها قوله:

فدعها واخلف للخليفة مدحة تُزلْ عنك بؤسى أو تفيدك أنْعُما
فان بكفيّه مفاتيح رحمة وغيث حيا يحيا به الناس مُرهما
امام اتاه الملك عفوا ولم يُثب على ملكه مالا حراما ولا دما
تخيّره ربُّ العباد لخلقه ولياً وكان الله بالناس أعلما
فلما قضاه الله لم يدع مسلما لبيعته الا أجاب وسلّما

---

(١) - الاغاني (ب) ١١٩/١٣.

ينـال الغنـى والعزّ من نـال ودّه ويُرهـب موتـا عـاجـلا من تَشَأّمـا

فقال الوليد: «احسنت والله واحسن الاحوص. عليّ بالاحوص». واندفع بعدها ابن سريج فغنى بشعر عدي بن الرقاع العاملي يمدح الوليد فامر باحضار عدي بن الرقاع ايضا.

ويظهر من الرواية ان الاحوص قال هذا الشعر قبل طلب الوليد لابن سريج بدليل ان الوليد امر باحضار الاحوص بعد سماعه الغناء بهذا الشعر من المغني ثم ان جودة غناء ابن سريج في اللحن تعود الى سماع المغني للشعر ووضعه اللحن عليه قبل قدومه الى الوليد.

وعندما وصل الاحوص والعاملي بعد طلبهما من قبل الوليد امر الخليفة بانزالهما منزلاً الى جنب ابن سريج. فاسمعا المغني كلام ازدراء واستخفاف به فقال لهما: أوقلة شكر؟

فشتمه عدي وحلف الاّ يجمعه واياه سقف بين، او صحن دار الا عند الخليفة. فقال الاحوص لعدي بن الرقاع: «اولا تحتمل لابي يحي (ابن سريج) الزلة والهفوة. وكفارة يمين، خير من عدم المحبة واعطاء النفس سُؤْلَها خير من لجاج في غير منفعة».

فتحول عدي عن ابن سريج وبقي عنده الاحوص. وبلغ الوليد ما جرى بينهم فدعا ابن سريج وادخله بيتا وارخى دونه سترا ثم امره اذا فرغ الاحوص وعدي من كلمتيهما ان يغني. فلما دخلا وانشداه مدائح فيه رفع ابن سريج صوته من حيث لا يرونه وضرب بعوده. فاعجب الحاضرون بصوته وحسن غنائه وكانت دهشة عدي كبيرة حين، عرف ان صاحب الصوت لم يكن سوى مولى بني نوفل الذي شتمه فقال: حق لهذا ان يُحمل (ثلاثا)[1].

ثم امر الوليد للشاعرين بمثل ما امر به لابن سريج وارتحل القوم

---

(١) - الاغاني (د) ١/٢٩٧ نهاية الارب ٤/٢٤٦.

عائدين الى الحجاز.

ولعل حسن العلاقة بين الاحوص والوليد كان في بادىء الامر متوازيا مع حسن علاقة الشاعر بعامل الوليد على المدينة عمر بن عبد العزيز وكان متوافقا كذلك مع المودة التي جمعت بين الاحوص وعامة بني امية من اصحاب الشأن ايام الوليد بن عبد الملك.

ولي عمر بن عبد العزيز المدينة للوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين للهجرة(١) فاستعمل عمر ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على القضاء في المدينة(٢).

وكان الاحوص يتقرب الى عمر واخيه ابي بكر ابني عبد العزيز ويكثر من مدح صهرهما الوليد لصلة القرابة التي كانت تجمعه معهم كما بينا فيما سبق.

ودخل الاحوص مرة منزل ابي بكر عقب خروج موسى شهوات منه ومدحه بقصيدة قال فيها:

ضوء نار بدا لعينيك ام شبَّتْ بذي الأثل من سلاّمة النارُ
وكذاك الزمان يذهب بالنا سِ وتبقى الديار والآثارُ

فحاول موسى شهوات النيل من الاحوص لانه اورد البيت الاخير في قصيدته متهما اياه بسرقته منه فاسكته الاحوص ورد تهمته وكشف ان البيت للبيد وليس لاحد منهما.(٣)

وكان الاحوص على ما يبدو يعتمد على صلته بابناء عبد العزيز في الوصول الى الخليفة لا سيما ابو بكر بن عبد العزيز الذي كان يقيم في دار الخلافة.

---

(١) - اخبار القضاة ١٣٣/١.
(٢) - نفس المصدر ١٣٥/١.
(٣) - الاغاني (ث) ١٢٩/٩.

فلما حج ابو بكر وقدم المدينة دخل عليه الاحوص واستصحبه فاصحبه. وعندما خرج الاحوص من مجلس ابي بكر قال لهذا الاخير بعضُ من عنده: ما تريد بنفسك؟ تقدم بالاحوص الى الشام وبها من ينافسك من بني ابيك وهو من الافن والسفة ما قد علمت فيعيونك به.

فلما رجع ابو بكر من الحج دخل عليه الاحوص متنجزا لما وعده من الصحابة. فدعا له ابو بكر بمائة دينار واثواب وقال: يا خال اني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت ان اهجم بك على امير المؤمنين، من غير اذنه فيجبهك فيشمت بي عدوي من اهل بيتي ولكن خذ هذه الثياب والدنانير وانا مستأذن لك امير المؤمنين، فاذا اذن لك كتبت اليك فقدمت عليّ.

فقال الاحوص: لا ولكني شُيّعت عندك ولا حاجة لي بعطيتك. ثم خرج من عنده فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فارسل الى الاحوص وهو يومئذ امير المدينة. فلما دخل عليه الاحوص واعطاه مائة دينار وكساه ثيابا فاخذ ذلك منه. ثم قال له عمر: يا خال هب لي عرض اخي ابي بكر قال: هولك. ثم خرج الاحوص فقال قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز مطلعها:

يا بيت عاتكة الذي أتعزّلُ   حذر العدا وبه الفؤاد موكّلُ

وجاء فيها:

اني كفاني ان اعالج رحلة   عمر، ونبوةَ من يضنّ ويبخلُ
اغنت قرابته وكان لزومه   امرا أبان رشاده من يعقلُ
حتى اذا رجع اليقين، مطامعي   يأسا، واخلفني الذين أؤمّلُ
زايلت ما صنعوا اليك برحلة   عجلى، وعندك عنهم متحوّلُ
ووعدتني في حاجتي فصدقتني   ووفيت اذ كذبوا الحديث وبدّلوا

وتابع انشاده الى ان قال:

فلأشكرن لك الذي اوليتني   شكرا تحلّ به المطي وترحلُ

مدحا تكون لكم غرائب شعرها ... مبذولة ولغيركم لا تُبذلُ
فاذا تنخّلت القريض فانه ... لكم يكون خيار ما اتنخّلُ

ووصل الى قوله:

واراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مَذِقُ الحديث يقول ما لا يفعلُ
وأرى المدينة حين صرت اميرها ... أمِنَ البرىءُ بها ونام الأعزلُ

ولما فرغ من انشادها قال له عمر: ما اراك اعفيتني ما استعفيتك منه. وذلك انه مدح عمر وعرض باخيه ابي بكر(١).

ويظهر من قصيدة الاحوص هذه ولا سيما بيته الذي يقول فيه «مدحا تكون..» انه قد مدح عمر بن عبد العزيز حين كان امير المدينة بقصائد عدة ولم يصلنا منها سوى هذه اللامية وبضعة أبيات من رائية أخرى يقول فيها:

فقلت: ان ابا حفص تداركني ... منه نوال كفاني الدَّيْن والسفرا
وشرّد الهمَّ عني بعد ما حضرت ... منه حواضر لا أنوالها صدرا
فكنت فيكم كممطور ببلدته ... فَسُرَّ ان جمّع الاوطان والمطرا

ويؤكد الاحوص ان روعة اشعاره وحسنها يتدافعان في مدحه لعمر كما كانا يتدافعان في مدح والده عبد العزيز الذي يمثل الرمز الحاضر في كل كلمة يقولها الاحوص مادحا بني مروان.

وقد اصبح مطلع القصيدة والبيت الكائن فبل الاخير فيما بعد موضوع حكاية غريبة تدل على الفطنة والنباهة جرت فصولها بين المنصور ووزيره الربيع وبعض من رافقهم خلال جولتهم في المدينة. وتسابقت كتب الادب والتاريخ والنوادر في تسجيلها(٢).

---

(١) - الاغاني (ث) ١٠٨/٢١ - ١١٢ ذيل زهر الآداب ٥٧ - ٥٨. المنازل والديار ٤٢٧/١ - ٤٣٠. عيون التواريخ ١٦٨/٥ الخزانة ٢٤٩/١ - ٢٥٠.

(٢) - ثمار القلوب ٢٥٣ - ٢٥٤ سمط اللآلي ٢٥٩/١ كنايات الجرجاني ٨٣ المفوات النادرة ١٠٨ حلبة الكميت ٩٣ نهاية الارب ١٦١/٣ خزانة الحموي ٢٣١ ثمرات الاوراق ١٣٩/١ المستطرف ١٩٨/١ تحفة المجالس ٨١ - ٨٢ معجم الادباء (طبع مصر) ٧٥/٦ الخزانة ٢٤٨/١ وغيرها كثير.

ولم يدم للاحوص هدوء باله الذي نعم به ايام ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة في خلافة الوليد ففي سنة اربع وتسعين هجرية استدعى الخليفةُ عمرَ الى الشام وولّى مكانه عثمان بن حيان المرّى فاقرّ عثمانُ ابا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم على القضاء ثم ما لبث ان تولّى ابن حزم الامارة بعد عثمان[١].

ويبدو ان الخصومة كانت قد استفحلت بين الاحوص وابن حزم منذ توليه الامارة أوهي بدأت قبل ذلك حين كان ابن حزم لا يزال قاضي المدينة لعمر بن عبد العزيز وعثمان بن حيان ولعل السبب في هذه الخصومة كان يتمثل في دأب ابن حزم على رمي الاحوص ببعض السوء الذي أُتهم به الشاعر فركب الأحــوص الى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزم اياه.

ولقيه رجل من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة فوعده ان يُعينه على ابن حزم. فلما دخلا على الوليد قال: ويحك ما الذي رُميت به يا احوص؟ فقال الشاعر: والله يا امير المؤمنين لو كان الذي رماني به ابن حزم من امر الدِّين لاجتنبته الاّ ان دناءته دعته الى ذمي والوقوع في عرضي وكيف وهو اكبر عاصٍ للّه (عز وجل).

فقــام المخزومي واثني عــلى ابن حزم وخــذل الاحوص. فقــال الاحوص: هذا والله كما قال الشاعر[٢].

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما احال على الدمِ[٣]

ولعل البغضاء التي نشبت بين الاحوص وابن حزم جعلت هذا الاخير يتربّص بالاحوص للايقاع به والنيل منه لأتفه الاسباب وابسطها.

---

(١) - اخبار القضاة ١٣٥/١.

(٢) - الفرزدق.

(٣) - الأغاني (د) ٢٤٦/٤ مختصر شرح الحماسة ص٨٠ (وبينهما خلاف في بعض الأقوال).

وسنحت الفرصة امام ابن حزم ليحقق ما يسفي غليله من خصمه حين اكثر الاحوص من التشبيب الرقيق بأم جعفر حتى شاع ذكره لها في الناس وتغنى المغنون باشعاره فيها ومن هذه الاشعار قوله:

لقـــد منعـت معروفهـا ام جعفر   واني الى معروفهـا لفقـيرُ(الخ)

ومنها ايضا:

ارسلـــت ام جعفر لا تزرنـــا   ليت شعري بالغيب ماذا دهاها (الخ)

وقال فيها كذلك:

واني ليـــد عوني هوى ام جعفر   وجاراتها من ساعة فاجيبُ (الخ)

فتوعده اخوها أيمن وهدّده فلم ينتهِ فاستعدى عليه والي المدينة ابا بكر ابن حزم وكان الوالي يبغض الاحوص فبعث ابن حزم الى الاحوص فاتاه. فقال له: ما تقول فيما يقول هذا؟ - واشار الى أيمن - قال: وما يقول؟ قال: يزعم انك تشبب باخته وقد فضحته وشهرت اخته بالشعر. فانكر الاحوص ذلك. فقال الوالي لهما: لقد اشكل عليّ امركما ولكنني ادفع الى كل واحد منكما سوطا ثم اجتلدا بين يديّ.

وكان الاحوص قصيرا نحيفا وكان أيمن طويلا ضخما وجلدا. فغلب أيمنُ الاحوصَ وضربه حتى صرعه واثخنه. فقال أيمن في ذلك: - ويقال: بل قاله بعض الشعراء[١] وهو السائب بن عمرو احد بني عمرو ابن عوف[٢] -

لقـد منـع المعروف من ام جعفر   اشم طويـــل الساعـــدين غيورُ
علاكَ بمتن السوط حتى اتقيتـه   بـأصفر من مـاء الصفـاق يفورُ

فقال الاحوص يرد عليه:

اذا انـــا لم اغفر لأيمن ذنبـــه   فمن ذا الذي يغفر له ذنبه بعدي

---

(١) - اخبار النساء ٩٨.
(٢) - الاغاني (د) ٢٥٥/٦.

اريد انتقام الذنب ثم تردّني يدٌ لأدانيةٍ مباركة عندي[1]

وكان أبو الفرج قد أخذ خبره من ثلاثة مصادر. فوافق خبر عمر بن شبة وخبر محمد بن داوود بن الجراح ما أثبتناه، ولكن الزبير بن بكار قال في خبره خاصة: «وإنما أعطاهما عمر بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان فإنه لما تهاجى سالم بن دارة ومرة بن واقع لزّهما عثمان بحبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما[2]». في حين أغفل صاحب أخبار النساء ذكر اسم أمير المدينة موضع الحكم في هذه الحادثة.

والغريب في الامر ان الاحوص لم يكن يعرف ام جعفر مطلقا وثبت جهله لها حين قدمت عليه في مجلس قومه وطلبت منه قضاء دين لها عنده فجعل يحلف مجتهدا انه ما يعرفها ولا رآها قط فاجتمع الناس عليه وكثر لغطهم حوله حتى قامت فقالت: يا عدو الله صدقت والله مالي عليك حق ولا تعرفني وقد حلفت وانت صادق. وانا ام جعفر وانت تقول: قلت لام جعفر وقالت لي ام جعفر في شعرك. فخجل الاحوص وانكسر على ذلك وبرئت عندهم[3].

ولما رأى الاحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد بقصيدة طويلة قال فيها:

أهوى أمية ان شطّت وان قربت يوما وأهدي لها نصحي وأشعاري
ولووردت عليها الفيض ما حفلت ولا شفت عطشي من مائه الجاري

ثم شخص الى الوليد يمدحه فدخل عليه وانشده قصيدته هذه فلما بلغ الى هذين البيتين:

---

(١) - أخبار القضاة ١٣٧/١ - ١٣٨ العقد ١١٠/٥ - ١١١ الأغاني (د) ٢٥٤/٦ - ٢٥٥ أخبار النساء ٩٨.

(٢) - الاغاني (د) ٢٥٥/٦ عيون التواريخ ١٧٠/٥.

(٣) - الامالي الزجاجي ١٢٣ الاغاني (د) ٢٥٨/٦.

لا ترثــينَّ لحزميّ رأيــت بــه ضُرًّا ولو أُلقيَ الحزميُّ في النّــارِ
النــاخسين بمروان بــذي خُشُبٍ والمُقْحَمين على عثمان في الـدارِ

قال له الوليد: صدقت والله لقد اغفلنا ابن حزم. ثم دعا كاتبه وقال: اكتب عهد عثمان بن حيان المّري على المدينة واعزل ابن حزم واكتب اليه ان يستصفي اموال بني حزم وان يُسْقَطوا من الديون ولا يأخذون لأموي عطاءً ابدا. ففعل ذلك[١]

فلم يزالوا في الحرمان مع ذهاب الاموال والضّياع حتى انقضت دولة بني امية وجاءت دولة بني العباس فلما قام ابو جعفر المنصور جلس مجلسا عاما لأهل المدينة ببغداد فدخل عليه فيمن دخل شاب من ولد عمرو بن حزم فانتسب ثم قال: يا أمير المؤمنين: قال الأحوص فينا شعرا أُمنِعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة. وأنشده الشعر.

(فقال المنصور: لا جرم انك تحتظي بهذا الشعر كما حُرمت به فدفع له عشرة آلاف درهم وأمر بردّ ضِياع بني حزم عليهم وان يُعطوا غلاتهم عن كل سنة سالفة من ضِياع بني امية... فانصرف الفتي بَما لم ينصرف به أحد من الناس[٢].

وروى بعضهم أن الأحوص وفــد عــلى الوليــد بن عبــد الملــك وامتدحه فانزله منزلا وامر بمطبخةٍ تُمال عليه. وكان نزل على الوليد شعيب بن عبدالله بن عمرو بن العاص. وراح الاحوص - على ما قالوا - يراود وصفاء للوليد خبازين عن انفسهم... وكان شعيب قد غضب على مولى له ونحّاه. فلما خاف الاحوص ان يُفتَضَح امره اندسّ لمولى شعيب بذلك فقال: ادخل على امير المؤمنين فاذكر له ان شعيبا ارادك عن نفسك. ففعل المولى. فالتفت الوليد الى شعيب وقال: ما

---

(١) - اخبار القضاة ١/١٣٨ العقد ٥/١١١ العمدة ١/٣٦.

(٢) - تاريخ الطبري III /٤٢١، العقد ٥/١١١.

يقول هذا؟ فقال: لكلامه غور يا امير المؤمنين، فاشدد به يدك يصدقك. فشدّد عليه فقال: امرني بذلك الاحوص. فقال قيّم الخبازين: اصلحك الله ان الاحوص يراود الخبازين عن انفسهم: فارسل به الوليد الى ابن حزم بالمدينة وامره ان يجلده مائة ويصب على رأسه زيتا - حسب مصادر الرواية - ويقيمه على البلس - كما قال بعضهم - ففعل ذلك به فقال الاحوص وهو على البلس ابياته الفخرية الشهيرة ومنها قوله:

ما من مصيبة نكبة أمنى بها   الا تشرّفني وتعظم شاني[1]

والغريب في الامر اختلاف المصادر في أمر قول الاحوص لهذه الابيات وسبب قوله لها فجعل التبريزي المناسبة في حادثة سابقة حين اراد الاحوص ان يشكو ابن حزم للوليد معتمدا على مساعدة المخزومي الذي خذله. وعند عودته الى المدينة أمسكه ابن حزم وضربه فصاح بأبياته[2].

ولم يأت الآمدي بذكر لشعيب بن عبدالله بن عمرو بن العاص في خبره وعاد ليذكر ان الاحوص نادى بابياته حين غرّبه ابن حزم الى دهلك[3].

اما صاحب الخزانة - وقد اخذ خبره عن الاغاني - فانه امتنع عن ذكر اقامته على البلس ولم يذكر ما يبيّن ان هذه الحادثة كانت سببا لانشاد الاحوص ابياته المذكورة بل قال ان الاحوص انشد ابياته بعد ان نفّذ فيه ابن حزم اوامر سليمان بن عبد الملك[4]...

بينما جعل الكتبي هذه الحادثة سببا في نفي الاحوص الى دهلك

---

(١) - الاغاني (د) ٢٣٥/٤ - ٢٣٦ المؤتلف والمؤتلف ٥٩ عيون التواريخ ١٦٦/٥ الخزانة ٢٣٣/١ - ٢٣٤.

(٢) - مختصر شرح التبريزي ٨٠.

(٣) - المؤتلف والمختلف ٦٠.

(٤) - الخزانة ٢٣٢/١.

واعترف بنقله الخبر عن الاغاني ولم يأت في هذا المصدر مثل هذا الحكم[١].

ويعود صاحب الأغاني بعد ذلك ليذكر حدوداً نُفِّذت بالأحوص من قبل ابن حزم شبيهة بما ذكره في هذه الحادثة بما فيها إقامة الأحوص على البلس في خبره المخصص لحادثة شكاية الأحوص الى سليمان بن عبد الملك[٢].

وثابت اجماع المصادر ان الاحوص قال ابياته السابقة وهو مقام على البلس للناس من قبل ابن حزم كما أوردت المصادر المذكورة وغيرها[٣].

ويلاحظ المتمعّن في هذا الخبر انه مختلط باخبار حياة الاحوص الاخرى المتعلقة بمعاملة ابن حزم له ولم يذكر أيٌّ من اصحاب المصادر التي اوردت الخبر مرحلة حدوث هذه القصة بالنسبة لحادثة الاحوص وأيمن «وقدوم الأحوص على الوليد معرِّضا بابن حزم وعزل ابن حزم عن المدينة من قبل الوليد... فلا يعقل ان تكون الحادثة وقعت بعد عزل ابن حزم عن المدينة بدليل ان المصادر ربطتها بابن حزم ولم يختلف اصحابها في ذلك. وان كانت قد وقعت قبل عزل ابن حزم فكيف يسمح الوليد للاحوص بالمثول بين يديه بعدها ليشكو له عامله على المدينة وقد عرف سوء خُلُق الشاعر؟...

وقد ذهب الدكتور طه حسين، الى استبعاد ضرب الاحوص وإهانته من قبل الوليد بسبب فعلته هذه[٤].

ووصل الخصام بين الشاعر والوالي الى الحدود الصعبة التي جعلت كل واحد منهما يحاول النيل من الآخر والوقوف في وجهه حتى في الأمور الشخصية. فعندما خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

(١) - عيون التواريخ ١٦٦/٥.

(٢) - الاغاني (د) ٢٤٦/٤.

(٣) - اخبار القضاة ١٤٠/١ الاغاني (د) ٢٤٠/٤ والمصادر المذكورة آنفاً بصفحاتها.

(٤) - حديث الاربعاء ٢٧٠.

بنت عبد الله بن حنظلة الغسيل الى أخيها معمر وزوّجه اياها. قال الاحوص أبياتا وقال لفتى من بني عمرو بن عوف: أنشدها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبّة، فقال الفتى: نعم. فجاءه وهو في مجلسه فقال:

يا معمر يا ابن زيد حين تُنكحها وتستبد بامر الغيّ والرشدِ

فقال: كان ذلك الرجل غائبا. فقال الفتى:

اما تذكرت صيفيّا[1] فتحفظه او عاصما[2] او قتيل الشعب[3] من أُحُدِ

قال: ما فعلت ولا تذكرت. فقال الفتى

اكنت تجهل حزما حين تُنكحها ام خفت لا زلت فيها جائع الكبدِ

فقال معمر: لم اجهل حزما. فقال الفتى:

ابعد صهر بني الخطاب[4] تجعلهم صهرا وبعد بني العوّام من أسدِ[5]

فقال معمر: قد كان ذلك. فقال الفتى:

هبها سليلة خيل غير مُقرفة مظلومة حُبست للعير في الجَدَدِ

قال: نعم قد اعانها الله وصبّرها. فقال الفتى:

فكل ما نالنا من عار منكحها شَوىً، اذا فارقته وهي لم تلدِ

فقال معمر: نعم الى الله عز وجل في ذلك الرغبة[6].

ولم تنته الخصومة بين الاحوص وابن حزم في حدود نهاية خلافة الوليد بن عبد الملك، بعد عزل ابن حزم عن ولاية المدينة للوليد، بل

---

(١) - صيفي: هو صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد الأوسي (وهو جد حنظلة الغسيل) (جمهرة أنساب العرب ٣٣٣).

(٢) - عاصم: هو حمي الدبر عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح جد الاحوص (مرّ ذكره).

(٣) - قتيل الشعب من احد: هو حنظلة الغسيل جد معمر وخال الاحوص (مرّ ذكره).

(٤) - صهر بني الخطاب: هو عمر بن الخطاب وكان قد تزوج من جميلة بنت ثابت بن ابي الاقلح سنة ٧ هـ (ومرّ ذلك).

(٥) - صهر بني العوام: يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير الذي تزوج ام حبيب بنت عبد الله بن حنظلة الغسيل. (نسب قريش ٦٦).

(٦) - الأغاني (ث) ١٥/٢٣٦ - ٢٣٧.

استمرت هذه العداوة واشتعلت نارها مع تسلم سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد وفاة اخيه الوليد.

د - مع سليمان بن عبد الملك وعامله ابن حزم (٩٦هـ - ٩٩هـ)

لما ولي سليمان الخلافة ولّى ابا بكر بن حزم امارة المدنية وعزل عثمان بن حيّان عنها وامر ابا بكر ان يشدّ عثمان على الحديد ففعل وضربه الحد[١].

وعندما جاء ابن حزم عمله من قبل سليمان على المدينة والحج جاءه ابن ابي جهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسراقة فدخوا عليه فقالوا له: إيه يا ابن حزم، ما الذي جاء بك؟ قال: استعملني والله امير المؤمنين على المدينة على رغم انف من رغم أنفُه. فقال له ابن ابي جهم: يا ابن حزم فاني اول من رغم أنفه. فقال له ابن حزم: صادق والله يحب الصادقين[٢].

وامتعض الاحوص من عمل سليمان هذا فقام ولأول مرة يعرّض بخليفة أموي في شعره مجرّحا به مهينا عامله فقال :

سليمان اذ ولاّك ربك حكمنا وسلطاننا فاحكم اذا قلت واعدلِ
يؤم حجيج المسلمين ابن فَرْتَنى فهبْ ذاك حجّاً ليس بالمتقبَّلِ

فقال ابن ابي عتيق للأحوص: الحمدلله يا أحوص اذ لم احج ذلك العام بنعمة ربّي وشكره. فقال الأحوص: الحمدلله الذي صرف عنك ذلك يا بن ابي بكر الصديق فلم يضلل دينك ولم تُعْنِ نفسك وترَ ما يغيظك ويغيظ المسلمين معك. وزاد الكتبي خبره بجملة غامضة يقول فيها «كان هذا سببا لما فعله ابن حزم به[٣]». ولا نستبعد أن يكون

---

(١) - اخبار القضاة ١/١٤١.

(٢) - الاغاني (د) ٤/٢٣٤.

(٣) - الاغاني (د) ٤/٢٣٥ عيون التواريخ ٥/١٦٨.

الأحوص قد هجا سليمان بشعر لم يصلنا بضياع ديوانه المصنوع - وهجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير منه قوله:
وهجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير منه قوله:

أقول وأبصرت ابن حزم بن فرتنى[١] ... وقوفا له بالمَأْزِمَيْنِ القبائلُ
تُرى فرتني كانت بما بلغ ابنها ... مُصدِّقة لو قال ذلك قائلُ

فقال ابن حزم حين سمع قول الأحوص فيه «ابن فرتني» لرجل من قومه له علم: أنحن من ولد فرتني؟ أوتعرفها؟ فقال: لا والله. قال: ولا انا اعلم والله ذلك. ولقد عضهني به ولو كانت ولدتني لم اجهل ذلك. وقال الزبير: «فرتني ام لهم في الجاهلية من بلقين كانوا ينسبون لها ولا ادري ما امرها وقد طرحوها من كتاب النسب[٢]».

وقال الأحوص لابن حزم ايضا معيِّرا له بأمهم فرتني:

لعمري لقد أجرى ابن حزم بن فرتني ... الى غاية فيها السِّمام المثمَّلُ
وقد قلت مهلا آل حزم بن فرتني ... ففي ظلمنا صابٌ مُمِرٌّ وحنظلُ

وهذه اللامية طويلة لم يصلنا منها سوى هذين البيتين[٣].

واستهزأ الأحوص بابن حزم حين جعل له حاجبا دون الناس فقال:

أعجبت ان ركب ابن حزم بغلة ... فركوبه فوق المنابر أعجبُ
وعجبت ان جعل ابن حزم حاجبا ... سبحان من جعل ابن حزم يحجبُ[٤]

هـ - خبر نفى الأحوص وأخباره في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ - ١٠١ هـ):

- نفي الأحوص: الى جانب هجائه لابن حزم كان الأحوص يهجو

---

(١) - هي: ام خالد بنت خالد بن سنان بن وهب بن لوذان الساعدية أم بني حزم.

(٢) - و(٣) - الاغاني (د) ٢٣٧/٤ - ٢٣٨.

(٤) - اخبار القضاة ١٣٧/١ كتاب الحجاب ٦١/٢ طراز المجالس ٨٧.

اشراف الأنصـــار وقريش - كما ذكرت سابقـــا - ويتغزل بنسائهم وتلتقط الاسماع اشعاره من افواه المغنين، وتشيع اهاجيه وعزلياته في الناس وتتناقلها الألسن مما جعل بعض أهل المدينة ولا سيما ابن حزم يتربصون به الدوائر ويحاولون الايقاع به ويجهدون لاتخاذ اي مبرر للنيل منه.

وربما قام ابن حزم بتحريض الناس على الأحوص ودفعهم الى التشكي منه فشكوه اليه وطلبوا منه ان يكتب فيه الى سليمان بن عبد الملك وسبب الشكاية - حسب ما ذكرت بعض المصادر - هو في كونه ينسب بنساء ذوات اخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنُهي فلم ينتهِ فشُكيَ الى ابن حزم فكتب فيه ابن حزم الى سليمان الذي كتب الى عامله يأمره ان يضربه مائة سوط ويقيمه على البُلُس للناس ثم يصيِّره الى دهلك ففعل ذلك به[١].

وذكر صاحب الأغاني في موضع آخر (وأخذه عنه الآمدي) ان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جلد الأحوص في الخنث وطاف به وغرَّبه الى دهلك في محمل عريانا فقال الأحوص وهو يُطاف به مواجها قدره بصبر وجلد وعزة نفس:

ما من مصيبة نكبة أُمنى بها ... الا تُعظِّمني وترفـــع شاني
اني اذا خفي الرجـال وجـدتني ... كالشمس لا تخفى بكل مكانِ (...)[٢]

وكان كل منهما قد ذكر هذا الشعر للأحوص في مناسبة خبر جلد الأحوص من قبل ابن حزم حين، وفد على الوليد بن عبد الملك بعدما كان من أمره المزعوم مع الخبازين[٣].

وتضطرب اخبار أبي الفرج وأخبار من نقل عنه من العلماء في شأن

---

(١) - الاغاني (د) ٢٤٦/٤ الخزانة ٢٣٢/١ وفوات الوفيات ٢١٨/٢. (نقلاً عن الأول).
(٢) - الاغاني (د) ٢٣٩/٤ - ٢٤٠ المؤتلف والمختلف ٦٠.
(٣) - الاغاني (د)٢٣٥/٤ - ٢٣٦ المؤتلف والمختلف ٥٩.

تقرير سبب نفي الأحوص وتحديد من الذي نفاه من الخلفاء فقالوا: ان السبب في جلد سليمان بن عبد الملك او الوليد بن عبد الملك اياه ونفيه له ان شهوداً شهدوا عليه انه قال: «اذا اخذت جريري لم أبال...» وأضاف الى ذلك مفاخرته لسكينة بنت الحسين بأبيه وخاله حين فخرت بجدّها رسول الله (ص)[1].

وانفرد المرتضى في أماليه بقوله: «سيَّر الوليد بن عبد الملك الأحوص الى دهلك» ولم يذكر سبب نفيه وأضاف بعدها أن عراك بن مالك شهد على الأحوص عند عمر بن عبد العزيز[2] بينما جعل الكتبي حادثة الأحوص المزعومة مع الخبازين التي وردت في خبر وفوده على الوليد سبباً لنفي الأحوص من قبل ابن حزم عامل المدينة في أواخر أيام الوليد[3].

ويُلاحظ ان كلا من ابي الفرج وابن شاكر الكتبي والبغدادي قد اورد اخبارا مختلفة ونصوصا متناقضة مضطربة حول قصة نفي الأحوص ويرجع سبب الاضطراب والاختلاف الى تعدد مشارب الرواة الذين غذّوا ابا الفرج بالاخبار فكان أبو الفرج يسوق كل ما تقع عليه عيناه او ما تسمعه اذناه دون ابطاء او تمحيص وتلقف الآخران اخباره التي اوردها ونسخاها بنصوصها الحرفية دون عناء النظر الى المصادر الأخرى.

ويسوق ابو الفرج نصا ذا دلالة مهمة ضمن قصة نفي الأحوص من قبل سليمان بعد شكايته اليه فيقول: ان ابن حزم لما جلد الأحوص ووقفه على البلس يضربه جاءه بنو زريق فدفعوا عنه واحتملوه من

---

(١) - الاغاني (د) ٤/٢٣٣ - ٢٣٤ عيون التواريخ ٥/١٦٦ الخزانة ١/٢٣٣ (ولم يذكر البغدادي اسماء الخليفتين).

(٢) - الامالي ٢/٦٥.

(٣) - عيون التواريخ ٥/١٦٦.

أعلى البلس فقال الأحوص في ذلك:

اما تصبني المنايا وهي لاحقه ... وكل جنب له قد حم مضطجع
فقد جزيت بني حزم بظلمهم ... وقد جزيت زريقا بالذي صنعوا[(١)]

ويعود ابو الفرج الى اضطرابه فيما بعد فيذكر ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة الا عمر بن ابي ربيعة والأحوص. فكتب الى عاملة على المدينة «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ فإذا اتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما اليّ» ويتابع خبره قائلا ان عمر بن عبد العزيز امر بنفي عمر بن ابي ربيعة ثم خلّاه لأن ابن ابي ربيعة عاهد الله أمامه الا يذكر النساء في شعر ابدا وان يتوب على يديه ثم دعا بالأحوص فقال: «هِيهْ:

الله بيني وبين قيّمها ... يفرّ بها مني واتّبعُ

بل الله بين قيمها وبينك. ثم أمر بنفيه الى بيش (وهي بلد باليمن قرب دهلك) وقيل الى دهلك فنفي اليها.[(٢)]

ويكمن مصدر اضطراب ابي الفرج في ذكره لعمر بن ابي ربيعة في هذا المقام لأن هذا الشاعر كان قد توفي في حوالي العام ٩٣ هـ[(٣)] أي أنه توفي في عهد الوليد بن عبد الملك وقيل ان يتولى كل من سليمان وعمر الخلافة. واعتمد ابو الفرج في خبره هذا على ثلاثة موارد أولها الحسين بن يحيى الذي أخذ عن حماد عن أبيه والثاني علي بن عبد العزيز وخبره مأخوذ عن اسحق وآخرها الزبير بن بكار الذي اخبر ببعض هذا الخبر عن مصعب بن عثمان.

فمن تعدد الروايات واختلافها يمكننا ان نلحظ بعض الزيادات

(١) - الاغاني (د) ٢٣٩/٤.
(٢) - الاغاني (ث) ٦٣/٩ - ٦٤.
(٣) - الاغاني (د) ٧١/١ وفيات الاعيان ١١٣/٣ البداية والنهاية ٨٤/٩ تاريخ العرب السياسي ٣١٥ عمر بن ابي ربيعة ٢٠٣/٢.

المغلوطة في بعضها. ولكن دمج ابي الفرج لها في نص واحد طمس معالمها واخرج منها عرضا مستطرفا يحلو للقارىء استطلاعه وتندر الدّقّة فيه ويزداد الموقف اضطرابا وتعقيدا لدى ابي الفرج في ذكره خبرا عن الزبير عن عمه مصعب عن مصعب بن عثمان يورد فيه صورة من صور العداوة والبغضاء بين الأحوص وابن حزم ويجعل سبب هذه العداوة في كون ابن حزم قد ضرب الأحوص وغربه الى دهلك حين كان قاضيا للمدينة مع عمر بن عبد العزيز في أيام الوليد بن عبد الملك[1].

وقد نلاحظ ان اكثر الروايات التي ذكرها ابو الفرج في هذا المقام تفتقد الى الدّقّة وحسن الاستقصاء وتجري وراء الاخراج الطريف للمشهد المعبِّر على حساب الامانة والموضوعية.

وتُجمع بقية المصادر التي تناولت خبر نفي الأحوص على التأكيد بأن عمر بن عبد العزيز هو الذي امر بنفي الأحوص حين كان على رأس الدولة ولكنها تختلف في تقرير سبب هذا النفي ففي حين يذكر الذهبي أن عمر بن عبد العزيز نفى الأحوص لكثرة هجائه[2]، نجد البكري يجعل سبب نفي الأحوص في قوله:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائرُ

ويضيف: «ومن اجله نفاه عمر بن عبد العزيز الى دهلك وهي قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر[3]»، بينما يقول ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: وكان الأحوص يرمى بالابنة والزنا فشُكي الى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة الى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر[4]».

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٢/٤.

(٢) - تاريخ الاسلام ٩١/٤.

(٣) - سمط اللآلي ٧٨٦/٢.

(٤) - الشعر والشعراء ٤٢٤.

ويزوّدنا الزجاجي بخبر ثقة يسنده الى الأخفش نقلا عن السكّري عن الزيّادي عن الأصمعي، ونقلة الخبر يعتبرون بحق من أئمة اللغة والأدب والعلم في أيامهم ولا سيما الأصمعي صاحب الخبر الأول الذي يُعد من اقدم علماء العربية وأوسعهم بحرا وأوثقهم خبرا وأجلهم قدرا وأكثرهم اطلاعا واعمقهم معرفة بشؤون الادب والعلم وما يتعلق بهما من اخبار. قال الأصمعي: «كان الأحوص بن محمد يشبب بنساء الاشراف فشُكي ذلك الى عمر بن عبد العزيز فنفاه الى قرية من قرى اليمن[١]».

ونلاحظ ان روايتي الأصمعي وابن قتيبة التقيتا في مجرىً واحد متمثّل في اتفاقهما على أمر شكاية الأحوص الى عمر بن عبد العزيز ولكنهما تفرعتا الى رافدين مختلفين في امر تحديد الاسباب التي دعت الى تلك الشكاية. ونعود قليلا الى ما ذكرناه سالفا لنستحضر خبرا ذكره ابو الفرج يقول فيه: «كان الأحوص ينسب بنساء ذوات اخطار من أهل المدينة فشكي الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة...[٢]».

فالتقاء خبر الأصمعي وخبر ابي الفرج في تحديد سبب واحد لشكاية الأحوص يُرجّح لدينا ان يكون الشاعر قد شُكي الى عمر بن عبد العزيز بسبب تشبيبه بنساء الاشراف ذوات الاخطار كما قال الأصمعي ولم تكن شكايته الى سليمان كما قال ابو الفرج لأن صاحب الأغاني كان قد ذكر في مطلع الخبر نصا مهما يقول فيه: «فإما خبره في بقية أيام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فأخبرني به...»، ثم أورد أكثر من سند للرواية.

فيبدو واضحا من النص ان أبا الفرج لم يستطع فصل حادثة نفي الاحوص تماما في مقدمة خبره ولم يتسنى له ان يحدد زمن الحادثة

---

(١) - الامالي (زجاجي) ١٢٢.
(٢) - الاغاني (د) ٢٤٦/٤.

وصاحب الأمر في نفي الشاعر تحديدا يثق منه ولعل مردّ ذلك عائد الى تفرُّع مصادر الرواية كما صرَّح في مقدمة خبره وربما كان ايراده اسم سليمان بن عبدالملك في النص راجعا الى بعض من اعتمد عليهم ولا يتعداه الى الاجماع.

ويزيدنا اعتقادا بأن عمر بن عبدالعزيز هو الذي امر بنفي الأحوص ما تناقلته كتب والتاريخ من أخبارٍ تحدثت عن وفود الأحوص مع الشعراء على عمر بن عبدالعزيز حين ولي الخلافة ومدح الاحوص لعمر بأكثر من قصيدة تُنبىء ان عمر كان حينئذ خليفة على رأس الدولة الأموية وشيء آخر ينير أمامنا سبيل الاستقراء هو اقتصار بعض قصائد الاحوص في الخليفة عمر على المديح الخالص في حين تطرقت قصائد اخرى بعث بها الاحوص الى الخليفة من دهلك، الى الاعتذار والاستعطاف واللوم والاستئذات بالعودة وهذا ما يقطع بأن الأحوض كان قد نظم قصائد المدح المذكورة قبل نفيه وبعث بالأخرى وهو في دهلك.

وخبر مهم آخر تناقلته جميع المصادر التي تحدثت عن نفي الشاعر دون استثناء يفيد بأن رجالا من الأنصار دخلوا على عمر يسألونه رد الأحوص الى المدينة بينما لم يُشر أي مصدر آخر الى دخول هؤلاء او الى دخول غيرهم على سليمان بن عبدالملك وهذا دليل آخر على صحة ما ذهبنا اليه من ترجيح كون عمر هو الذي امر بنفي الأحوص الى اليمن. وسأورد هذه الأمور بالتفصيل حسب تسلسلها الزمني.

- الاحوص في عهد عمر:

دأب الشعراء على الوفود الى الخلفاء عند توليهم الخلافة مادحين لهم لينالوا جوائزهم ومحاولين ايجاد مكانة مهمة لهم في عهد هؤلاء الخلفاء.

فعند قيام عمر بن عبدالعزيز بأمر الدولة الأموية وفدت اليه الشعراء من الحجاز والعراق طالبين الاذن بالوقوف بين يديه لانشاده ما اعدّوه من الشعر لهذه المناسبة.

وتختلف الروايات والمصادر في تقرير اسماء وأشخاص الشعراء الوافدين على الخليفة الجديد كما تختلف في نقل اقوال وآراء نسبتها الروايات للخليفة الذي علّق بها على أبياتٍ لا تتوافق مع مواقفه احتج بها من أقوال الشعراء المذكورين على مسامعه كي يمنعهم من الدخول عليه.

ونجد في هذا السبيل ثلاث روايات مختلفة في كثير أو في قليل من الأمور. تستند احداها الى ابن الكلبي[١] وتستند الثانية الى عوانة بن الحكم[٢] ومصدر الاخيرة عمارة بن عقيل بن جرير الخطفي[٣].

تتفق الروايات بأجمعها على القول انه لما قام عمر بن عبدالعزيز وفدت اليه الشعراء فأقاموا ببابه أياما أو شهرا - كما ذكر حفيد جرير - لا يؤذن لهم بالدخول. ثم تختلف بعد ذلك كل الروايات في التفاصيل اللاحقة. فانفرد ابن الكلبي بقوله في مقدمة الخبر ان رجاء بن حيوة مرَّ بالشعراء فلما رآه جرير داخلا انشده قوله:

يا ايها الرجل المرخي عمامته ... هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر لعمر شيئا من امرهم. ثم مر بهم عدي بن أرطأة - ويشاركه في ذلك عوانة بن الحكم - فقال له جرير:

---

(١) - العقد ٩١/٢ - ٩٢ المختار من نوادر الاخبار ٨٥ - ٨٨ المستطرف ٦٢/١ - ٦٤.

(٢) - سيرة عمر بن عبدالعزيز ١٦٨ - ١٧١ عيون التواريخ ١٢٦/٥ - ١٢٨ البداية والنهاية ٢٦٢/٩ - ٢٦٣ ثمرات الاوراق ٧١/١ - ٧٤ اعلام الناس ٥٠ - ٥١.

(٣) - سيرة عمر بن عبدالعزيز ١٦٦ - ١٦٨.

يـا ايهـا الرجـل المرخي عمامتـه   هذا زمانك اني قد مضى زمني
ابلـغ خليفتنـا ان كنـت لاقيـه   اني لدى الباب كالمصفود في قرن

فدخل عليه عدي وذكر له خبر الشعراء وضرب له مثلا عطاء النبي (ص) عباس بن مرداس حين مدحه بقصيدته الميمية الشهيرة التي يقول فيها:

رأيتـك يـا خـير الـبريـة كلهـا   نشرت كتـابـا جـاء بـالحـق معلما (...)

فسأله عمر عن الشعراء الواقفين ببابه فراح عدي يستعرضهم له واحدا تلو الآخر وأخذ الخليفة يعقّب على ذكر كلٍ منهم ببعض النقد مع الاحتجـاج بشيء من أشعـارهم ليقرر بعـدهـا رفضـه لـدخولهم عليـه. ويمكننا ان نلحظ الاختلاف الواضح بين الروايتين في تحديد عدد الشعراء الوافدين على عمر والتباين بينهما في ترتيب ذكرهم على مسمع الخليفة من قبل عدي بن أرطأة ثم تشعبهما في تسمية الابيات التي احتج بها عمر من شعر بعضهم وتناقضهما في شأن التعليقات التي ساقها الخليفة تعقيبا على ذكر الشعراء.

فنجد ابن الكلبي يذكر ان الشعراء الوافدين هم عمر بن ابي ربيعة وجميل وكُثَيِّر والأحوص والفرزدق والأخطل وجرير بينما اسقط منهم عوانة كُثَيِّرا وابدل ترتيب ذكر الباقين امام الخليفة.

وفي الروايتين المذكورتين خطأ ظاهر سقط فيه اصحابها في ذكرهم لعمر بن ابي ربيعة وجميل والاخطل ضمن لفيف الشعراء الوافدين على الخليفة عمر بن عبد العزيز لأن هؤلاء الثلاثة قضوا قبل استخلاف عمر ابن عبد العزيز بفترات متباعدة. فوفاة جميل بن معمر كانت في سنة ٨٢ هـ[١] تقريبا ووفاة عمر بن ابي ربيعة حصلت في حدود العام

(١) - وفيات الاعيان ٣٢١/١ بداية ونهاية ٤٤/٩ و٤٥ تاريخ العرب السياسي ٣١٥.

٩٣ هـ[١] وتوفي الاخطل في سنة ٩٢ هـ[٢]. بينما بدأت خلافة عمر في سنة ٩٩ هـ.

ويختلف اصحاب الروايتين، في شأن تعليق عمر لدى ذكر الأحوص أمامه فروى ابن الكلبي ان عمر قال لعدي: «أبعده الله ومحقه وقد افسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه. اليس هو القائل:

الله بيني وبين سيدها يفر بها مني واتبعُ
أعزب به[٣] أو لا يدخل عليّ ابدا...»[٤]

بينما جاءت رواية عوانة بن الحكم خالية من التعليق مكتفية باحتجاج عمر بن عبدالعزيز ببيت الأحوص المذكور فى أبعاده ومنعه من الدخول عليه.

وانفرد الكتبي بذكر رواية ابن الحكم مزينة بأقوال وتعليقات مستقاة من رواية ابن الكلبي ذاكرا ما وقع بينهما من اختلاف لدى تعرّضهما لعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر في سياق الحديث.

وتقارب الحقيقة رواية حفيد جرير الذي قال ان الذي دخل على الخليفة هو عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي[٥] وكان ورعا فقيها فلما مرّ بالشعراء انشده جرير أبياته فقال له: من أنت؟ فقال: جرير. فاستأذن له عمر بن عبد العزيز فأذن له. وذكر صاحب الرواية كلا من نصيب وجرير والفرزدق والأحوص وكثير والحجاج القضاعي

(١) - وفيات الاعيان ١١٣/٣ بداية ونهاية ٨٤/٩ و٩٢ الاغاني (د) ٧١/١ تاريخ العرب السياسي ٣١٥ عمر بن ابي ربيعة ٢٠٣/٢.

(٢) - تاريخ العرب السياسي ٣١٦ العصر الاسلامي (ضيف) ٢٦٤.

(٣) - العقد ٩٣/٢.

(٤) - المختار من نوادر الاخبار ٨٧ المستطرف ٦٣/١ عيون التواريخ ١٢٨/٥.

(٥) - سيرة عمر بن عبدالعزيز ١٦٦.

والأخطل في عداد الوافدين لتهنئة عمر بالخلافة ولكنه لم يسرد أية احتجاجات للخليفة بأشعار هؤلاء ولم يورد ما يدل على ذكر اسماء الشعراء أمام الخليفة من قبل عون بن عبد الله كما رأينا عند سابقَيْه.

ونلاحظ وقوع حفيد جرير في بعض الخطأ بذكره الأخطل بين جماعة الشعراء وربما كان هذا الذكر تقليدا اتبعه الرواة ونَقَلَهُ الأخبار لأنهم اعتادوا على قرن اسم الأخطل مع جرير والفرزدق في أكثر الأخبار المتعلقة بهم ولكثرة توارد اسماء الثالوث الأموي مجتمعة في أخبار عصرهم.

وان اجتمعت الروايات الثلاث على ذكر اسماء بعض الشعراء فإن رواية ابي الفرج المسندة الى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز تشارك رواية حفيد جرير في أمور عديدة ولكنها لم تسمِّ ايا من الشعراء سوى جرير مع التأكيد بوجود غيره من الشعراء الذين «جُعلوا لا يصلون الى عمر»[1].

وما يهمنا اكثر من غيره بين مجموعة التفاصيل المذكورة هو التأكيد على وجود الأحوص بين من وفدوا على عمر بن عبد العزيز لتهنئته بالخلافة ورفض عمر بن عبد العزيز دخول الأحوص عليه أسوة بغيره ممن جُعلوا لا يصلون الى عمر.

والى جانب ما سبق عرضه ساقت بعض المصادر خبرا رواه حماد الراوية واجمعت هذه المصادر على اسناده اليه دون استثناء. ونقل أبو الفرج - وأخذ عنه البغدادي - مقدمة للخبر قال فيها حماد: «دخلت المدينة التمس العلم فكان اول ما لقيت كُثَيِّر عزة فقلت: يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص ونصيب. قلت: فما هو؟ قال: هما أحق بأخبارك. فقلت له: إنَّا لم نحث المطي نحوكم شهرا

---

(١) - الاغاني (بولاق) ٥٧/٧ - ٥٨.

نطلب ما عندكم الا ليبقى لكم ذكر وقَلَّ من يفعل ذلك فأخبرني عما سألتك ليكون ما تُخبرني به حديثا آخذه عنك فقال: انه لما كان من امر عمر ما كان قدمت انا والأحوص ونصيب وكل واحد منا يدلُّ بسابقته عند عبد العزيز واخائه لعمر فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب، وكل واحد منا ينظر في عطفَيْهِ لا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ثم قال: اما علمتم ان أمامكم لا يعطي الشعراء شيئا. قلنا: قد جئنا الآن فوجِّه لنا في هذا الأمر وجها.[1]

وأوردت مصادر أخرى عن حماد قوله: «قال لي كُثَير ألا أخبرك عما دعاني الى ترك الشعر. قلت: نعم قال: شخصتُ أنا والأحوص ونصيب الى عمر بن عبد العزيز...» مع بعض الاختلاف في سياق الحديث اللاحق الذي أثبتناه من مقدمة الأغاني المذكورة[2].

وتخالف رواية الأغاني والخزانة رواية غيرهما من المصادر في ايرادها نص خطبة عمر بن عبد العزيز في يوم من أيام الجمعة حيث كان كُثَير حاضرا في المسجد بعد ان مضت أربعة أشهر على ثوائه ورفيقيه بباب الخليفة دون اذن بالدخول عليه. وبعد انقضاء الصلاة استأذن مسلمة لهم فدخلوا على الخليفة في ذلك اليوم فسلّموا عليه وردَّ عليهم السلام، فأثار كُثَير مع عمر بعض الحوار حول وضعهم معه واستأذنه بعده في الانشاد فأذن له قائلا: قل ولا تقل إلا حقا، فقال كُثير قصيدة مطلعها:

وليت فلم تشتم عليا ولم تُخف بريّا ولم تقبل اشارة مجرمِ

وعندما فرغ كُثَير من انشاده قال له عمر: يا كثير ان الله سائلك عما

---

(١) - الاغاني (ث) ٢٤٨/٩ - ٢٥٢ خزانة الأدب ٥٤٥/٣ - ٥٤٦.

(٢) - الشعر والشعراء ٤١١ العقدة ٨٦/٢ - ٩١ عيون التواريخ ١٢٩/٥ - ١٣١ البداية والنهاية ٢٥٢/٩ - ٢٥٣.

قلت. ثم تقدم الأحوص واستأذنه فقال: قل ولا تقل الا حقا. فأنشده لامية أولها:

وما الشعر الا خطبة من مؤلف ... بمنطق حق او بمنطق باطلِ

وفيها قوله:

فقبلك ما اعطى الهنيدة جلّة ... على الشعر كعبا من سديس وبازلِ
رسول الاله المصطفى بنبوة ... عليه سلام بالضحى والأصائل

فقال له عمر بعد فراغه منها: يا احوص ان الله سائلك عما قلت. ثم تقدم اليه نصيب فاستأذنه في الإنشاد فأبى ان يأذن له واغزاه الى دابق وأمر لكل من كُثَير والأحوص بمائة وخمسين درهما وقيل ثلاثمائة وقيل غير ذلك.

والجدير بالذكر في هذا المقام هو ان كُثَيرا توفي في سنة ١٠٥ هـ[١] بينما ولد حماد الراوية سنة ٩٥ هـ[٢] اي ان حماد كان صبيا في سن العاشرة وقت وفاة كُثَير عزة. فكيف يمكن لحماد أن يُتاجر ببضاعة الشعراء وان يتحمل سفر شهر كامل من العراق الى الحجاز ليروي اشعارهم ويسمع اخبارهم وينقلها الى الأجيال من بعده؟... وهل كان حماد في ذلك العمر يستطيع ادراك هذه العلاقة الواضحة بينه وبين شاعر كبير مثل كُثَير بن عبد الرحمن بحيث استطاع ان يُقنع كُثَيرا بشيء من المنطق الجدلي بضرورة اسماعه القصة المذكورة؟... ثم هل كان حماد ابن العاشرة يجمع ثقة كُثَير به ومعرفته له ليستقبله ويحدّثه بما دعاه الى ترك الشعر؟...

هذه الاسئلة وغيرها كثير يمكن ان يتردد في مخيلة المطّلع على حقائق الموضوع والمحيط بكل جوانبه وهذه الاستفسارات المحيطة بالخبر يمكنها ان ترسم مجموعة من علامات الاستفهام حول صحة اقوال حماد الراوية.

---

(١) - وفيات الاعيان ٢٦٩/٣ البداية والنهاية ٢٥٦/٩.
(٢) - وفيات الاعيان ٤٥١/١.

واذا ربطنا هذا الخبر بسابقه الذي تحدث عن وفود الشعراء الى الشام لتهنئة عمر بالخلافة نستطيع ان نستخلص بعض حقائق الموضوع ومنها ثبوت قدوم الاحوص وكثير ونصيب على عمر بن عبد العزيز ورفض الخليفة استقبال أي منهم فأقاموا ببابه مع غيرهم من الشعراء أياما لا يؤذن لهم بالدخول عليه. ولسبب مضى شرحه أذن الخليفة لجرير الذي خرج من مجلس الخليفة وخاطب الشعراء بعدما سألوه عمّا وراءه قائلا: «خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء»[1]. فانصرف الجميع دون ما كانوا يأملون.

كما يمكن الاعتقاد بأن الشعراء الحجازيين الثلاثة استطابوا الضيافة عند مسلمة بن عبد الملك واقاموا عنده مدة تقارب الأربعة أشهر تمكن بعدها مضيفهم من ادخالهم الى الخليفة. وفي هذه الحالة لا نستطيع تصديق ما زعمه حماد من أمر تلقيه الخبر من لسان كُثَيِّر مباشرة بل يمكن ان يكون قد سمعه من مصدر آخر فحوَّره وزاد فيه واضاف اقوالا سبك معها قصة طريفة لم ينس خلالها ان يدلِّل على عدل عمر وحكمته وورعه.

واذا صح في وجه آخر ان الشعراء قد انصرفوا جميعا دون الدخول على الخليفة وانشاده ما اعدّوه من أشعار لهذه المناسبة فقد يكون راوية الحديث قد وضعه بأكمله معتمدا على بعض خيوط متناثرة من الوقائع التي تشهد بقدوم الشعراء الثلاثة من الحجاز الى الشام فأخذ هذه الحقيقة واجراها في خياله وصاغ حولها خبرا محكما وربما انتحل فيه القصيدتين المذكورتين، فأجرى احداهما على لسان كُثَيِّر والاخرى على لسان لأحوص.

ويمكننا ان نلحظ في قصيدة كثير تقريرا عن اعمال عمر الحسنة

---

(١) - الاغاني (ب) ٥٧/٧ و١٥٥/٨.

وعدله الواسع وورعه العميق وحكمته الساطعة وعلمه المحيط وحلمه الذي شمل الرعية دون تمييز بين مؤيد ومعارض لولايته الميمونة ولكن هذه الامور لا يمكن ان تظهر في بداية عهد عمر بل تجلت خلال فترة حكمه كلها ووسمت بطابعها عهد حكيم بني امية بكليته. أما القصيدة الثانية التي ذكرها حماد على لسان الاحوص فإنها تروي حكاية الشعراء مع عمر بن عبد العزيز وقصة منعه لهم من الدخول عليه ورفض الخليفة مبدأ اعطاء الشعراء واجازتهم مقابل اشعارهم. وتمثل القصيدة قطعة جدلية محكمة الصنعة يهدف بها قائلها الى اقناع عمر بصحة عطاء الشعراء بعد ان منعه عنهم مستشهدا على ذلك بعطاء الرسول (ص) لكعب بن زهير مقابل قصيدته اللامية المشهورة، طالبا من الخليفة الاقتداء بالرسول الكريم ومعاملة الشعراء بما يستحقونه لقاء مدحهم له.

والمعروف عن عمر بن عبد العزيز انه كان يقبل مدح الشعراء له في امارته فلما ولي الخلافة لم يؤثر ذلك عنه وربما انشدوه وهو كاره[١] اذ لم يكن له رأي في الشعراء ولا أرب وانما كان رأيه وبطانته وأهل أربه القرّاء والفقهاء ومن وُسِمَ عنده بورع[٢]. فربما انشد كل من كثير والأحوص قصيدته المذكورة خارج مجلس عمر دون ان يكون للخليفة رأي في انشادها ويصح عندها اعتبار هاتين القصيدتين من عمل الشاعرين.

ونُقل عن عمر بن عبد العزيز قوله: «إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كُثَير، من أحبه منهم فهو فاسد ومن بغضه فهو صالح لأنه كان خشبيا يقول بالرجعة[٣]». فكيف يمكن لعمر أن يسمح لكُثَير بالدخول عليه وهو يعلم أنه فاسد ومن يصانعه يكون مثله؟.

---

(١) - سيرة عمر بن عبد العزيز ٢٩٠.
(٢) - سيرة عمر بن عبد العزيز ١٦٦.
(٣) - الاغاني (ب) ٨/٣٤.

ثم كيف يكون كُثَيِّر صادقا في تركه الشعر بعد هذه الحادثة وبين ايدينا ما يؤكد مدحه ليزيد بن عبد الملك بقصائد جياد قالها فيه بعد توليه الخلافة[1]. وموضوع ترك كُثَيِّر للشعر بَيَّنَ أسبابه كُثَيِّر نفسه عندما سئل عنها بقوله: «ذهب الشباب فما أرغب وماتت عزة فما أطرب ومات عبدالعزيز فما أرغب»[2].

ويمكننا ان نستحضر في هذا المقام قصة حماد الراوية مع عمر بن سعيد الثقفي وحكايته مع بلال بن ابي بردة وما وقع فيهما من تزوير وانتحال اقدم عليهما حماد. ونتمثل كذلك بقول يونس بن حبيب: «العجب لمن يأخذ عن حماد وكان يلحن ويكذب ويكسر»[3].

واستمر الأحوص خلال الفترة الأولى من خلافة عمر على سيرته السابقة مشببا بنساء الاشراف ذوات الاخطار ومعرضا بهن في شعره وكان المغنون يتغنون بما يقول فيشيع ذلك في الناس - حسب ما اسلفنا - ولربما استغل بعض من يكرهون الأحوص فرصة وجود خليفة صدق على رأس الدولة الأموية فشُكي اليه واتُّهم بسوء اشعاره فنفاه عمر بن عبدالعزيز الى دهلك وهي قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الاحمر.

واستغرب الأحوص عملية نفيه من قبل الخليفة وهو نسيب له فكتب اليه يستأذنه في القدوم ويلومه على ادنائه لابن حزم خصم الأحوص الشخصي مؤكدا له براءته مما رماه به ابن حزم مذكّرا اياه بأعمال الحزمي الملتوية وطمعه في الجاه وتزلّفه الى بني مروان، ولم يفت الشاعر في هذا المقام أن يذكر قرابته بعمر وجزعه من شماتة الأخصام به وبالخليفة فقال:.

(١) - طبقات فحول الشعراء ٤٦٠.

(٢) - عيون الاخبار ١٨٥/٢ العقد الفريد ٤٦/٣ و٣٢٦/٥.

(٣) - المزهر ١٧٦/١.

أيا راكبا امّا عرضت فبلّغن هُديت امير المؤمنين رسائلي
وقل لابي حفص اذا ما لقيته لقد كنت نفّاعا قليل الغوائلِ
أفي الله ان تدنوا ابن حزم وتقطعوا قُوى حُرمات بيننا ووصائلِ
فكيف ترى للعيش طيبا ولذة وخالك امسى موثقا في الحبائلِ
وما طمع الحزميّ في الجاه قبلها الى أحد من آل مروان عادلِ
وشى واطاعوه بنا واعانه على امرنا من ليس عنا بغافلِ
وكنت ارى ان القرابة لم تدع ولا الحرمات في العصور الأوائلِ
الى احد من آل مروان ذي حجى بأمر كرهناه مقالا لقائلِ

فبعث عمر الى عراك بن مالك الفقيه الذي كان شهد عليه فقال: ما ترى في هذا البأس؟ فقال عراك: مكانه خير له[١].

وعاتب الأحوص عمر بن عبد العزيز بقصيدة اخرى بعثها اليه من منفاه لأنه ادنى احد اخصامه زيد بن اسلم وجفاه، وذكّر الأحوص الخليفةَ بصلة الأرحام التي تجمع بينهما وعرّض بهذه القرابة التي اصبحت مجدبة لا روح فيها قائلا :

ألست ابا حفص هُديت مخبّري افي الحق ان اقصى ويدنى ابن اسلما
الا صلة الأرحام ادنى الى التّقى وأظهر في اكفائه لو تكرّما
وكنا ذوي قربى لديك فأصبحت قرابتنا ثديا اجدّ مصرّما
وقد كنتَ أرجى الناس عندي مودة ليالي كان الظن غيبا مرجّما
اعدّك حرزا ان جنيتُ ظلامة ومالا ثريّا حين أحمل مغرما
تدارك بُعتبى عاتبا ذا قرابة طوى الغيظ لم يفتح بسخطه فما[٢]

وبعث الأحوص الى عمر بقصيدة ثالثة يستعطفه بها ويطلب منه اعادته الى دار قومه ويذكره فيها بشماتة الأعداء ويقول:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٤٧/٤ و (ث) ٦٥/٩ الخزانة ٢٣٢/١ و ١٤/٢ امالي المرتضى ٦٥/٢.
(٢) - الاغاني (د) ٢٤٨/٤ - ٢٤٩ عيون التواريخ ١٦٧/٥ - ١٦٨ تاريخ دمشق ٤٠/٥ ٤٤ الخزانة ١٣/٢ - ١٤.

هل انت أمير المؤمنين، فإنني بودّك من ودّ العباد لقانعُ
متمّمُ أجر قد مضى وصنيعة لكم عندنا او ما تُعدُّ الصنائعُ
فكم من عدوٌ سائل ذي كشاحة ومنتظر بالغيب ما انت صانعُ

فلم يعفُ عنه عمر ولم يخلِ سبيله[1].

ودخل الى عمر عدّة من الأنصار فكلّموه وذكروا له نسب الأحوص وموضعه وقديمه وطلبوا منه ان يردّه الى حرم رسول الله (ص) ودار قومه فقال لهم عمر: من القائل؟:

ادور ولولا ان ارى ام جعفر بأبياتكم ما درت حيث ادورُ
وما كنت زوّارا ولكن ذا الهوى اذا لم يُزَرْ لا بد ان سيزورُ

قالوا: الاحوص. قال: فمن الذي يقول؟:

الله بيني وبين، قيّمها يفرّ مني بها واتّبعُ

قالوا: الاحوص. قال: بل الله بين، قيمها وبينه. وأضاف: فمن الذي يقول؟:

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا: الأحوص: قال: ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول. والله لا اردّه ما كان لي سلطان.

فمكث الأحوص هناك ولاية عمر وصَدْرا من ولاية يزيد بن عبد الملك[2].

و - الأحوص ويزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ - ١٠٥ هـ):

عندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة كان الأحوص لا يزال مقيما بدهلك وكان يزيد ذات ليلة على سطح وجاريته حبابة تغنيه بشعر

---

(١) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.

(٢) - الشعر والشعراء ٤٢٥ الاغاني (د) ٢٤٧/٤ - ٢٤٨ و (ث) ٦٥/٩ - ٦٦ سمط اللآلي ٧٨٦/٢ عيون التواريخ ١٦٦/٥ الخزانة ٢٣٢/١ - ٢٣٣ فوات الوفيات ٢١٨/٢.

للأحوص فقال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: لا وعينيك لا أدري - وكان قد ذهب من الليل شطره - فقال يزيد: ابعثوا الى ابن شهاب الزهري فعسى ان يكون عنده علم من ذلك. فأُتيَ الزهري وقُرع عليه بابه فخرج مروَّعا الى يزيد فلما صعد اليه قال له يزيد: لا ترعْ لم ندعُك الا لخير. وسأله عن قائل الشعر. فقال ابن شهاب: الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين. قال: ما فعل؟ قال الزهري: قد طال حبسه بدهلك. قال يزيد: قد عجبت لعمر كيف اغفله. ثم امر بتخلية سبيله ووهب له اربعمائة دينار فأقبل الزهري من ليلته الى قومه الأنصار فبشّرهم بذلك[1].

وتضاربت نصوص المصادر في تحديد الأبيات التي غنتها الجارية ليزيد ومنها ما ورد فيه اكثر من نص مختلف ومتناقض، فقيل ان الشعر الذي غُنّي به هو قوله :

أيهـــذا المخـــبري عن يزيـــد　　بصــلاح فــداك اهــلي ومــالي
مــا أبــالي اذا يزيــد بقــى لي　　من تولّــت بــه صروفُ الليــالي

قال أبو عبيدة: اراه عرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدر ان يصرّح مع بني مروان[2].

وزاد بعضهم ذاكرا ان الأحوص قد دسّ الى حبابة هذا الشعر فغنت به يزيد وهوَّنتْ أمره وكلّمت يزيد في أمانه فأمَّنه فلما أصبح حضر فاستأذنت له ثم أعطاه مائة ألف درهم[3].

بينا تذكر مصادر اخرى ان الشعر الذي غُنّى به يزيد هو قول الأحوص:

اذا رُمت عنها سلوة قال شافع　　من الحسن ميعاد السلو المقابرُ

---

(١) - الاغاني (د) ٢٤٨/٤ الخزانة ٢٣٤/١ العمدة ٤٢/١.

(٢) - الاغاني (د) ٢٤٩/٤ - ٢٥٠ عيون التواريخ ١٦٧/٥ سمط اللآلي ٧٨٦/٢.

(٣) - الاغاني (د) ٢٥٠/٤ عيون التواريخ ١٦٧/٥.

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائرُ

فطرب يزيد واستنجد بالزهري لمعرفة قائل هذا الشعر وعندما علم بحال الأحوص كتب من ساعته باطلاقه وأمر له بأربعمائة دينار وأقدمه اليه واحسن جائزته[1].

وقال بعضهم ان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوص ان جميلة غنته يوما:

كريم قريش حين يُنسب والذي أقرَّت له بالملك كهلاً وأمردا[2]

وقيل انه دس الى حبابة فغنت يزيد بقوله المذكور[3].

فطرب يزيد وقال: ويحك يا جارية من هذا من قريش؟ فقالت: ومن يكون؟
أنت يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ فقالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين. فأمر به يزيد ان يُقدم عليه من دهلك وأمر له بمال وكسوة وأنفذ اليه صلات سنية.

والمعروف ان هذا البيت هو من قصيدة للأحوص يقول في مطلعها:

الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غُلب المحزون ان يتجلّدا

وجاء قول الأحوص لهذه القصيدة بطلب من حبابة جارية يزيد عندما اراد يزيد ان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز وأهمل جاريته ولم يعد يلتفت اليها وكان الأحوص يومئذ عند يزيد بن عبد الملك - كما سنوضح فيما بعد - وقد اتيت على ذكر الواقعة لنتبين بطلان هذا الخبر من أساسه وإنما كان ذكره من عمل رواته.

وبرَدِّ الأحوص من المنفى انتهت مأساة الشاعر وبدأت مأساة الفقيه

---

(١) - العمدة ٤٢/١ حلبة الكميت ٥٩ - ٦٠.
(٢) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.
(٣) - الاغاني (د) ٢٥٠/٤ عيون التواريخ ١٦٧/٥.

عراك بن مالك الذي شهد على الأحوص عند عمر بن عبد العزيز[١] «وكان عراك بن مالك من أشد اصحاب عمر على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفيء والمظالم من أيديهم. فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولّى عبد الواحد النصري المدينة فقرّب الوالي عراك بن مالك وقال: صاحب الرجل الصالح. وكان لا يقطع امرا دونه وكان يجلس معه على سريره. فبينا هو معه اذ أتاه كتاب يزيد: ان أبعث مع عراك بن مالك حرسيا حتى يُنزله أرض دهلك وخذ من عراك حمولته. فقال لحرسي بين يديه وعراك معه على السرير: خذ بيد عراك وابتع من ماله راحلة ثم توجّه به نحو دهلك حتى تقرّه فيها. ففعل ذلك الحرسيُّ»[٢].

وأُخرج الأحوص من دهلك[٣] وقتئذ بأمر من يزيد بن عبد الملك. ولكن مأساة عراك كانت خيرا لأهل دهلك الذين كانوا يقولون: «جزى الله يزيد بن عبد الملك خيرا. أخذ عنا رجلا علَّم أولادنا الباطل وأقدم علينا رجلا علّمنا الخير[٤]» وكان أهل دهلك يأثرون الشعر عن الأحوص والفقه عن عراك بن مالك[٥].

ودخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك في أحد الأيام فقال له الخليفة: والله لو لم تمت الينا بحرمة ولا توسّلت بدالّة ولا جدّدت لنا مدحا غير انك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجبا لجزيل الصلة منا حيث تقول:

وانى لاستحييكم ان يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمعُ

---

(١) - امالي المرتضى ٦٥/٢.
(٢) - الاغاني (د) ٢٥٥/٤.
(٣) - الاغاني (د) ٢٥٥/٤ امالي المرتضى ٦٥/٢ سمط اللآلي ٧٨٦/٢ تاريخ الاسلام ٩١/٤.
(٤) - تاريخ الاسلام ٩١/٤.
(٥) - الاغاني (د) ٢٥٥/٤ سمط الالي ٧٨٦/٢.

وان اجتـدى للنفـع غـيرك منهم   وانــت أمــام للرعيــة مقنـع[١]

وهذان البيتان من قصيدة مدح الأحوص بها عمر بن عبد العزيز حين كان خليفة على المسلمين.

وتسابقت المصادر الى ذكر حكاية يزيد بن عبد الملك مع حبابة والأحوص حتى يكاد لا يخلو كتاب أدب أو كتاب تاريخ منها ولكن هذه المصادر ذكرت القصة بنصوص مختلفة في بعض الجزئيات متفقة في الأصل والجوهر وتفاصيل القصة تُنبىء ان يزيد بن عبد الملك صاحب حبابة وسلامة كان قد ترك لشغله باللهو الظهور للعامة وشهادة الجمعة فقال له أخوه مسلمة: يا أمير المؤمنين، قد تركت الأمور واضعت المسلمين، وقعدت في منزلك مع هاتين الأمتين، وببابك وفود العرب ويقف ببابك أشراف العرب أفلا تقعد لهم وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز. فقال يزيد لأخيه: أرجو أن لا تعاتبني بعد هذا.

وآرعوى يزيد قليلا وظهر للناس، فلما أوى الى فراشه جاءته جاريته حبابة. فقال لها: أعزبي عني. قالت: ما دهاك؟ فأخبرها بما قال له مسلمة. فطلبت منه ان يمتعها منه مجلسا واحدا ثم يفعل ما يشاء. فقال لها: ذلك لك.

واحضرت حبابة معبدا وسألته الحيلة في هذا الأمر فقال لها: يقول الأحوص أبياتا وألحنها وتغنينها على مسمع من يزيد. فأرسلت الى الأحوص وعرّفته الخبر فقال:

ألا لا تلمـه اليوم ان يتبلَّـدا   فقـد غُلب المحزون ان يتجلّدا
اذا كنت عزهاةً عن اللهو والصبا   فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا مـا تلـذ وتشتهي   وان لام فيـه ذو الشنـان وفنّـدا

(١) - الاغاني (د) ٤/٢٥٠ - ٢٥١ و(ث) ٩/٦٦ الامالي القالي ١/٦٨ التنبيه ٣/٣٥ - ٣٦ سمط اللآلي ١/٢٤١ عيون التواريخ ٥/١٦٩.

واني وان عُيِّرت في طلب الصبا لأعلم اني لست في الحب أوحدا

فلحنها معبد وغنتها حبابة بحضور يزيد فطرب الخليفة وهبَّ ضاربا بخيزرانته الأرض وقال: صدقتِ وصدق قائل هذا الشعر «قاتل الله مسلمة ولعنة الله عليه وعلى ما جاء به والله لا أطيعه ابدا» وعاد الى حالته الأولى[1]. ثم سألها عن قائل هذا الشعر فقالت: الأحوص فقال: عليّ به فأُتِيَ به فأنشده القصيدة ثم أنشده قصيدة أخرى مدحه فيها أولها قوله:

يا موقد النار بالعلياء من إضَمِ أوقد فقد هُجْت شوقا غير منصرمِ

فقال له يزيد ارفع حوائجك. فكتب اليه في نحو من أربعين ألف درهم من دَيْن وغيره. فأمر له بها[2]. وقال بعض رواة الحكاية ان حبابة وعدت الأحوص بألف دينار وطلبت من يزيد ان يفي بوعدها فأعطاه المبلغ ووصله بجوائز أخرى[3].

وامتدح الأحوص يزيد بن عبد الملك بقصائد عديدة متنوعةٍ منها قوله:

أَلآن استقرّ الملـــك في مستقرّه وعــــاد لعُرفٍ أمُره المتنكّرُ

طريــدٌ تــلافــاه يزيــد برحمة فــلم يمسِ من نعمائــه يتعــذّرُ

وقال في يزيد قصيدة رائية اخرى جاء فيها:

لولا يزيــد وتــأميــلي خــلافتــه لقلت ذا من زمان الناس ادبارُ

ولم يبقَ من القصيدة سوى هذا البيت.

---

(١) - طبقات فحول الشعراء ٥٣٨ - ٥٣٩ الشعر والشعراء ٤٢٥ - ٥٢٦ الامالي الزجاجي ٤٨ - ٤٩ مروج الذهب ١٣١/٣ - ١٣٢ البدء والتاريخ ٤٨/٦ الاغاني (ث) ٩٩/١٥ - ١٠١ و١٠٢/١٥ - ١٠٤ التنبيه ٢٧/٣ - ٢٨ سمط اللالي ١٤٣/١ تاريخ الخلفاء 189a مصارع الشعاق ٧٥ - ٧٦ المختار من نوادر الاخبار. ١١٠ - ١١١ عيون التواريخ ١٥٧/٥ البداية والنهاية ٢٣٢/٩ - ٢٣٣ نهاية الارب ٥٧/٥ - ٥٨ تزيين الاسواق ١٢٠ - ١٢١. شذرات الذهب ١٢٨/١ - ١٢٩. وغيرها.

(٢) - الاغاني (ث) ١٠٠/١٥ عيون التواريخ ١٥٧/٥ تزيين الاسواق ١٢١.

(٣) - الاغاني (ث) ١٠١/١٥.

ومدح الأحوص يزيد بن عبد الملك بقصيدة يقول في مطلعها :

صرمت حبلك الغداة نوارُ ... ان صرما لكل حبلٍ قصارُ

وبقي من القصيدة أبيات معدودة منها قوله:

من يكن سائلا فإن يزيداً ... ملك من عطائه الاكثارُ

عمّ معروفه فعزَّ به الدّينُ ... وذلّت لملكه الكفّارُ

واعطاه يزيد بعد ان انشد قصيدته هذه بين يديه ثلاثين ألف درهم فلما قدم قُباء صبَّ المال على نطع ودعا جماعة من قومه وقال: اني قد عملت لكم طعاما. فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال[١] وقال: (أَفَسِحْرٌ هَذا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ)[٢].

وقدم الأحوص مرة على يزيد بن عبد الملك ومدحه فوصله يزيد بمائة ألف درهم فأقبل اليه كُثَيِّر يرجو أكثر من ذلك. فطرح عليه بيتا من الشعر وطلب منه تفسيره فغضب عليه الخليفةُ مستنكرا عمله فكلَّمه بعضهم مُوضحا له سيرة كُثَيِّر مع الخلفاء السابقين من بني أمية في هذا العمل فدعا يزيد بكُثَيِّر واجازه بثلاثين الف وكان كثير يطمع بجائزة اعلى من جائزة الأحوص[٣].

وتنامت الصلة بين الأحوص ويزيد بن عبد الملك وتوطدت العلاقة بينهما وتعاظمت مكانة الشاعر لدى الخليفة فأصبحت وفادة الأحوص على يزيد تأتي بطلب من الخليفة أو دون طلب منه وأصبح صاحبنا يُستقبَل من الخليفة بمزيد من الحفاوة والاكرام فكأنه سفيرٌ للشعر والشعراء لدى مركز الخلافة يستدعيه صاحب الشام من الحجاز كلما بدت له حاجة في الاستمتاع بشعره والأنس بمسامرته ومنادمته[٤].

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥١/٤ - ٢٥٢ نسب قريش ١٦٣.

(٢) - القرآن الكريم سورة الطور الآية « ١٥ ».

(٣) - لاغاني (ب) ١٠٨/٨.

(٤) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.

ووجَّه يزيد بن عبدالملك مرة الى الأحوص في القدوم عليه وكان الغريض معه فقال له الأحوص: اخرج معي حتى آخذ لك جائزة امير المؤمنين وتغنيه فإني لا أحمل اليه شيئا هو احب اليه منك. فخرجا. فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له الخليفة ودعا به فأنشده مدائح لاقت استحسانه وخرج من مجلسه. فبعثت اليه سلامة جارية يزيد بلطف فأرسل اليها: «إن الغريض معي قدمت به هدية اليك. وكانت مشتاقة الى الاستماع من الغريض فلما دعاها امير المؤمنين تمارضت وبعثت الى الأحوص: «اذا دعاك أمير المؤمنين فاحتل له في ذكر الغريض له».

وسنحت الفرصة امام الأحوص لتلبية طلب سلامة فعندما سأله يزيد عما رآه في طريقه من طرائف أجابه بأنه سمع صوتا حسنا من الغريض وهو يغني:

الا هـاج التـذكُّرُ لي سَقَـامـا ونُكْسَ الـداء والوجـعَ الغرامـا
سلامــــــة انهـــــا همّي ودائي وشرُّ الـداء مـا بَطَنَ العِظـامـا
فقلـتُ لـه ودمـعُ العـين يجري عـلى الخـدَّيْنِ أربعـةً سِجـامـا
عليـكَ لهـا السلامُ فمن لصـبٍّ يبيـت الليـل يهـذي مُستهامـا

فقال يزيد: «ويلك يا أحوص. أنا ذاك في هوى خليلتي وما كنت أحسب ان مثل هذا يتفق وان ذاك لما يزيد لها في قلبي فما صنعت يا أحوص حين سمعت ذاك؟». فأخبره ان الغريض قدم معه وانه أخفى أمره. فقال له يزيد: ائتني به ليلا واخفِ ذكره.

ورجع الأحوص الى منزله وبعث الى سلامة بالخبر. فقالت للرسول: «قل له جُزيتَ خيرا قد انتهى اليّ كل ما قلت وقد تلطّفتَ واحسنتَ». فلما وأرى الليلُ اهلَه بعث يزيد الى الأحوص ان عجّل المجيء اليّ مع ضيفك فجاءه مع الغريض ودخلا عليه فطلب من الغريض أن يغنيه الصوت - وكان الأحوص قد أخبر الغريض الخبر، والشعر

قاله الأحوص يريد به أن يثير شوق يزيد الى سلامة ويحتال به للغريض في الدخول على يزيد - وما انتهى الغريض من إداء الصوت حتى كانت دموع يزيد تملأ عينيه. ثم أمر أن تصير سلامة الى مجلسه فأقبلت وضُرب لها حجاب فجلست وأعاد عليه الغريض الصوت. فقالت: أحسن والله يا أمير المؤمنين فاسمعه مني. فأخذت العود وضربته وغنت الصوت فكاد يزيد أن يطير فرحا وسرورا وقال: «يا أحوص. إنك لمبارك. يا غريض غنني في ليلتي هذا الصوت». فلم يزل يغنيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال وقال: «لا يصبح الغريض في شيء من دمشق». فارتحل الغريض من ليلته وأقام الأحوص بعده أياما ثم لحق به وبعثت سلامة اليهما بكسوة ولطف كثير(١).

ولم تكن كل أيام الأحوص خلال فترة حكم يزيد سعيدة مفعمه بالفرح والسرور بل قدمت بعض هذه الأيام نوعا من المذلة والشقاء والهوان للأحوص تعرض لها بتدبير من الآخرين أو بسوء استغلال ظروف وَاتَتْهُ كان يمكنه خلالها ان ينتقم من خصمه اللدود ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم الذي ضربه وغرّبه الى دهلك حين كان واليا على المدينة في بداية عهد عمر بن عبد العزيز وكان ابن حزم في نفس الوقت عدوّا لدودا ليزيد بن عبد الملك لأنه كان قد فسخ زواج يزيد من بنت عون بن محمد بن علي بن ابي طالب(ع) وكان فظًّا قاسيا معه ومع حميه في ذلك.

وكان يزيد يتطلع الى اليوم الذي يستطيع فيه النيل من ابن حزم وأهانته وتعذيبه دون ان يلمس الحاطون بيزيد ان هذه الأعمال كانت بسبب رد الحزمي لنكاحه. فاستغل يزيد خصومة الأحوص مع ابي بكر وكتب فيهما فحُملا اليه ولما صارا ببابه اذن للأحوص الذي خانته هذه

---

(١) - الاغاني (ث) ٣٤٥/٨ - ٣٤٧.

المرة لباقته وظرافته فواجه الخليفة بكلام نابٍ أهانه فيه دون ان يكون له في ذلك غاية، ودون ان يزن مرامي كلامه قال بوقاحة وجرأة قاسية: «اصلحك الله يا أمير المؤمنين، هذا ابن حزم الذي سفَّه رأيك وردَّ نكاحك». فما كاد يزيد يستفيق من وقع كلام الأحوص واحساسه بفشل مكيدته لابن حزم حتى قال له: «كذبت. عليك لعنة الله وعلى من يقول ذلك. اكسروا انفه» وأمر به فاخرج ملببا. ونجا ابن حزم من هذ المكيدة المزدوجة المصدر[١].

حمل العام الأول من القرن الثاني الهجري معه للأحوص مفاجآت سارة منها ردُّ يزيد له من منفاه واستعادتُه لحريته وكثرةُ ما أنعمه عليه يزيد من العطاء والمنح وإكرامُ يزيد له وتقدمتُه إياه أما العام الثاني من هذا القرن فقد خبَّأ مفاجأة للأحوص لم يكن ينتظرها بعد ما لاقاه من حسن المعاملة في عامه الأول وبداية عامه الثاني من القرن الجديد ولم تزل المفاجأة المريرة مطمورة الى ان نضجت ظروف جعلتها تطفو وتحيط بالشاعر لتعيده الى الأجواء التي اوقعه فيها عامل المدينة السابق ابو بكر الحزمي، ولكن الضرب والتشهير الذي لحق بالأحوص هذه المرة لم يكن من تدبير خصمه السابق بل كان بتخطيط من عامل يزيد بن عبدالملك على خراسان، وتَقَبَّلها الخليفة دون حرج مُغْضِيا «للجرَّاح» عليها. واعقبت هذه الحادثة قتل يزيد بن المهلب إذ بعث الخليفة بعد قتل ابن المهلب في الشعراء وآمرهم بهجاء آل المهلب بشخص يزيد بن المهلب فاعتذر الفرزدق محتجا بمدائحه فيهم ومستنكرا على نفسه هجاءهم بعدما قاله فيهم من رائع الشعر وكَرِهَ كُثَيِّر تعريض نفسه لغضب شعراء العراق ان هجا بني المهلب واما الأحوص فإنه هجاهم وقال:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٢/٤ - ٢٥٣.

وما زال ينوي الغدر والنَّكْثَ راكبا   لعمياء حتى استكَّ منه المسامعُ
وحتى أُبيد الجمعُ منه فاصبحوا   كبعض الأُلى كانت تُصيب القوارعُ
فأضحوا بنهرَيْ بابل ورؤوسهم   تَخُبُّ بها فيما هناك الخوامعُ
كَفَرْتَ الذي أسدو إليك ووسَّدوا   من الحسن أنعاما وجنبك ضارعُ

وبعث الخليفة بعد ذلك بالأحوص رسولاً الى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب فبعث إليه بزقٍّ من خمر فأُدخل منزل الأحوص ثم بعث اليه خيلا فدخلت منزله فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح الذي أمر بحلق رأسه ولحيته وضربه الحد بين أوجه الرجال والأحوصُ يقول: ليس هكذا تُضرب الحدود. فجعل الجراح يجيبه: أجل. ولكن لما تعلم. ثم كتب الجرّاح الى يزيد بن عبد الملك يعتذر، فأغضى له عليها.[1]

وروى أبو الفرج وابن الجوزي أن يزيد بن عبد الملك كتب في خلافته الى أمير المدينة عبد الواحد النصري أن يحمل اليه الأحوص الشاعر ومعبدا المغني فحُمِلا اليه فلما نزلا عمان أبصرا غديراً وقصوراً فقعدا على الغدير فأقبلت جارية ومعها جرة تريد أن تستقي فيها ماء. قال الأحوص «فتغنت بمدحي في عمر بن عبد العزيز.

يا بيت عاتكة الذي أتعزَّل   حذر العدا وبه الفؤاد موكَّلُ

فتغنت باحسن صوت... فالقت الجرة فكسرتها. فقال معبد: غنائي والله وقلت: شعري والله». فوثبا اليها وقالا لها: لمن انت يا جارية. قالت: لآل سعيد بن العاص - وفي خبر آخر: لآل الوليد بن عقبة - ثم اشتراني رجل من آل الوحيد... فَعَلِقَتْهُ بنت عمٍّ له طرأت عليه فتزوجها على أمري. ثم علا مكانُها مكاني فلم تزدها الايام الا ارتفاعا

(١) - طبقات فحول الشعراء ٥٤٢ - ٥٤٣ الاغاني (د) ٢٥٥/٤ - ٢٥٦.

ولم تزدني الا اتضاعا. فلم ترضَ منه الا بأن أخْدَمَنِيْها فوكلتني باستسقاء الماء فأنا - على ما تريان - إن ذكرتُ المدينة فطربتُ اليها كسرت جرتي وإذا اعترفت بالملكة أدَّيتُ إليهم جَرَّتهم مملوءة.

وقال ابن الجوزي في خبره: إن والي المدينة وقتئذٍ كان الضحاك. وجعل مكان اللقاء في البلقاء وهي أرض الشام.

فعرَّفْها الأحوص بنفسه وبمعبد وذكر لها رحلتهما الى يزيد واكَّد لها انه سيذكرها لدى الخليفة - وقال بعض رواة الخبر - فانشأت الجارية تقول :

ان تروني الغـــداة أسعـــى بجرٍ استقي الماء نحو هـذا الغـديـرِ
(٩ أبيات)

فقال الأحوص من وقته:

ان زين الغـــدير من كسر الجرَّ وغنـــى غنـــاء فحـــلٍ مجيـــدِ
(١٢ بيتا)

وهذه الأشعار واردة في خبر الأغاني خاصة ولم يرد لها ذكر في خبر ذم الهوى.

وتختلف روايات الأغاني في ذكر الأبيات عددا ومضمونا.

فلما قدما على يزيد غناه معبد بشعر الأحوص المذكور. واخبراه بما حدث لهما فكتب يزيد لعامله بتلك الناحية فاشرى له الجارية وبعث بها هدية. فلما قدمت على يزيد أُعجب بها واجازها واخدمها واقطعها وأفرد لها قصرا فبعثت الجارية بجوائز وكساء للشاعر والمغني[1].

ويُلاحظ ان صاحب ذم الهوى أورد هذه القصة مبتورة بينما ذكر صاحب العقـد ان الشاعر والمغني كانا قادمين على الوليد بن يزيد حين التقيا بالجارية وهي على الغدير وتابع سرده لهذه القصة بتفاصيل

(١) - الاغاني (ث) ٢١/١٢٠ - ١٢٤. ذم الهوى ٦٥٥ - ٦٥٦.

تختلف عما ورد في الأغاني وقرنها بوفود المغنين، ومعهم محمد بن عائشة على الوليد ذاكرا خبر حبس ابن عائشة من قبل الوليد حين، دخل عليه نهارا.[١] بينما نجد ان خبر الوليد مع ابن عائشة والمغنين، لم يتعرض بذكر للأحوص عند ابي الفرج[٢].

ويذهب بنا اختلاف المصادر في ذكر هذه القصة الى الاعتقاد ببطلانها ويشهد على ذلك نمط الشعر الذي ورد فيها منسوبا للأحوص ولا يفوتنا ان ندعم هذا الرأي بما نقله ابو الفرج عن رواة خبره حيث اثبت بمنتهى الامانة والرصانة نصه التالي «وقال الزبير في خبره عن عمّه قال: أظن القصة كلها مصنوعة وليس يشبه الشعر شعر الأحوص ولا هو من طرازه. وكذلك ذكر عمر بن شبّة في خبره».

١١ - نهاية الأحوص:

تجاهلت المصادر الأدبية والتاريخية ذكر سنة وفاة الأحوص بشيء من الوضوح والتحديد لزمان هذه النهاية التي حاك البعض حولها مشهدا غراميا وعاطفيا طالما سمعنا بمثله في أخبار العشاق المشهورين في التاريخ العربي فرُوي عن ابن الاعرابي قوله «إن الأحوص خرج الى دمشق ومعه جارية يقال لها بشرة وكان شديد الاعجاب بها لا يكاد يصدُّ عنها وكانت هي أيضا له من المحبة على اكثر من ذلك فاشتكى الأحوص واشتدت علّته وحضرته الوفاة فأخذت رأسه فوضعته في حجرها وجعلت تبكي فقطر من دموعها على خده فرفع رأسه اليها وقال:

ما لجديد الموت يا بِشْرُ لذَّةٌ ... وكلُّ جديدٍ تُسْتَلَذُّ طرائفُهْ
فلا ضَيْرَ إنَّ الله يا بِشْرُ ساقني ... الى بلدٍ، جاورت، فيه خلائفُهْ

---

(١) - العقد الفريد ٤/٤٥٥ - ٤٥٦.
(٢) - الاغاني (ب) ٤/٨١ - ٨٢.

فلست وإنْ عيشٌ تولّى بجازع ... ولا انا ممّا حمّ الموتُ خائفُ

ثم مات من يومه فجزعت عليه بشرة جزعا شديدا ولم تزل تبكي وتندبه الى ان شهقت شهقة فماتت فدفنت الى جانب قبره »[1].

بينما نقل أبو الفرج عن الزبير أن الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه حين هرب من عبد الواحد النصري الى البصرة:

يا بِشْرُ يا رُبَّ محزونٍ بمصرعنا ... وشامتٍ جذلٍ ما مسَّهُ الحَزَنُ
وماشَمَاتُ امرىءٍ ان مات صاحبُهُ ... وقد يَرَى أنَّه بالموتِ مُرْتَهَنُ
يا بِشْرُ هُبّي فإن النّوْمَ أرَّقَهُ ... نأيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ[2]

وليس للأحوص اخبار في جميع المصادر تعود الى ما بعد خلافة يزيد بن عبد الملك خلا خبراً واحداً مع هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ) ذكره البلاذري :

« قال هشام بن عبد الملك للأحوص: مالنا وللفرزدق حفر لنا خالد نهرا فقال:

وانفقت مال الله في غير حقّه ... على نهرك المشؤوم غير المبارك

فقال الأحوص: « ما هذا من كلامه » فقال هشام: « قاتلهم الله هؤلاء الشعراء اذا جاءت الحقائق نصر بعضهم بعضا »[3].

واغلب الاعتقاد ان خبر البلاذري مدفوع غير مقبول لاسباب منها اننا لا نجد في جميع المصادر ما يدل على ان الأحوص عاش بعد خلافة يزيد بن عبد الملك عدا هذا الخبر القصير الذي لم يقصد به الأحوص بحد ذاته وانما كان موضوعه الأساسي يدور حول الفرزدق وليس في شعر الأحوص الذي وصل الينا ما يدل على أن شاعرنا ادرك خلافة هشام

---

(١) - مصارع العشاق ٤١٩ شرح شواهد المغنى ٢٦١ خزانة الادب ٢٣٤/١.

(٢) - الاغاني (د) ٢٦٨/٤. عيون التواريخ ١٦٩/٥.

(٣) - انساب الاشراف ١٠٦/٨.

ووفد عليه ولو كان الأمر كذلك لوصلنا شيء من شعره أو من أخباره في هذا المقام.

ثم ان الفرزدق كان قد قال هذا الشعر من قصيدة له يهجو بها خالد بن عبدالله القسري وكانت بينهما عداوة قديمة تعود الى عهد الوليد وسجنه خالد جزاء هجائه[1]، ولا مجال امام الأحوص أو غير الأحوص لينفي نسبة البيت الى الفرزدق.

وعبد الواحد النصري الذي هرب منه الأحوص الى البصرة ولي المدينة خلال سنتين (١٠٤ هـ - ١٠٦ هـ) أي في أواخر عهد يزيد وأوائل عهد هشام بينما ولي خالد القسري العراق بعد استلام هشام مقاليد الخلافة وبقي فيها الى خلافة الوليد بن يزيد ،(١٠٥ هـ - ١٢٥ هـ). فهل يمكن ان تتم فصول حفر النهر وهجاء الفرزدق لخالد ورحلة الأحوص الى هشام قبل موعد هروب الاحوص من النصري الى البصرة؟ أي خلال عام واحد (١٠٥ هـ - ١٠٦ هـ).

ويؤكد ما ذهبنا اليه نص ذكره أبو الفرج بإسناذ عمر بن شبة قال «ولم يزل (يزيد) ينادمه (أي الأحوص) وينافس به حتى مات»[2] وفعل الموت - فيما أُرَجِّح - عائد الى الأحوص بدليل واضح صريح زوَّدنا به الكتبي وقطع به جذور الشك قائلا «وممن جُهل تاريخُ موته من المشهورين ومات في خلافة يزيد بن عبدالملك: الأحوص الشاعر»[3].

واذا قرنا هذا النص بما ذكره ابو الفرج يكون موت الأحوص بعد هروبه من والي المدينة عبدالواحد النصري في أواخر السنة الرابعة بعد المائة او في اوائل السنة الخامسة بعد المائة لأن ولاية النصري الذي هرب منه الأحوص بدأت في سنة أربعة ومائة بينما كانت وفاة يزيد

---

(١) - الاغاني (ب) ١٨/١٩ و٢٣ و٦١.
(٢) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.
(٣) - عيون التواريخ ١٦٥/٥ - ١٦٦.

في أواخر شعبان من سنة خمس ومائة[١]،

وذهب أدباء قاموا بدراسة الأحوص أو تحدثوا عنه في هوامش بعض الكتب التي تناولت ذكر الشاعر، الى تحديد وفاة الأحوص في سنة خمس ومائة بعد الهجرة[٢]، بينما توغل البعض بعيدا في هذا المجال معتبرين أن وفاة الأحوص كانت في سنة عشر ومائة[٣]، ولعلهم اعتمدوا في تقرير هذا الأمر على ما أتى به الذهبي حين وضع الأحوص في الطبقة العاشرة بعد المائة دون أن يقدم لنا أية إشارة الى وفاة الأحوص[٤]. ولم يعطِ البعض الآخر رأياً حاسماً في تأييد واحدٍ من الموقفين الاخيرين[٥].

---

(١) - العقد الفريد ٤٤١/٤.

(٢) - الاعلام ٢٥٧/٤ الذريعة ٣١٩/١ تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٩/١ تاريخ الادب العربي (فا) ٢٦٣ الكيلاني (هامش الصداقة والصديق) ٢٢١. عبد الفتاح الحلو (هامش التمثيل والمحاضرة) ٢١٢. الشالجي (هامش نشوار المحاضرة) ٢٧٣/٥. مبارك وعبد الحميد (هـ. زهر الآداب) ١٧٨/١. ابن ابي شنب (هـ الجمل) ١٥٩: (١٠١ هـ أو ١٠٥ هـ).

(٣) - بروكلمان (تاريخ الادب العربي) ١٩٧/١ الموسوعة الاسلامية بالفرنسية ٣١٤/١.

(٤) - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير من الاعلام ٩١/٤.

(٥) - تاريخ الادب العربي (عمر فروخ) ٦٣٧/١ دائرة المعارف (ف. أ. بستاني) ٣٣٧/٧.

البَابُ الثاني

شِعْرُ الأحوَص وَشاعِرِيّتُه

الفصل الأول

جَمْعُ شعر الأحوص وتحقيقه

I - مصدر شعر الأحوص:

أ - شعر الأحوص الأنصاري: جمعه وحقّقه «عادل سليمان جمال» ونال به درجة الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٦٤م ونشرته الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر في القاهرة عام ١٩٧٠م. وقدَّم له الدكتور شوقي ضيف.

ب - شعر الأحوص بن محمد الأنصاري: جمع وتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، وكان عمله هذا يهدف الى اغناء الفكر العربي والدراسة العربية بتقديم ما يمكنه من تراثنا القديم لتسهيل دراسة التاريخ الادبي في صدر الدولة الأموية - كما يقول في مقدمته -. ونشرته مكتبة الاندلس بمساعدة جامعة بغداد عام ١٩٦٩م.

١ - **منهج الكتابين**: لا بد لي من وقفة أمام الكتابين، أعرض فيها صنيع كل من محقِّقَيْ شعر الأحوص ومنهج كل واحد منهما مبيِّنا ميزات كلٍ من المصنَّفَيْن.

أ - شعر الأحوص الأنصاري (جمال): ابتدأ عادل سليمان جمال كتابه بمقدمة قصيرة تناول فيها بكثير من الايجاز بعض وجوه حياة

الشاعر ثم تتبَّع آثار ديوان الأحوص المفقود وتناول بشيء من التفصيل والنقد مصادر شعر الأحوص وصنَّفها في سبعة ضروب هي: كتب التراجم والأدب والاختيارات والمعاجم الجغرافية والتاريخ واللغة والنحو. وقدَّم بعدها منهجه في صنع «الديوان». فقسم شعر الأحوص الى ثلاثة أقسام:

١ - القسم الأول: جعل فيه ما صح من شعر الأحوص أي ما أجمعت المصادر على أنَّه له ولم يتنازعه مع غيره من الشعراء. وبلغ عدد القصائد والمقطَّعات في هذا القسم مئة وستاً وستين.

٢ - القسم الثاني: جعل فيه الشعر الذي نُسب سهوا او خطأً للأحوص وليس له. وبلغ عددها ثلاثا وعشرين مقطَّعة شعرية. فردَّه الى اصحابه وذكر قدرا من المصادر التي تدعم رأيه ولم يستقصِ كامل تخريج هذه المقطعات.

٣ - القسم الثالث: وضع فيه الشعر المصنوع الذي نُحل الأحوص. وهذا الشعر وارد في قصتين تناقلتهما بعض المصادر وقد نبه ابو الفرج عند ذكرهما الى بطلانهما. وسرد جمال القصتين كاملتين في هذا القسم. ثم قدم تعليقات وافية في باب خاص نقلها من المصادر تعيقيبا على بعض القصائد وبلغت واحدا واربعين تعليقا.

وقدَّم جمال بعد ذلك تخاريج وافية لقصائد القسم الأول، فيها من الاتقان والجودة ما يشهد على قدرته في هذا المجال وجهده الكبير الذي بذله في سبيل اخراج هذا المصنَّف. ثم أجرى ثبتا للمصادر التي اعتمد عليها ذاكرا سنة وفاة كلٍ من اصحابها وألحقها بفهارس تفصيلية لقوافي الديوان والاشعار الواردة في الديوان والاعلام (الأفراد والأمم والقبائل) والأماكن والآيات القرآنية الواردة في الكتاب والأحاديث النبوية والأمثال والغزوات والأيَّام والنجوم.

ثم جعل للديوان ملحقا وضع فيه تسع مقطّعات سقط بعضها اثناء الطبع وعثر على بعضها الآخر خلال فترة الطبع وختم هذا الملحق ببيت من الشعر نُسب للاحوص خطأ وهو لغيره ونبّه الى اضافة هذا البيت في القسم الثاني من الديوان.

وبعد هذا الملحق يصبح عدد قصائد القسم الاول مئة وخمسا وسبعين، قصيدة بينما يصبح عدد مقطعات القسم الثاني اربعا وعشرين.

واثبت جمال في هوامش الديوان شروحات فيها الكثير من العناية والدقة والتفصيل جعلت منه الى جانب غيرها من اعماله واحدا من ابرز محققي التراث القديم.

ب - شعر الاحوص بن محمد الانصاري (سامرائي): بدأ الدكتور ابراهيم السامرائي كتابه بمقدمة بسيطة موجزة جدا يمكن اعتبارها تعريفا بالأحوص ثم تلمّس أخبار الديوان المفقود ثم شرح بكثير من الإيجاز منهجه في عمل الديوان وجعله قسما واحدا عدّ فيه مئة وأربعا وتسعين قصيدة ومقطوعة. ولم يُعْنَ في هوامشه بتقديم شروحات لأشعار الأحوص بل حاول تحقيق كلمات الأبيات ووجوهها المختلفة في المصادر المتعددة.

ثم قدم تخريج القصائد بصورة لا تبعد كثيرا عمّا قدمه جمال. وعاد بعدها الى الاشعار التي نُسبت للاحوص ولغيره من الشعراء، واثبت منها تسعا كانت قد وردت كلها في القسم الثاني من كتاب جمال. ونبّه بعدها في ملاحظة قصيرة الى القصتين المصنوعتين، ولكنه كان قد صنّف قصيدة من القصة الاولى في صلب اشعار الاحوص الصحيحة. والحقها بفهرس المصادر مرتبة حسب اسمائها بينما رتبها جمال حسب اسماء اصحابها. ثم ختم كتابه بفهرس للاعلام وآخر للاماكن.

٢ - **نقد الكتابين والفصل في التشابه بينهما**: يمكنني ان أبيّن في هذا المقام بعض الملاحظات التي تشهد على التوافق بين، هذين

المصنفين، مُثبتا مواقع الاختلاف بينهما في محاولة للوصول الى نوع من الحكم بينهما مقرونا بالشواهد الدالة عليه:

أ - وقع التشابه في تخريج مئة وستين، قصيدة من القصائد التي وردت في القسم الاول من كتاب «السامرائي» وهي موجودة بمعظمها في القسم الاول من كتاب «جمال» وأقلُّها وارد في القسم الثاني منه. ونلاحظ بوضوح ترتيب ذكر المصادر متشابها في كلا الكتابين، بصفحاتها واجزائها. وكانت ترد بعض النواقص القليلة في ذكر بعض المصادر عند السامرائي ضمن تخريج هذه القصائد وذلك لاعتماد جمال على مصادر تفوق بتنوعها وعددها مصادر السامرائي مع ان هذا الاخير كان يورد مصادر لم يذكرها في فهرسه بنفس الصفحة والجزء كما هي مذكورة عند جمال.

ب - وردت نصوص وتعليلات متشابهة عند المؤلِّفَين في القصائد التالية ٢ و٨٨ و١١٥ و١٨١ حسب ترتيب «السامرائي».

ج - لم يذكر «السامرائي» الجزء والصفحة للمصادر التالية حسب مواقعها في تخريج القصائد الآتية:

- الاشباه والنظائر في تخريج القصيدة رقم «١».
- الحماسة البصرية في تخريج القصيدة رقم «٢» البيت الثامن.
- سمط اللآلي في تخريج القصيدة رقم «١٤».
- محاضرات الادباء في تخريج القصيدة «٣٣» البيت الاول.
- المنازل والديار في تخريج القصيدة «٦» من القسم الثاني عنده.
- المختار من شعر بشّار والمنازل والديار وتزيين الاسواق في تخريج القصيدة«٨»من القسم الثاني.

وقد اعتمد السامرائي في هذه المصادر على طبعة تختلف عن الطبعة التي اعتمد عليها جمال كما يُفْهَم من جدول اسماء المصادر الوارد في كلا الكتابين.

د - اثبت السامرائي في شعر الاحوص الصحيح مقطّعات كان جمال قد وضعها في القسم الثاني من كتابه،وكانت تعليلات السامرائي على هذه القصائد وعلى قصائد اخرى ترد متوافقة مع تعليلات جمال في مبتدئها وتختلف عنها في مؤخرها، إذ كان السامرائي يحذف من تعليلات جمال ما يُنْكِر نسبة الابيات للاحوص من المصادر ويُبْقي على ذكر المصادر التي تنسب الابيات له. وهذه المقطوعات حسب ترتيب السامرائي هي: ٢ - ١٤ - ١٨ - ٢٢ - ٣٨ - ٤٩ - ٥٢ - ٩٨ - ١٠١ - ١١٧ - ١٢٢ - ١٦٠ ومعظمها موجود في القسم الثاني من مصنَّف جمال.

هـ - ساق السامرائي في تخريج ثمانٍ من قصائد القسم الثاني من كتابه نصوصا وتعليلات مجتزأة متقطعة قلب فيها الامور بشكل اصبح بعضها غير مفهوم ولم ينجُ من الوقوع في الخطأ لاجتزائه بعض ما ذكر جمال بشكل مغلوط.

و - أما المقطوعة التاسعة والأخيرة في هذا القسم، فإنه اجتزأ تعليلاتها وتخريجها كذلك وهي عبارة عن بيت واحد لجابر الطائي كان السامرائي نفسه قد وضعه مع بيتين آخرين لم يُنْسَبا للأحوص قط تحت الرقم ١٩٠ في القسم الأول من كتابه مستنداً الى كتاب محاضرات الأدباء (٧٦/١)، والحقيقة أن هذا المصدر كان الوحيد الذي نسب البيت الأول للأحوص بينما وردت نِسْبَتُهُ مع البيتين الآخرين في حماسة البحتري (طـ. بيروت ص١٤٦) لجابر الطائي، فسلخ السامرائي بعض ما كتب جمال ووقع في الخطأ وعاد ليناقض نفسه بنفسه.

ز - اعتمد جمال ضمن مصادره على نسخة خطية اطَّلع عليها لديوان المجنون الى جانب النسخة المطبوعة بينما اورد السامرائي في سجل مصادرة ذكر النسخة المطبوعة دون الاخرى وعاد ليذكر ارقام صفحات ديوان المجنون المخطوط نقلا عن جمال في القصيدتين ٢ و ١٠ حسب

ترتيبه ونقل ارقام صفحات الديوان المخطوط الى جانب الديوان المطبوع في القصيدة ١٦٩ من كتابه ووقع في بعض الاخطاء لاجتزائه بعض النصوص الواردة عند جمال في مجال تحقيق نصوص هذه القصائد

ح - اعتمد جمال على نسخة لطبقات ابن سلام مخطوطة وجدها في مكتبة «شاكر» الى جانب اعتماده على النسخة المطبوعة بينما لم يعتمد السامرائي الا على النسخة المطبوعة. وقد اورد جمال عن هذه النسخة المخطوطة قصيدة للاحوص لم يذكرها اي من مصادرنا سوى البيت الاول منها الذي ذكره البكري في معجمه مادة (بيش). وقد نقل السامرائي هذا البيت منفصلا تحت الرقم «٢١» ثم عاد الى نقل باقي القصيدة عن طبقات فحول الشعراء المخطوط بما فيها البيت المذكور تحت نفس الرقم ولم يذكر كتاب الطبقات في تخريج القصيدة بل اكتفى بذكر المعجم.

ط - لم يكن كتاب الطبقات المخطوط المصدر الوحيد الذي ساقه السامرائي في طيات كتابه ولم يذكره في فهرس مصادره بل نجد انه ذكر حماسة البحتري في القصائد (١٣٠ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٧٦ - ١٨٢ - ١٩٠) ولم ترد الحماسة في فهرس مصادره.

وكذلك كتاب عيون التواريخ المخطوط فقد ذكره السامرائي في القصائد (٤٤ - ٥٢ - ٥٦ - ٧٥ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١١٦ - ١١٩ - ١٥٠ - ١٥٧ - ١٦٣ - ١٧٠ - ١٨٠ - ١٥٤ - ١٨٧ - ١٨٨) بنفس أرقام الصفحات التي ذكرها جمال، ولم يذكره السامرائي في تخريج القصيدتين (٢ و٤٣) لوفرة أسماء المصادر فيها. والكتاب غير وارد في سجل مصادره وهو موجود في ثبت مصادر جمال. كما استعمل السامرائي المختار من نوادر الأخبار في القصيدة (١٠٠) دون أن يذكر رقم الصفحة، والكتابُ غير وارد في فهر مصادره وأخذ

السامرائي عن جمال الاعتماد على كتاب (ما يعوَّل عليه) المخطوط ولم يكن قد ذكره في مصادره وأخطأ في ذكر أرقام الصفحات من الكتاب الأخير في القصيدتين ١٣٤ و١٦٥ من مصنَّفه.

ى - نقل السامرائي المصادر التي ذكرت قصيدته الرقم (٤١) في تخريج القصيدة (٣٧)،ولعل مردَّ هذا الخطأ الالتباس في نقل التخاريج.
ك - البيت الذي وضعه السامرائي تحت الرقم (١٤٨) كان ساقه نفسه ضمن عشرة ابيات في القصيدة رقم ١٣٨.

ل - نسب السامرائي بيتا من الشعر للاحوص ووضعه تحت الرقم (١٢١) ولم ينسبه له أي مصدر مطلقا وقد اعتمد في نسبته للاحوص على الاغاني ولكن ابا الفرج لم يذكره للاحوص بل لخُبَيْب بن عدي أحد رفاق عاصم بن ثابت يوم الرجيع،والتبس النص على السامرائي فوقع في الوهم والخطأ. والغريب ان السامرائي نفسه يذكر ان هذا البيت منسوب في السيرة النبوية (ط اوروبا ٦٤٣) لخُبَيْب بن عدي. وساق في فهرسه السيرة طبعة الحلبي التي اعتمد عليها جمال ولم يذكر السامرائي السيرة في مؤلفه أبداً سوى ما ذكرنا.

م - لم يكن كتاب السيرة (طبعة الحلبي) المصدر الوحيد الذي سجَّله السامرائي في فهرسه ولم يعتمد عليه ولم يذكره في ثنايا كتابه بل يمكننا ان نعد اربعا وعشرين مصدرا ذكرها السامرائي في فهرسه ولم يأت على ذكر لها في كتابه ابدا وجميع هذه المصادر متوافق في طبعته وزمان هذه الطبعة مع امثالها عند جمال.
ن - يمكننا ان نلاحظ بوضوح ان مئة وستين، من مصادر السامرائي المئتين، متوافقة في طبعتها وزمان هذه الطبعة مع امثالها عند جمال.

بعد كل هذه الامور يمكننا الاعتقاد ان الدكتور السامرائي كان قد اطَّلع على رسالة السيد عادل جمال في مكتبة جامعة القاهرة خلال قيامه

بتحقيق شعر الاحوص ففضَّل الأخذ عنها وكفى نفسه عناء البحث والتنقيب، ويؤكّد لنا هذا الاعتقاد وُرُوْدُ بعض الاخطاء متشابهة لديهما معا ومثل ذلك قائم في القصيدة (١٠١) عند جمال اذ قال إن بعض ابيات هذه القصيدة وارد في (زهر الآداب ٥٧/٢) والصحيح انه وارد في (زهر الآداب ٣٧٢/٢) فقلَّده السامرائي في الخطأ في تخريج نفس القصيدة التي تحمل الرقم (١١٥) عنده وساق الخطأ بعينه وهُما معتمدان على طبعة واحدة في هذا المصدر.

كل هذه الحقائق وغيرها كثير تشهد على استناد السامرائي الى كتاب جمال عندما اكمل مؤلَّفه وان كان قد طبعه قبله فلا يعني ذلك انه سابق له لان رسالة جمال كانت مُعدَّة ومكتملة قبل طبع كتاب السامرائي بخمس سنوات. ثم ان ما يقدمه جمال في كتابه من الشروح والتفاصيل والتعليقات يعجز عنه كتاب السامرائي، لذلك رأيت لزاما عليّ الاعتماد في ذكر الاشعار على مؤلف جمال واهمال مؤلَّف السامرائي وسوف أُطلق عليه تجوُّزاً اسم الديوان كما فعل صاحبه وذلك لسهولة اللفظ وخفته وليونة استعماله في القراءة والكتابة.

II - ضياع اكثر شعر الاحوص:

لم يكفِ ما نال الاحوص بضياع كتب اخباره[١] من سوء الطالع الذي لازمه طوال حياته فخيَّم بضياعها الغموض على اكثر جوانب هذه الحياة، بل شاءت الاقدار ان تلف الشاعر بالظلمة الحالكة إذ فُقِدَ ديوانه المصنوع منذ القرن السادس الهجري فبقيت جوانب كثيرة من شخصيته وفصول كثيرة من حياته، كان يمكن لديوانه ان يكشفها، مهملة مبهمة.

ومجموع الشعر الذي بين ايدينا لا يتعدى ما نقلته المصادر المختلفة

---

(١) - الفهرست ١١١، ١٤٢، ١٥٠، ٣٠٦.

في طياتها ولا يكاد يشكل الا جزءاً بسيطا مما قاله الاحوص من الشعر. فلم تكن هذه المصادر تعنى بسرد قصائد كاملة للشعراء بل كانت تصب اهتمامها على نقل مقاطع منها تتلاءم مع المواضيع المطروقة فيها.

فكتب التراجم لم تقدم لنا سوى قصيدة واحدة شبه متكاملة نقلها كتاب طبقات الشعراء. وكان اكثر ما ورد فيها لا يتعدى كونه مقاطع صغيرة من قصائد الأحوص. وخير دليل على اهتمام هذه المصادر بنقل المقطوعات القصيرة ما ورد في كتاب الأغاني الذي يعتبر في رأس هذه الكتب إهتماما بشعر الأحوص فقد انفرد بذكر خمس عشرة مقطوعة تتراوح أبياتها بين البيت الواحد والخمسة أبيات.

أما كتب الأدب فإنها اعتمدت الاستشهاد باليسير من شعر الأحوص بما يتلاءم مع الموضوع الأدبي المنوَّه عنه في هذه الكتب. وقد انفرد بعضها بذكر ما مجموعة عشر مقطوعات لا يزيد عدد أبيات الواحدة منها على الثلاثة إلا في واحدة جمعت خمسة أبيات.

واهتمت كتب الاختيارات بأشعارٍ للأحوص تُعَبِّر عن مواضيع حددها أصحاب هذه الاختيارات وجمعوا تحت عنوانها ما لاءمها من أشعار الشعراء، فأورد الاصفهاني في الزهرة مجموعة من المقطوعات في موضوعات مختلفة ولا يتجاوز عدد أبيات المقطوعة منها عدد أصابع الكف الواحدة إلا قصيدة حوت عشرة أبيات يمكننا أن نعتبرها كاملة تُجسِّد موضوعا متكاملا. وتلاه ابن ميمون الذي ساق لنا ثلاث قصائد طوالٍ من شعر الأحوص كما وجدها في مجموع شعر الأحوص الذي كان بين يديه. ويمكننا أن نلاحظ من خلال ترتيب القصيدة (١١٧) التي كانت إحدى منقولاته أن الديوان المصنوع لشعر الأحوص لم يكن كاملا هو الآخر بل سقط منه أشعار كثيرة إذ أهمل ابن ميمون خمسة أبيات من هذه القصيدة وخالف الترتيب في أبيات أخرى. أما القصيدتان الأخريان فلم تردا في أي مصدر آخر ولولاه لما وقعنا عليهما ولكان

مصيرها كمصير مثيلاتها من شعر الأحوص. ودليل آخر يكمن في حماسة البحتري الذي انفرد بذكر سبع مقطوعات اكثرها مؤلّف من بيتين وهذه المقطوعات الى جانب غيرها من مواد الاختيارات تمثل أجزاء من قصائد لم يهتمّ أصحاب الاختيارات إلا بما يتوافق مع مواضيعهم منها.

اما المعاجم الجغرافية فكانت تكتفي بالبيت الواحد او البيتين، مما يُعطي صورة واضحة عن المكان المذكور فيها. وكثيرا ما نجد ابياتا مفردة للاحوص في هذه المعاجم التي انفرد بعضها بذكر اربع عشرة مقطوعة من شعر الاحوص اكثرها متمثل ببيت مفرد من هذا الشعر واكثر هذه المقطوعات يمثل مطالع غزلية تقليدية من قصائد شعرية ضاعت برمتها.

وانفردت بعض كتب التواريخ بايراد مقطوعات للاحوص لم يتعدَّ معظمها البيتين ولنا فيما أورده المسعودي دليل يضاف الى الكثير من الأدلة التي تشهد بضياع اكثر شعر صاحبنا فقد ساق المسعودي بيتين، اثنين، من مدح الاحوص ليزيد بن معاوية او من رثاء والده[١].

اما كتب اللغة فكانت تحتج بالبيت الواحد من شعره الاحوص وانفرد بعضها بذكر ثماني مقطوعات كل واحدة منها تمثل بيتا مفردا هي في حقيقة الأمر أبيات من قصائد بقيت شاهدا على ضياع امهاتها.

واعود الى مجموع الشعر الذي بين، ايدينا لأُسَجِّل بعض الملاحظات حول الموضوع الذي نحن بصدده قد تكون خير دليل على ما ذهبنا اليه. لقد توصَّل محقق الديوان الى جمع مئة واربع وسبعين، قصيدة ومقطوعة من شعر الاحوص الصحيح منها تسع واربعون قائمة ببيت واحد ورد في مصادرنا مفردا دون غيره من ابناء الامهات الضائعة. ولدينا اثنتان واربعون مقطوعة كلٌّ منها في بيتين، اثنين، لا ثالث لهما.

---

(١) - مروج الذهب، ١٦/٣.

واربع وعشرون مقطوعة في ثلاثة ابيات وخمس عشرة في أربعة ابيات والى جانب ما ذكرنا نجد سبعا وعشرين مقطوعة لا يتجاوز عدد ابياتها الثمانية. وسبع عشرة قصيدة يفوق عدد ابياتها الآحاد ونلاحظ في كثير منها تشرذم فقراتها وغياب الوصل بين موضوعات هذه الفقرات مما يدل على ضياع بعض ابيات هذه القصائد التي يمكننا اعتبار بعضها متكاملا.

وبنتيجة هذا العرض نستطيع التأكيد على ضياع اكثر شعر الأحوص والقول إن ما وصلنا منه لا يمثل إلا جزءاً يسيراً مما فاضت به عبقرية هذا الشاعر المبدعة. وبهذا يمكننا فهم منشأ الصعوبة التي يواجهها الباحث في تقدير شاعرية الأحوص بصورة أدق وفهم شخصيته بشكل أفضل وكشف جوانب من حياته بقيت غامضة في أخبار المصادر. هذه الأمور التي قد يسمح بها الزمن اذا ما قُدِّر لبعضهم العثور على نسخة من شعر الأحوص المفقود في إحدى المكاتب العامة غير المفهرسة بطريقة دقيقة أو في إحدى المكاتب الخاصة المنتشرة في العالم الإسلامي.

الفصل الثاني

أغراضه الشعرية

تمهيد:

أول ما يطالعنا فيما انتهى الينا من شعر الاحوص شيوع الالوان الغزلية فيه بصورة جعلت شاعرنا واحدا من زعماء الغزل في العصر الأموي وزعيم شعراء الغزل في المدينة دون منازع لغلبة فنون الغزل في ما وصلنا من اشعاره التي ضاع معظمها حسب ما بيَّنا ولو وصلنا القدر الأكبر منها لامكننا تعيين اتجاهات الشاعر وموقع كل من اغراضه وفنونه الادبية في شعره ولاستطعنا تحديد اهمية كل فن منها في بنيان شاعرية الاحوص بشكل دقيقٍ، أكثر موضوعية.

وللغزل في شعر الاحوص موقع ليس لغيره من الاغراض الشعرية اذ أفردت له قصائد عديدة ومقطّعات كثيرة متناثرة في الديوان المجموع(١) وتناقلت الألسنُ أكثرَها لشيوع الغناء بها، وضمَّنه الشاعرُ قصصاً ومغامراتٍ عاطفيةً مع بعض عشيقاته وحمَّلهُ مشاعره واحاسيسه تجاه بعضهن وافتتح به كثيرا من قصائده المدحية وغيرها وتعرَّض به لمن امتنعت عليه من النساء الشريفات وافرغ فيه كل احساسيسه ووهبه كل

(١) - اطلقت لفظة الديوان تجوّزا على شعر الاحوص المجموع من قبل عادل سليمان جمال وساستعمل هذه اللفظة فيما سيأتي من هذا الفصل.

طاقاته العقلية والفنية.

ولم يقتصر شاعرنا على الغزل في شعره الذي وصلنا بل طرق ابوابا اخرى تكاد تشمل اكثر الفنون الادبية التقليدية المعروفة في عصره فهجا اخصامه ومدح خلفاء بني أمية وامراءهم وفَخِرَ بنفسه وباجداده ووصف المرأة والناقة والبرق والطيب والخمرة. وشارك في أغراض قلّما طرقها سابقوه كالاستعطاف وطلب الاستئذان من عمر بن عبدالعزيز بالقدوم من منفاه، وذكر الصبا ومرحه والشيب ووقاره وطرح بعض المواعظ والحكم وتمثّل بالموت الذي أفنى من سبق من الامراء والدول. فكان طرقه الشعر من مداخلَ متعددةٍ،فلم يكتفِ بسلوك درب السابقين فيوقع الحانهم فحسب بل شَدَّ الى قيثارته اوتارا جديدة،فاسمعنا نغماتٍ فيها رصانة القديم وعذوبة الجديد.

وقد جاءت اكثر ضروب شعر الاحوص معبِّرة عن ذاته منبلجة من نفسه اللاهية،منسجمة مع الحياة المرحة التي عاش فيها وسط بيئة المدينة المحتدمة بضروب الحياة الجديدة التي لم تخلُ من بعض المجون. وعاد الاحوص في اواخر حياته ليسجل لمحاتٍ فكرية حملت شيئاً من الجدّ والرزانة وتضمنت نظراتٍ في الحياة والموت وبصرا في انقلاب لهو الصبا وانبلاج صبح الشيب المعتمل بالخوف من الفناء.

وسنعرض في هذا الفصل لدراسة هذه الاغراض ونبدأ بالاغراض الأعمق تأثيرا والأكثر لصوقا بحياة الشاعر ثم تتبعها بالاغراض الأخرى التي لا تدانيها اهمية في شعر الاحوص.

I - الغزل -

تصدير: كان لبيئة المدينة الحضرية المترفة اثر عميق في توجهات الاحوص الشعرية فساقته الظروف التي تقلب في اعطافها الى الجري وراء الملذات والتطلع الى الشهوات الحسية في محاولة منه لاشباع رغبات

جامحة عصفت به وجعلته اسيرا لاهواء جرفت بتيارها معظم شباب المدينة في عصر بني أمية. اذ كان هذا الشباب ينعم بوفرة المال والاعطيات ويتقلب في وسط تسوده ضروب مختلفة من اسباب الحضارة الوافدة اليه من الامصار المفتوحة ويُثقله فراغ عميق أَحَسَّ به نتيجة للحجر الذي فُرض عليه فتهالك جريا وراء النساء اللواتي عرفن نوعا من الحرية في ممارسة ضروب من اللهو والمرح لم تكن المدينة معتادة عليه من قبل. فكان شاعرنا في مقدمة من انساق الى الغرق في هذا الخضم الجارف فنظم القصائد الطوال والمقطعات العديدة متغنيا بالمرأة متصابيا لمجالستها مُقبلا على الاستمتاع بمعاشرتها والتغزل بجمالها متأملا مفاتنها شاكيا لوعة الحب وحرقة الشوق للقياها، ولطالما عرج في شعره على الذكريات السالفة معها، وعاود ما يلقاه من الم ببعادها وحنَّ الى القرب منها.

وكان طبيعيا ان يتغنى الاحوص بالمرأة ويُكثر من اظهار احاسيسه ومشاعره تجاهها وهو الشاعر المرهف ذو العاطفة الجياشة الذي يصبو الى الحب ويتعلق باطراف هوى الكثيرات ممن يَسْتلطف معشرهن ويَعْكف على مجالس اللهو والشراب ويأنس لمنادمة الاصحاب ويطرب لسماع الغناء الذي عمَّ المدينة آنذاك وينشد وُدَّ بعض مغنيات المدينة اللواتي كُنَّ يستطلفن مجالسته.

وما وصلنا من شعره في الغزل متعدد المشارب والاتجاهات مختلف المواضيع والدلالات، اذ تيَّمه حبٌّ بعضهن ودفعته نفسه الجامحة الى اللذة، للتغزل بالبعض الاخر بينها وقف كثيرا من غزله على نساءٍ وكان يرمز لهن باسماء مختلفة، وهذا ما اعطى الاحوص صورة طالب اللذة وخدين المتعة الذي تستريح عيناه على كل حسناء يصادفها ويَثِبُ قلبه لكل طرف فاتر ومبسم عذب نضيد.

وقد بلغ عدد اللاتي شبَّب بهن قريبا من ثلاثين امرأة، بعضهن اعلام

مشهورات كجميلة المغنية وسلامة القس وعقيلة العقيقية والذلفاء وأم جعفر الانصارية وعبلة وأخت زوجته التميمية اما الاسماء الباقية فليست سوى رموز غزلية ربما كان بينها اسم زوجته التي أنجب منها ما بقي له من الرجال[١].

وغزل الأحوص كثير مُتشعب المشارب والاتجاهات، كما ذكرتُ، منه ما هو غزل تقليدي جرى فيه مجاري الأقدمين في صدر بعض قصائده ومنه ما أفرده للأعلام ممن تغزل بهن، ولكل واحدة فيه منزلة تختلف عن منزلة الباقيات؛ وسأتحدث عن غزله في كل واحدة منهن مع ذكرٍ لبعض أخباره معهن ثم أعود الى الحديث عن المعاني العامة في غزله بمن أسميناهم رموزاً غزلية، وما لم تقع فيه تسمية محددة.

١ - **الغزل التقليدي**: افتتح الاحوص قصائده بذكر انواع ثلاثة من الاطلال: اطلال مهجورة واطلال مأهولة واطلال محسوسة.

أ - **الاطلال المهجورة**: وقف الاحوص على ديار الحبيبة المهجورة كما فعل الجاهليون يقوده الشوق الى رسومها الدارسة حيث استعرض طيوف الذكريات الغوابر وسكب العبرات الغزيرة فوقها:

ألا قِفْ برسمِ الدارِ وٱسْتَنْطِقِ الرَّسْما　　　فقد هاج أحزاني وذَكَّرني نُعْمى
فبِتُّ كأني شاربٌ من مُدامةٍ　　　إذا أذْهَبَتْ هماً أتاحت له همّا

وكانت لهذه الأطلال المقفرة آثار مثيرة للحزن لدى الشاعر جعلته يتحسر على شبابه السالف وينوء بثقل الهم الذي أورثه الشيب الداهم الذي أخذ يحدُّ من عواطفه ويملك عليه مشاعره ويُورثه الشقاء لذكرى الشباب الغابر كقوله:

أمِنْ عِرْفانِ آياتٍ ودُوْرِ　　　تلوحُ بذي المُسَهَّرِ كالسطورِ

---

(١) - الاغاني (د) ٢٣٢/٤.

طَرِبْتَ وكيف تَطْرَبُ أم تَصابَى ورأسكَ قــد تَوَشَّعَ بــالقَتــيرِ
لغــانيــة تَحُــلُّ هضــاب خــاخ فأسْقُفَ فالدَّوافِعَ من حَضِيرِ

وقوله:

أمنزلتَيْ سَلْمَى على القِدَم اَسْلَمِا فقــد هِجْتُما للشوق قلبــا مُتَيَّما
وذكَّرْتُما عصرَ الشبابِ الذي مَضَى وجِدَّةَ وصلِ حبلُهُ قد تَجَذَّما

وللاحوص وقفات على الديار انطقته بابيات هي من اجود ما قيل في شعر الاطلال ووصفها، حيث يقول:

أقْوَتْ رُوَاوَةُ من أسماءَ فـالسَّنَــدُ فالسَّهْبُ فالقاعُ من عَيْرَيْنِ فالجُمُدُ
فعَرَشُ خاخٍ قِفَارُ غَيْرَ أنَّ بـهِ رَبْعــاً أقــامَ بــهِ نُؤْيٌ وَمُنْتَضَــدُ
وسُجَّــدٌ كــالحَمامــاتِ الجثوم بِــهِ وَمُلبِدٌ من رَمادِ القَدْرِ مُلْتَبِدُ
وَقَدْ أراهـا حَـديثـا وَهْيَ آهِلَةٌ بِها تَواصَلَ ذاكَ الجِزْعُ فـالعَقَدُ
إذِ الهَوَى لَمْ يُغَيِّرْ شَعْــبَ نِيَّتِــهِ شَكْسُ الخَليقَةِ ذو قـاذُورَةٍ وَحَدُ
يَظَلُّ وَجْدا وإنْ لَمْ أنوِ رُؤْيَتَهـا كــأنَّــه إذْ يَراني زائِراً كَمِــدُ
فيــا لهــا خُلَّــةٌ لوْ أنَّهــا بِهَوًى منها تُثِيبُكَ بالوَجْدِ الذي تَجِدُ

اقفرت الدار ولم يبق فيها سوى سطور الاقنية التي حُفرت حولها لتردَّ السيل عنها وبعض آثارٍ لسكانها الذين رحلوا عنها، فاقامت فيها الأثافي جاثمة كالحمام ورماد الموقد الذي كان اهلها يوقدون فيه، وقد كانت قبل ذلك ومنذ زمن غير بعيد آهلة تنبعث منها الحياة في واديها الخصب واكوام رمالها الجامدة.

وقد كان سبَّبَ هذا الهجران السريع قَيِّمٌ على تلك الأسرة شديدُ الريبة لا يصادف احدا لسوء خلقه يغضب ويستشيط حزنُهُ اذ لمح الشاعر قادماً نحو دياره وان لم يكن في نِيَّته رؤية الحبيبة التي يتمنى ان تبادله الهوى وتُثيبه بما يكنُّ لها في قلبه.

ب - **الاطلال المأهولة:** هي ديار الحبيبة الحضرية وربعها البدوي حيث تقيم مع ذويها؛ فالأولى قائمة وسط الحي المأهول يحوم حولها الشاعر

دون ان يستطيع القرب منها خوفا من غيبة الحسَّاد وحذرا من الأعداء الذين يتربَّصون به ويراقبونه كي يُثيروا حول حبِّه مقالاتٍ كاشحةً عدوةً تستهدف القضاء على حبه ولكنه يتعمَّد الصدود عن هذه الدار واعتزالها دون بغضة بل هي تحتلّ في قلبه مكانة ليست لسواها، وفؤاده مشغول بمن يسكنها فهو يناجيها من بعيد شاكيا اليها صبابته وثقل كتمانه لهذه الصبابة:

يا بَيْتَ عاتِكَةَ الذي أَتَعَزَّلُ ... حَذَرَ العِدَى وبِهِ الفُؤادُ مُوكَّلُ
أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الصُّدُوْدَ وإنَّنِي ... قَسَماً إليْكَ مَعَ الصُدُودِ لَأَمْيَلُ
وَلَقَدْ نَزَلْتَ مِنَ الفُؤادِ بِمَنْزِلٍ ... ما كانَ غَيْرُكَ والأَمانَةِ يَنْزِلُ
وَلَقَدْ شَكَوْتُ إليْكَ بَعْضَ صَبَابَتِي ... ولَمَا كَتَمْتُ مِنَ الصَّبابَةِ أَطْوَلُ
فَصَدَدْتُ عَنْكَ وماصَدَدْتُ لِبِغْضَةٍ ... أَخْشَى مَقَالَةَ كاشِحٍ لا يَعْقِلُ

وهذه المعاني نجدها في غزل الأحوص بأم جعفر الأنصارية.

أما الربع المأهول الذي يضمُّ الحبيبة فيُثير في نفس الأحوص ذكرياتٍ واشواقاً عميقةً فيجلس قبالته مراقبا علّه يحظى بنظرة من حبيبته ويُطيل التأمُّل في الليل تَرَصُداً لسانحة تسمح له بوصل قصير يبثُّ خلاله حبيبته ما يكنُّه من الأحاسيس، ويتأمل النار الموقدة فيه ليلا وقد لفَّ الديارَ الظلامُ الدامسُ يلتمّس من خلاله عطرا تحمله الريح فتجرح قلبه المريض بحبٍ لا يهدأ وتُعكِّر بَصَرَهُ بدموعٍ غزيرة تبعثها الذكرياتُ القديمة حيث كان الشاعر جارا لحبيبته عند منقطع الرمال في المكان الخصب:

أَمِنْ خُلَيْدَةَ وَهْناً شَبَّتِ النَّارُ ... ودُونَها مِنْ ظَلَامِ اللَّيلِ أَسْتارُ
إذا خَبَتْ أُوقِدَتْ بالنَّدِّ وَاسْتَعَرَتْ ... ولَمْ يَكُنْ عِطْرَها قُسْطٌ وأَظْفَارُ
باتَتْ تَشُبُّ وَبِتْنَا اللَّيْلَ نَرْقُبُها ... تُعْنَى قُلُوبٌ بِها مَرْضَى وأَبْصارُ
يا حَبَّذا تِلْكَ مِنْ نارٍ وَمَوْقِدُها ... وأَهلُنا بِاللِّوَى إذْ نَحْنُ أَجْوارُ

ومثل هذه المطالع كثير في شعر الاحوص المدني فالنار تثير الشوق

لديه وتهيج قلبه العاشق المُستهام بحب غانية يشفيه من سقمه أن يراها وقد نحل جسمه وجفَّ دمه من ولعه بحبها فسيطر عليه الحزن لذكراها حيث كان يُقيم بجوارها ويتمتَّع معها في ليالٍ مضت لها بخاخٍ وايام سلفت بذي سلم ولم يعد يأمل بعودتها بعد هجران الحبيب الى إِضَم:

يا مُوقِدَ النَّار بالعلياءِ من إِضمِ ... أَوْقِدْ فقد هِجْتَ شوقاً غيرَ مُنْصَرِمِ
يا مُوْقِدَ النارِ أَوْقِدْها فإِنَّ لها ... سَناً يَهيجُ فؤادَ العاشِقِ السَّدِمِ
نارٌ أَضاءَ سَنَاها إذْ تُشَبُّ لنا ... سَعْدِيَّةٌ دَلُّها يَشْفِي مِنَ السَّقَمِ
ولائِمٍ لاَمَني فيها فقلتُ له: ... قد شَفَّ جسمي الذي أَلقى بها ودمي
فما طَرِبْتَ لِشَجْوٍ كُنْتَ تَأْمَلُهُ ... ولا تأَمَّلْتَ تِلْكَ الدَّارَ مِنْ أَمَمِ
لَيْسَتْ لياليكَ من خاخٍ بعائدَةٍ ... كما عَهِدْتَ ولا أَيَّامُ ذي سَلَمِ

جـ - **الاطلال المحسوسة**: كثيرا ما كان الاحوص يبتدىء قصائده بذكر مجموعة من الاحاسيس التي تُورث الحزن والهمَّ وتبعث في النفس الضيق والغمَّ وتضع الشاعر في جوٍ متلبِّد بالاشجان مظلم حَجبتْ شمسَه غيومُ اللَّوعة ولم يبق فيه سوى بعض نجيمات الحيرة معلقة بأرقٍ لا يزول مثل قوله:

طاف الخيالُ وطاف الهمُّ فاعْتَكَرا ... عند الفراشِ فباتَ الهمُّ مُحْتَضِرا
أُراقِبُ النَّجْمَ كالحيرانِ مُرْتَقِباً ... وقَلَّصَ النَّوْمُ عن عَيْنَيَّ فانْشَمَرا
من لَوعةٍ أَوْرَثَتْ قَرْحاً على كَبِدي ... يوماً فأصبحَ منها القَلْبُ مُنْفَطِرا
وَمَنْ يَبِتْ مُضْمِراً هَمّاً كما ضَمِنَتْ ... مِنّي الضُّلُوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِناً غِيَرا

يجول خيال الشاعر عند لجوئه الى فراشه فيحيط به الهم وتَسْوَدُّ سماؤه ويسرح فهيا الغم الآتي مع ذكريات قاسية ويطير النوم من عينيه ليحلّ محلّه أرقٌ مُضْنٍ ويحاول أن يُسَلِّيَ أحزانه بمراقبة النجوم في حيرة وتردّد وقد اجتاحته لوعة قرّحت كبده وأدمت قلبه المجروح فيبيتُ مُثْقَلا بهمومه التي سكنت منه الضلوع مستسلما لنكبات الدهر وغدر حاله.

وفي مطلع آخر يضجُّ الشاعر من تقلّب صروف الايام وكثرة رزاياها

التي دأبت على قرع سويداء قلبه كل يوم واسالت دمع عينيه لفراق الأحبة، فهو مصاب بهموم جديدة في كل ساعة من سويعاته تُلوِّعه وتبعث فيه الحزن المتصاعد من أعماقه، فما ينفك يهدأ لواحدة من نكباته حتى يستشعر الرهبة من أخرى يتوقعها في كل لحظة آتية حتى اصبح غارقا في الهمّ متعب النفس غير قانع بما يُدبِّره له قَدَرُهُ المحتوم فيقول:

أَفي كُلِّ يومٍ حبَّةُ القَلْبِ تُقْرَعُ وعَيْني لِبَيْنٍ من ذَوِي الوُدِّ تَدْمَعُ
أَبِالجِدِّ أَنِّي مُبْتَلًى كُلَّ ساعةٍ بَهَمٍّ لَهُ لوعاتُ حُزنٍ تَطَلَّعُ
إذا ذَهَبَتْ عنّي غَوَاشٍ لِعَبْرَةٍ أَضَلُّ لأُخْرَى بعدَها أَتَوَقَّعُ
فلا النَّفْسُ من تَهْمَامِها مُسْتَرِيحَةٌ ولا بِالَّذي يَأْتي مِن الدَّهْرِ تَقْنَعُ

ويبيتُ الشاعر طاويا أحزانه حتى اذا ناجى الحمامُ صغارَهُ من على غصن قريب من مرقده مع اشراق الشمس انهمرت دموعه التي لم تكد تهدأ وكأنها كِتَلٌ مُتدافعة بعضها إثرَ بعض دون إمساك أَوْ قيدٍ تنسلخ من عينيه فيكاد يموت تَشَوُّقا وحزنا ويحييه الوَجْدُ وتحركه الحرقة الموروثة من حزن عميق ويقرع قلبه الداء الذي لا يبرح له على بال لذكرى الحبيبة، وقد انقطع حبل لقياها وأصبح باليا متهتكا، حتى يستلقي وكأنه مخمور قد ماتت منه المفاصلُ والعظامُ:

أأنْ نَادَى هَدِيلاً ذاتَ فَلْجٍ مع الإشراقِ في فَنَنٍ حَمَامُ
ظَلِلْتَ كأنَّ دَمْعَكَ دَرُّ سِلْكٍ هَوَى نَسَقاً وأَسْلَمَهُ النِّظَامُ
تَمُوتُ تَشَوُّقاً طَرَباً وتَحْيَى وأنت جَوٍ بِدائِكَ مُسْتَهامُ
كأنَّكَ من تَذَكُّرِ أُمِّ حَفْصٍ وَحَبْلُ وِصَالِها خَلَقٌ رِمَامُ
صَرِيعُ مُدامةٍ غَلَبَتْ عليهِ تَموتُ لها المَفاصِلُ والعِظامُ

ويطول بنا الحديث في هذا المقام لكثرة مطالع الاحوص المعبِّرة عن احزانِ نفسيه وهموم شخصية حلّت به فأدمتْ قلبه وأورثته لوعة وحرقة لا تهدأ لها عين، ولا يقرُّ لها فؤاد.

ولكن الشاعر عاد في اواخر حياته وقد أَلَمَّ برأسه الشيب ليُحدِّد

آثار طلل آخر ويبعثه الى النور هو ذاك المتمثل ببكاء الصبا والجزع على ما فاته، فينسى الحياء ويذهل عقله ولا يعرف سبيلا الى التجلد والتصبر، ويُلام على بكائه المرير ولا يعطي اللُّوام أذنا صاغية بل يغرق في حزنه داعيا الى مشاركته في البكاء غير آبهٍ بإنكار غيره لما هو فيه، لا يبالي بتهمهم الموجهة اليه، لأنه مصاب بداءٍ عجز الكثيرون عن مقاومته والوقوف في وجهه، فغاص في بحر الحب والعشق لأن من لم يعرف الحب لا يمكن الا ان يكون حجرا جامدا أو هو صخرة صلدة لا احساس فيها. فالعيش برأيه هو نيل الملذات والقدرة على تحقيق كل الشهوات وان كان هذا الأمر محفوفا باتهامات كاشحة يُفَنِّدها البعض من ذوي القلوب المتحجرة. فيقول:

ألا لا تَلُمْـــهُ اليومَ أن يَتَبَلَّـــدا　　　فقـد غُلـب المحزونُ أن يَتَجَلَّدا
بَكَيْـتُ الصِّبـا جُهـدي فمن شاء لامني　　　ومن شاء آسَى في البكاءِ وأسْعَدا
وانّي وإنْ فُنِّدْتُ في طلبِ الصبا　　　لأعلمُ أنّي لَسْتُ في الحُبِ أوْحَدَا
إذا أنْـتَ لم تَعْشَقْ ولم تَـدْرِ مـا الهوى　　　فكُنْ حجراً من يـابسِ الصَّخْرِ جَلْمَـدا
فما العيشُ إلاّ مـا تَلَـذُّ وتَشْتَهي　　　وإنْ لاَمَ ذو الشّنـــانِ وفَنَّـــدا

وهذه المطالع، وغيرها كثير في شعر الاحوص، تُعْتَبَرُ نزعةً وَجْدَانيَةً جديدة. وهي وجدانيّة حزينة تحمل غير قليل من الاحساس العميق بالكآبة، أسْكَنها الاحوصُ في قوالب الشعر العربي الرصينة ولم تكن قبله معروفة في الشعر العربي فجاءت مطالعة هذه قريبة مما عُرف في العصر الحديث بالرومانسية في الغرب والشرق بعده.

٢ - غزل الاحوص بأعلام من نساء المدينة:

أ - **الاحوص وأم جعفر**: هذه المرأة موضوع غزل الاحوص هي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفطة بن قتادة من بني خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس. وللاحوص فيها اشعار كثيرة ولقد فصلنا قصة الاحوص

مع أخيها اذ أكثر الاحوص من التشبيب بها وشاع ذكره فيها لشياع ترديد الغناء بهذا الشعر الجميل وفيه صوتان من المائة المختارة.

وتشبيب الاحوص بأم جعفر لا ينمُّ عن حب يحمله لها في قلبه بل هو نزوة شهوانية يطاردها بها كما يطارد بها جاراتها في الحيِّ الذي تسكنه، حيث يراقبه بعض الوشاة يترصدون خطاه يبثّون الأعين لتَلَقُّفِ أخباره والتَّنَدُّرِ بها بُغْيَةَ إلحاق السوء به وبها فنراه يتنقَل في الحيِّ بحذر يأتي بيوتا لا حاجة له بها ولا حب له فيها محاولا التمويه على الوشاة ويهجر البيت الحبيب الذي تسكنه معشوقته التي تتقلّب في معاملته او يتقلّب أهلها وأهل الحيّ الذي تسكنه في نظرتهم الى الشاعر فتنقلب حالة من الهناء حينا الى الخبث والشقاء حينا آخر، فنراه يتردّد فرحاً آملا بلقاء لطيف لكنه يفاجأ بوجوه قاطبة لا تعرف المرح والسرور فيقول:

وإنّي لَيَـــدْعوني هَوَى أُم جعفرٍ وجاراتِها من ساعةٍ فأُجيبُ
وإني لآتي البيت ما إن أحبه وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وَهْوَ حبيبُ
تَطِيبُ لِيَ الدُّنيا مرارا وإنَّها لَتَخْبُثُ حتّى ما تَكَاد تَطِيْبُ
وإنّي مـــا جِئْتَــكم مُتَهَلِّــلاً بَـدَا مِنْكُمُ وَجْـهٌ علـيَّ قَطُوبُ
وأُغضي على أشياء منكم تَسُوءُني وأُدْعَى إلى ما سَرَّكُم فأُجيبُ

ويصوّر حاله معها، تلك الحال التي جعلته أسيرا لبعض ما يبغيه منها، فهو لا يلتفت الى ما يلقاه من سوء المعاملة بسببها، ويسرع في الاستجابة الى ما يبعث السرور في نفسها ويخشى أن تلوك الألسنة عن صاحبتِهِ ما يخدش كرامتها فيحبس عنها نفسه ويكتم صبابته بقربها ولو أراد إشباع رغبته لما كلّفه ذلك سوى القليل من العناء لقرب الممشى اليها.

ويقارب الوجدانية العذرية في بعض قوله إذ يصوّر حاله حين يطوف الخيال به ويتذكرها، وكأنّ في رأسه شَجَّةً بلغت دماغه فأقعدَته الى جانب حائط مُسْتَلَبَ العقل هائما شاردا يطلب العفو بعد توبته

وتكفيره عما أتاه من الذنب، أو هو يرجو الرحمة مما نزل به من الظلم، آملا منها تدارك نفسه بعد أن كادت تذوب كشمعة عَدَتْ عليها نار عاتية وكأنّ مصيره بيدها يأخذ ما يسمح به عفوها ويبتعد عما تكره صاحبته هيبة لسلطانها عليه؛ يصير الى الوصل إن هي تكرّمت به، وعليه واجب مكافأتها بالحسنى فيما تُسدي اليه وفيما تُوليه إياه نفياً لسمة التقصير والإقصار عنه، ولكنه يصرّح خلال ذلك ببعض الوجد وبشيء من الحاجة الجسدية والشهوة النفسية التي تدب بين جلده وعظامه فيقول:

وأحبِسُ عَنْكِ النَّفْسَ والنفسُ صَبَّةٌ … بقربِكِ والممشَى اليكِ قريبُ
وما زلْتُ من ذكراكِ حتَّى كأنني … أميمٌ بأفياءِ الديارِ سَليبُ
أَبُثُّكِ ما أَلْقَى وفي النفسِ حاجةٌ … لها بين جلدي والعظامِ دَبيبُ
هَبيني امرءاً إمّا بريئا ظلمتِهِ … وإمّا مُسيئا مُذنبا فيتوبُ
فلا تَتْرُكي نفسي شعاعا فإنّها … من الحُزْنِ قد كادتْ عليكِ تَذوبُ
لكِ الله إني واصلٌ ما وَصَلْتِني … ومُثْنٍ بما أوْلَيْتِني ومُثيبُ
وآخذُ ما أعطيتِ عَفْواً وإنني … لأزوَرُ عمَّا تَكْرَهِيْنَ هَيُوبُ

وفي موضع آخر يتحدث عن رسائل متبادلةٍ بينه وبين أم جعفر ولعل هذه الرسائل كانت تتم بواسطة صديق مشترك ينقل الى الأحوص رغبة أم جعفر بقطع زياراته لها، فيحار في أمره بحثا عن سبب هذه القطيعة محاولا وضع التهمة في مخادع يبغي الوقيعة بينهما، فيصل الى غايته عن طريق بعض النميمة الكاذبة وما يبتغي من ورائها مصلحة أم جعفر بل يريد القضاء عليها والحاق السوء بعلاقتها:

أرسلتْ أم جعفرٍ: لا تَزُرْنا … ليتَ شعري بالغيبِ من ذا دَهاها
أأتاها محرِّشٌ بنميمٍ … كاذبٍ ما أراد إلاّ رَداها

ويبرز وجع العلاقة التي تربط الاحوص بام جعفر واضحا في مقطوعة أخرى يصرّح فيها بحاجته الى ما تسمح له به من المعروف والزيارة

محاولاً وضعها أمام أمر واقع لتعترف بزيارته لها بعد أن أنكرت تلك الزيارة خشية افتضاح أمرها بين الناس. ويعود الى تصوير حاله معها وقد اتّقدت صدور الكثيرين حقداً عليه وعداوة له بسبب علاقتها وزياراته لبيتها فأصبح يدور في الحيّ ملاحقا لها يدخل بيوت جيرانها وقلبه معلّق ببيتها الذي يخشى زيارته أو تراه يقوم بحركاته هذه لكسب بعض الإشباع لرغباته الحسية متظاهرا بأن الهوى يدفعه الى زيارة حيّها رغم وجود الأعداء الذين يراقبونه مشيرين اليه بالأصابع يتناقلون أحاديث علاقته بأم جعفر وزياراته لها فقال:

لقد مَنَعَتْ معروفَها أُمُ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفِها لَفَقيرُ
وقد أنْكَرَتْ بعد اعترافِ زيارتي ... وقد وَغِرَتْ فيها عليَّ صُدورُ
أدورُ ولولا أنْ أرى أُمَ جعفرٍ ... بأبياتِكم ما دُرتُ حيث أدورُ
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي الى بيتٍ سِواه أزورُ[(١)]
وما كُنْتُ زوَّاراً ولكنَّ الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سيزورُ
أزورُ أنْ لَسْتُ أنفَكُّ كُلَّما ... أتيتُ عدواً بِالْبَنَانِ يُشيرُ

«وقد وصف أبو السائب هذه الأحاديث بقوله: «أتدري يا بن أخي كيف كانوا يقولون الساعة دخل، الساعة خرج، الساعة مرّ، الساعة رجع، وهو يومىء بابهاميه الى وراء منكبيه وبسبابتيه الى حيال وجهه، يحكي ذهابه ورجوعه».

وسواء كان يعرفها حقيقة أم لم يكن قد رآها كما تُشير بعض الأخبار[(٢)] فان غزله فيها يُمثّل أحد أوجه التغني بمغامرات شهوانية تندرج في اطار ما أسماه طه حسين، بالغزل المحقق أو ما أُسمي بالغزل الاباحي وما تلك الروح العذرية التي ظهرت في بعض هذه الأشعار سوى مداراة لواقع حال يعيشه وليست تُعبّر عن حب حقيقي، اذ جاءت

---

(١) - في الأصل (وقلبي الى البيت الذي لا أزور)وهو مكسور فرأيت اصلاحه على هذا الوجه.
(٢) - الاغاني (د) ٦/ ٢٥٨.

قلقة وسط أشعار تُظهر بوضوح نزوات الشاعر الذي يسعى لاشباعها عن طريق التودّد لأم جعفر ومثيلاتها من الجارات اللواتي يعجبهن الاطراء ويرغبن بالعلاقة مع امثال الاحوص من الشعراء. وما تجنّب بيت الحبيب وزيارة سواه خشية مقالة الاعداء والمكرهين، سوى معانٍ حضرية أوجبها الواقع المديني الذي نبت فيه الاحوص حيث يراقب الناس تحركات جيرانهم توخّيا لمعرفة شيء من اسرارهم حُبّاً للاستطلاع أو عن طريق الحشرية أو للنيل من اصحاب هذه الأسرار والتعريض بهم.

ب - **الاحوص وجميلة المغنية**: هذه المغنية الشهيرة هي مولاة بني بهز أحد بطون بني سليم من الانصار كانت تنزل بالسنح. وهي أصل من أصول الغناء أخذ عنها معظم المشهورين في عصر بني امية، اذ كانت أعلم خلق الله بالغناء، وكان معبد المغني يقول: «أصل الغناء جميلة وفرعه نحن ولولا جميلة لم نكن نحن مغنّين» وقد ساعدها ذكاؤها في إجادة فنّ الغناء عن طريق السماع من المغني سائب خاثر - كما قالت - وشاع ذكرها بعد ذلك فقصدها الناس وجلست للتعليم ولقد كسبت لمواليها ما لم يخطر لهن ببال. وفَضْلُها في الغناء معلوم لا يُنكره مدني أو مكي[١].

وكان الاحوص يُكثر من التردّد على مجالس جميلة طلبا للمرح واللهو وكان معجبا بها لا يكاد يفارق منزلها اذا جلست[٢] وكانت تُفرد له جلسات خاصة يخلو فيها مع امثاله واصحابه يسمع غناءها وغناء جواريها[٣] وكان يشاركها الشراب[٤] ويحاول الاستئثار بمودتها[٥] اذ كان

---

(١) - الأغاني (ب) ١٢٥/٧.
(٢) - الاغاني (ث) ٨/ ٢٣١.
(٣) - الاغاني (ث) ٢٣٠/٨ - ٢٣٢.
(٤) - الاغاني (ب) ١٣٣/٧ - ١٣٤.
(٥) - الاغاني (ث) ٢٣٠/٨.

معجبا بها وكانت له مكرمة، فوهبها بعض الحب الا انها لم تكن على ما يبدو تبادله نفس الشعور بل كان الأمر من جانبها لا يعدو كونه صداقة ذات طابع مُمَّيز لهذا الشاعر الذي لا يُنكِر فضلَه في الشعر أحدٌ وقد نظم أشعاراً جميلةً يصف فيها حبه لجميلة، ولم يبقَ لنا منها سوى مقطوعة قصيرة خلَّدها صوتْ معبد حين أسمعها لجميلة فسُرَّت بها وتبسمت وحاولت طي الحديث في أمر علاقتها بالاحوص لحرجها مما قاله إذ طلبت من مالك أن يُجَنِّبها في غنائه مثل قول معبد[1].

والأبيات التي غنى بها معبد تبتدىء بمقدمة طللية يصف فيها الاحوص منازل لآل جميلة بعدت عنه بعد ان كانت في روضة خصبة تسري الحياة في جنباتها، مختلفة الوانها تستقبل قاصدها من بعيد ببريق أكسبه اختلافُ الألوان حياة واشراقا، فاصبحت ديار جميلة بعد ذلك قد اعجلته في خرابها إذْ صارت كالخط في الصحيفة وقد بلت وكادت رسومها تنمحي وتضمحل.

وتنقطع هذه المقدمة لضياع ما يربطها بباقي المقطوعة حيث يبوح الشاعر بعشقه لجميلة غير آبهٍ بقول الناس، لأن كل مخلوق حسب رأيه لا بدّ ان يعشق ويحب مثله، ويبكي الحفرات التي كانت تحمي خيام الحبيبة من السيل قبل تركها الاطلال، فتسيل عبراته ويهيج الحزن في قلبه ويدمي فؤاده لوقوعه في مرض الحب والشوق الى الحبيب البعيد وقد اصبح يصبو لوصاله دون جدوى:

شأَتْـــكَ المنـــازلُ بـــالأَبْرَقِ — دوارِسَ كـــالعـــين في المُهْرَقِ
لآل جميلـــة قـــد أَخلَقَـــتْ — ومهما يَطَـــلْ عَهْـــدُهُ يُخلَـــقِ
فـإنْ يَقُـل النـاسُ لي عـاشقٌ — فـــأين الـــذي هو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْـكِ نُؤْيـاً عـلى عَبْرَةٍ — بـــداء الصبـــابـــة والمَعْلَـــقِ

(١) الاغاني (ث) ٨/٢٠٢.

ولعل في قول الاحوص هذا خير دليل على نوعية العلاقة التي كانت تربطه بجميلة، فهو عاشق لوَّعته الصبابة، وهي له مكرمة لا تبادله شعور الحب بل تقابله بشيء من الاستحسان ولطف المجالسة دون أن تنجرَّ معه الى مزالق العلاقة الغرامية.

جـ - **الاحوص والذلفاء**: الذلفاء جارية جميلة يعجز اللسان عن وصف محاسنها التي فتنت أهل المدينة، سمعت الغناء من جميلة، ولعل معرفة الاحوص بها كانت في تلك الدار فكان نصيبه منها الفتنة. وشُغف بها دون ان يكون لها فيه بصر وهو يصف حاله معها بدقة وأمانة. تلك الحال التي جعلت من الذلفاء همّه المقلق بحيث أصبح لا يلتفت الى ما يقع عليه من اللوم، لأن معشوقته احسن الناس جميعا في مشيتها وقيامها، عليها جسد قلّ نظيره أو انتفى، ولها منطق حسن يُذهل من يسمعها، وذكاء عقل يسلب من ينتبه اليها[١]، وكان لسماتها تلك أثرها العميق في نفس الشاعر فتعلّق بهواها واصبح يمدّ لها حبل الإلفة فتسارعه بقطع كل حباله غير آبهة بعواطفه حتى استكان داء حبها في قلبه لا يفارقه فتفجرت لوعته شعرا جميلا يداني جمال الذلفاء.

إنما الـــــذلفـــــاء همّي فَلْيَـــــــــــــدَعْني من يَلُومُ
أحسن النــــاسِ جميعـــــا حـــــــــــينَ تَمشي وتقومُ
حبَّـــبَ الـــذلفـــاء عنـــدي منطـــــقٌ منهـــا رَخـــيمُ
أصِـــلُ الحبـــلَ لـــترضَـــى وهي للحبــــــــــــلِ صَرومُ
حبُّهـــا في القلـــبِ داءٌ مستكــــــــــــينٌ لا يَريمُ

د - **الاحوص وعقيلة العقيقية**: صاحبة الاحوص هذه مغنية كانت في المدينة أخذت الغناء عن جميلة[٢] وهي إحدى الشماسيات وتلقنت

---

(١) - العقد ٦/ ٦٧.
(٢) - الاغاني (ب) ٧/ ١٢٤.

بعض فنها عن معبد[١] وغنت في دار جميلة[٢] ولعل بداية علاقتها بالاحوص كانت في تلك الدار وكان ولاحوص يتردّد على بيتها يتحدث اليها ويسمع من غنائها وغناء جواريها، فمضى يوما إليها مع معبد فألْفَيا على بابها معاذاً الأنصاري وابن صيّاد النجَّاري، فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم إلا الأحوص فإنها قالت: نحن غضاب على الأحوص، فانصرف وهو يلوم أصحابه على استبدادهم، وأنشأ يقول:

ضَنّتْ عقيلةُ لّما جِئْتُ بالزادِ   وآثَرَتْ حاجة الثاوي على الغادي
فقلت والله لولا أن تَقُولَ له   قد باح بالسرِّ أعدائي وحُسَّادي
قُلنا لمنزلها: حُيِّيْتَ من طَلَلٍ   وللعقيق: ألا حُيِّيْتَ من وادي
إنّي جعلتُ نصيبي من مودَّتها   لمعبدٍ ومعاذٍ وابن صيّاد[٣]

ويبدو من الابيات أن الاحوص كان يهوى عقيلة وكانت تبادله بعض المودة، وربما كان بينهما بعض الخصام لأمر ما حدا بالاحوص لاصطحاب معبد كي يزيل سوء التفاهم بينهما، لكن عقيلة آثرت الخصام على الوئام وأظهرت غضبها امام زوارها فحاول الاحوص كتم اسرارها خيفة مقالة الأعداء والحساد، فلم يستبح لنفسه وصف منزلها بالطلل المهجور لولعه بمن يسكنه ولم يرضَ باعتبار العقيق واديا كالأودية الجامدة التي لا حياة فيها لأن منزلها قائم في العقيق البهيج المُفعم بالحياة والمملوءة اجواؤه باقاصيص الهوى والعشق والمرح، بل اكتفى بنزع مودتها من قلبه حسب زعمه مُلقياً بها الى زوارها الثلاثة مع سيلٍ من الشتائم التي وجهها لهم او لبعضهم كما ورد في بقية ابياته.

وكانت للأحوص مع عقيلة فيما يبدو حكايات ناعمة حضنتها رياض العقيق الغنَّاء وسترتها اشجاره الخضراء وتوشوشت باسرارها نسائم ذاك

---

(١) - الاغاني (ب) ١٥/ ١٠.
(٢) - الاغاني (ب) ٧/ ١٤٠.
(٣) - الكامل ٢/ ٢٦٢ العقد ٦/ ٢٥.

الوادي الروحاء، فعشعشت في ذاكرة كلٍ من العشيقين، تُذْكي نار هواهما كلما خبت انوار لهيبها. الا ان الزمن كان لهما بالمرصاد فانقلب على عشقهما فافسده وابعدهما دون ان يُبقي لنا من أخبارهما ما يدلّ على السبب في هذا البعد المضني، فراح شاعرنا يندب سوء حاله وقد براه الوجد المتجدّد الذي لا يعرف السكون دون اي شعاع امل بانفراج همّه في باقي الدهر وقد اصبحت مواعد بعث الخلق دون موعد لقائه مع عشيقته التي سلبت عقله ورمت فؤاده بسهم الحب فاصابت منه مقتلا فصاح مستغيثاً:

يـا للرجـالِ لوَجْـدِكَ المُتَجَـدِّدِ ... ولِمَا تُؤمِّلُ من عَقيلةَ في غَـدِ
تَرجو مواعـدَ بَعْـثِ آدَمَ دونَهـا ... كـانـت خَبـالا للفؤادِ المُقْصَـدِ
هـل تَـذْكُرِيْنَ عَقيـلُ أنْساكِـهِ ... بَعدي تَقلُّبُ ذا الزمانِ المُفسدِ
يومي ويَوْمَـكِ بـالعقيـقِ إذ الهَوَى ... مِنَّـا جَميـعُ الشمْـلِ لم يَتَبَـدَّدِ
لي لَيْلَتَـانِ فليلـةٌ مَغْسولـةٌ ... ألْقَى الحبيبَ بها بنجمِ الأسْعَدِ
ومُريحـةٌ هَمّي عـليّ كـأنني ... حتى الصباحِ مُعلّقٌ بـالفَرْقَـدِ

وترى الشاعر وسط اجواء همومه يناجي عقيلة شاكيا لها وجده وصبابته مستدعيا ذكريات ايام حلوة قلبها الزمان المتحول وقد كان رباط هواهما مشدودا وشَمْلُ حبهما مجتمعا في جنبات العقيق الزاهي مسترجعا حلاوة ليلة لقائها في ايام الربيع الهادئة الجميلة حيث تكون الطبيعة في احسن مناظرها. وتعود به الذكرى الى ليالي فراقها التي تسوق اليه الهموم مع العشي فيمسي مكبّلا بحبال الآلام يراقب النجم محدقا بالفرقد يحاول منه ما لا يستطيع اليه سبيلا.

وللاحوص مع عقيلة اخبار أخرى لم تُدَوَّنْ وأتَى على ذكرها ابو الفرج إذ قال: «وللاحوص مع عقيلة هذه اخبار قد ذُكِرَتْ في

مواضع أُخَر »[١]. وعاد ليذكر اسم عقيلة أخرى من ولد عقيل بن أبي طالب ونقل عن الزبير قوله « إن عقيلة هذه هي سكينة كَنَّى عنها بعقيلة ». غير أن هذا القول مردود لا يثبته أي خبر في المصادر ولا يشهد عليه شعر الأحوص نفسه. والغريب في الأمر عدم وجود أي خبر من الأخبار التي تحدث عنها أبو الفرج في أغانيه رغم تأكيده لذكرها في الأجزاء التي سبقت أخبار الأحوص ولسنا نجد فيها ذكرا لأخبار الأحوص مع عقيلة المغنية أو أي عقيلة أخرى.

هـ - الاحوص وعبلة:

ألا يا عَبْلَ طالَ اشْتِياقي　　إليكِ وشَفَّتي خوفُ الفراقِ
فبِتُّ مُخامراً أشكو بلائي　　لِما قد غالني ولما أُلاقي
كأني من هواكِ أخو فراشٍ　　تَجَلْجَلُ نَفْسُهُ بين التَّراقي

وهذه واحدة أُخرى من صاحبات الاحوص عاش معها قصة حب اشتهرت حتى أفرد لها أحدهم كتابا ذكره ابن النديم تحت عنوان « الاحوص وعبدة »[٢]، ولعل الاسم الأخير محرَّف من اسم عبلة هذه التي تردَّد الأحوص اليها وقد لقيه عمر بن أبي ربيعة مقبلا من عندها فسأله عمّا زودها به من الشعر فأنشده الأحوص هذه الأبيات[٣] التي تعالج طول اشتياق الشاعر الى صاحبته وحنينه لدفء القرب منها ونحوله وضناه من خوف فراقها الذي لذع قلبه وأذهب عقله حتى بات يخالطه داء ضروس، يشكو حبها الذي أهلكه وما يلاقيه في هواها من شدة الجوى والصبابة وكأنه مريض قد شارف على الموت فاصبح يحس جلجلة نفسه في أعلى صدره فيصرخ مقسما لحبيبته قسم صدق برب البيت الحرام والسموات السبع الطباق بانها أشد حبا لديه من شوق الظامىء

---

(١) - الاغاني (د) ٤/ ٢٥٩.
(٢) - الفهرست ٣٠٦.
(٣) - الموشح ٢٣١.

الى كأس ماء مترعة تَبلُّ صداه:

حلفتُ لـكِ الغـداةَ فصدّقيني ... بربٍّ البيـتِ والسّبـعِ الطِّبـاقِ
لأنـــتِ في الفؤادِ أشدُّ حبـــا ... من الصادي الى الكأسِ الدهاقِ

و - الاحوص وسلامة القسّ:

يا دِينَ قلبِكَ منها لَسْتَ ذاكِرَها ... إلا تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ أو دَمَعا
يا سَلْمُ ليتَ لسانا تَنْطِقينَ بهِ ... قبلَ الذي قدنالني من حُبِّكم قُطِعا
يَلُومني فيــكِ أقوامٌ أجـالسُهُمْ ... فما أُبـالي أطَـارَ اللّومُ أم وَقَعـا
أدعو الى هَجْرها قَلْبي فَيَتْبَعُني ... حتى اذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا
لا استطيـعُ نزوعـاً من محبَّتِهـا ... أويصنعُ الحبُّ بي فوق الذي صَنَعا
كَمْ من دَنِيٍّ لها قَدْ صِرْتُ أَتْبَعهُ ... ولو سَلاَ القلبُ عنها صارَ لي تَبَعَا
وزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مَنَعَت ... وحَبُّ شيءٍ الى الانسانِ ما مُنِعا

وسلامة القسّ مولدة من مولدات المدينة بها نشأت وأخذت الغناء عن جميلة ومعبد ومالك فمهرت، وانما سُمِّيَتْ سلامة القسّ لأن رجلا يُعرف بعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة وكان يُلَقَّبُ بالقسّ لعبادته شُغف بها وشُغفتْ به واشتهر حبها فغلب عليها لقبه[١]. وكانت سلامة أحسن القيان غناء وأكثرهن حذقا وظرفا وأبرعهن ضربا على العود تقول الشعر وتجيده[٢]، وكان لشغف القسّ بها قصة طريفة رواها أبو الفرج وفيها يقول القس:

أهابـك أن أقول بـذلـتُ نفسي ... ولو اني أطيــعُ القلــبَ قــالا

وللقسّ فيها أشعار كثيرة يطول ذكرها[٣]. ووصفها ابن قيس الرقيات ذاكرا اختها ريا بقوله:

---

(١) - الاغاني (ب) ٨/ ٦ و٨/٨.
(٢) - الاغاني (ب) ٨/٦.
(٣) - الاغاني (ب) ٨/٦ - ٧ و٨ .

أختان احداهما كالشمس طالعة في يوم دجنٍ وأخرى تُشبه القمرا

ولم يكتف الاحوص بذكرها في شعره بل أُعجب بها وبحسن غنائها وبحلاوة مجالستها فأكثر التردّد اليها وولع بحبها وكلف بها ولقيَ ودّه لديها استقبالا حسنا واستلطافا ظاهرا، إلا أنها لم تكن مولعة به كما ولع بها لأن حبها للقسّ لم يفارق فؤادها حتى آخر أيامها فجعل الاحوص يصف حاله في هواها الذي اورث قلبه الداء العضال،فأصبحت عيناه تجودان بدمع مدرار لذكرها وأمسى يتمنى لو كان لسانها قد قطع قبل أن يُتَيَّم بها،لأن حسن غنائها وجودة منطقها كانا الدافع الأقوى لتعلقه بها حتى انهالت عليه مقالات اللوم ممن يجالسهم دون ان يعير اذنا صاغية للومهم، غير آبهٍ بما يقال له،وغرق في بحر حبها ما يكاد يجد سبيلا للنجاة،يمد يد الاستغاثة الى قلبه طالبا منه أن ينتشله من تلك اللجج بايصاله الى زورق النجاة ولكن قلبه ينزع عن وعودة ويعود به ثانية الى الغرق والهيام،لا يستطيع الخلاص من الأعماق التي اسقطته فيها محبته لسلامة مستسلما لقدره،تاركا لحبها العنان يقوده أنّى يشاء وهو يتبعه ويتبع كل قريب لسلامة دنّيٍ لها وما كان ليتبع هؤلاء لو سلا قلبه هواها بل لكان كل من يتبعهم تبعا له. ويزداد كلف الاحوص بحب سلامة لمنعها النوال عنه حتى لا يكاد يحظى بشيء منه والنفس راغبة أبداً فيما مُنعت منه لأن كل شيء محجوب مرغوب.

ويتابع الاحوص تقربه الى سلامة متودّدا ،ولكنها تقابله بالحذر والتردد فيما يَصبُّه في مسامعها من شكوى الجوى واللوعة بحبها ،وقد طال به الاسر وبَرَّح به العناء،مستعطفا حسن عفوها،مقدّما لها النصائح،وهي غير آبهة بما يقدم لا تريد ان تمن عليه لأن الشك يساور نفسها ولا تدري أهو جاد فيما يقول أم هو لاهٍ عابثٌ دأبه دائما:

أسلام إنَّك ملكتِ فاسجِحي قد يَمْلكُ الحرُّ الكريمُ فسجَحُ
مُنّي على عانٍ أطَلْتِ عناءه في الغلّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ

إني لانصحكم وأعلم أنّه سيَّان عندكِ من يغشُّ وينصحُ
واذا شكوتُ الى سلامةَ حبها قالت: أجدٌّ منك ذا أم تمزحُ

وموقف سلامة من الاحوص له مبررات تدعمه وذلك انها عاينته في دار جميلة يتنقل بين، جميلة وحبابة والذلفاء وعقيلة حتى ظهر لسان حاله بقوله:

لاتأمني الصرمَمني أنْترَيْكَلَفي وإنْ مَضَى لصفاءِ الوُدّ أعصارُ
ما سَمِّيَ القلبُ إلا من تقلّبِهِ والرأي يُصرفُ والأهواءُ أطوارُ

وراح الاحوص يحاول نفي ما استقر في نفس سلامة من شكٍ تجاه تودّده وما داخلها من حذر وتردّد في الاستجابة لاستغاثته، فاكثر من الاجتماع اليها والتحدث معها والاستماع لغنائها. وزارها مرة مع ابن قيس الرقيات وطلبا منها ومن اختها ريا ان تغنياها بابياتِ مدحٍ فيهما. فقال ابن قيس:

لقت فَتَنَتْ ريا وسلامة القسّا فلم تَتْركا للقسِّ عقلا ولا نفسا...

فغنته سلامة واستحسنتاه. وقالت للاحوص: ما قلت يا اخا الانصار. قال:

أسلامُ هل لِمُتَيَّمٍ تَنْويلُ أم هَلْ صرمتِ وغالَ وُدَّكِ غولُ
لا تَصْرُفي عنّي دلالَكِ إنّهُ حسنٌ لديَّ وإنْ بخلتِ جميلُ
أزعَمْتِ أنَّ صبابتي أكذوبة يوماً وأنَّ زيارتي تَعْليلُ

فغنت الابيات فقال ابن قيس: «يا سلامة! احسنت والله! وأظنك عاشقة لهذا..» فسأله الاحوص: ما الذي اخرجك الى هذا؟ قال: «حسن غنائها بشعرك، فلولا ان لك في قلبها محبة مفرطة ما جاءها هكذا حسنا على البديهة». ورفض ابن قيس حكومة سلامة بينهما وخرج مخاصما لهما[1].

---

(١) - الاغاني (ث) ٨/ ٣٣٧.

وفي هذا الشعر الرقيق يصوّر الاحوص وَلَعه بسلامة وانصرافها عنه مُجَدِّدا إظهار نظرتها الى تودّده وصبابته وزياراته مؤكّدا لها أنه يحبها حقاً وانه لا يزورها كما يزور الأخريات، بل زيارته لها تختلف عما عهدت من التعليل والعبث والكذب وغيرها من المواقف التي كان يقابل بها صاحباته من قبل.

وطال هيام الأحوص بسلامة وازداد ولعه بها وإعجابه بغنائها ورغبته بمجالستها وإسماعها عبارات التودّد، ولربما رقّت له سلامة ووصلته وأسمعته الاستلطاف والاستحسان لمحبته، غير أن الزمن قسى عليها وأذن بفراقها حيث وصلت شهرتها الى الخليفة يزيد بن عبد الملك، فأمر بشرائها وتمَّ له ذلك، فأخذتْ سلامة الأُهبة للرحيل وفارقته فراقا لا يُرجى بعده لقاء ومطلبُ وَصْلٍ، فازدادت هموم الأحوص بحبه الجارف لسلامة وشوقه المضطرم لها، وعاود قلبه الداءُ والبلاءُ من جوى حبه وانهمل دمعه لفراقها فبعث لها بالأبيات التي تصف حاله لبعادها:

عَاوَدَ القلبَ من سلامة نَصْبُ ... ولِعَيْني من جوَى الحُبِّ غَرْبُ
ولقد قُلْتُ أيّها القلبُ ذو الشو ... قِ الذي لا يُحِبُّ حُبَّكَ حبُّ
إنَّه قد دَنَا فِراقُ سُلَيْمَى ... وَغَدا مَطْلَبٌ من الوصلِ صَعْبُ

واستقرت سلامة في دار الخلافة واستقر الداء في قلب الأحوص ولازمه تذكُّرها فأفقده نفسه وحجب عن عينيه النوم وأورثها أرقا مضنيا وأثقل جسده آلاما شديدة،تنبعث من أوصاله وعظامه،وينهمل دمعه على خديه في مجاري اربعة لغزارته فيبيت ليله يهدي هائما من شدة وجده بحب سلامة فقال حين أراد الرحلة الى دار الخليفة:

ألا هَاجَ التَّذَكُّرُ لي سَقاما ... ونُكْسَ الداءِ والوَجَعَ الغَراما
سلامةُ إنّها همّي ودائي ... وشرُّ الداءِ ما بَطَنَ العظاما
فقلتُ له ودمعُ العينِ يَجري ... على الخَدَّيْنِ أربعةً سِجاما

عليــكَ لهــا السلامُ فَمَنْ لِصَــبٌ   يَبِيــتُ الليــلَ يَهْذي مُستَهــامــا

ونال هذا الشعر مكانة حسنة في قلب سلامة حين سمعته من الغريض وغنته بعده ،فبعثت للأحوص بلطف كثير...[1]

وقد رأى القُصَّاص في ما كان بين الأحوص وسلامة مادة لتلبية حاجات السُّمَّار وطلاَّب المتعة، فوضعوا قصة يُصَوِّرون فيها إخلاص العاشقَيْن ووفاءهما إلا أن هذه القصة باطلة كما قال أبو الفرج[2] وقد سبق ذكر ذلك. وعدَّ الوشّاء الأحوص وسلامة من العشاق المشهورين في التاريخ العربي وقرنهما بجميل وبثينة وقيس وليلى وابن ذريح ولبنى وغيلان ومي وغيرهم[3].

٣ - القصص الغزلي والمغامرات العاطفية والحوار:

ضمَّن الاحوص غزله الكثير من الاقاصيص الغرامية وحكايات الهوى، ووصف بعض مغامراته مع صاحباته،وأجرى في غزله احاديث وحوارات أغنت غزله ولوَّنته فجاء يزخر بشتى الوان الغزل وموضوعاته واشكاله.

فله مع أم جعفر حكاية غرام وزيارات لبيتها يسرع الى تلبيتها بدعوة من هواها وهوى جاراتها ويُكثر من زيارات ذلك الحيِّ فيأتي بيوتا مختلفة خوفا من اعدائه مُتعمِّدا هجر بيت حبيبته:

واني ليــــــدعوني هوى ام جعفر   وجــاراتهــا من ســاعــة فــاجيــبُ

واني لآتي البيــت مــا إنْ أحبــه   وأُكثِر هجرَ البيــتِ وهو حبيــبُ

وكان بينه وبين أم جعفر رسل ورسائل ينقلون رغبات كل منهما الى الآخر ،فتلك رسالة منها تبلغه قطع زيارته فيحار في أمر التبدّل ويقول:

---

(١) - الاغاني (ث) ٨/ ٣٤٥ - ٣٤٧.

(٢) - الاغاني (ث) ٨/ ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٣) - الموشى ٨٤.

أرسلـــت ام جعفر: لا تزرنـــا   ليت شعري بالغيب من ذا دهاها

وتمنع أم جعفر معروفها عنه وتُنكر زياراته بعد اعتراف بها وينتبه الى حركاته اعداء هواه،فيدور في الحي من بيت الى بيت باحثا عنها سائلا علّه يلقى لها اثرا،فيزور البيوت اللاصقات ببيتها وقلبه مشدود الى مسكنها،وتمتد الاصابع مشيرة اليه تلاحقه خلال تنقلاته في هذا الحيّ:

أدور ولولا ان أرى أم جعفر   بابياتـكم ما درتُ حيـث أدورُ
أزور البيوت الـلاصقات ببيتهـا   وقلـــبي الى بيـــتٍ سواه أزورُ
أزور عــلى أن لستُ أنفـك كلما   أتيــتُ عــدواً بـالبنـانِ يُشيرُ

ومغامراته مع عقيلة يجملها في مقطوعة قصيرة من شعره بقوله:

هـل تـذكرين عقيـل أو أنساكـه   بعـدي تقلُّبُ ذا الزمـانِ المفسدِ
يومي ويومَـك بـالعقيـق إذ الهوى   منّــا جميـعُ الشمـلِ لم يتبـدَّدِ.

اما غزله في سلامة فهو غنيٌّ بالأحاديث والاقوال التي كان يلقيها على مسامعها ومنه قوله:

واذا شكوت الى سلامـــة حبهـــا   قـالـت: أجـدٌّ منـك ذا أم تمزحُ.

وفي موقع آخر يصور الاحوص تنقلاته جريا وراء احدى جاراته التي حملها اهلها ورحلوا طلبا لحاجتهم،فمنعوا عنه زيارتها ورؤيتها حتى اصبح هائما يشكو الوجع في سائر جسده وراح يتبع خطاها حيث حطّت بها الرحال قائلا:

مــا ضَرَّ جــيرانَنَــا إذِ انتَجَعُوا   لو أنهم قبـــــــلَ بَيْنهم رَبَعُوا
أحموا عـــلى عــاشقٍ زيــارتــه   فَهْوَ بِهجْرانِ بَيْنِهم فَظِـــــعُ
وَهْوَ كـــأنَّ الهُيــامُ خـــالطــه   ومـــا بـــه غـــير حبهـــا رَدَعُ
الله بيني وبـــــين، قَيِّمِهــــــا   يَفِرُّ عنّي بهـــــا وأتَّبِـــــعُ

وكان الاحوص يوما بمُنىً ، فلما جنّه الليل لم يلبث ان غاب عن اصحابه وعاد ورأسه يقطر ماء. فسئل عن أمره فانشد:

تعَرَّضُ سَلْماك لمــــــــــا حرمـ ـتَ ضَـلَّ ضـلالـك من مُحْرِمِ
تُريــد بــه الــبرَّ يــا ليتــه كفــافــاً من الــبرِّ والمــأثمِ

فقيل له: زنيت ورب الكعبة. قال: قل ما بدا لك[١].

ومغامرة أخرى تبدأ بالمراسلة بين العاشقين، والتواعد على لقاء عند تحليق الثريا في مكان ما. فبعثا من قبلهما يرصد امامهما تحركـات الغير تخوّفا من المراقبة،فيُبعِد الراصدُ عنهما العيون ويبيتان باحسن عيش وألذّه في تلك الليلة متنعمين، حتى الصباح:

من عَـاشِقَيْنِ تَراسلا وتواعــدا بِلِقــاً اذا نجم الثّريــا حلّقــا
بَعَثـا أمـامهما مخـافـة رِقْبَـةٍ رَصَـداً فَمَزَّق عنهما مـا مزّقـا
بـاتـا بـأنعم ليلـةٍ وألـذّهـا حتّـى إذا وضَح الصباحُ تفرَّقا

وفي مقطوعة اخرى يتراءى لنا الاحوص وخليلته يتمتعان بحلاوة هواهما وتتشاحن أقاربهما في أمر لقاءاتهما،الا انه لا يُعير اهتمامه الى ما يجري حوله بل يستمر في لقاءاته معها في جنون الليل فيجذل بقربها منه ومضاجعتها،ويبيتان متلازمين يُمَنِّيان انفسهما بنعيم مقبل ويتعاتبان فيما مضى من البعد ويتناقلان سِراً أحلى عبارات المحبة والتودّد:

خَليلانِ باحا بالهوى فَتَشَاحَنَتْ أقـاربُهـا في وَصْلِهـا وأقـاربُـهْ
ألاَ إنَّ أهوَى الناس قُرْباً ورُؤْيَةً وريحاً إذا ما الليل غارت كواكبُهْ
ضجيـع دنـا مني جَـذلتُ بقربـه فَبـاتَ يُمَنِّيني وَبِـتُّ أُعـاتِبُـهْ
وأُخبِرُهُ في السرِّ بيني وبينــــه بأنْ ليس شيءٌ عند نفسي يُقارِبُهْ

ويستزيد الاحوص في طلب الوصال فيعاتب احداهن على تجنّبها وصله، طالبا منها موعدا،فتدعوه الى مصاحبة زوجها كي يتسنّى لها لقياه،فيهب في وجهها معتبرا هذا الموقف غدراً لئيما لا يليق به،فهو لا يواصل عروس خليله كي لا يفجعه ولا يهشُّ الى وصال جارته القريبة

(١) - الاغاني (د) ١/ ٢٩٤.

منه صونا للجوار الذي يوصي به الدِّين:

قالتْ، وقلتُ: تَحَرَّجي وصِلِي   حَبْلَ امرئٍ بوصالكم صَبٌّ:
صاحبْ إذنْ بَعْلي، فقلتُ لها: الغدرُ شيءٌ ليس من ضَرْبي
ثِنْتانِ لا أدْنو لوَصْلِهما   عرسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ
أمّا الخليلُ فلستُ فاجِعَهُ   والجارُ أوصاني به رَبِّي

وهذا موقف طريف من ماجن فاسق يأتي المحرَّمات من ناحية ويبتعد عنها لسبب بسيط وقد تهالك في طلبها من ناحية أخرى.

ويكثر الحوار في شعر الاحوص الغزلي ومنه حديث يجري بينه وبين صاحبته التي تدعوه الى البقاء بقربها فيواجهها باصراره على ترك أرضها وزيارة أرض ممدوحه رغم اشتداد الحزن في قلبه وتَغَيُّر لونه لفراقها:

قالت: أقم لا تَبِنْ منّا فقلتُ لها: إنّي وإنْ كنتُ ملعوجاً بِيَ الكَمَدُ
لتاركٌ أرضكم من غيرِ مَقْلِيَةٍ   وزائرٌ أهلَ حُلوانَ وإنْ بَعُدُوا

وتتناثر الحوارات وأخبار المغامرات وأقاصيص الهوى في شعر الاحوص

وتتباعد في بعض الأحيان بسبب ضياع اكثر هذا الشعر، لكن الزمن أبقى لنا قصيدته التي رسمت خطوط قصته مع النسوة الخمس اللواتي اجتمعن في أحد المنازل وأرسلن في طلبه طمعا في الحديث معه وسماع شيء من شعره[١]. هذه القصة نسجها الشاعر في ثوب ظريف ولوّنها بألوان زاهية، وأجرى فيها من الحياة ما جعلها تنبض بالحركة، وأودعها روح الحب، فأحياها في الضمائر وعلى مجاري الألسنة تتحدَّث عنها وتتندَّر بما تضمنته من المعاني التي صاغها الأحوص في بناءٍ قصصيٍ لم يسبقه إليه أحد على الإطلاق. فالقصيدة من مطلعها الى منتهاها تحكي قصة الشاعر وتفصِّل جزئيات هذه القصة في شكل قصصي كامل ذي مقدمة وعقدة وحلّ لهذه العقدة. فيبتدىء قصته

---

(١) - الاغاني (ث) ١٦/ ٢٦٧.

ذاكرا إرسال النسوة في طلبه سرا وطرقه لهن مع الرسول بعد نوم الرقباء وتحليق نجم النَّسْر، متقلّدا سيفا قاطعا يُزيل به خوفهن:

خمسٌ دَسَسْنَ إليَّ في لَطَـــــفٍ ... حُورُ العُيونِ نواعِمٌ زُهْرُ
فَطَرَقْتُهُنَّ مـــع الجريِّ وقـــد ... نـــام الرَّقيـــبُ وحلّـــق النَّسْرُ
مُسْتَبْطِنـــاً - للحيِّ إذ فزِعوا - ... عَضْبـــاً يَلوحُ بِمَتْنِـــهِ أثْرُ

ويمضي في سرد تفاصيل القصة وجزئياتها الموصلة الى العقدة فيذكر قضاء النسوة لليلتهن الناعمة هذه عاكفين عليه، فاخرا بنفسه حيث كان السيّد ذا الانفة وصاحب الشرف بينهن، يغدق عليهن الفكاهات الحلوة ويتمتعن بشبابه الغضّ، ينعمن بمعروفه السخي حتى أوان انبلاج الفجر. فكان بينهن خفيف الظل ظريف الروح وصاحب شهرة أبعدتْ صيته حتى اضاءت له احداهن ثوب الدجى المظلم بنورها وحسنها وقامت تخاصره هذه الفتاة الناعمة اللينة البكر وتقوده الى خدرها تمشي متمايلة في انحناء واعوجاج، ويختلي الاثنان في خلوة بعيدا عن أعين الباقيات ويدور بينهما حديث يشبه السحر أسَرَّاهُ بينهما متنازِعَيْنِ حيث كان كلٌّ منهما يرى ان الشباب والنعومة له دون صاحبه، وهما معذوران في ذلك لانهما يهدفان الى الصبوة واثبات مميزات شبابهما، فهو سيد أنف خفيف ظريف وهي فتاة طويلة ممشوقة ضامرة البطن يعروها مرح الشباب ونشاطه ويجري في وجهها ماء الشباب الأحمر وليس فيها أي اثر من آثار الدهر:

فَعَكَفْنَ لَيْلَتَهُنَّ نـــاعمـــةً ... ثم ٱستَفَقْنَ وقـــد بـــدا الفَجْرُ
بـــأشمَّ معسولٍ فكـــاهتُـــهُ ... غَـــضِّ الشبـــابِ رِدَاؤُهُ غَمْرُ
زَوْلٌ، بعيدُ الصِّيتِ، مُشْتَهِرٌ ... جَابَتْ لـه جَيْبَ الدُّجَى عَمْرُ
قـــامـــتْ تُخَـــاصِرُهُ لِكِلَّتِهـــا ... تَمْشِي تَـــأَوَّدُ غـــادةٌ بِكْرُ
فَتَنَـــازَعَـــا من دونِ نِسْوَتِهـــا ... كَلِماً يُسَرُّ كَـــأنَـــهُ سِحْرُ
كُـــلٌّ يَرَى أنَّ الشبـــابَ لَـــهُ ... في كُـــلِّ غـــايـــةِ صَبْوَةٍ عُـــذْرُ

سَيْفــانَــةٌ أشَرُ الشَّبــابِ بهــا رَقْراقَـــةٌ لم يُبْلِهــا الـــدَّهرُ

وتتعقد أمورها ويكثر الجدل بينهما فيُسِرّ لها عبارات الهوى مظهرا محبته لها وتبادله الاعتراف بحبها له،فَتلينُ مواقفُها وتَنْحَلُّ عقدة هذا اللقاء فتسفر له عن وجهها،ولم تكن تعرفه قبل ذلك،فاذا هو امام محيَّاها الابيض الحسن المنير كأنه البدر في ليلة تمامه،ينعم بلقائها وتنعم بالوصل معه في أحلى ليلة وأنعم عيشة:

حـــتى إذا أبْـــدَى هَوَاهُ لهـــا وَبَـــدَا هَواهـــا مـــا لــهُ سِتْرُ
سَفَرَتْ ومـــا سَفَرَتْ لِمَعْرِفَـــةٍ وَجْهــاً أَغرَّ كــأنّـــهُ البَـــدْرُ

وما ذكره الاصبهاني في مقدمة الخبر نفته روايات أخرى ألحقها به أولاها تنفي بلسان احداهن اختلاءه بواحدة من النسوة والثانية تنقل عن احدهم ان نسوة من المدينة تذرن مشياً الى مسجد قُباء وصلاة فيه فخرجن ليلا وطال عليهن الليل فنمن فيه فجاءهن الاحوص مُتكِئاً على عرجون مرطاب فتحدَّث معهن حتى الصباح ثم انصرف وقال قصيدته.

والثالثة تؤكد على لسان الرَّسول إليهِ أنَّ سيفه كان يومئذ عرجونا مرطابا يتخصَّر به.

والرابعة تذكر فيها الجَرِيُّ أن النسوة كن في مسجد قُباء وبَعَثْنَهَا في طلب الاحوص فخرجت حتى أَتَتْهُنَّ به وهو متخصِّر بعرجون مرطاب فتحدث معهن حتى دنا الصبح وأنشدهن الأبيات. وما كان بينه وبين واحدة منهن سرّ.

ولعل في اختلاف هذه الإحتجاجات وتفرقها من حيث مناسبة القصيدة أو التركيز على نفي تقلُّد الأحوص للسيف دليل على ضعفها. ومهما يكن من أمر ظروف القصة فان هذه القصيدة تشهد بسعة خيال الشاعر وصدق تصويره لوقائع هذا اللقاء سواء كان حقيقيا أو كان من نسج خيال الشاعر. فهذه القصة بمفهومها الأدبي الصرف تمثل ظاهرة

جديدة بالتقدير ومؤشر تطور مهم في شعر الأحوص ونزعة جديدة في الأدب العربي القديم.

٤ - الموضوعات العامة في غزل الاحوص:

اكثر الاحوص من الغزل وتعددت موضوعاتُ غزله ولعل فيما ضاع من شعره الكثير مما نصبو الى معرفته ودرسه إلاّ ان في ما بقي من هذا الشعر وفرةً وغنىً قلّ مثيلها في الأدب العربي القديم. فالى جانب ما طرقناه من شعره الغزلي تبرز موضوعات كبيرة مهمة تندرج في سياقها افكارُ وعناوينُ تفصيلية مختلفة ومُشْبَعَةٌ بالمعاني المتجددة. فمنها غزل يتصل بالبعد وما يجره على الشاعر من جزعٍ والام ونزوع الى زيارة الحبيب وفيها ذكريات الهوى القديم وما تُثِيره في نفسه من الكآبة والسقام وعليها مسحة الخوف من الأعداء واللوام وترجيعات العتاب وأنَّات الأسَى لتقلُّب الاحباب وعلامات الوفاء لعهد الوداد وحفظ الاسرار وبداخلها تضيء ظواهر الحب وآثاره فتبرز معالمه في وجه المحب وجسده. وتزينها أوصاف رقيقة رصَّع بها جمال حبيباته.

أ - مظاهر الحب وآثاره:

ماعالَجَ النَّاسُ مِثلَ الحُبِّ من سَقَمٍ ... ولا بَرَى مِثْلُهُ عظماً ولا جَسَدَا
ما يَلْبَثُ الحبُّ أنْ تَبْدُو شَواهِدُهُ ... من المُحِبِّ وإنْ لم يُبْدِهِ أبَدَا

فللحب علامات مميزة تظهر على المحب شاهده لوقوعه في خضم السقم الذي ينخر عظامه ويبري جسده فَيَصْفَرُّ لونُه ويكثرُ سهادُه ويشتدُّ قلقُه فتتراكم عليه الهمومُ مثل قوله:

سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقا ... وبِتُّ مُسَهَّداً قَلِقَا
كَذَاكَ الحُبُّ مِمَّا يُحـ ... ـدِثُ التَّسْهيدَ والأَرَقَا

فالحب يورث الهم الدائم - كما يقول ابن الجوزي - والفكر اللازم والوسواس والقلق وقلة المطعم وكثرة السهر ويتسلط على الجوارح فتنشأ

الصفرة في الجسد والرعدة في الاطراف والجلجلة في اللسان والنحول في الجسد[1]. وهذا شاعرنا يقع مريض هواه سقيم النفس لا يجد طبيبا يداوي آلامه سوى رؤية حبيبته أو حتى رؤية ارضها فيقول:

وقد جِئْتُ الطبيبَ لِسُقْمِ نَفْسي ليَشفيها الطبيبُ فما شَفَاها
وكُنْتُ إذا سَمِعْتُ بأرضِ سُعْدى شَفَاني من سَقَامي أنْ أراها

فيا له من قتيل صرعه حبٌّ سعدى من غير ثأرٍ إذ لم يكن قد جنى شراً عليها ،فهو يستغيثُ ببني جنسه وهم لا يملكون له نفعا في بلائه حيث لا يستطيعون أخذ ديته ولا يقدرون على الاقتصاص من قاتله. فيعود الى أشجانه ينزف دما ودمعا لذكراها قائلا:

يا لَلرِّجال لمقتولٍ بلا تِرَةٍ لا يأخذون له عَقْلاً ولا قَوَدا
إنْ قَرُبَتْ لم يَفِقْ عَنها وإنْ بَعُدت تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ من حُبِّها قِدَدا
ما تُذْكَرُ الدَّهْر لي سُعْدَى وإن نَزَحَت إلاّ تَرَقْرَقَ ماءُ العينِ فاطَّرَدا

ويعيش على الذكرى مُشوَّقا يسهر الليالي الطوال مبللاً بدمع الشقاء الذي يكتنفه في اتّباع هواه او في تجنّبه مُتبلِّدا بأحزانه:

وإنْ كِدْتُ شَوْقاً موهِباً وذَكَرْتُها لأرْجعُ بالرَّوْحاءِ عَوْدي على بَدِي
وقلتُ لِعَيْني قَدْ شَقيْتُ بِذِكْرِها فَجُودي بماءِ المُقْلَتيْنِ أو اجْمَدي
فإنْ تَتَّبِعْها تُغْضِ عَيناً على القَذَى وإنْ تَجْتَنِبْها بعدَ ما نِلْتَ تَكْمَدِ

ولن يخفي المحبّ وإنْ تستّر ولا ينكتم هواهُ وإن تصبّر لأن علامات الهوى نائرة ومن جميل قوله في هذا المقام:

لقد سلا كُلُّ صبٍّ أو قَضَى وَطَراً وما سَلَوْتُ ولا قَضَّيْتُ أوطاري
أضمَرْتُ ذاكَ زماناً ثُمَّ بُحْتُ بهِ فزادني سقماً بَوْحي وإضماري
أخفَيْتُ في العُرْفِ إنْكاراً مَحَبَّتَها فصرَّحَ الوجدُ عن عُرْفي وإنْكَاري[2]

---

(١) - نهاية الارب ٢/ ١٤٧.

(٢) - في الأصل (أخفيت في العرف هذا النكر ذلكم) وهو محرّف ولم يهتد المحقق الى صوابه كما يقول (جمال) ١٣٣ فرأت ان اثبته على هذا الشكل ملأمة للبيتين السابقين.

«وهذا لعمري من حسن الكلام ونفيسه، الا ترى الى اخباره عن اجتهاده في كتم ما في قلبه حتى صرَّح الوجد به من غير قصد له ولا اختيار منه، وهذه هي الحالة التامّة من جهتين، احداهما ان يكون المحب مؤثرا الاسرار على الاعلان، والاخرى ان يكون الوجد تملّكه ملكا يزول معه الكتمان فيكون ضابطا لنفسه مؤثرا لكتمان سرّه ما دام التمييز معه الى ان يغلبه من الوجد ما لا يستطيع ان يدفعه[1]».

وتتلاحق شواهد الحب في شعر الاحوص، فيطول سهاده ويدمن على التفكير بالمحبوب وتعاجله سرعة الدموع ويُظهر الخشوع وكثرة الأنين، واعلان الحنين، فيسكب العبرات وتتتابع منه الزفرات، فيذلّ لحبه ويخضع له وينقاد لأمره ويحيا خيالُه بسورة الحب المتعلقة بقلبه وينطلق لسانه مرددا:

أَلاَ يا عَبْلَ قد طال اشتياقي ... إليك وشفَّتي خَوْفُ الفراقِ
وبِتُّ مُخامراً أشكو بلائي ... لِما قد نالني ولِما أُلاقي
كأني من هواكِ أخو فراشٍ ... تَجَلْجَل نفسُه بين التَّراقِي
لأنتِ في الفؤادِ أشدُّ حبّاً ... من الصادي إلي الكأسِ الدّهاقِ

ومنه قوله في حنينه الى سلامة وشوقه للقياها وشقائه في حبها:

أَلاَ هاج التذكُّر لي سَقَاما ... ونُكْسَ الداءِ والوجَع الغراما
سلامة إنَّها همّي ودائي ... وشرُّ الداء ما بَطن العِظاما

ويمضي الاحوص مُتّبعا سبيل الهوى مُقْدِما عليه باذلا فيه دون أي تردّد فيقول:

فلو ماتَ انسانٌ من الحب مُقْدِما ... لِمتُّ ولكني سأمضي مُقَدَّما

ويتوغّل في لجج حبه موقنا هلاكه فيها غير آبهٍ بما تخبئه له امواج الغرام، مستزيدا من اسباب هذا الداء العضال، وهو لا يرغب في الشفاء

---

(١) - الزهرة ٣١٧.

لانه يعلم «أنه ليس في الحب أوحدا»، بل سبقه اليه عروة الذي سنَّ شرع الهوى حين شقي بعفراء وتقدم عليه النهدي حين مات شهيدا بحب هند، ولكن وجد هدين العشيقين الشهيرين لا يُقاس بوجد شاعرنا بحبيبته سعدى:

فعُروة سنَّ الحبَّ قبلي إذ شقى بعفراء والنَّهديُّ مات على هندِ

....

أَحبَبْتُها فوَتَغتُ الناسَّ كلَّهم يا ربِ لا تُشْفِني من حبِّها أبدا
لا شكَّ أن الذي بي سوف يقتلني إن كان أهلك حبٌّ قبله أحدا
لو قاسَ عروةُ والنهديُّ وَجْدَهما لكان وجدي بسُعدَى فوق ما وَجَدا

وسئل ابو نوفل: هل يسلم أحد من العشق؟ فقال: نعم الجلف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم فأما من في طبعه أدنى ظرف او معه دماثة اهل الحجاز ورقة اهل العراق فهيهات[1].

ومن لم يحب قط فهو رديء التركيب جافي الطبع كزٌّ المعاطف أو تراه جلمودا من الصخر القاسي لا يلين، ولا يرقّ:

إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى فكُن حجراً من يابسِ الصخرِ جَلمدا

وخير شافع لحب الاحوص قوله: «إجعل أنْسَك آخر ما تبذل من ودّك من الاسترسال حتى تَجِد له مستحِقاً[2]».

ب - ذكريات الحب القديم:

وإنّي لأهواها وأهوى لقاءَها كما يَشْتهي الصادي الشرابَ المُبَرَّدا
فقُلتُ ألا يا ليتَ أسماءَ أصقبتْ وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تَبَدَّدا
علاقةُ حبٍ لجَّ في زمنِ الصِّبا فأبلى وما يَزْدَادُ إلّا تَجَدُّدا

تنصرم حبال الحب ويذهب بأيامه صرفُ الزمان وتنقلب حياة المرء

---

(١) - نهاية الارب ٢/ ١٣٩.
(٢) - الصداقة والصديق ١٧٠.

من الصبا المرح الى الهرم المضني ولكن حب الصبا لا يفارق مخيلة المرء بل تبقى ذكرياته متجددة في خياله. وهذه حال شاعرنا في أواخر ايامه اذ نراه يُطلق التمنيات والآهات التي لا تُعيد له شيئاً من ماضي هواه وهو لا يزال يحمل هوى خليلته في فؤاده ويشتهي الوصل منها كشهوة الظامىء الى الشراب المبرد الذي يثلج نار صدره.

وللذكرى عند الاحوص دواعٍ ومسبباتٌ منها النظر فيما آلَ إليه حاله من الشيب كما هو حاله فيما ذكرنا ومنها رؤية النار المضيئة في مرابع الأحباب تلك النار التي تبعث في ذاكرته الحزن لفشله في الحصول على مراميه من صاحبته حين كانا قريبَين متجاورَين، وقد أفنى دهره متيَّما بها ساترا هواه مخافة اللوام والأعداء:

صاحِ هل أبصرتَ بالخبـ ـتَيْنِ من أسماء نارا
أذْكَرَتْنِي الوصلَ من سَلْـ ـمى جارها إذ كان جارا
لم تُثِبْ بالوصل سَلْمَى جارها إذ كان جارا
عاشقا أفنى طَوَالَ الدهـ ـرِ خَوفاً واستِتَارا

ومن بواعث ذكرياته هديل الحمام وتفجُّعه:

أهاج لك الصبابةَ أن تغنَّت مُطوَّقةٌ على فَنَنٍ بَكُورُ
تَفَجَّع فوق غُصنٍ من أراكٍ وتَحْتَ لَبَانِها فَنَنٌ نَضيرُ

تهيج صبابة الشاعر وتتفتّق أحزانه ويحرقه لهيب الشوق عند سماعه وَلَهَ الحمامة الكبيرة وهي تبكي الهديل وتندبه وتتأسف لضيعته وموته عطشا مستوية على غصن مستقيم نضير يتمايل ثملا بجماله ولكن حزن الحمامة لا يعادل حزن الشاعر ولا يدانيه وليست تجزع لما يجزع منه فهي تكتم وجدها ولا تبوح الا بترنمات تروّع قلب الشاعر الصادق الهوى الباكي من شدة الهموم عليه فلا يقاربه في عويله ذاك السجع المتصاعد من طائر حرّ طليق في الوقت الذي ينوء فيه بقيد هواه موجع القلب أسير الصبابة فيقول:

وهــاجَ لي الشوقَ القــديمَ حمامــةٌ   على الأيـكِ بين القَرْيَتَيْنِ تَفَجَّعُ
مطوقةٌ تـدعو هـديلا وتحتها   لــــه فننٌ ذو نَضْرةٍ يَتَزَعْزَعُ
ومـاشَجْوهـاكـالشَّجومِنّي ولا الـذي   إذا جزعتْ مِثْلَ الذي منهُ أجزعُ
فقلتُ لها لو كنتِ صادقةَ الهوى   صنعتِ كما أصبحتُ للشوق أصنعُ
ولكنْ كَتَمْتِ الوجــدَ إلاّ تَرَنُّماً   أطــاع لــهُ منّي فؤادٌ مُروَّعُ
ومـا يَسْتَوِي بـاكٍ لشجوٍ وطـائرٌ   سوى أنَّـه يـدعو بصوتٍ وتَسْجَعُ
فلا أنا مِمَّا قدْ بدا منكِ فاعلمِي   أصَبُّ بعيدا منك قلباً وأوجعُ

ويثير نداء الحمام للهديل في نفس الشاعر دواعي مرضه المُؤلِم فتنهمل الدموع من عينيه متحجرة من شدة الأسى متدافعة بغير انتظام او قيود فيشرف على الموت حزنا وتتحرك لوعةُ دائِه الذي أورثه الهيام فيُمسِي مشلولا كأنه صريع الثَّملِ بخمرة أماتت عظامه وجمَّدت مفاصله لا يستطيع حراكا:

أأن نـادى هـديـلاً ذاتَ فَلْـجٍ   مـــع الإشراق في فَنَنٍ حمامُ
ظَلِلْـتَ كـأنّ دمعَـك درٌّ سلـكٍ   هَوَى نسقـاً وأسْلَمـه النِّظـامُ
تَموتُ تشوّقـاً طَرَبـاً وتَحيى   وأنْـتَ جوٍ بِـدَائِـكَ مُستهـامُ
كـأنَـك من تـذكُّر أمِّ حَفْـصٍ   وحبـلُ وصـالهـا خَلَـقَ رِمـامُ
صَرِيـعُ مـدَامـةٍ غلبـتْ عليـه   تموتُ لهـا المفـاصـلُ والعظـامُ

ومن نسيب الاحوص الرقيق في هذا المقام قوله:

فبتُّ كأني شاربٌ من مُدامـةٍ   إذا أذهبَتْ همّاً أتاحتْ له همّاً
إذا قلتُ إنّي مُشْتَـفٍ بلقائها   فحُمَّ التـلاقي بيننـا زادني سُقْما

وقد قالوا ان الاحوص أغزل الشعراء في بيته الثاني الذي عدَّه الكثيرون أنسب بيت قالته العرب.

جـ - البعد ومآسيه:

قد وَدَّعَتْكَ وداعَ الصارمِ القالي   نعم وداع تنـــاءٍ غـــير إدلالِ
وعـاد مـا ودَّعتني من مودَّتهـا   بعـد المواثيـقِ كـالجاري من الآلِ

أبقى لها الدهرُ من وديّ الذي عَهِدَت أمرَيْنِ لم يبرحا منّي على بالِ
شوقاً اليها اذا بُتَّتْ مناسبُها يوما وأبصرتُ منها رسمَ أطلالِ
وحفظَ ما استودعت عندي وقد زعمت ان ليس يُحسن حفظَ السرِّ أمثالي

يصور الاحوص في القصيدة التي فيها هذه الابيات مشهد وداع حبيبته له أو هو مشهد تنكّرها لحبه وبُعدها عنه حيث صرمت حبال وصلها وابغضته فتناءت ديارها من غير ثقة بحبه فكأن حبه اصبح سرابا ولكنه لم يقف منها موقف العداء بل أضمر في نفسه الاخلاص لهذا الحب وبقي مُبرّحا بشوق جارف ينتابه كلما ذكرها او شاهد بعض معالم ديارها وهو امين لاسرار ذلك الحب رغم زعم صاحبته انه لا يحسن حفظ الاسرار ولا يكتم هوى في صدره.

وتسيل اسراب الدمع من عيني الشاعر متتابعة متدافعة بسبب بعده عن حبيبته فكأنها مكحلتا المدامع بعصارة شجر الصاب تُسقى منها تباعا فتثير فيها شهابا من نار يُذكى انهال الدمع الذي يُبدي صبابته دون ان يستطيع كتمانها في صدره الذي اصبح مترعا بمشاعر كثيرة حضنتها منه الاضالع فيحن اليها ويشتاق لرؤيتها اينما حلَّ من الأرض منخفضها ومرتفعها باكيا في خشوع ويأس منتظرا قسوة حكم الفراق الذي لم يُبقِ له سوى عبرات الحزن المريرة ومودة عارمة يحملها في صورة عالقة بفؤاده كما هي حال الاصابع في الراحتين، لا تفارق ذاك القلب التعيس الذي يتفجر حزنا فيقول:

وللعين، اسرابٌ تفيضُ كأنما تُعَلُّ بكحلِ الصّاب منها المدامعُ
فأبدتْ كثيرا نظرتي من صبابتي وأكثرُ منها ما تُجِنُّ الاضالعُ
واني لذكراها على كل حالة من الغَورِ أو جَلْسِ البلاد لنازعُ
لقد كنتُ ابكي والنوَى مطمئنّةٌ بنا وبكم من علم ما البين، صانعُ
وقد ثبتتْ في الصدر منها مودةٌ كما ثبتتْ في الراحَتين، الاصابعُ

ويتذكر الشاعر صاحبته بعد نأيها متذرّعا بشيء من السلو الذاهل غير

محتمل صبوا لفراقها تضجّ في صدره امواج الحنين، اليها كما تحنُّ النوقُ الطربة الجارية إثر ولدها البازل، ويُلهب شوقَه حنينُ الأباعر هذه فيتلهف لزيارة سَلْمَاه، وأنّى له ذلك وقد انقطعت به السبيل الى ديارها، فكأن صاحبته مفارقة له الى الأبد فيصحو من غيبوبته ليغوص في حزن آخر يتذكر وداعه وهجره لها مقلّبا أمره، فتعتريه مسحة من اللوم لهجرها الذي لم يكن أبدا عن بغض وكره لها، ويحاول أن يتسلى على أحزانه، فاذا بالحب ينبض في قلبه مؤكدا تعلّقه بها الى أن يُوارى جسدُه في التراب، وأن محبتها لن تفارق هذا القلب متمكّنة في مضمره الى الأبد:

تَذَكّرُ سَلْمَى بعدما حلَّ دونها ... من النأي ما يسلي فهل أنتَ صابر
فأنتَ الى سَلمى تَحِنُّ صبابة ... كما حنَّ آلآفُ المطِيّ السَّواجِرُ
وماكنتُ أُدري قبلها أن ذا الهوى ... يزيدُ اشتياقا ان تَحِنَّ الأباعرُ
ألا حبَّذا سَلمى الفؤادِ وحبَّذا ... زيارتُها لو يُستطاعُ التَّزاوُرُ
لقد بَخِلتْ بالودّ حتى كأنها ... خليل صفاء غَيّبتْهُ المقابرُ
فإن أكُ قد ودَّعتُها وهجرْتُها ... فما عن تَقالٍ كان ذاك التهاجُرُ
اذا رُمْتُ عنها سَلْوَة قال شافعٌ ... من الحب ميعاد السُّلُوِّ المقابرُ
ستبقى لها في مُضمَرِ القلب والحشا ... سريرةُ حبٍّ يوم تُبْلى السرائرُ

ويتلقف الاحوص اخبار حبيبته البعيدة من القادمين، من تلك البلاد حيث يتعرض لكل راكب يستخبر عنها وقلبه ينفطر ألماً لفراقها ولكنه يقوم خلال محادثته مع مخبريه بعملية خداع لطيفة كي يستر هواه وليخفى على المحدِّث مرماه اذ يبدأ باستقصاء اخبار غيرها ليصل خلال مغامرة الحديث اليها متسائلا عن امور بسيطة مخفيا اشياء اخرى كرها كي لا ينكشف هواه ويفتضح امره محتفظا بسرّه وسرّها في مكان امين، مكين، ونفسه تضجّ بحاجات كثيرة يود قضاءها دون ان يستطيع اليها سبيلا فيناجي حبيبته التي سلبته عقله واخضعت عنفوانه لسلطانها

متضرعا اليها رحمة بفؤاده العليل الشاكي:

اذا ما أتى من نحو أرضك راكبٌ تعرّضتُ واستخبرتُ والقلبُ موجع
فأبدا اذا استخبرتُ عمداً بغيرها ليخفي حديثي والمخادع يخدعُ
وأُخفي إذا استخبرتُ أشياء كارهاً وفي النفس حاجات اليها تَطَلَّعُ
فسرُّكِ عندي في الفؤاد مُكتَّمٌ تضمَّنه منّي ضميرٌ وأضلعُ
ألا فارحمي من قد ذهبتِ بعقله فأمسي اليكم خاشعا يتضرَّعُ

وللاحوص اشعار كثيرة تعبّر عن شقائه لبعد حبيبته وتُظهر جزعه من فراقها واستلابه وهيامه في حبها وتُبدي شوقه للقائها وقد شفَّ جسمه الداء وأعمى عينيه البكاء واقلقه طيفها الطارق خياله في كل مرقد وادمى قلبه الحب المستكين، في جوفه لا ينزع عنه وهو لا يستطيع وسط كل هذه الهموم ان ينكث عهده معها ويفشي اسراها بل يظل وفيا لمودتها حافظا لها من السنة الاعداء وشفاه العذال.

د - النزعة الى أرض الحبيب:

الا حبَّذا سلمى الفؤاد وحبذا زيارتها لو يُستطاع التزاورُ
أبغضتُ كل بلاد كنتُ آلفها فما أُلائم الا أرضها بلدا

يتشوق الاحوص لزيارة مربع الاحباب إنِ استطاع الى ارضها سبيلا ليشفي ما به من عِلَلِ البعد وآثار الجوى حيث أصبح بعد فراقها يملُ كل أرض يحلّها اذا لم يكن فيها أنيسهُ الحبيب ولا يجد منيته إلا في بلد الخليل البعيد.

وتتفتق همة الشاعر إثر الحبيب المفارق وتقوى عزائمه على الرحيل طلبا لأنيسِ المهاجر، فإذا به يتبع صاحبته مقتفيا آثار ركبها يصعد ماضيا في الآفاق حيث صعدت بها الابل البيض ينزل ارض الغور تهامة إن هي أتْهَمتْ ويعلو بلاد الجلس نجد إن هي أنجدتْ، يقود راحلته الى أي بقعة من الأرض تحلّ بها صاحبته ويكثر تردّده الى أي مكان

تنزل فيه:

وانكِ إن تنزحْ بك الدارُ آتكم وشيكا وإن يصعدْ بكِ العيسُ أصعدِ
وإن غُرتِ غُرْنا حيث كنتِ وغرتُمُ أوَ ٱنجَدتِ أنجدنا مع المتنجّدِ
متى ما تحلّي من ذُرى الأرض تلعة أزُرْكِ ويكثر حيث كنتِ تردُّدي

ومحبة الشاعر لفتاة تفوق كل تصوّر، وشوقه اليها لا يعلو عليه شوق، وإلفه لأرضها لايدانية إلف، وهو لا يكترث لكل الناس دونها مستعدّاً لمغاضبة الجميع وترك كل الأماكن عدا البقعة الصغيرة التي تربع بها المعشوقة، لا يهتم إلا بالقرب منها:

والنـــــاس إن حَلُّوا جميعهم شِعْبـا سلامُ وأنــتِ في شِعْـبِ
لَحَللْـــتُ شِعْبَـــكِ درن شِعبِهم ولكـــان قُربي منكُم حَسْبي

وهو لا يكتفي بالرحيل الى ارض الحبيبة بل يتعدى ذلك الى طلب تكفينه حين موته بقميصها أو ثوبها الصغير وتغسيله بمياه بئر عروة الكائن في عقيق المدينة رمزا لوفائه واخلاصه في الحب ويذهب الى اكثر من ذلك فيجعل دار حبيبته محجة له دون البيت الذي يحج اليه الناس جميعا فهو مستعد للسير خلاف سبيل هؤلاء مُلِمًّا بدار الحبيب حتى ولو عاد منها بنفس الداء الذي حمله في ذهابه:

كـفّنـاني إن مــتُّ دِرعِ أرْوَى وَٱمْتَحـالي من بئر عروة مـائي
إنني والــــذي تحجُّ قريشٌ بيتــه سالكـين نَقْـبَ كَـدَاءِ
لَمُلِمٌّ بهـا وان أُبْــتُ منهـا صـادرا كالـذي وردتُ بـداءِ

هـ - حفظ السر:

كريم يُميتُ السرّ حتى كأنـه عَمٍ بنواحي أمرهـا وهو خـابرُ
لعمرُكَ ما استودعتُ سرّي وسرَّها سوانا حِذارا ان تضيع السرائرُ

يصور الشاعر صدقه في الهوى باساليب عديدة منها حفظه اسرار الحبيب فهو سموح أشمَ يدفن السرّ في اعماق احشائه ويتظاهر بجهل

امور حبيبته وتصرفاتها وهو يعلم كل ما يتصل بهواها لكي لا ينكشف هواها مخافة سطوة الاعداء. وهو يجتهد في كتمان سرّه وسرّها ولا يبوح به لأحد مخافة إفشاء امر هذا السرّ واعلان ما خبا من شأنه. واسرار الحبيب يكتمها الشاعر في فؤاده يحميها في حصن مكين، داخل أضلعه وفي ضميره حتى ولو هجرته حبيبته فانه يبقى وفيّاً لعهده معها يكنّ لها الشوق المحرق ويحفظ لها سرّا استودعته اياه غير مبالٍ بما زعمته صاحبته من أنه لا يحسن حفظ هذا السر:

فسرّكِ عنـــدي في الفؤاد مُكتّم   تضّمنــه مني ضمــيرٌ واضلــعُ

......

وحفظَ ما استودعت عندي قد زعمت   أن ليس يُحسن حفــظَ السرّ أمثــالي

والاحوص لا يأتمن احدا على اسراره لانه لا يجد احدا أمينا لحفظ هذا السرّ سواه فمن يحاول نزع سره يريد في الواقع كشف هذا السرّ المُضمر في فؤاد الشاعر حيث يصعب ستره اذا انكشف:

وقــال ائتمنَّـــا نَزْعَ سرَّك كلــه   ومـا أحـد عنـدي لـه بـأمينِ

يريـدون سرّاً مُضْمَراً قــد أكَنَّــه   فؤادي وبعضُ السر غيرُ كنينِ

ومن اهم مميزات هوى الاحوص الكتمان اذ نراه غير معلن لما كتم من امر الهوى واسراره فيقول:

لا بــائــح بالذي كتمــتُ ولا   ذو ملــلٍ ان نــأيتُــه مــذِقَ

وهذا ما يقودنا الى موضوع آخر.

و - التقلب والملل:

لا بـائـحٌ بـالـذي كتمـتُ ولا   ذو ملــل إن نــأيتُــهُ مَــذِقَ

يقطـعُ لـلأحـدثِ القـديمَ فـلا   تبقــى لــه خُلّــةٌ ولا خُلُــقُ

فالاحوص يظهر من خلال هذه الأبيات وفيا مخلصا لا يمذق الود اذا نأى عنه حبيبه وهو لا يقطع علاقته بحب قديم لينشغل بحب جديد

لأن من يفعل ذلك - حسب قوله - لا تُحفظ له صداقة ولا صحبة ولا يُصان له ودّ وخلق بين الاصحاب.

وتهجره صاحبته وتنشغل بهوى غيره وتعرض عنه في دلال اذا التقته فيخاطبها متمنيًا لها الهناء بحبها الجديد معتزما هجرانها دون بغض لها لعل ذاك الهجر ينسيه بعض آلامه ويحتفظ لنفسه بذكريات الأيام السالفة من حبها تلك الأيام الميمونة التي كان شأنه فيها زاهيا وكان يتمنى دوام حاله فيها يرعاها ويسقي ازهارها لتبقى مشرقة مدى الأزمان:

أقول لما التقينا وهي صادفة عنّي: لِيُهْنِكِ من تُدْنِيْنَهُ دوني
إني سأمنحكِ الهجران معتزما من غير بغض لعلّ الهجر يسليني
ومُثنيا رجع ايام لنا سلفتْ سقيا ورعيا لذاك الدّينِ من دينِ

ولكن هذا الموقف الحفيظ يقلبه الاحوص باقوال أخرى تناقضه وتُظهر الملال المتبادل ومقابلة الوصل بمثله ومواجهة الصرم والهجر بغير اكتراث. فاذا هي هجرته وصرمت حبل وصلها فانه لن يتصدّى لها يسألها اعادة المياه بينهما الى مجاريها بل سينفر منها ويقطع حبال المودة معها. فهو في طور الحب يحافظ على المودة ويواصل من يواصله إلا انه لا يمدّ سلك الوصل مع الملق الكذوب الذي يتقلب بهواه من حبيب الى آخر عند اندنى خطب يقع بينهما.

فان تصلي أصلْكِ وان تَبيني بصرمك قبل وصلك لا أُبالي
ولا أُلفى كمن إن سِيمَ صرماً تعرَّض كي يُرَدَّ الى الوصالِ
واني للمودَّة ذو حفاظ أُواصل من يهشُّ الى وصالي
وأقطع حبل ذي ملق كذوب سريع في الخطوب الى انتقالِ

وفي مقطوعة اخرى ينبِّه الاحوص صاحبته كي تَحْذر صرمه حتى ولو كان كلفا بها منذ عصور طويلة حفلت بصفاء المحبة بينهما لأن القلب دائم التقلب وهو اسم على مسمًّى والرأي لا قيمة له امام الاهواء التي

تتقلب في اطوار عديدة ويضرب لها الامثال مستشهدا باحباب مضوا قبلها وفرّق حبّهم الهجرانُ والخيانةُ:

لاتـــأمني الصرم منّي أن تَرَيْ كلفي وان مضى لصفـاء الودِّ أعصـارُ
مـا سُمِّيَ القلـبُ الا من تقلُّبـه والرأيُ يُصرَفُ والأهواءُ اطوارُ
كم من ذوي مِقَـةٍ قبـلي وقبلـكم خانوا فأضحوا الى الهجران قد صاروا

ز - العتاب:

وقد بدتْ ليَ من سُعدى مُعاتَبَةٌ أمسي وأضحى بها جَدّي وما سَعِدا
ولو أُعاتـب ذا حقـدٍ قتلتُ لـه نفسا معاتبتي إياكِ ما حقـدا

يصوّر الاحوص في هذين البيتين، حاله في عتابه مع صاحبته التي تحقد عليه لأدنى عتاب يصدر منه ما كان يحقد عليه منه حقود موتور في حين، نراه يأخذ عتابها بكثير من الجدّ حتى يشقيه التفكير الدائم ليل نهار بموضوع عتابها.

وفي شعر الاحوص الكثير من المقطوعات التي تحوي فقرات من العتاب لصاحبته يشكو فيها من مواقفها تجاهه ويحاول حثها على تغيير تلك المواقف منها قوله:

عوجوا كـذا نـذكر لغـانيـة بعض الحديث مطيَّكم صحبي
ونَقُـلْ لهـا فِيمَ الصـدودُ ولم نذنبْ بَلَ انتِ بدأتِ بالذنبِ
إن تُقبِلي نُقبِـلْ ونُنزِلُـكم منّـا بـدار السهـل والرحـبِ
او تُـدبِري تَكـدُرْ معيشتنـا وتُصَـدِّعي مُتـلائِمَ الشَّعـبِ

هذه صورة جميلة لراكب يستحث رفاقه على تغيير وجهة سير المطي ذنب تجاهها، متحملا تبعات ذنوبها، يدعوها للرجوع الى عهد الهوى حيث يفتح لها صدره واسعا رحبا ويستميحها العطف عليه والاقبال نحوه لأن في إدبارها كدر معيشته وتصديع ما التأم من حبها.

ولا ننسى ما بثّه من عتاب وشكوى لأم جعفر يستعطفها العفو عن

ذنبه ان اساء لها والشفقة على حاله من الهلاك بحبها مُثنيا عليها مُعظّما شأنها مقسما لها انه سيبقى على العهد مدة دوام مواصلتها في قوله:

هبيني امرءاً إمّا بريئا ظلمتِه   واما مسيئا مذنبا فيتوبُ
فلا تتركي نفسي شعاعا فانها   من الحزن قد كادت عليك تذوبُ
لكِ الله اني واصل ما وصلتني   ومُثْنٍ بما أوليتني ومثيبُ

وله في التماس العذر وطلب الصفح عن ذنبه الذي حُمّلَ قول جميل آخر يشبه ما سبق:

أقول التماس العذر لما ظلمتني   وحمّلتني ذنبا وما كنتُ مذنبا
هبيني امرءاً إمّا بريئا ظلمته   واما مسيئا قد أناب وأعتبا

ويناجي الاحوص حبيبته التي غدرته وخدعته وطاوعت اقوال الاعداء والعدّال بشيء من العتاب المرير متألما من هجرها الذي افرح الوشاة يائسا من محبتها لغيره وقد كانت في الأمس القريب لا تبغي به بدلا ولا تطيع به أحدا، فأصبح بعدها يعيش على عهد الهوى الماضي يصرُّ في صدره الشوق اليها وحفظ أسرار هواها:

فقلت لما اتاني انها ختر تْ   وطاوعت قول اعدائي وعذالي
إنْ تصرمِ الحبل او تُرضِ الوشاة بنا   أو تمسِ قد رضيتْ منا بأبدالِ
فقد أراها وما تبغي بنا بدلا   ولا تطيع بنا في سالف الحالِ

وفي هذه القصيدة صورة جلية لغلبة هوى الاحوص على صبره فتنذرع بالصبر لحبيبته على غدرها به وارضائها لأعدائه وعذاله.

حـ - اللوّام والعذّال والاعداء:

يا أيها اللائمي فيها لأصرمها   أكثرتَ إن كان يُغني عنك إكثارُ
ارجعْ فلستَ مُطاعا ان وشيتَ بها   لا القلبُ سالٍ ولا في حبها عارُ

ان كانت صاحبة الاحوص قد اطاعت في حبه مقالة الاعداء فانه لا يذعن في هواها لمن يلومه بل تراه يقطع حبال وشيهم ويرجعهم خائبين،

لا يصدق اقوالهم ولا يعيرها اي انتباه وفي مثل هذا القول يبادر احداهن غير متقبل لنصائحها المزعومة:

وسفيهــة هبــت عــليّ بسحرة جهـلا تلوم عـلى الثواء وتعـذلُ
فـاجبتها ان قلـتُ لستِ مطـاعـة فـذري تَنَصُّحـكِ الـذي لا يُقبلُ

وهو يواجه لوّامه بالعناد في حبّه ويضرب مسامعهم بعبارات الجوى والوجد المتمكن منه بصورة لا يمكن معها نزع هوى المعشوقة من فؤاده:

ولائمٍ لامني فيهـا فقلـت لـه قـد شفَّ جسمي الـذي ألقى بها ودمي

ويعاني الاحوص من اشارات الاعداء اليه باصابعهم وتتبُّعهم لخطاه في مواقف كثيرة منها بعض اقواله في ام جعفر التي مرّ ذكرها واشعار اخرى تحمل نفس المعاني متفرقة في ديوانه ولعل اصدقها قوله:

اذا جئت قالوا قد اتى وتهامسوا كأن لم يجد فيما مضى احد وجدي
.....
[ولو جئت معمورا قريبا لحيِّهم] لظلوا وايـديهم اليـك تشيرُ[١]

وأجمل صورة قدّمها الاحوص لحاله مع الاعداء تلك الصورة التي اودعها مقدمة احدى قصائده الطويلة والتي يصوّر فيها اعتزاله دار الحبيب حذر الاعداء ويصدُّ عن الدار خشية مقالة اللّوام والعذّال ويتجنّب بيت الحبيب إرضاء للبغيض المكره وصونا لحبّه من الاقوال الجانية:

يـا دار عـاتكـة الـذي أتعزَّلُ حـذر العـدى وبـه الفؤادُ موكّـلُ
أصبحتُ أمنحكَ الصدود وإنني قسما اليـك مـع الصـدود لأَميـلُ
فصـدذتُ عنـكَ ومـا صـددتُ لبغضـة أخشى مقالـة كـاشحٍ لا يعقـلُ
وتجنُّـبي بيـت الحبيـب أودُّهُ أُرضي البغيض به حديث معضلُ

وقالوا ان مطلع هذه القصيدة استقاه الاحوص من قصيدة أخرى لسليمان بن أبي دباكل مطلعها:

---

(١) لم تنقل المصادر سوى عجز هذا البيت ولعل صدره ما أثبتُّ.

يا بيت خنساء الذي أتجنَّب ذهب الزمان وحبها لا يذهبُ
أصبحتُ امنحكَ الصدود وانني قسما اليك مع الصدودِ لأجنبُ

فعارضه الاحوص في قصيدته هذه. والأحوص وان أغار على قصيدة سليمان فقد أربى عليه في الاحسان وكان كما قال ابن المرزبان: «ولكنه أخذه ماجا ورده عاجا وغل قطيفه ورد ديباجا».

ط - وصف المرأة:

وعهدي بها صفراء رودا كأنما نضا عرق منها على اللون عسجدا
مهفهفة الأعلى واسفل خلقها جرى لحمُه من دون ان يتخدَّدا
من المدمجات اللحم جَدلاً كأنها عنان صناع مدمج القتل مُحصدا
كأن ذكيَّ المسك منها وقد بدتْ وريح الخزامَى عرفه ينفح الندا

ما اجمل هذه الصور التي رسمها الاحوص لحبيبته الرقيقة اللون التي يضرب بياضها في الغداة الى الحمرة ويميل في العشي الى الصفرة وهي شابة رخصة يخلع عليها العرق مسحة من اللون تضيء وجهها فيتلألأ كالدرّ أو الذهب. خميصة البطن دقيقة الخصر في أعلى جسدها ضمور ورشاقة وفي اسفله ترى لحمها مُحكم الفتل دون اضطراب او تشنّج شديد الجدل غير مترهّل فكأنها حبل أُحكم جدله صانع حاذق ماهر وكل هذه الاوصاف تدل على استواء لحمها ورشاقة قوامها الى جانب هذه الصورة الحسية تفوح رائحة المسك الذكية وريح الخزامى العطرة نافحة حولها أطيب روائح الندّ.

وفي مثل هذه الصورة من الدقة في الخصر والخمص في البطن والامتلاء في الساقين، والذراعين، حتى لا يكاد يسمع لحليها صوت يصف الاحوص سلامة بقوله:

غـــادة تغرث الوشاح ولا يغـ ـرث منهـا الخلخـال والاسوارُ

ويربط الأحوص بين جسد المرأة ومشيتها، حيث يؤثر ثقل العجيزة الممتلئة على خطواتها، فلا تستطيع العدو بسرعة، فتنتقل بطيئة الخطو

متقاربة النقلات، وفي مشيها نوع من التحيّر والدهشة أو الخفر والحياء فيقول:

قطوف المشي اذ تمشي ترى في مشيها خَرَقَا
وتُثقلها عجيزتُها إذا ولّتْ لتنطلقا

ويتطرق الاحوص لوصف مشية المرأة وقوامها في قصيدته الرائية التي يقصّ فيها مغامرته مع النسوة الخمس، فترى صاحبته تمشي متمايلة ناعمة، لينة، وهي طويلة ممشوقة ضامرة البطن، وعليها ألوان من مرح الشباب ونشاطه وفي وجهها الحسنِ المنيرِ، كأنه البدر، نضرةُ الشبابِ ورونقُه:

قامت تُخاصره لكلّتها تمشي تَأود غادة بكرُ
سيفانة أَشَرُ الشباب بها رقراقة لم يُبْلِها الدهرُ
سفرتْ وما سفرتْ لمعرفة وجها أغرَّ كأنه البدرُ

ويبالغ الاحوص في تصوير رقة جلد صاحبته ونعومتها ونضرة شبابها حتى تراها تتأثر بدبيب حولي الذر تحت ثوبها ويُخْدَش جسمُها من هذا الدبيب:

لو دبّ حوليٌّ ذرٍ تحت مِدرعها أضحى بها من دبيب الذرّ آثارُ

ووقف الاحوص عند جزئيات جسد المرأة فوصف تفرق ثنايا ثغرها وتحزز أسنانها وبياضها فشبّهها ببرد سحابات الصيف وشبَّه اللمعان والروعة في عينَيْ حبيبته عند رحيله بمثيلها في مقلتي ظبية ذات طفل منفردة عن قطيعها يعصرها الأسى والحنين، فتبرز في عينيها مسحة من الدمع تتلألأ معها العيون. وحبيبة الاحوص يانعة الجسد ثمرُهُ أدرك مواسِم قطفه، تُشبه الأراك بطولها والمُكّاء بصوتها. ويهتم بوصف حُليّها التي تُزيّن صدرها وجودة صناعة هذه الحليّ المضيئة كأنها جمر شجر الغضا الذي يُعَدُّ من أجود الوقود:

قامت تُريكَ شتيت النبت ذا أُشُر كأنه من سواري صَيّفٍ بَرَدُ

ومُقلتَيْ مُطفِلٍ فَرْدٍ أطاع لها بَقْلٌ ومَرْدٌ ضفا مكّاؤه غَرِدِ
يزين لُبَّتها درّ تكنّفه نُظّامه فأجادوا السَّرْد إذ سردوا
دُرّ وشَذْرٌ وياقوت يفصّله كأنه إذ بدا جمر الغضا يَقِدُ

II - المدح:

تصدير - لعلّي لا ابالغ كثيرا اذا قلت إن الاحوص كان اكثر الشعراء هوى لبني أُمَّية فقد وقف مدحه عليهم لا يعدوهم فلا نقرأ خبرا يدل على مدحه لغيرهم كما كان يفعل باقي الشعراء في عصره. ولاتجاه الأحوص الى بني أمية واقتصاره على مدحهم، أسباب عديدة لم يبخل الشاعر بتسجيلها في طيات قصائده، حيث كان يعرض حاله مع ممدوحيه بواقعية وصراحة لم يعرفها الشعراء ولم يتّخذها أحد غيره في ذلك العصر وما تلاه.

فالأحوص كان - كما نعلم - يُرمى ببعض السوء ويُعَيَّر في قومه بما وضع فيه نفسه من السفه ودنيء الأخلاق، وكان مخاصما لقومه فأوسعهم هجاءً وشراً حتى لم يبقَ له فيهم صديق، فكانت رحلته الى بني أمية، حماةِ الدولة، وموضعِ المجد، ومدحُه لهم وتقربُه منهم، تَقِيْهِ بعض تبعات الإهانة وترفع له شأنا في المدينة يتباهى به فيقول:

قوم ولادتهم مجد، يُنال بها، من معشرٍ ذُكروا في مجد من وَلَدوا
......
وأَوْقدتُ ناري باليفاع فلم تدعْ لنيران أعدائي بنعماكَ موقدا
فكم لك عندي من عطاء ونعمة تسوء عدوا غائبين وشُهَّدا

فهو ينال العز والرفعة بتودده الى بني أمية واحتمائه بسلطانهم. ولا ننسى ان الاحوص كان لاهيا عابثا يتهالك على الملذات ويجاري الاغنياء في لباسهم ومعشرهم وهذا الامر مُكْلِف يتطلب الكثير من المال ولم يكن الشاعر مُثريا كما يقول فاضطره هذا الأمر الى الاتصال

بالأمويين، طلبا للاعطيات ودفعا للدين الذي لحق به واستغاثة بكريم نوالهم:

وَما كان مالي طارفا من تجارة ولا كان ميراثا من المال مُتلدا
ولكن عطايا من إمامٍ مبارك ملا الارض معروفا وعدلا وسؤددا
شكوت إليه ثقل غرم لو أنَّه وما أشتكي منه على الفيل بَلَّدا
......
فدَعْها وأخلف للخليفة مدحةً تُزِلْ عنك بؤسى أو تفيدك أنعما
......
فقلت إن ابا حفص تداركني منه نوال كفاني الدَّيْن والسفرا
وشرَّد الهمَّ عنّي بعدما حَضَرت منه حواضر لا أنوالها صدرا

وقد اكثر الاحوص من الاستجداء في مدحه وبالغ في طلب المال والاعطيات وغالى في شكواه من الديون والهموم المترتّبة عليها حتى قال عنه كُثَيِّر «انه لضرع قبّحه الله[1]».

وهناك سبب آخر حدا بالأحوص لمدح بعض الأمويين، هو زواج عبد العزيز بن مروان من احدى قريبات الشاعر فكان الأحوص يذكّر كلاً من عبد العزيز وابنه عمر بهذه القرابة متوسّلا بها كريم عطائهما معتزّاً بهذه القرابة التي ترفده وتغنيه:

اني وجدّكِ يدعوني لأرضهم قرب الأواصر والرفد الذي رفدوا
أغنتْ قرابتُه وكان لزومه أمرا أبان رشاده من يعقلُ

وكان الأحوص يعتبر ان مدائحه في بني امية موقوفة على عبد العزيز وابنه دون غيرهم، وان مدح سواهم فما يكون ذلك الا لأجلهم وارضاء لقرابتهم فيقول:

---

(١) - الموشح ١٨٨ الاغاني (ث) ٩/٨.

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة فما هي الا لابن ليـــلى المكرّمِ

.....

فـلأشكرنَّ لـك الـذي أوليتني شكرا تحلُّ بـه المطيُّ وترحـلُ
مِدَحاً تكون لكم غرائب شعرها مبـذولـة ولغـيركم لا تُبـذَلُ
فإذا تنخَّلتُ القريض فإنه لـكم يكون خيـار مـا أتنخَّـلُ
أثني عليكم ما بقيتُ فإن أمتْ تخلـد غرائبهـا لـكم تتمثّـلُ

واخلص الأحوص في مدح بني أمية واستجدائهم دون غيرهم لأنه كما يقول يتوارى خجلا من جرمه ان طمع بعطاء من سواهم ويلحق به العار من جراء هذا العمل:

وإني لاستحييـــكم ان يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمعُ
وان أجتدي للنفع غيركَ منهم وأنـت أمـام للـبريـة مقنـعُ

ولطالما أثنى الأحوص على ممدوحيه الأمويين، شاكرا لهم عطاياهم، حامدا نعمهم فيه، مُعظّما صدقهم في معاملته ووفاءهم لوعودهم التي وعدوه، الا انه كان في غير ذلك يركز مدحه لهم على أمور خمس هي «الكرم» «وحسن الصنيع والاخلاق» «ومجد النسب» «والعزّ والسلطان» «والإمامة والتقوى».

- الموضوعات الكبرى في مديح الأحوص:

١ - الكرم:

الأكرمون طوال الـدهر ان ذُكروا والمجتدون اذا لا يُجتدى أحدُ

في نظره بنو مروان أكرم الناس على الإطلاق، حتى لا يجد الأحوص من يسأل حاجة سواهم أو سوى ممدوحه عبد العزيز الذي يُعتَمد على سيله الجاري في الاستسقاء وطلب العطاء، ونوافلُه لا تُخلف أحداً إذ لا تنقص آباره الدافقة فكأنه والنيل في موقع واحد:

والمجتـدي موقن أن ليس يُخلفـه سيـبُ ابن ليلى الذي ينوي ويعتمـدُ

لو كان ينقص ماء النيل نائله أمسى وقد حان من جماته نفدُ

اما الوليد فهو في نظر الأحوص بحر متدافق جواد يعطي في كل الأحوال:

سأطلب بالشام الوليد فإنه هو البحر ذو التيار لا يتغضغضُ

وهو الأمين لمفاتيح العطاء والرحمة وهو مطر الخصب الذي يحيا الناس بما يُجريه عليهم:

فإن بكفَّيه مفاتيح رحمة وغيث حياً يحيا به الناس مرهما

اما يزيد بن عبد الملك فهو المانح دائما، لا يمنعه عطاء اليوم من اجراء اضعافه في الغد، يُكثر من بذل المال والجود بما في كفَّيه حتى تحسب كرمه مخلدة لو كان الانسان مخلّدا في الحياة:

وليس عطاء كان منه بمانع وان جلَّ عن اضعاف اضعافه غدا

ولو كان بذل المال والجود مُخلدا من الناس انسانا لكنت المخلَّدا

٢ - حسن الصنيع والاخلاق:

والقائلون بفضل القول ان نطقوا عند العزائم والموفون ان عهدوا

من تمسِ أفعاله عارا فإنهم قوم اذا ذُكِرَتْ افعالهم حُمِدوا

يُجري الأحوص على بني مروان مجموعة من الخصال الحميدة كالنطق بأفضل الكلام عند الشدائد والوفاء بالعهد وصلاح الأفعال التي يحمدون عليها في الآفاق، فأفعالهم مرضية لا عيب فيها، وهم منيعون، مرهوبو الجانب كما يقول:

وفعلك مرضيٌّ وريعك جحفل ولا عيب في فعل ولا في مركَّب

وتكاد تطغى هذه الأوصاف على مجموع مديح الأحوص لبني أمية فيقول في يزيد بن عبد الملك:

ولي منك موعود طلبتُ نجاحه وأنت امرؤ لا تُخلف الدهر موعدا

ويخاطب عمر بن عبد العزيز بمثلها مُثنيا على سمو أخلاقه وكرمه، معظّما

صدقه في وعوده ووفاءه بها وحلمه الواسع وعطاءه الجزيل:

وسموتَ عن اخــلاقهم فــتركتُهم　　لنــــداك،ان الحــــازم المتحوِّلُ
ووعدَتني في حاجتي فصدقتني　　ووفيتَ اذ كذبوا الحديث وبدَّلوا
تعفو اذا جهلوا بحلمـــــك عنهم　　وتنيــل إن طَلَبوا النوال فتُجزلُ

٣ - مجد النسب:

قوم اذا انتسبوا الفيــتَ مجــدهم　　من أوّل الدهر حتى ينفد الأمدُ
اذا قريش تسامــت كــان بيتهم　　منها إليـه يصـير المجدُ والعـددُ
يبني عـلى مجـد آبـاء لـه سلفوا　　يَنْمَى لمن ولدوا المهد الذي مهدوا

ينطق الأحوص في هذه الابيات مبِّينا مجد بني مروان ونسبهم العريق منذ أوائل عهد الخليفة الى آخر أيام الخلق فهم اشراف قريش تلك القبيلة السامية وبيتهم فيها مجمع المجد والقوة وكثرة العدد وهذه المفاخر تواترت من السلف الى ممدوحه عبد العزيز وهو يبني على أُسسها المتينة الراسخة امجادا اخرى يُورثها لخلفه. وهو خالص النسب صافي العرق كريم الحسب ونسبه مصقول لامع مشهور كالسيف القاطع فهو فرع من التوأمين: عبد شمس وهاشم اللذين يجمعان عظمة النسب وعلو الشأن والى عبد العزيز انتهى هذا الشرف الثابت في الآباء وكرم الأفعال ونصاعتها:

أغرُّ لمروان وليــــلى كـــأنــــه　　حسام جلتْ عنه الصياقل قاطعُ
هــوالفرع من عبــدَيْ منـــاف كليهما　　اليـه انتهتْ احسابُها والـدسائعُ

وفي مثل هذه الصفات والامجاد الاصلية يمدح الأحوص عمر بن عبد العزيز فيقول:

ولــــه اذا نُسبــــت قريش منهم　　مجـد الأرومـة والفعـال الأفضـلُ
ولـــه بمكـــة اذ أميـــة اهلهـــا　　ارث اذا عُـــدَّ القـــديمُ مؤثّـــلُ

اما يزيد فهو في نظر الأحوص كريم قريش في نسبه وهو ملكها الذي

أقرَّت له بالملك عن آخرها وهو وارث الأمجاد عن آبائه الكرام:

كريم قريش حين، يُنسب والذي اقرَّت لـه بـالملـك كهلا وأمردا
تردّى بمجـد من أبيـه وجـدّه وقـد أورثـا بنيـان مجد مشيّـدا

٤ - العزة والسلطان:

والمانعون فلا يُسطاعُ ما منعوا والمنجزون لما قالوا اذا وعدوا
صقرٌ اذا معشر يوما بـدا لهم من الأنام وان عزُّوا وان مجدوا
رأيتهم خشَّعَ الأبصار هيبته كما استكان لضوء الشارق الرَّمِدُ

وهذه مأثرة اخرى تضاف الى مآثر ممدوحي الأحوص حبكها لهم في منظومات اخلدت ذكرهم فهم اصحاب السطوة والقدرة لا يستطيع أي قويّ مهما بلغت قوّته ردّ ما منعوا وهم القادرون على انجاز كل ما قالوا والوفاء بوعودهم اما فتى بني أمية عبدالعزيز فإنه مثال العزة والسلطان تهابه الجبابرة وتخشع أبصار الناظرين اليه كأن في عيونهم الرمد ينحنون أمام شمس عزَّته وسطوته، يتواضع أمامه الاعزاء في الأرض ويقنع بكريم فعاله الاغنياء فيها، فهو مهيمن على من تحت سلطانه كالموت وهو المطر المخصب الذي يمنحهم عصب الحياة ونشاطها:

وكـل غنيّ قـانـع بفعـالـه وكـل عزيز عنـده متواضـعُ
هو الموت احيـانـا يكون وانـه لغيث حَياً يحيا به الناس واسعُ

اما عمر بن عبدالعزيز فهو القوي العظيم كأنه الصقر الجارح في فضاء واسع وكأن الرجال من حوله كالطيور الضعيفة التي تختبيء جزعا من سطوته اذا بدا لها او هَمَّ باقتناصها، فهم لا يستطيعون انكار مالَهُ من السلطان عليهم ورفعة الشرف فوقهم،وبلغ من قدرته وعزته وعدله مكانة هيمنت على سماء المدينة حين، كان اميرا عليها فأمن البريء بها لثقته بعدله ونام الاعزل قرير العين، متسلّحا بسلطة عمر وسلطانه:

تُبدي الرجال، اذا بدا إعظامه، حـذر البُغـاث هوى لهن الأجـدلُ

فـــيرون ان لـــــه عليهم سورة　　وفضيلـة سبقـت لـه لا تُجهـلُ
وأرى المدينة حين، صرت أميرها　　أمن الـبريء بهـا ونـام الاعزلُ

والوليد في نظر الأحوص صاحب الغنى والعزّ والسلطان ينزع العزّ والغنى ممن يُثير غضبه ويسبغهما على من يكسب رضاه وهو الموت المحتّم لمن حاول التململ في سماء سلطانه:

ينـال الغنـى والعز من نـال ودَّه　　ويُرهـب موتـا عـاجلا من تشأَمـا

اما معاوية أو ابنه يزيد فهو الملك القادر الذي تخضع لسلطانه الملوك وهو صاحب هيبة وسطوة كادت تزول لها الجبال ،وتستكين، لحكمه الامصار من مشرقها الى مغربها:

ملـك تـدين لـه الملوك مبـارك　　كـادت لهيبتــه الجبــال تزولُ
تُجبـى لـه بلـخٌ ودجلـة كلهـا　　ولـه الفرات ومـا سقـى والنيـلُ

٥ - التقوى والامامة:

إمام اتـاه الملـك عفوا ولم يُثِبْ　　على ملكه مالا حراما ولا دما
تخيَّره ربُّ العبـــاد لخلقـــه　　وليّـاً وكـان الله بـالنـاس أعلما
فلما قضـــاه الله لم يـــدعُ مسلما　　لبيعتــــه إلاّ أجـــاب وسلّما

هذه الأبيات تحمل من المعاني صورا تُعجب الوليد وغيره من بني أمية وفيها من الغلوّ والمبالغة ما لم يطرق آذانهم من مديح ،فهو لا يمدحهم بالسياسة والحزم كما كان يفعل الأخطل وغيره وانما خلع عليهم جبة الامامة الدينية وثوب التقوى وغيرها من الألوان التي كان الشيعة يمدحون بها أئمتهم. والوليد - كما يقول الأحوص - إمام لم يسفك الدماء ولم يظلم احدا في ملكه وانما أتاه الملك عفوا ولم يعطِ فيه جائزة من مال حرام ،وهو الامام المختار من عند الله العالمِ بخير البشرية وصلاحها، ارتضاه الخالق لخلقه واجمعت كل الفئات والاحزاب الاسلامية على بيعته والاستجابة لامامته. والاحوص يحاكي في هذه

الأبيات أقوال الشيعة الذين يعتقدون بأن النبي (ص)أوصى بالخلافة لعلي ابن أبي طالب(ع) وان هذا الاختيار كان من عند الله،فقام الأحوص يخلع على الوليد سمة الولاية التي يُعرف بها علي(ع) وينفي عنه صفات الظلم وسفك الدماء واكل اموال الناس بالحرام،هذه الصفات التي علقت بهم وتداولتها ألسنة الشيعة في ذاك الزمان وسطّرتها هاشميات الكميت واقوال غيره من الشعراء الهاشميين.

وكان الاحوص يكثر من وصف ممدوحيه الامويين بالامامة ومنهم عبد العزيز الذي يقول فيه «امام دعانا نفعه المتتابع «وعمر بن عبد العزيز الذي وصفه الاحوص بانه «امام للبرية مقنع» ويزيد بن عبد الملك الذي جرى على ما تعود من سنة آبائه يهدي إلى ما فيه الخير:

أهان تلاد المال في الحمد انه امام هدىً يجري على ما تعودا

ويحاول الاحوص نفي ما عُرف به يزيد بن عبد الملك من الفسق والمجون والخروج عن صراط الدين السويّ فيجعل في يزيد الامام القوي الذي أعزّ الدين واهله واذلّ الكفر واهله واتّبع الصراط في حكمه واظهر الحق وازهق الباطل:

عمَّ معروفُه فعزَّ به الديـ ـنُ وذلَّتْ لملكه الكفارُ
وأقام الصراط فابتهج الحـ ـقُّ مُنيرا كما أنار النهارُ

ولا شك في ان الامويين كانوا، يعجبون بهذه النغمات المغالية في مدح الاحوص لهم وكان ينفلون الاحوص عليها الألوف من الدنانير التي بعثرها في لهوه ومجونه. وقد سرت هذه الاقوال في الناس سريعا لاتساع الغناء بها.

وكان الامويون يرسلون في طلب الشاعر كلما اشتاقت اذانهم لسماع مثل تلك النغمات التي تهزّهم طربا وتشيع رغبات دفينة في طياتهم وتدافع عنهم وعن سلوكهم في الحكم المتسلط. ولربما جاز لنا بعدما قدّمنا

من مدائح الاحوص لبني أمية ان نعتبر الاحوص شاعر البيت الاموي دون منازع ورسولهم في الشعراء وسفيرهم في المدينة التي كانت باكثرها تكنُّ الحقد والخصومة للبيت الأموي وتسعى لتقويض اركان حكمهم. ولو وصلنا كامل شعره لامكننا ان نتبين، بوضوح هذه المميزات التي طبعت مدح الاحوص لبني امية.

III - الهجاء:

تصدير: اشتهر الاحوص بين، قومه بالهجاء فملأهم شرّا حتى لم يبق له فيهم صديق وسبق لنا ان بيَّنا حاله مع قومه التي شرحها الاحوص في غيرِ قصيدة من شعره واكثرها دلالة على ذلك قوله:

فكم نزلت بي من خطوب مهمة　　خذلتم عليها ثم لم اتخشَّعِ
وقد أبقتِ الحرب العوان وعضُّها　　على خذلكم منّي فتى لم يُضَعضَعِ
فعانيت ما بي اذ رأيت عشيرتي　　بمرأىً معا ممَّا كرهت ومِسمعِ
فأدركت ثأري والذي قد فعلتم　　قلائد في اعناقكم لم تُقَطَّعِ

اذن كان ثأر الاحوص من قومه ومن خصومه الاخرين ينصبُّ في قلائد شعرية يصوغها الشاعر محكمة السبك ويطوّق بها اعناق اخصامه فيسمهم بعارها مدى الدهر.

ويمكننا ان نلاحظ في هجاء الاحوص اتجاهين: الاول شخصي والاخر سياسي.

١ - الهجاء الشخصي:

معظم الاشعار التي حبكها الاحوص لاخصامه في قومه تنحو ناحية شخصية وتحمل في ثناياها معاني وموضوعات محدَّدة كالتعبير بِضعَةِ النسب وخبث الشخصية والفعال والتقصير في نيل المكارم ولعل هذه الصفات جميعا تلتئم في هجاء الشاعر لشيخ مُثْرٍ من بني حرام يقول فيه:

وشرّ الحراميـــين، ذو السنّ منهم وخير الحراميين، يَعْـدُلُـهُ الكلبُ
فان جئت شيخا من حرام وجدتَه من النَّوكِ والتقصير لُيس له قلبُ
فلو سبَّني عونٌ اذاً لسببته بشعري او بعض الأُلى جدُّهم كعبُ
أولئك أكفاء لبيـتي بيوتهم ولا تستوي الأعلاث والأقدح القضبُ

ففي هذه الابيات يُلصق الشاعر الشرّ بالقبيلة كلها ويضع خيرهم في مستوى الكلب حقارة وهم على درجة من الحمق والتقصير افقدتهم الافئدة يتعرض شيخ منهم للشاعر شاتما وليس بكفيءٍ له ولا يصل بنسبه الى علو نسب الشاعر الذي لا يردُّ الشتيمة الا لمن كان يعادله في نسبه كعون بن محمد بن علي بن ابي طالب واحفاد كعب بن لؤي. وهذا فخر للشاعر بنسبه ممزوج بالصاب المُرِّ من الهجاء المقذع حيث يشبّه بني حرام بالاعلاث المقطعة اليابسة وهو السهم الرقيق المشوق الذي ينفر عنهم سموا وحسنا.

وفي مقطوعـــة أخرى يستهزئ الشاعر من زهو معن بن حميـــد الأنصاري عليه بطريقة مزرية، فيذكره بأن جدّه صهيبة لا يملك المنصب الكريم في بني عوف بن مالك بن الأوس، حيث ينكرهم بنو عمرو بن عوف وبنو جحجبى ويقربهم بعضُ بني عبد الدار، يستنكر الأحوص تِيْهَ معن وتكبُّره وهو القاصر على الاتيان بصغير الامور ويسيرها:

رأيتــك مزهـوّاً كــأن ابــاكم صهيبة أمسى خير عوف مركّبا
تُقرِّبكُمْ كَوْثَى إذا ما نُسِبْتُمُ وتُنكِرُكم عمرو بن عوفٍ وجحجبى(١)
عليك بأدنى الخطب ان انتَ نلته واقصر فلا يذهب بك التيهُ مذهبا

وكان الاحوص سريع الخاطر سليط اللسان يلذع كل من حاول مضايقته والتعرّض له وهذه الامور جليّة في اخبارة لا سيما مع الفضل بن العباس

---

(١) - في الديوان (عمرو بن عوف بن جحجبى) وليس في أولاد جحجبى من اسمه عوف بل ان بني جحجبى بن كلفة هم أحد بطون بني عمرو بن عوف من الأوس (جمهرة انساب العرب ٣٣٣ و ٣٣٥).

اللهبي ومعبد وابن صياد وسعد بن مصعب الزبيري وغيرهم ولعل اقذع جواب له ما قاله لمجمّع بن يزيد بن حارثة:

وجُمِّعتَ من اشياء شتّى خبيثة   فسُمِّيتَ لما جِئتَ منها مجمّعا

اما هجاؤه للشاعر السريّ بن عبد الرحمن فآية في الروعة الشعرية وكتلة من ادنى الصفات يصفع بها الشاعر مهجوه، يلقّنه بها درسا لا يعود بعده الى معاكسة الشاعر والتعرض له فيقول:

ومولى سخيف الرأي رخوٍ تزيده   أناتي وعفوي جهله عنده ذمَّا
دملتُ ولولا غيره لاصبتُه   بشنعاء باقٍ عارها تَقِرُ العظما
وكانت عروق السوء أزرت وقصَّرت   به ان ينال الحمد فالتمس الذمَّا
طوى حسدا ضِغْنا عليَّ كأنما   أداوي به في كل مَجمعة كَلْما

هذه صورة من مختارات الصور في الهجاء، يظهر فيها السريُّ هشا، لينا دنيء الاصل، سخيف الرأي، يُقابِل حلم الاحوص بالذّم ويداريه الاحوص لقاء انسبائه واصحاب ولائه ولولاهم لسبك له قلادة شنعاء يحكّمها في رقبته تسمه بالعار مدى الدهر وتصدّع عظامه وتُنزل مقامه بين القوم. فالسري - حسب قول الاحوص - رضع عصارة الجهل من عروق السوء التي انبتته وضيعا لا يلائم الاخلاق الحميدة بل ينطوي على الحسد والكراهية ملتمسا بها الشتيمة التي تناسب طباعه فهو يجهل على الاحوص ولا يرد الاحوص عليه بالمثل بل يقابله الحلم والرضى ولكنه لا ينزع عن طباعه اللئيمة فيخاصم الاحوص في الرخاء ويستنجد به في الشقاء ويدفع عنه الاحوص شرّ جرائمه ويحميه من العقاب ولكنه يخذل الاحوص ان بدا منه اي ذنب:

ويجهل احيانا فلا يستخفّني   ولا اجهل العتبى اذا راجع الحلما
يصدّ وينأى في الرخاء بودّه   ويدنو ويدعوني اذا خشي الهضما
وامنعه ان جرَّ يوما جريرة   ويُسلمني إن جرَّ جارميَ الجُرما

ويعود الاحوص بعدها الى الفخر بمآثره وامجاده والنيل من نسب السريّ والتعريض بافعاله الدنيئة اذ لم يزل يدور في احياء مالك يشتم الاحوص وكأنه كلب ينبح النجم الساطع ولكنه لن يبلغ منزلة الشرف التي بلغها الشاعر فهو يدّعي النسبة الى زيد بن مالك بن عوف من الأوس وليس لأبيه وامه جذور أصيلة في هذا البطن بل هو مولى فيهم وتاريخ بني مالك يشهد بان خصم الاحوص هذا عبد بينهم وجدير به ان يهيم ملتمسا له اصلا في غير مالك. ومن ثم يعود الاحوص الى تحذير السري من عدائه الذي لن يزيده الا ذلاّ ومهانة:

وكنت وشتمي في أرومة مالك ... بسبْي به كالكلب اذ ينبح النجما
وتُدعى الى زيد وما انت منهم ... تحقٌّ اباً الا الولاء ولا أما
وانك لو عدَّدت احساب مالك ... وايامها فيها ولم تنطق الرجما
اعادتك عبدا او تنقَّلتَ مكديا ... تَلَمَّس في حيٍّ سوى مالك جِذْما
ستعلم ان عاديتني فقع قرقر ... امالاً افدتَ لا أبالَك أو عدما

٢ - الهجاء السياسي:

أخاف أن لا اجانب الحق ان اعتبرت الخصومة بين الاحوص وابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم خصومة سياسية في اصولها بل هي في الاساس خصومة شخصية حُشرت في أتون السياسة لان الاخير كان قاضي المدينة ومن ثم واليها فترة من الزمن. فجاء هجاء الاحوص له شخصيا مصبوغا بالوان سياسية محدّدة لان الاحوص كان كما ذكرنا من روّاد مركز الخلافة ومن المقربين الى الخلفاء الامويين، وهذا ما جعل هجاءه لابن حزم يتناول بعض الاعمال العدائية التي نفّذها اجداد الحزمي ضد الامويين، محرّضاً الخليفة على معاقبته والايقاع به:

لا تأوينَّ لحزميٍّ رأيتَ به ... ضُراً ولو أُلقِيَ الحزميُّ في النارِ
الناخسين بمروان بذي خُشُبٍ ... والمُقْحَمين على عثمان في الدارِ

وفي عهد سليمان بن عبد الملك تمتع ابن حزم بمباركة الخليفة في ظلمة للاحوص فجاء هجاء الاحوص له استنكارا لاعماله ومحاولة للنيل من مركزه ولم يسلم سليمان بن عبد الملك من غضبه الشاعر فعرَّض به وكأنه يريد التدليل على جور الخليفة في أحكامه وضعف بصيرته لتعيينه ابن حزم إماما للحجاج المدنيين، فيقول:

سليمان اذ ولاّك ربك حكمنا وسلطاننا فاحكم اذا قلت واعدلِ
يؤم حجيج المسلمين، ابن فرتني فهبْ ذاك حجا ليس بالمُتقبَّلِ

وكثيرا ما عبَّر الاحوص خصمه بنسبته الى فرتنى «وهي ام لبني حزم في الجاهلية من بلقين، كانوا ينسبون بها وقد طرحوها من كتاب النسب»[1] واضاف الى هذا التعبير الوانا من التهديد والوعيد من شر مخاصمته له فيقول:

لعمري لقد اجرى ابن حزم بن فرتني الى غاية فيها السّمامُ المتمَّلُ
وقد قلت مهلا آل حزم بن فرتني ففي ظلمنا صابٌ مُمِرٌّ وحنظلُ

وفي اشعار اخرى يُكثر الاحوص من الاستهزاء بمكانة ابن حزم والتندّر بافعاله والتعبير له بامهم المذكورة.

ولم يشتهر الاحوص في شبابه وكهولته بخوض غمار الهجاء السياسي بمعناه التام لانشغاله باللهو والمجون وملاحقته الغانيات في المدينة الا انه في اواخر ايامه طرق باب الهجاء السياسي طمعا بودّ يزيد بن عبد الملك فهجا يزيد بن المهلب في وقت احجمت الشعراء عن هجائه ووسمه بالغدر ونكث العهود والتوغّل في الغواية والباطل حتى ضجّت باخباره الشريرة مسامع الخليفة فاباده وجماعته وتركهم في براري بابل طعمة للضباع والوحوش كأنهم أصيبوا بنازلة شديدة من نوازل الدهر القاسية فقال:

---

(١) - الاغاني (د) ٤/ ٢٣٧.

ومازال ينوى الغدر والنكث راكبا　　لعمياء حتى استكّ منه المسامعُ
وحتى أُبيد الجمع منه فاصبحوا　　كبعض الأُلى كانت تصيب القوارعُ
فاضحوا بِنَهْرَيْ بابل ورؤوسهم　　تخبٌّ بها فيما هناك الخوامعُ

ولم يتعرض الاحوص في هذا الهجاء الى الخصومة الدينية والعقائدية التي كانت تدور في زمن بني أمية بل طرق بعض اعمال ابن المهلب الخارجةعن سلطة الخليفة ورضاه ووصف فيما بعد نهايتهم دون ان يتعرض الى الخصومة الدينية والعقائدية بين الخليفة والوالي المقتول.

IV - الفخر:

تعرض الاحوص في حياته لكثير من انواع العذاب والتشهير ورُمي بالوان عديدة من الدناءة والسؤ فكان حريًّا به ان يهبّ في وجه اخصامه مفتخرا بنفسه معدّدا شمائله الحسنة مذكّرا بنصاعة نسبه متباهيا باعماله مهددا لاعدائه بالويل مجّردا لسانه للدفاع عن كرامته التي حاول الكثيرون ان ينالوا منها فكان فخره يجري في شعبتين، احداهما تمجد اصالة نسبه ومنزلة اجداده وكريم اعمالهم والثانية توضح عزّة نفس الشاعر وحسن صنيعه وتجلّده في النوازل وصبره على المكارة وتهديده لاخصامه «بشنعاء باقٍ عارُها تَقِرُ العظما» وقلائد تسمهم بالخسف مدى الدهر كما قال في قومه مفتخرا بنفسه:

فكم نزلت بي من خطوب مهمة　　خذلتم عليها ثم لم اتخشّعِ
وقد ابقت الحرب العوان وعضها　　على خذلكم منّي فتى لم يُضَعْضَعِ
فأدركت ثأري والذي قد فعلتم　　قلائد في اعناقكم لم تُقَطَّعِ

ويبدو ان النكبات والخطوب تزيد الشاعر صلابة وقوة وتعظم شخصه وترفع شأنه وحين تزول هذه الشدائد وتنكشف هذه الخطوب والملمّات ينتصب الشاعر ماردا متكبرا تُخاف فلتاته وبدراته عند نظرائه في البأس والشدة وهو العلم الشهير الذي يخفق في العلياء حين تختفي

الرجال ويغشاها الخمول تلقاه في شهرته ونباهته كالشمس التي يتصل شعاعها بكل مكان ويُعرف شأنها في كل نفس وكل زمان:

ما من مصيبة نكبة أُمنى بها   الا تعظِّمني وترفع شاني
وتزول حين تزول عن مُتخمِّطٍ   تُخشى بوادرُه على الأقرانِ
اني اذا خفي الرجال رأيتني   كالشمس لا تخفى بكل مكانِ

وهذه الابيات تُعَدُّ من اكمل صفات الفخر وأجود مختاراته وقد استحسنها الكثيرون وقال في بعضها ابن عبد ربه انه «أفخر بيت قالته العرب»[١].

ويشيد الاحوص في مقطوعة اخرى بسعة كرمه وشهرة جوده وكثرة بذله قرى للضيوف النازلة بداره من النوق العشار في اوقات عسره ويسره على حدٍ سواء، وبيته بارز مشتهر لقرى الضيف وإجارة المستصرخ غير متوازٍ في العطاء والشجاعة يعطف على الجار بما عُرف من كريم خصال العرب في الإجارة مندفعا اليه كالموج المتراكب:

عوَّدتُ قومي اذا ما الضيف نبَّهني   عَقْرَ العِشَارِ على عُسري وإيساري
إني اذا خَفِيَتْ نارٌ لمرملة   أُلفى بأرفع تلٍ رافعا ناري
ذاك واني على جاري لذو حدب   أحنو عليه بما يُخْنَى على الجارِ

ويضرب الشاعر مثلا يدلّل فيه على رفعة شأنه وعلو منزلته وسمو مكانته وسعة حلمه وقوة بأسه، فيصور الساعي الى النَّيْلِ من شخصه بصورة النتن كريح الكلب أو كالذي يحاول أن يستبيل أُسْدَ الشرى، لكن الويل والموت المنبعثان من بأس الشاعر يحولان دون تحقيق غايات هذا الجاهل الكريه:

وان الذي يجري لسخطي وريبتي   لكَ الويل ريح الكلب ان كنتَ تعقلُ
لكالمستبيل الأسد والموت دون ما   يحاول من أبوالها اذ تبوَّلُ

(١) - العقد ٢/ ١٩٤.

هذه صورة لمنزلة الشاعر وعزة نفسه وكريم خصاله اما الوجه الاخر في فخره فكان يبدر من الشاعر في مواجهة افتخار بعضهم عليه أو في صدِّه لجهل البعض الآخر أو في معرض هجائه لآخرين بسبب شتيمة لحقت به منهم كما فعل في هجائه لابن بشير الانصاري - كما قدمنا - فقرن نسبه بنسب بني هاشم وبني كعب بن لؤى وميَّز بين استواء اصله وحسبه وتقطّع أوصال نسب مهجوِّه فقال:

فلوسبَّني عون اذاً لسببته ... بشعري أو بعض الأُلى جدهم كعبُ
أولئك أكفاء لبيتي بيوتهم ... ولاتستوي الأعلاث والأقدح القُضْبُ

وفاخر الأحوص سكينة بنت الحسين(ع)، حين افتخرت بجدها رسول الله (ص)، بجده عاصم بن ثابت الذي حمت لحمه الدَّبْرُ يوم الرجيع وبخاله حنظلة الذي غسَّلته الملائكة يوم أُحُد - حسب ما ذكرنا في فصل سابق - فقال:

فخرتْ وانتمتْ فقلتُ ذريني ... ليس جهل أتيتِه ببديعِ
فأنا ابن الذي حمت لحمه الدَّبْـ ... ـرُ قتيل اللحيان يوم الرجيعِ
غسَّلت خالي الملائكة الأبـ ... ـرار ميتا طوبى له من صريعِ

وقد انكر عليه الكثيرون فخره على سكينة، فقال أبو زيد « قد لعمري فخر بفخر لو على غير سكينة فخر به، وبابي سكينة (ص) حمت أباه الدَّبر وغسَّلت خاله الملائكة[1] »

اما في رده على السري بن عبد الرحمن فقد افرغ الاحوص ما في جعبته من النبال واودعها نحر السري - فيما سبق ذكره - حيث جرَّد خصمه من جِذم مالك واعاده الى العبودية والتكدية وهبَّ في مقابل ذلك يشيد بامجاده التالدة وسموّ مكانته العزيزة ورسوخ جذوره في بني مالك بن عوف الأوسي وأشاد كذلك بامجاد آبائه واجداده وعزتهم وهم

(١) - الاغاني (د) ٢٣٤/٤ الخزانة ٢٣٣/١ عيون التواريخ ١٦٦/٥.

اسياد بني مالك ثم عاد الى ترديد عبارات التهديد لخصمه بأمرّ الويلات وافظعها، وتعظيم بأسه وسطوته فقال:

وكنتُ امرءاً عود الفعال تَهزُّني مآثر مجدٍ تالد لم يكن زعما
وكنتَ وشتمي في أرومة مالك بسبّي به كالكلب إذ ينبح النجما
وما انا بالمخسوس في جذم مالك ولا بالمسمَّى ثم يلتزم الاسما
ولكنْ أبي لو قد سألتَ وجدتَه توسط منها العزَّ والحسب الضخما
ولستَ بلاقٍ سيداً ساد مالكاً فتنسبه إلا أباً ليَ أو عمّا
ستعلم ان عاديتني فقع قرقر أمالاً افدت لا أبالَكَ أو عدما
لقد أبقتِ الايام منّي وحرسها لاعدائنا ثكلا وحسادنا رغما

٧ الاستعطاف:

ذكرنا فيما سبق كيف استعرتِ الخصومة بين الاحوص وابن حزم عامل المدينة ايام سليمان وصدرا من ولاية عمر، تلك الخصومة التي أودت بالشاعر الى دهلك وابعدته عن اجواء المدينة التي نبت فيها وحرمته هناء العيش بين اترابه وجيرانه وبدّلت الوجوه من حوله واقتلعته من منابت بني ضبيعة بن زيد وغرسته في مضارب قبيلة عك القحطانية اليمنية:

بدّل الدهر من ضبيعة عكا جيرة، وهو يعقب الابدالا

ألهبت الغربة قلب الاحوص وأذكت عواطفه وفجّرت أنّات الألم والشكوى في حنايا نفسه وأثارت لديه موجة من السخط على خصومه ممزوجة بالوانٍ من العتاب والاستعطاف وجّهها الى نسيبه الخليفة مشفوعة ببعض الثناء عليه فقال:

ايا راكبا إمَّا عرضتَ فبلغَنّ ، هُديتَ، أمير المؤمنين رسائلي
وقُلْ لأبي حفص اذا ما لقيته لقد كنتَ نفّاعا قليل الغوائلِ

وينتقل الاحوص بعد هذه المقدمة الرقيقة الى ترديد نغمات اللوم

والعتاب للخليفة مركّزا على بعض المفاهيم الاسلامية الداعية الى «المودة في القربي» ومعاملتهم بالمعروف فيقول:

أفي الله ان تـــدنوا ابن حزم وتقطعوا قوى حرمات بيننا ووصائلِ

وكان الاحوص يحمل صفة الخؤولة لعمر بن عبدالعزيز - كما بيّنا سابقا - فضرب الشاعر على وتر القرابة هذه مخاطبا قلب الخليفة وعاطفته بعد ان خاطب عقله بقوله:

فكيــف ترى للعيش طعما ولــذة وخـالـك أمسى موثقا بـالحبـائـلِ

ثم انتقل بعدها الى المقابلة بين قرابته للخليفة وصنيع الخليفة به مركّزا على التشهير بابن حزم الذي وشى به - كما يقول - وأُطيع في ذلك وأُعين على مخاصمة الشاعر من قبل حاكم عادل من بني مروان حيث كان الشاعر مطمئنّا الى قرابته للخليفة لا يراوده أي فكر فيما وصل اليه امره من الغربة والعذاب:

وما طمع الحزميّ في الجاه قبلها الى أحـــد من آل مروان عــادلِ
وشى وأطــاعوه بنـــا وأعــانــه على أمرنا من ليس عنّا بغافلِ
وكنـت أرى ان القرابـة لم تـدع ولا الحرمات في العصور الاوائلِ
الى أحـــــد من آل مروان ذي حجىً بــأمر كرهنـــاه مقــالا لقــائـلِ

وينتقل بعدها الى الدفاع عن نفسه مؤكّدا تمسكه بالاسلام معلنا براءته مما رُمي به:

فهل ينقصني القوم ان كنت مسلما بريئــا بــلائي في ليــالٍ قــلائـلِ

ثم يعود الى أخصامه الحزميين مهدّدا لهم بأن سرورهم وشماتتهم ستنقلب في عاقبة الأمر الى الغيظ والعضّ على الاصابع ندما فهو واثق من فوزه عليهم يرفض الصلح معهم ويتّهمهم بالجهل والضعف والنتن قائلا:

الا رب مسرور بنـــا سيغيظـــه لـدى غبّ أمر عضُّه بـالانـاملِ

رجا الصلح منّي آل حزم بن فرتنى   على دينهم جهلا ولست بفاعلِ
الا قــد يرجّون الهوان فــانهم   بنو حبـقٍ نـاءٍ عن الخير فـائـلِ

ويختم رسالته بوصف ذياع أخبار عقوبته وسريانها بين القبائل مذكّرا الشامتين به بانه صلب المعجم متين الجذع صبور على الشدائد لا يلين لوقع الدواهي خبير بتقلبات الايام والدهور لا يفرح بما يناله ولا يخضع امام النكبات ولا يتضائل تجاه تجارب الايام فيقول:

على حين حلَّ القول بي وتنظرت   عقوبتهم منّي رؤوس القبـائـلِ
فمن يـكُ أمسى سائـلا بشماتـة   بما حـلَّ بي أو شامتـا غـير سائـلِ
فقد عجمت مني العواجم ماجدا   صبورا على عضات تلك التلاتلِ
اذا نـال لم يفرح وليس لنكبـة   اذا حدثت بالخاضع المتضائلِ

وفي رسالة اخرى يجدّد الشاعر ثقته بالخليفة وايمانه بحسن صنيعه مؤكدا وفاءه للخليفة وقناعته بمودة امير المؤمنين راجيا اطلاق سراحه ليتمّ عليه الأجر الماضي باجر آخر وليبعد عنه شماتة الاعداء المبغضين المنتظرين لعاقبة الأمر المترقبين لما قد يصنع الخليفة في نهاية المطاف:

هَلَ انْتَ امـير المؤمـنين فـانني   بودّك من ودَ العبـاد لقـانـعُ
متمِّمُ أجر قـد مضى وصنيعـةٍ   لكم عندنا او ما تُعَدُّ الصنائعُ
فـكم من عـدوٍ سائـل ذي كشاحـة   ومنتظر بالغيب ما انت صانعُ

ولكن الخليفة أهمل نداءات الشاعر واستغاثاته وأمعن في رفض الاستجابة لطلبه فعاد الاحوص الى الاستعطاف من جديد ولوم الخليفة على اقصائه وادناء خصومه ومنهم زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب الذي كان قد شهد عليه لدى ابن حزم بالجرم الذي نُفي فيه مذكّرا الخليفة بحق القربى وصلة الارحام التي تُعَدُّ اقرب الى التقى والصراط المستقيم وأوضح له أن تكرمه عليه بالحرية يمكن أن يكون أظهر وأوضح وأجدر لأمثال عمر من المتّقين الكرماء:

ألست ابا حفص هديتَ مُخبّري   أفي الحق أن أُقصى ويُدني ابن أسلما
ألاَ صِلَةُ الأرحام أدنى الى التُّقى   وأظهر في أكفـائـه لو تكرَّمـا

وفي هذه القصيدة يبدو انفعال الشاعر مشوبا بالألم وتُحِسُّ بلفحات مشاعره المتَّقدة واحاسيسة الملتهبة ونرى الضعف قد تسرّب الى نفس الشاعر واستحـال تهـديـده وفخره بصـلابتـه الى يـأس وأنّـات عميقـة وصرخات مبحوحة شاكية حيث أنحله الغيظ وصنع الخليفة به حتى أصبح هيكلا من جلد وعظم:

فما ترك الصنع الذي قد صنعتَه   ولا الغيـظ مني ليس جلداوأعظما

وكأن الشاعر أحسَّ بموقف الخليفة منه وأدرك انه لا محالة باقٍ في غربته فاصبحت قرابته لعمر شيئاً من الماضي الذي غادره دون عودة وصارت هذه القرابة غير مجدية كثدي يابس مقطوع وأمست آماله بحسن صنيع الخليفة زائفة وكأن عطف عمر قد فارقه وامتنع عنه وحُجب مطره بعد ان كان مطبقا على سمائه بغيومه فنراه يقول:

وكنَّا ذوي قربي لديك فأصبحت   قرابتنـا ثـديـا أجَـدَّ مُصَرَّمـا
وكنـتَ ومـا أمَّلْـتُ منـك كبـارقٍ   لوى قطرَهُ من بعـد مـا كـان غيَّما

ويستدرك الشاعر انفاسه بعد هذه الفلتة ويعود الى التقاط بقايا آماله المشّتته وتجميع اشتات الاحلام الماضية حيث كان يكنُّ لعمر أسمى آيات المودة ولم يكن يظنّ غيبا بما صار اليه حاله وكان يعتبر الخليفة درعا تقيه الجرائر وعقوباتها ويعدّه مصدر رزق يقيه الدَّين وأثقاله ويختم رجاءه بطلب رضى الخليفة واستجابته لنداء العتاب من القريب البعيد الذي صرَّ آلامه وكتم اوجاعه واشجانه فقال:

وقد كنتَ أرجى الناس عندي مودة   ليـاليَ كـان الظنُّ غيبـا مرجَّما
أعدُّكَ حرزا ان جنيتُ ظلامة   ومـالا ثريـا حين أحمل مغرما
تدارك بعُتبى عاتبا ذا قرابة   طوى الغيظ لم يفتح بسخطٍ له فما

ولعله يهدّد الخليفة في الجملة الأخيرة بتغيير اسلوب مخاطبته له والتحوّل الى هجائه بعد مدحه وطول اناته في تحمل أوزار الغربة التي أودعه فيها ولا أظنه تراجع عن ذلك فقد عرَّض بعمر حين خلفه يزيد ابن عبد الملك وأطلقه هذا الأخير من سجنه بقوله:

ما أبالي اذا يزيد بقى لي من تولّت به صروف الليالي

VI الصبا والشيب:

نبت الاحوص في المدينة التي عرفت الوانا من اللهو في عصر الامويين لم تعرفه مثيلاتها من كبريات العواصم العربية فنشأ في الوسط المحفوف بالمجون وترعرع على ضروب من المرح مارسها امثاله من الشباب المقيم في الحجاز ونال نصيبا وافرا من المتع والملذات وأسرف في تعاطي اللهو والفسق وتردّد بشكل مستمر على دور الغناء والمرح وصاحب المغنين والمغنيات وتراكض وراء الغانيات والموليات وتمادى في غيّه ولهوه غير آبهٍ باللوم والشتم والتعنيف لا يرده حلم ولا يردعه عذر عن ذلك فهو يقول:

أقول لعمرو وهو يلحى على الصبا ونحن بأعلى السِّيَّرَيْنِ نسيرُ
عشيَّة لا حلم يردُّ عن الصبا ولا صاحب فيما صنعتَ غديرُ

ولسوء الحظ لم يصلنا من هذه المقطوعة سوى هذين البيتين ولم ندرك تماماً مرمى الشاعر في قوله، غير أن في شعره ما يظهر بشيء من الوضوح طبيعة موقفه من اللهو والمجون. وإن جاوز عذّاله حدود المعقول في لومه على تماديه في فسقه الذي أذهب عنه رداء الحق وألبسه ثوب الباطل فإنه لا يبالي بشتمهم وتعنيفهم له بل يسرف في لهوه الذي يدعوه الى الإستزادة دون كلل أو ملل، فيقول:

ألا يا لقومي قد أَشَطَّتْ عواذلي ويَزْعَمْنَ أَنْ أُودى بحقي باطلي

وَيَلْحَيْنَني في اللهو ألاَّ أحبـــه   وللهو داعٍ دائبٌ غيرُ غافلِ

وانغمس الأحوص في لذاته ولم يستفق إلا عند بزوغ فجر الشيب في رأسه وأفول شمس الشباب النضير، فكأنه أحس بقصر أيام شبابه التي قضاها في غفلة النشوة وسكرة اللذة فصوَّر شبابه بالضيف الذي نزل عليه وسرعان ما فارقه مخلَّفاً وراءه الذكرى الحزينة فقال:

فبان مني شبابي بعد لذّته   كأنما كان ضيفاً نازلاً رحلها

فذكرى ايام الشباب تُثير نوعا من الخيبة التي تعصر قلب الشاعر لعلمه بفراق الشباب دون ان يكون الى رجوعه اي سبيل:

تذكَرت اياما مضين من الصبا   وهيهات هيهاتا اليكَ رجوعُها.

وتتقطّع أوتار الشباب المتينة التي ربطت الشاعر زمنا وشدته الى ميدان الملاهي ويحلّ محلها سلك جديد منصرم الاوصال أودى بالشاعر الى شحوب الشيب بعد نضارة الشباب الذي كَلَّ وانقطع وغبرتْ ايامُه السالفة وتركتِ الاحوص في حيرة وذهول يتمنّى رجوع شبابه العابر من جديد ليقضي ما لم يستطع قضاءه من الاوطار حين كان غارقا في نشوة الشباب فأمسى في شيبه لا تفارقه ذكرى عشيقته التي لم تمتّعه في ايامه السالفة فنراه يقول:

أمسى شبابك عنا الغضّ قد حسرا   ليت الشباب جديد كالذي عبرا
ان الشبــاب وايــام لــه سلفــتْ   ولّى ولم اقضِ من لذاته وطرا
أودى الشباب وأمست عنك نازحة   جُمْلٌ وبتَّ جديد الحبل فانبترا
أمسى وقد شاب لا ينسى تذكّرها   لا بل يزيد اذا إسم لها ذُكِرا

وتستأثر ذكرى أيام الشباب بقلب الشاعر وعقله، فتراه يمعن في استدعاء ذكريات زمان اللهو وليالي الصبابة التي كانت تعصف بقلبه المتيّم فاصبح بعدها يتجرّع كؤوس الحزن والمرارة تباعا ينهل منها ويُعَلُّ بها، ومصدر الحزن هذا ذهاب بشاشة الشباب وعيشه العذب اللذيذ

وانحسار أوقاته المرحة وخلوق لذاته المستطابة مما رمى به في أتون المرارة والبكاء لما جرّه عليه الزمان الغادر من التقلّب والبلاء اذ امسى بياض الشيب يشمل رأسه بعد ان كان مكحّلا بالسواد فكأنه قنة سوداء قلبها ثلج الثغام وغطّاها بكساء من زهرِهِ الابيض:

ان الشباب وعيشنا اللذّ الذي ... كنّا به زمنا نُسَرُّ ونَجْذَلُ
ذهبتْ بشاشته وأصبح ذكره ... حزنا يُعَلُّ به الفؤادُ ويَنْهلُ
الا تذكّر ما مضى وصبابة ... مُنِيَتْ لقلبٍ متيَّمٍ لا يَذْهَلُ
أودى الشبابُ وأخلقت لذّاته ... وانا الحزين على الشباب المعول
يبكي لما قلب الزمان جديده ... خلقا وليس على الزمان مُعَوَّلُ
والرأس شامله البياض كأنه ... بعد السواد به الثغامُ المُحْوِلُ

ولعل من أجود مختارات القول في الشيب والشباب ما اختاره « البحتري » من شعر الاحوص وفيه مقطوعة لامية يصف فيها الشاعر حاله في الشباب وما آل اليه مصيره في الشيب الذي نزل به نزول الشدة لا يستطاع دفعها ومضى شبابه دون ان يكون للشاعر اليه سبيل، ذاك الشباب الذي تمتع به الشاعر زمنا يكسوه رداؤه الغضّ النضير ويزينه ثوبه الجميل ويظلّله غصن منه وارف مزهر فكأن بشرة جلده من الحرير ولِمته سوداء كجناح الغراب وعارض ثغره مصقول أبيض لامع كالسيف فاذا به يقف مودّعا شبابه هزيلا كالسيف المفلول العتيق يهابه الناظر اليه من بعيد ويستكشف نحوله وهزالته الرائي له من قريب تذوى نضارته ويشحب لونه بعد أن كان زاهيا:

نزل المشيب فما له تحويلُ ... ومضى الشباب مما اليه سبيلُ
ولقد أراني والشباب يقودني ... ورداؤه حسن عليَّ جميلُ
وعليّ من ورق الشباب وظلّه ... غصن تفرَّع في الغصون ظليلُ
بشر يكون من الحرير ولِمَّةٌ ... مثل الجناح وعارض مصقولُ
فاليوم ودَّعني الشباب كأنني ... سيف تقادم عهده مفلولُ

تُرضيك هيبته اذا استقبلته   وتقول حين نراه: فيه نحولُ

ويبقى الصبا وذكراه مستأثرا بعقل الشاعر وفؤاده فيبكي لفراقه ويستبكى أترابه معه ويجدد ذكريات ايام الهوى وإنكارِ لُوَّامه لاغراقه في طلب الحب الذي سيطر عليه كما سيطر على غيره فنراه في أواخر أيامه يردد قوله:

الا لا تلمه اليوم ان يتبلَّدا   فقد غُلب المحزون ان يتجلَّدا
بكيتُ الصبا جهدي فمن شاء لامني   ومن شاء آسى في البكاء واسعدا
واني وان فُنِّدْتُ في طلب الصبا   لاعلم اني لستُ في الحب اوحدا
اذا انت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى   فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تَلَـذُّ وتشتهي   وان لاَمَ فيه ذو الشنان وفَنَّدا

ومع تعلق الشاعر بذكرى ايام الصبا لم يفته ان ينظر في شيبه نظرة العاقل المسترشد فنراه يمدح الشيب الذي يأمر بالعفاف وبالتقى - حسب قوله - الذي يُعتَبر نظيرا للعقل فهو يدعو الى التزوّد بفضائل المشيب او بفضائل العقل الذي يفضل كل ما عداه فيقول:

والشيب يأمر بالعفاف وبالتُّقى   واليه يأوي العقل حين يؤولُ
فان استطعتَ فخذْ بشيبك فضلة   ان العقول يُرَى لها تفضيلُ

وفي هذين البيتين شيء من الحكمة والدعوة الى الصلاح والتزُّين بلباس العفاف والتقوى والتزود من الفضائل والاسترشاد بهدى العقل الذي يقود الى ما فيه الخير لصاحبه.

VII المواعظ والحكم:

دأب الكثير من دارسي الادب على ادراج اقوال الاديب في الصبا والشيب ضمن موضوع المواعظ ولكنني فضّلت ان افرده في موضوع مستقل وذلك لغنى اشعار الاحوص في هذا المجال كما بيَّنا ولتعبيرها بشكل او بآخر عن احاسيس شخصية تتصل بنفسية الشاعر وطريقته

اللاهية في الحياة. ولربما ورد في اشعاره السابقة بعض اللمحات الوعظية الا انها جاءت قلقة غير مقصودة لذاتها سوى ما ذكرناه في البيتين الاخيرين من الموضوع السابق.

وتتناثر أبيات تحمل الوانا من الحكمة في ثنايا شعر الاحوص متوافقة مع مرامية الاخرى او مستوية بذاتها بعد ضياع الكثير من شعره الذي كان يحضن مثل هذه الابيات ويعطيها مدلولاتها الحقيقية في عامود القصيدة الاصيل.

ومن هذه اللمحات الحكمية بصره في القديم والجديد، حيث يرى أن النفس البشرية ليست اسيرة غرض محدد ولا هي مرهونة بالعذاب والبكاء لمصيبة مفردة وان جلَّ المقام بل ان قديم الرزايا والمصائب ينحسر ويُنسى ويُذْهِبُه جديدُ الحوادث:

والنفس فَٱسْتَيْقِنا ليست بمعولة ... شيئا وان جلَّ الا ريث تعترفُ
ان القديم وان جلّت رزيئته ... ينضو فيُنسى ويبقى الحادث الأنفُ

والجديدُ في رأي الاحوص مستلذ مستطرف يَستهوي النفوس ويشدُّ اليه الاهواء اما جديد الموت فلا لذة فيه لانه يعاكس جديد الحياة وجديد الوانها فيقول:

ما لجديد الموت يا بِشْرُ لذة ... وكل جديد تُستلَذُّ طرائفُهْ

ويحثُّ الاحوص على السفر والضرب في الآفاق طلبا للحياة لان الاقامة الدائمة مهلكة لصاحبها فيقول:

غريبٌ نأى عن أرضه وسمائه ... ليَحْيَى وطولُ [الاستكانة متعبُ][1]

وهو يعارض الحرب ويدعو الى اخماد اورابها وازالة اسباب اشتغالها

---

(١) - الديوان: «ليحي وطول...» ورأيت ان اكملها على هذا النحو المتوافق مع ما قبلها والمتوائم مع وزن القصيدة ورويها.

واسكات اصوات النفير لان الحرب في رأيه امست كنافة شارفت على الوضع واخراج حمولتها ويقصد في ذلك ما ترتبه الحرب من الويلات والثكل فهو يصرخ بأعلى صوته:

بني عمِّنا لا تبعثوا الحرب انني   ارى الحرب امست مُفكها قد أضَنَّتِ

وفي موقف آخر نرى الشاعر لا يهتم بالمظهر الخارجي للامور او الاشخاص بل يتطلع الى حقيقة الفعل وجوهر العمل فالسيف لا يعيبه تثلم حدّه لانه يبقى قاطعا في الشدائد والصعاب:

ان الحسام وان رثَّتْ مضاربه   إذا ضربتَ به مكروهة فصلا

ويرى الأحوص ان المرء ينزع دائما الى اصله ويعود الى التشبه بآبائه مهما ابتعد به الهوى عن هذه الامور ومثله كمثل الغصن النابت في جذع متجذّر فيكون هذا الفرع على شاكله الاصل:

كآبائنا كُنَّا وكل أرومة   على اصلها ما تنبتَنَّ فروعُها

وينظر الاحوص في واقع التمنّي الذي ينتاب الكثيرين ممن يفقدون عزيزا او يفارقون حبيبا او يطمحون الى تحقيق رغبة معينة فيجد ان التمنّي وكثرة ترديد اداته «ليت» لا تفيد في شيء ولا تجبر ما انكسر ولا تجمع ما تفرّق بل ان كل امر لا يتصل بليت يمكن ان يبلغ فيه المرء أجلا او نهاية فهو يقول:

فقلت الا يا ليت أسماء اصقبت   وهل قول ليتٍ جامع ما تبدّدا

بل ليت شعري وليت غير مدركة   وكل ما دونه ليت له أمدُ

وللاحوص في احدى قصائده نظرات في الحياة وفي طبائع البشر فيوجه نقمته على اصحاب بعض الخصال غير الحميدة في الناس يذم البخل ويعيّر صاحبه ويمدح الجود ويثنى على اهله فيقول:

وفي البخل عار فاضح ونقيصة   على اهله والجود ابقى واوسعُ

ويعود بعده الى ايراد سلسلة من النصائح والحكم وعرض اوضاع معينة

تحكم سلوك البشر ويوضح حال المرء في اتّباعه لنزعات هواه ومعاندة القدر لاحلامه وآماله فليس يدرك المرء كل ما يأمله ولا يستطيع دفع الشدائد التي يحاذر الوقوع فيها ولا يطمئن كل ذي حرص الى الاستزادة بحرصه ولا ينتفع المرء بكل ما يرجو النفع به، فنسمعه يقول:

أفـقْ ايهـا المرء الـذي بهمومـه   الى الظـاعن النـائي المحلـة ينزعُ
فما كـلّ مـا امَّلتَـه انـت مـدرك   ولا كلّ ما حاذرته عنك يُدفعُ
ولا كـل ذي حرص يُزاد بحرصـه   ولا كـل راجٍ نفعـه المرءُ ينفـعُ

ثم ينبري لتصنيف بعض طبائع البشر ومسالكهم ويحدد الوانا من تصرفاتهم المحكومة لاهوائهم ولبعض اهدافهم الساقطة او السامية فمنهم من يصانع غيره لينال بعض أمانيه حتى اذا ما نالها انقلب الى أفعى تبثّ السّمّ القاتل في الناس من خلال اقواله السيئة فيهم. ونموذج آخر تراه يصغي لالوان معينة من الكلام السفيه ويفتح اذنيه واسعتَيْنِ للنمائم والدسائس ولكنه يجعل اصابعه في اذنيه عند معاتبته كأن في كل منهما وكرا. ومنهم من يبدو عَيُّه وفَيْلُ رأيه وضعف تفكيره عند التكلم والأجدر به ان يَبْقَى مُنصتا صاغيا لغيره لان في ذلك كفاية له عن الكلام . وازاء هذه النماذج من الناس تجد بعضهم يتستّر ويتقنّع مخافة الخزي والعار ويسكت على جهالة غيره بدافع حلمه وعفوه ولا يسكت بدافع الريبة والسوء:

وكم من سائـل أُمنيـة لو ينـالها   لظـل بسوءِ القول في القوم يقنـعُ
وذي صمم عنـد العتـاب وسمعـه   لما شاء من أمر السفاهـة يسمعُ
ومن ناطق يبدي التكلُّم عيَّه   وقد كان في الانصات عن ذاك مربعُ
ومن ساكـت حلما عـلى غـير ريبـة   ولا سوأة من خزيـــةٍ يتقنّــعُ

وفي مقام آخر نرى الأحوص يعالج واقعاً ينتاب المجتمع حيث يحزن

البعض لموت احدهم بينما يشمت البعض الاخر به ويجذل ويُسر بموته فيدعو الشاعر كل فرد الى الكفّ عن الشماتة بموت صاحبه لانه مُرتَهَن بالموت صائر اليه، فيقول:

يا بِشْرُ يا رب محزون بمصرعنا وشامت جذل ما مسّه الحزنُ
وما شمات امرىء ان مات صاحبه وقد يرَى أنه بالموت مُرتَهَنُ

ويعرض الاحوص حال الانسان في اعمال القدر وتقلبات الدهر الذي يُفرق الجماعات الملتئمة لا محالة ويوقع بالمرء نوازل وأموراً ويصيبه بنكباتها وان حاذر وقوعها وابتعد عن حلقاتها فقال الشاعر:

وكل خليط لا محالة انه الى فرقة يوما من الدهر صائرُ
ومن يحذر الامر الذي هو واقع يصبْه وان لم يهوه ما يُحاذرُ

ويلاحظ مما سبق ان المواعظ عند الاحوص كانت تنبع من مصادر مختلفة منها التجارب الشخصية والملاحظات الواقعية لما تظهره الايام من خباياها ومن ثم رفدها الدّين وأغناها واعطاها حقائقه القاطعة ومنحها التاريخ حقائق اخرى، صُهرت جميعها في قالب متين محتمل بشتى الصور التي تُظهر بشيء من الهيبة والخشوع غلبةَ الزمان وافناءه للامم في قصيدة طويلة وصلتنا منها بعض المختارات يبدأها الشاعر بعرض واقع الدهر الذي يمدّ بساط السرور للمرء، ولكنه لا يستقيم على صراط بل يوقع بالانسان احداثا تهدّ الجبال الرواسي ويُنزل الطير المحلّق كرها الى الموت ويجرّ الى المنية ليوث الغاب المهيبة ويسطو على الآمن في مأمنه فيسلبه نعمة الامان ويسحب المتكبِّر العزيز الى الموت رغما عنه:

الدهر ان سرَّ يوما لا قوام له احداثه تصدع الراسي من العلمِ
يستنزل الطير كرها من منازلها الى المنية والآساد في الأجمِ
ويسلب الآمن المغترّ نعمته ويُلحق الموت بالهيابة البَرِمِ

وينتقل الشاعر من ملاحظاته الواقعية هذه الى الانغماس في روح الدّين مبيّنا حقيقة الفناء والموت المحتمة حيث لا يمكن للمرء ان يأمن الخلود

في هذا الدهر وبين يديه ما يؤكد فناء امم كثيرة قبله ومهما لاقى الانسان من رغد العيش ولذيذه فلن يخلد بل سيلحق بقوم عاد وارم الذين أبيدوا كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم. فالمرء بغريزته يودّ البقاء والخلود الا ان المنية تلاحقه وقد كُتب عليه الموت ولا مرد لأمر الله عز وجل ولا دافع لقضائه بل ان المنايا مدركة للانسان صغيرا كان ام كبيرا ومن الناس من يعمّر ويُرد الى أرذل العمر ولكنه لا ينجو من الموت بعد هرمه:

من يأمن الدهر أو يرجو الخلود به ... بعدالذين مضوامن سالفالامم ِ
ليس امرؤ كان في عيش يُسرّ به ... يوما بأخلد من عادٍ ومن إرَم ِ
يهوى الخلود وقد خُطّت منيته ... ولا مردَّ لأمرٍ خُطَّ بالقلم ِ
لا بدّ ان المنايا سوف تدركه ... ومن يعمّر فلا ينجو من الهرم ِ

ويوسع الاحوص فضاء مواعظه هذه ببسطها نحو فناء التاريخ الرحب المليء بالاخبار والحقائق التي تؤكد ما سبق ذكره فيتساءل الشاعر عن معاويه وقومه وقد اصبح لا يحسّ بذكرهم بعد أن كانوا في عهد قريب من عهد بني الحكم الذي يعيش فيه وكانوا يبسطون سلطانهم من الصين الى بلاد كثيرة من افريقية فيها العرب الفصحاء والعجم الغرباء فبادوا وافناهم الدهر وبقيت آثارهم في الارض شاهدة على ما كانوا عليه من الجاه والسطوة والسلطان وأبقى منهم الدهر احاديث يتناقلها الناس والاحرى بهم ان يتّعظوا بها ويعدّوا للفناء عدّته وللموت مؤونته وللآخرة زادها:

اين ابن حرب وقوم لا أُحِسُّهُمُ ... كانوا قريبا علينا من بني الحكم ِ
يجبون ما الصين تحويه مقانبُهم ... الىالأفاريق منفصح ومنعجم ِ
بادوا وآثارهم في الارض باقية ... تلكم معالمهم في الناس لم ترم ِ

ولعل خير سلاح للمرء امام الحوادث والنوازل صبر جميل يتدرّع به الانسان لان الموت لا بد ان يطال كل من ولج الحياة وسكنت في

جسده روحها فنرى الشاعر يقول:

فصـــبرا للحوادث كــــل حي   سبيـل الهـالكـين لـه سبيـلُ

IIIV الأغراض الأخرى:

تصدير: نظم الأحوص في أغراضٍ مختلفة لا نجد منها فيما بين أيدينا من شعره إلا القليل، غير أن هذه الأغراض لم تكن لتشغل حيّزا واسعا من تفكير الشاعر بل دفعه الى بعضها عامودُ القصيدة التقليدية المدحية وضرورة وصف الراحلة وعناء الرحلة، أو ضروبُ الحياة التي عاشها، بينما جاء الرثاء عند الأحوص تلبية شعورية لما رماه به كفّ القدر، فلم يكن ليهتم به لولا وفاة زوجته.

١ - الوصف:

سبق ان تناولنا وصف الاحوص للمرأة حيث وقف عند جمالها الكلي تارة وتغلغل الى جزئيات جسدها تارة اخرى وتنشّق طيب اعرافها مرارا فاحسن الوصف واجاد ومثّل هذه الصفات بامثلة رائجة الصيت معروفة وأحسنُ امثلته التي حوت كل هذه الامور في بيت واحد قوله:

لها حسن عبَّاد وجسم ابن واقـد   وريح ابي حفص ودين ابن نوفلِ

و «عباد الذي يُضرب المثل بحسنه هو عباد بن حمزة وكان سريّاً سخيّا حلوا، احسن الناس وجها وابن واقد هو عبداللـه بن واقد بن عبدالله بن عمر[١] وأبو حفص هو عمر بن عبد العزيز وكان عطرا وابن نوفل هو إبان كان بالمدينة وكان فتيانيا»[٢]

وللاحوص ابيات قليلة في وصف الشيب سبق ذكرها منها قوله:

---

(١) - نسب قريش ٣٦٠.

(٢) - جمره نسب قريش ٥١/١.

والرأس شامله البياض كأنه بعد السواد به الثغام المُحْوِلُ

وله كذلك ابيات يسيرة في الخمرة يذكر فيها عتقها ومصدرها وصفاءها وامزجتها فيقول:

كأن مدامة ممّا حوى الحانوت من مَقَدِ
يُصَفَّقُ صفوُها بالمسـ ـكِ والكافورِ والشَّهَدِ

وله في وصف تأثير الخمرة صورة سبقه اليها شاعر الخمرة في الجاهلية وصناجة العرب وهذه الصورة تمثل شلل المفاصل والعظام بفعل الراح فيقول:

صريع مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظامُ

ولنا في احدى قصائد الاحوص التي يمدح بها عبد العزيز بن مروان مشهد تصويري جميل يكاد يمثل مقطعا من فيلم مصور مليء بالحركة والحياة متداخلة اطرافه في سياق ما سبقه وما يليه متسلسل المناظر معقود الصنعة، تتراءى من خلاله راحلة الشاعر في منظرها الكلّي نشيطة موثقة الخلق حين يتقدّم الشاعر منها استعدادا لرحلته الطويلة، فيقدم لمقطعه المصور بقوله:

هل تُبْلِغَنّي بني مروان، إن شحطتْ عنّي ديارُهُمُ، عَيْرَانَةٌ أُجُدُ

ويعود الأحوص في الصورة الى منشأ الناقة وأصلها وتربيتها ليضع القارىء أو المشاهد لهذا المصور امام حقيقة ناقته التي تنتسب الى « العيد » في سليلة من أنجب سلائل النوق عُلفت صغيرة حتى سمنت واجتمع شحمها وتراكم وغلظ وارتفع سنامها معلوا بشعر كثيف مجعّد الاطراف معقودها وحين تمّ عليها ذلك واصبحت كثيرة اللحم كالحصن جِيءَ بها الى ميدان العمل ووضع عليها خشب الرحل لاول مرة وقد اصبحت بعد مراس صعب صلبة العود لا يمنعها من الرحلة ورم سنامها وانشداخه من عضّ القتب والحلس:

عِيدِيَّةٌ[1] عُلفت حتى اذا عقدت نيّـاً وتمّ عليهـا تـامِـكٌ قَرِدُ
قرَّبتُهـا لقتودي وهي عـافيـة كالبرج لم يعرُها من رحلة عَمَدُ

ثم ينتقل الأحوص الى تصوير مشاهد تهيئة الرحلة مبرزا دقائق هذا التدبير وفضوله وجزئياته واحدة فواحدة، حيث يرسل الغلام لجلبها من مرقدها فيسعى بها هذا الأخير وهي تجدّ في سيرها وراءه فكأنها بغيّا تسرع لملاقاة خُطَّابها النازلين بدارها، تساتر الغلام وتداجيه حتى كأنه يمشي ورأسه تحت نحرها لا يستطيع مجاراتها في السير، وتبدو عضلات خذيها وعضديها مرتعدة مشدودة كعضل من أصابته وخزات البرد؛ حتى إذا وصلت الى مناخها، وشد عليها الشاعر الرحل ومستلزمات الرحلة وامتطى فوقه انطلقت في سرعة تحاكي سرعة ذكر النعام اللاحق بأترابه النافرين أمامه:

يسعى الغلام بها تمشي مشنّعة مشي البغّي رأتْ خطّابها شهدوا
تَرْعَدُ، وَهْيَ تصاديه، خصائُلها كـأنـما مسّهـا من قِرَّة صردُ
حتى شددْتُ عليها الرحل فانجردت مرّ الظليم شأتـه الأبَّـد الشردُ

وتبتدىء الرحلة فتدخل الناقة في سباق مع الطريق لبلوغ الهدف وتنطلق بسرعة وخفة غير مُجْهَدة بسوط سوى نقرات خفية تُلهبها فترمي بقوائمها محاكية مشي النعام تقع الثرَى برشاقة وخفّة حتى نخالها سابحة فوق أديمه، تسابق الزمن كأن لها ولدا سبق الركب تتبعه أنّى ذهب وسار من فرط حبها له وتعلّقها به فكأنه يقود هواها ويتلازم خط مسيرها مع غاية راكبها في المسير كأن بينها وبين راكبها صلة روحية تُدرِكُ من خلالها ما يجري في نفس صاحبها من الهوى فتنسلُّ في الأرض الصلبة ذات الحجارة غير آبهة بمسير ولدها اذا ما لاحظت جزعا

---

(١) - تنتسب الى «بني العيد»، او الى عاد بن عاد، او الى عادي بن عاد، أو هي من كرام النجائب منسوبة الى فحل مُنجب يقال له «عيد».

او خلافه عند راكبها وتسرع في تقليب يديها ورجليها في السير تطوي الفيافي لا يُثنيها سراب وهجير، فكأنها في حركة قوائمها سابحة في بحر السراب المزيد المتلاطم الامواج مندفعة دون كلل لا تنزل المنازل وانما تطويها طيّا. فلنسمع الشاعر يقول:

وشواشة سوطها النقر الخفيْ بها ووقعها الأرض تحليل اذا تخدُ
كأن بواً امام الركب تتبعه لها يقود هواها اينما عمدوا
تنسلّ بالأمعز المرهوب لاهية عنه اذا جزع الركبان او جلدوا
كأن أوب يديها في الفلاة اذا لاحت أماعِزُها والآلُ يَطَّرِدُ
أوب يَديْ سابح في الآل مجتهد يهوي بقّحمه ذو لجّة زبدُ

ونلاحظ ان الشاعر الصق بناقته احسن الصفات ووهبها نوعا من التشخيص فاصبحت تحسّ وتدرك هدفه في المسير فتسرع فيه وتتعالى فوق اهوائها وغرائزها الامومية لتنقذ الشاعر من ضيقه وتوصله الى هدفه غير مبالية بصعوبات الطريقة واخطارها.

٢ - الرثاء:

لا نكاد نعثر في شعر الاحوص الذي بين ايدينا الا على مقطوعتين من الرثاء اولاهما مقطوعة نواح ناحت بها سلامة على يزيد بن عبد الملك حين وفاته جاء فيها :

قد لعمري بتُّ ليلي كأخي الداء الوجيعِ
لا تلمنا ان خشعنا أو هممنا بالخشوعِ
للذي حلَّ بنا اليو م من الأمر الفظيعِ
إذْ فقدنا سيّداً كا ن لنا غير مضيعِ[1]

وقد اختلفت روايات الأغاني في نسبتها فجاءت في مواضع منسوبة

---

(١) - الاغاني (ث) ٨/٣٤٦ - ٣٤٨.

للاحوص[١] وفي مثلها منسوبة لسَلامة مضافا اليها بيتين آخرين لم يُذكَرا في شعر الاحوص[٢] وذُكرت مرة بدون نسبة[٣] بينما نسبها اصحاب التواريخ لبعض الانصار[٤] واذا افترضنا ان الشعر للاحوص فيكون قد نظمه قل وفاة يزيد راثيا به غير هذا الأخير لأن الاحوص قد توفي في خلافته ولم يشهد وفاته اما اذا كان الشعر قد صنع للنوح به على يزيد ون غيره فيكون من صنع سلامة القس التي كانت تجيد الشعر وتقوله[٥].

اما المقطوعة الثانية في الرثاء فقد انفرد صاحب الزهرة في إيرادها تحت عنوان «نحول الجسد من دلائل الكمد[٦]» ولم يُصرِّح بموضوع الرثاء غير أن مضمون القصيدة يدل على أن الرثاء مصنوع لزوجته دون غيرها - كما بيَّنا سابقا - إذ يبدأ الشاعر رثاءه لزوجته بإظهار آثار موتها عليه فيقول:

نفى نومي وأسهرني غليـــــلُ ... وهمٌّ هـــاجـــه حزن طويـــلُ
وقالوا: قد نحلتَ وكنتَ جلدا ... وأيسر مـــا منيــتُ بــه النحولُ
فـــإن يكن العويـــل يردّ شيئـــا ... فقــد أعولـت ان نفـع العويـلُ

ثم ينتقل الى معاودة ذكريات ماضية فيستدعي صفاء عيشه بقربها وحنينه للقائها والجلوس الى جانبها فيقول:

وكـــانـــتْ لا يـــلائمها مبيـــتٌ ... عليهـــا ان عتبـــتُ ولا مقيـــلُ
وكنـــا في الصفـــاء كماء مزن ... تُشاب بـــه معتّقـــة شمولُ
وأعجل عن سؤال الركب صحبي ... وأكره ان يُقـــالَ لهم أقيلوا

(١) - الاغاني (ث) ٣٣٣/٨ و٣٤٨. و(د) ٣٧/١.
(٢) - الاغاني (ث) ٣٣٣/٨ و٣٤٦/٨ و٣٤٧/٨.
(٣) - الاغاني (ث) ٣٤٦/٨.
(٤) - الطبري II /١٤٦٤ تاريخ ابن الاثير ٤٩/٥.
(٥) - الاغاني (بولاق) ٦/٨ و١٢/٨.
(٦) - الزهرة ٣٠٦.

ويعود الى وصف حاله بعد موتها وضياع افكاره معها ووحشته في وحدته بدونها قائلاً:

فقد اصبحت بعدك لا ابالي أسار الركب أم طال النزولُ
فمن يك بالقفول قرير عين فما أمسيت يعجبني القفولُ
كأنكَ لم تلاقِ الدهر يوما خليلا حين يُفردك الخليلُ

ثم يُنهي مرثيته بالتصبُّر والتجلُّد على حوادث الدهر وتعليل أحزانه بحقيقة موت كل من وطأ الثرى ودبت فيه روح الحياة فيردّد:

فصبرا للحوادث كل حي سبيل الهالكين له سبيلُ

الفصل الثالث

شاعرية الاحوص وفنه

I الخصائص الفنية العامة:

تصدير: في دراستنا لاغراض الاحوص كنا نقف عند كل غرض وقفة تطول وتقصر حسب أهمية الغرض ومنزلته في شعر الاحوص وحاولنا استقراء مذهب الشاعر وصنيعه الفني واستشفاف نفسيته من خلال الفاظه وتعابيره ولربما كان تركيزها ينصب على معانيه ومضامينه اكثر من اتجاهه نحو اشكاله وابنيته وهذا لا يعني اننا اهملنا هذا الجانب المهم في الشعر بل عرضنا لأوجه عديدة منه وسنعرض له بشكل اوسع في هذا الفصل.

ونعاود الوقفة مرة اخرى لنلقي نظرة عامة على شعر الاحوص نحاول من خلالها ان نحدد الطوابع العامة التي تطبع شعره ونشير الى السمات الكبرى التي اتّسم بها فنّه والخصائص التي تميّز بها الاحوص وتفرّد.

١ - التخصص بالحب واللهو:

يمكننا ان نلاحظ بوضوح غلبة اشعار الحب في شعر الاحوص الذي انتهى الينا فكأن شاعرنا امضى حياته يبحث عن حب يملأ به خزائن

عاطفته الجامحة ويلاحق الغانيات متلهّفا لقضاء نزعات هذا الحب ويكابد اشواقه الملتهبة في حنايا ضلوعه. ولعل السبب في ذلك موت زوجته الأولى في سنّ مبكر مما جعله عرضة للأحزان والهموم والوحدة فراح يعوّض عما فاته من الرغبات والفراغ العاطفي بهوى الكثيرات ممن عرفهن واتصل بهن وأخباره مليئة بمثل هذه الاتجاهات الغرامية اذ رأيناه يهوى المغنيات والجواري تارة ويشبّب بالحرائر والشريفات طورا. وليس من المعقول ان يحب انسان يحيا حياة طبيعية مثل هذا العدد من النساء الى جانب زوجة له يقيم معها ويعيش واياها حياة عائلية متكاملة في الوقت الذي نراه فيه يلوم على غيره من المتزوجين البغي كما فعل سعد بن مصعب بن الزبير، إذ قال في هذا المقام:

فما يبتغي بـــــــالشر لا درّ درّه　　　وفي بيتــه مثــل الغزال المربّــبِ

اذن فالاحوص ما كان ليلاحق صاحباته لولا وفاة زوجته تلك الوفاة التي احدثت في نفسه شرخا مال به عن جادة الاستقامة وقذف به نحو مجالس اللهو والغناء مفرّجا ما به من الهموم ومقضّيا لما يحسّ من الاوطار. فاحب الشاعر جميلة المغنية وعقيلة العقيقية والذلفاء وسلامة القس وشُغف بام جعفر وعبلة وغيرهن من النساء.

وطغى شعر الحب على الاحوص فاكثر من ترديد اقوال تظهر انشغاله بالهوى وغلبة الوجد عليه واحسن في تصوير شواهد الحب وظواهره بصوة تدلّ على صدق الشاعر في تصويره فهو يقول:

ما يلبث الحب ان تبدو شواهده　　　من المحـب وان لم يبـده ابـدا

وقد طال وقوف الشاعر في معالجة تبعات الهوى من سقم يبري العظم والجسد ويتلف اعضاء الجسم ويوهن القوى دون ان يكون له دواء سوى اللقاء بالحبيب.

فمن هــذا الطبيــب لسقم نفسي　　　سوى سَعدى اذا شحطت نواها

والحب يورث الهيام وضياع الفكر وترقرق الدمع ويثير الاشواق ويبعث الشقاء لدى الشاعر فكأنه يموت طربا صريع الهوى وتهيج صبابته اذا سمع تفجّع الحمام فيزداد شوقه لشجوها ويتألم قلبه ويحاول اضمار هواه فيزداد سقما ويخفي اسراره فيصرّح وجده بما يخفي كأنه لا يملك زمام الأمر في هواه.

وقد اجاد الاحوص في تقليب اوجه ظواهر الحب في شعره فذكر كل العوامل التي تنتابه ووصف كل الأحاسيس التي تقضُّ مضجعه ولوّن المشاعر التي تملأ فؤاده وجسَّد الآلام التي تنخر جسده وأجرى الاشواق التي تعصر قلبه وجسّم الهموم التي تطرقه وتبيت في فراشه وتُورثه التسهيد والارق.

وتفنّن في حبه فذكر اوصاف الحب المختلفة وجعل لكل حبيبة معالم معيّنة تطبع علاقته بها فهو لا يملك الا الشغف والفتنة بالذلفاء بينما نجده يلاحق عقيلة يصف جلسات الغرام معها ويحدّث جميلة بعبارات المودة والاستحسان والفاظ الشوق والحنان ويصارح عبلة بالعشق والشوق للقائها والعذاب بهواها اما سلامة القس فنراه يتودّد اليها محاولا اقناعها بجدّية حبّه لها وكأنها لا تصدق اقواله ويصف لها غناءه بحبها وبكاءه من شدة الوجد به وسقمه في تذكّر هواها ويظهر لها تعلّقه بها وانصياعه لأمرها وكلفه بحبها رغم منعها المعروف عنه ويخاطب ام جعفر بطريقة اخرى اذ يصف زيارات قام بها الى بيتها ودورانه في الحيّ الذي تسكن فيه وملاحقة الاعداء له والاشارة اليه باصابعهم.

ولم يكتفِ الاحوص بذلك بل جسّد ذكريات الهوى في شعره وما تثيره هذه الذكريات من الحنين والألم والحزن ووصف حاله في نأي الحبيب وما ينتابه من الشوق والصبابة والهيام ومثول طيف الحبيب لعينيه ودوام الانشغال بذكرى حبيبه البعيد والنزعة الى لقائه والحنين لزيارة ارضه والبكاء لفراقه والاستخبار عنه.

وعالج الاحوص في شعر الحبَ مقالات الاعداء واشاراتهم وحيلهُ في التخلّص منهم ومعاكسة العذّال واللّوّام له وعدم الاصغاء لكلامهم. وذكر اجتهاده في الحفاظ على اسراره ودفنه لها في ضلوعه وعاتب حبيبه بالوان من القول الرقيق بهدف اثارة الشفقة لدى الحبيب عليه وتقوية اواصر الحب بينهما كما عالج التقلّب والملل لدى الاحباب وما يورثانه من الهجران وقطع حبال المودة بين الأحباب.

وكان يتمثّل الاحوص في شعره بالعاشقين المشهورين في التاريخ العربي قبل عصره فجعل وجده بسعدى فوق وجد عروة والنهدي واتخذهما مثالا له في الحب. وقد لوّن شعره الغزلي هذا برداء من العفاف حتى يُخيَّل لمن يسمع مقاطع من شعره انه شاعر غزل عفيف يفوق في هذا المجال شعراء هذا النوع من الغزل بل نلاحظ ان اكثر شعر الحب لديه يتسم بهذه السمة ويُبرِر بوضوح علامات الحب وتبعات الهوى التي تميّز الشعر العفيف ولسنا ندَّعي ان الاحوص كان واحدا من شعراء هذا النوع من الغزل ابدا بل يمكننا تفسير ذلك من خلال الظروف التي عاشها الشاعر؛ اذ عرفنا أن الأحوص لاقى من العداوة في قومه ما لم يلاقه غيره فكأنه عاش منفردا وسط أناس لا يحسّ بتعاطفهم معه وكان يائسا في تعامله معهم ويائسا كغيره من الانصار في مصانعته للحكم الاموي في العهود الأولى منه وزاد همومه موتُ زوجته وشقاؤه بموتها فاجتمعت كل هذه الأمور لتبعث في نفسه الحزن والآلام وتضعه في جوٍ من الضياع اشبه باجواء البادية المقحلة فهو في بادية من نوع آخر تعجّ بالعناصر الحيّة التي لا يستفيد الشاعر منها فتصبح ميتة بالنسبة له فأضحت هذه الصحراء الجديدة عاملا مؤثّراً في شعر الاحوص اكثر من تأثير البادية المعروفة في شعر البدوي اذ يعيش الأخير منفردا او مع خليط ينتمي اليه يقاسي صعوبات الحياة في البادية ووعورة مسالكها الطبيعية بينما نجد الاحوص يعيش منفردا في

مدينة لا يجد فيها صديق ولا يمكنه ان يتّخذ فيها حبيبا بل يزداد شقاؤه فيها بفعل العداوة التي تنصبّ عليه من كل الاتجاهات وفي كل الاماكن التي يقصدها مما يزيد في وحدته وشقائه ويُلزمه بحياة تفوق بقساوتها حياة البدوي المتحرّر في الصحراء الدرامية الاطراف.

وقد برز هذا الموقف في شعر الاحوص فطبعه بهذا الطابع دون ان يكون للاحوص تلك الشخصية التي يتّسم بها الشاعر العفيف فكأن اشعار الاحوص هذه جاءت عفوية تعبر عن واقع الشقاء الذي يعيش فيه الشاعر.

وقد حدا هذا الواقع بالأحوص الى الاندفاع نحو اللهو والمجون بكل جوارحه وبصورة خاصة في النصف الثاني من حياته محاولا معالجة يأسه بالمرح ومداواة شقائه باللهو فاتّسم قسم كبير من شعره بطابع اللهو والمجون مع صاحباته ولها مع المغنين واندفع في مجونه دون رادع من ضمير غير آبهٍ بانكار قومه لافعاله فكان لسان حاله يقول:

فما العيش الا ما تلذّ وتشتهي وان لام فيه دو الشنان وفَنَّدا

٢ - الاسلوب القصصي - الوحدة في القصيدة - البحور القصيرة:

اذا كان عمر بن ابي ربيعة قد لوّن غزله باسلوب قصصي وعُرف عنه ذلك وشاع في الأدب العربي ذكره فان الاحوص لم يكن بأقلَّ منه قدرة في هذا المجال وقد ورد في مواضع من شعره ذكر مغامرات غرامية عاش فيها او تخيّلها فاصبحت القصيدة عند الاحوص إهابا شعريا لتلك القصص.

ولعل ضياع اكثر شعر الاحوص يمنعنا من استصدار حكم نهائي في شعر الاحوص القصصي بل في مجموع الالوان والصفات التي طبعت شعره وما القليل من شعره الذي وصلنا سوى مؤشرات لفنونه الادبية

المختلفة ونماذج منها فالاشعار التي صُبغت باللون القصصي هي في حد ذاتها دليل على تطرُّق الاحوص الى هذا النوع من الاسلوب الغزلي واكثاره منه في قوله. وقد مرَّت معنا هذه النماذج في موضع سابق فرأينا اجادة الاحوص لهذا الفن وضلوعه منه وحسن تناوله لمغامراته وقصصه الغرامية في ثنايا الشعر المقفّى الذي اتّخذ مادته من تلك المغامرات وحاك منها انسجته الشعرية المذكورة.

ويظهر هذا الاسلوب جليّا واضحا في رائيته المعروفة «خمس دسسن اليّ» التي اوردها ابو الفرج مشفوعة بالقصة الحقيقية او المؤلفة التي تعلّقت بها وقد تناولناها سابقا فلا داعي لاعادة رواية ابياتها هنا. فهو يذكر في هذه القصيدة قصة تامة يبدأها بمقدمة مباشرة يذكر فيها ارسال النسوة في طلبه وقدومه عليهن مع الرسول بعد نوم الرقباء مستبطنا سيفه الصارم ويصف حاله معهن تلك الليلة حتى مطلع الفجر ومخاصرة إحداهن له، حتى بلغا خدرها، وتَنَازُعَهُ الهوى معها حتى جرَّهما الى منتهى رغبتهما وصبابتهما.

وهذه القصة القصيرة لا تُقابل بما عُرف من قصص عمر بن ابي ربيعة اذ طال هذا الأخير في قصته الرائية المشهورة وقدم لها بابيات تظهر هيامه بصاحبته وتجنّبه غيرها واستنكار اهلها لهذه العلاقة بينهما مما لا يدخل في صميم القصة التي قد يكون تخيّلها ونسج حلقاتها بينما نجد الاحوص يدخل مباشرة في سرد وقائع قصته التي قد تكون حقيقة واقعة حسب ما يُفهم من سياق الخبر الذي اورده صاحب الاغاني. كما يتبيّن لنا ان الاحوص في قصته كان اقل دراية من عمر في طبائع النساء وتصرّفاتهن التي تخيّلها المخزومي ولوّنها في قصصه بل نجد الاحوص ينجرّ الى ذكر وقائع أقرب الى ما حدث معه في تلك الليلة.

ومهما يكن من امر فان مثل هذه الحوادث في شعر الاحوص يُعتبر

دلالة مهمة على طرق الشاعر لأسلوب القصص في غزله وذهابه فيه مذهباً واقعيا يقارب ما يحدث له في مغامراته ولربما كان للاحوص اشعار اخرى كثيرة ينسج فيها قصصا اكثر او اقل أهمية مما ذُكر في المصادر الادبية فذهب بها الزمن مع ديوانه المفقود وأفقدنا بضياعها القدرة على اعطاء حكم واضح في شاعرية الاحوص وفنونه.

اما الوحدة في القصيدة فهي ظاهرة جديدة لم تكن مألوفة في الجاهلية وفي شعر صدر الاسلام ولكنها شقّت طريقها في شعر العصر الاموي وبرزت بصورة واضحة لدى شعراء الغزل الحجازيين في ذلك العصر ويكاد يكون شعر الاحوص الذي بين ايدينا اوضح صورة لهذه التجربة الجديدة فاذا استثنينا المقطعات الصغيرة العديدة التي تتناثر في ثنايا الديوان والتي تدور كل منها حول موضوع واحد لا تتعداه الى سواه نجد ان اكثر قصائده الاخرى تدور في فلك الوحدة هذه بينما تتجه بضع قصائد مدحية في الاتجاه التقليدي سالكة عمود القصيدة الجاهلية ونجد في طيّات الديوان بضعة مطالع طللية أخرى قائمة بذاتها بعد ضياع ما يليها من قصائد الاحوص بفقدان ديوانه المصنوع.

وقد كان لاسلوب الاحوص القصصي والحوار في شعره اثر مهم في بناء قصيدته الغزلية كما كان لمطالعه التي توسعنا بذكرها فيما سبق وأعني بها الاطلال المأهولة والاطلال الحسّية عظيم التأثير في اظهار ترابط ابيات القصيدة وتوسّع الشاعر في موضوعه الواحد بحيث برزت وحدة في القصيدة لم تكن معروفة بمثل هذا الشكل في شعر القدماء ففي شعره العديد من القصائد المترابطة الأجزاء المتصلة المواقف التامة الوحدة. وكان يربط في قصيدته البيت بالبيت في الجملة الواحدة بحيث لا يتم المعنى الواحد في البيت ما لم تُذكر اجزاؤه في البيت الذي يليه مما يزيد في وحدة القصيدة وتشابكها. وهذا ما يسميه العلماء بالتضمين وكان يُعد عيبا في الشعر.

وقد كان الاحوص يجنح احيانا الى الفصل بين الفعل ومتعلقاته فيجعل الفعل في بيت والجار والمجرور المتعلقين به في بيت آخر كما نرى مثلا في قوله:

فعكفن ليلتهنّ نـــــاعمـــــة ... ثم استفقن وقــد بـــدا الفجرُ
بـــأشمَّ معسولٍ فكـــاهتـــه ... غضّ الشبـــــاب رداؤه غمرُ

او يجنح الى الفصل بين فعل القول ومعموله فيجعل فعل القول في بيت ومقول القول في بيت آخر كقوله:

قـالـت: وقلت: تحرّجي وصـلي ... حبــل امرىء بغرامــكم صــبِّ
«واصـل اذن بعـلي» فقلـت لهـا: ... الغــــدر شيء ليس من ضربي

أو يجعل الفعل في بيت ومفعوله في بيت آخر كقوله:

هـل تـذكرين عَقيـلُ أو انساكِـهِ ... بعـدي تقلُّبُ ذا الزمـان المفسدِ
يومي ويومَـكِ بـالعقيـق اذ الهوى ... منــا جميـع الشمـل لم يتبـدَّدِ

او يجعل الفعل في بيت وحاله في بيت آخر في مثل قوله:

فطرقتهن مــــع الجري وقـــد ... نـــام الرقيـــب وحلـق النّسرُ
مستبطنـــاً - للحيِّ اذ فزعوا - ... عضبـــــا يلوح بمتنـــــه أثرُ

وكثيرا ما كان يجعل الحرف المشبّه بالفعل في بيت وخبره في بيت آخر في مثل قوله:

الا إنَّ أهوى الناس قربا ورؤية ... وربما اذا ما الليل غارت كواكبُهُ
ضجيعٌ دنـا مني جـذلتُ بقربـه ... فبــات يمنيني وبـــتُّ اعــاتبُــهُ

وكقوله:

انني والــــــذي تحجّ قريش ... بيتــه سالكــين نقــب كــداءِ
لمـــلمٌ بهـــا وان أُبـــتُ منهـــا ... صــادرا كــالـذي وردتُ بــداءِ

او كقوله:

كأنك من تذكُّر ام حفص وحبل وصالها خَلَقٌ رِمامُ
صريعُ مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظامُ

فوحدة القصيدة واحدة من ابرز الخصائص في شعر الاحوص فترى ابيات القصيدة آخذا بعضها برقاب بعض مع تتابع المعنى واستنفاذ الغرض. فيصعب فكّها ويصعب التقديم والتأخير فيها كما يمكن ان يجري في كثير من الشعر العربي. وتبدو هذه السمة في قصائده الطوال كما تبدو في كل المقطعات الغزلية التي صنعها الاحوص للغناء او للتعبير عن حالة فنية معينة تدور في خلده. ولنسمعه يقول:

قد ودّعتك وداع الصارم القالي نعم وداع تنـاءٍ غـير ادلالِ
وعاد ما ودّعتني من مودّتها بعد المواثيق كالجاري من الآلِ
فقلت لما اتاني انها خترتْ وطاوعت قول اعدائي وعذّالي
انتصرمِ الحبل اوترضِ الوشاة بنا او تمسِ قد رضيتْ منّا بأبدالِ
فقد أراها وما تبغي بنا بدلا ولا تُطيع بنا في سالف الحالِ
أبقى لها الدهر من ودّي الذي عهدت أمرين لم يبرحا مني على بالِ
شوقا اليها اذا بَتّتْ مناسبها يوما وابصرت منها رسم اطلالِ
وحفظَ ما استودعت عندي وقد زعمت أن ليس يحسن حفظ السر امثالي

والشواهد على هذه الظاهرة عديدة في شعر الاحوص. فاذا ما استثنينا بضع قصائد مدحية جرت مجاري القصيدة القديمة مراعاة لاعراف المدح القديم نجد بقية قصائد الشاعر تدور في فلك وحدة الموضوع فقصائد الاستعطاف التي بعث بها الى عمر تُعَدُّ من اجود الامثلة في هذا المجال فهي محكمة النسج متسلسلة التركيب مترابطة الاجزاء تتعلق حلقاتها بمركز الغرض من القصيدة لا تتعداه الى سواه. ومثل هذا الكلام يمكن ان يقال في قصائد اخرى قالها الاحوص في الهجاء والرثا والموعظة ووصف الشيب.

وميزة البحور القصيرة برزت في شعر الاحوص فلزمها في كثير من

شعره ولعل سبب ذلك الحركة الغنائية التي عمّت الحجاز في عصر الامويين. فقد كان الاحوص مصاحبا لأكثر المغنين المشهورين في محيطه فكانوا يلحّنون أشعاره، وكان يقول الشعر ويعطيه للمغنين لتحلينه، وأشهرهم معبد الذي كان يلازمه ويرافقه أحيانا في بعض مغامراته كما كان الأحوص يصطحب المغنين في رحلاته الى مركز الخلافة في الشام.

ولو تصفّحنا شعر الاحوص الذي وصلنا واستثنينا ما هو على البحر الطويل فقط لألفينا ان أكثره يقع على البحور القصيرة او على مجزوءات البحور التي يسهل وضع الالحان عليها او تصلح للغناء.

ومن اقواله في مجزوء الرمل:

قــد لعمري بــتُّ ليــلي كــأخي الــداء الوجيــعِ

وهو من الارمال الثلاثة المختارة. وفي شعر الاحوص خمسة اصوات مختارة من المئة التي اختيرتْ لهارون الرشيد وفيه ما يزيد على الثلاثين صوتا آخرا مما وضعه ابو الفرج في ترجمة الشاعر. ومن مجزوء الرمل كذلك قوله:

انمــا الــذلفــاء همّي فليــــدعني من يلومُ

وعلى مجزوء الوافر قوله:

سرى ذا الهم بــل طرقــا فبــتُّ مسهــدا قلقــا

وعليه كذلك قوله:

كــأن مــدامــة ممــا حوى الحــانوت من مَقَــدِ

اما البحر الطويل فقد استهوى الاحوص برغم طوله او ربما دعت الضرورة الى اعتماده اذ نظم عليه الشاعر معظم قصائده او كل قصائده التي تناولت الاغراض الجدّية.

٣ - الرقة والطلاوة وحلاوة المنزع:

امتاز شعر الاحوص الغزلي بالرقّة والسهولة في التعبير عن عواطف الحب وفي سرد اخبار حبه وفي وصف بعض الحوار الذي كان يدور بينه وبين صواحبه. فكان يسلك سبل السجية والطبع في شعره رغبةً منه في تقريب معانيه الى سامعيه ومتذوّقيه كذلك فرض عليه فن الغناء ان يصوغ شعره بالفاظ سهلة ومعانٍ قريبة التناول والادراك مثل ما فرض عليه احيانا ان يجنح الى البحور القصيرة ليصبح الشعر اسهل تناولا في الالحان والغناء وايسر حفظا على المغنين والسامعين. والشواهد على رقة اسلوبه وبساطته كثيرة منها قوله:

رام قلبي السلو عن اسماء ... وتعزّى وما به من عزاء
سخنةٌ في الشتاء، باردةُ الصيـ ... ـفِ، سراجٌ في الليلة الظلماء
كفّاني ان متُّ في درع أروى ... وامتحالي من بئر عروة مائي
انني والذي تحج قريش ... بيته سالكين نقب كداء
لملمٌّ بها وان أبْتُ منها ... صادرا كالذي وردتُ بداء

وفي شعر الاحوص شيء من خفة الروح في التعبير عن حبه ولهوه او كما سمّاه بعضهم حلاوة المنزع في الغزل. ولقد لاحظت النساء ذلك في شعر فكن يرغبن في سماعه لأن هذا الشعر كان فوق رقته وسهولته فتنة لهن. فكن يعترضن الشاعر في العقيق ويطلبهن منه ومن زملائه إسماعهن بعض أشعارهم. واستنشدت امرأة شريفة إناً للأحوص قول أبيه:

لي ليلتان فليلة معسولة ... القى الحبيب بها بنجم الاسعدِ
ومريحة همّي عليّ كأنني ... حتى الصباح معلق بالفرقدِ

فقالت: أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقا بالفرقد؟ قال: لا والله. قالت: هي ليلة امك التي يبيت معها فيها. فقال بعضهم لأشعب: يا ابا العلاء فأي ليلتيه المعسولة؟ فقال:

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ

هي ليلة الاسراف لا تسال عما بعدها[1].

والاحوص لين الجانب عند القوافي وضارع الخد للنساء كما وصفته عزّة[2] ومن حلاوة منزعة اهتمامه بالنفس الانسانية في مواضيع عديدة من شعره وتعبيره عما يخالج هذه النفس من عواطف الحب بنوع خاص. ومن حسن غزله في التعبير عن لواعج حبه بابيات تمثل هذه الناحية من حلاوة المنزع قوله:

عوجوا كذا نذكر لغانية بعض الحديث مطيّكم صحبي

ونقلْ لها فيمَ الصدود ولم نذنب بَلَ انْتِ بدأت بالذنبِ

ان تقبلي نقبل وننزلكم منا بدار السهل والرحبِ

أو تدبري تكدر معيشتنا وتصدّعي متلائم الشعبِ

وفي شعره الكثير من الامثلة والشواهد على هذه الميزة غير ان هذا الشعر منسوج في مواضع كثيرة بانسجة الجدَّة في الاسلوب التي تظهر واضحة في موضوعاته الجدّية من مدح وهجاء وفخر وموعظة وغيرها.

٤ - الابتكار والسبق:

تناولنا فيما سبق بعض الألوان التي صبغت شعر الأحوص وبيّنا انشغال هذا الشعر بضروب من التجديد في شكل القصيدة، وخروجه على عمود القصيدة التقليدي في الوقت الذي مرزت فيه هذه النزعة عند شعراء آخرين من معاصري الأحوص كعمر بن أبي ربيعة. ولكن بذور التجديد ظهرت في تلك المطالع التي تحدثنا عنها فيما سبق وأطلقنا عليها لفظي: الأطلال المأهولة والأطلال الحسية. اذ لم تكن المطالع

---

(١) - الاغاني (د) ٢٦٠/٤ - ٢٦١.

(٢) - الاغاني (ث) ١١٥/١٢ ذيل زهر الاداب ١٥٠ زهر الاداب ٣٧١/٢.

القديمة تستأثر بشعر الأحوص سوى في قصائد المدح التي كان يُجاري فيها العمود التقليدي للقصيدة العربية إضاء لممدوحيه بينما تميزت قصائده الغزلية بمطالع جديدة مبتكرة وأكثرها تجديدا تلك التي يصف فيها حاله اليائسة وأحزانه العاتية وسقامه المضني وسهاده المبرّح وشوقه المحرق، ومنها قوله:

أفي كل يوم دمعة العين تقرعُ — وعيني لبَيْنٍ من ذوي الودّ تدمعُ
أبالْجَدِّ اني مُبْتَلى كلَّ ساعةٍ — بهم لـه لوعـات حزن تطلـعُ
إذا ذهبـت عني غواش لعـبرة — أظـل لاخرى بعـدهـا أتوقـعُ
فـلا النفس من تهامها مستريحـة — ولا بالذي يأتي به الدهر تقنعُ...

ومثله قوله:

طاف الخيال وطاف الهم فاعتكرا — عنـد الفراش فبات الهمّ محتضرا
اراقب النجم كالحيران مرتقبا — وقلّص النوم عن عينيَّ فانشمرا

وهذه المطالع كثيرة في شعر الاحوص ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا التمسنا فيها نوعا من الرومانسية التي عرفت في القرن الثامن عشر الميلادي، والسبب في بعث مثل هذه المطالع الحزينة في شعر الأحوص يعود الى ما أسميناه بالبادية المأهولة التي عاش فيها الشاعر من جرَّاء فقره وموت زوجته وعداوة قومه له ويأسه السياسي الذي طغى على بعض شباب الحجاز. وكانت المطالع التي أسميناها الأطلال المأهولة ضرورة حياتية وتعبيرا عن ضرب الحياة المدنية التي نشأ فيها هذا الشاعر الذي لم يعرف البادية قط. وهذه المطالع لا تقل في أهميتها وميزة التجديد فيها عن سابقاتها من المطالع الحسية.

اما التجديد في الاغراض فقد كان ضيّقا لدى الاحوص الذي طوّر الغزل مع معاصريه من شعراء الغزل الحجازيين وان لم يصل الى درجة عمر بن ابي ربيعة فانه كان قرينا له في الحجاز، فكان عمر زعيم الغزليين في مكة وكان الأحوص زعيم الغزليين في المدينة وقد سلك

الاحوص قريبا من مسالك **عمر** ولربما كان له تلك الميزة من التقدّم التي عُرف بها المخزومي الا ان ضياع معظم اشعاره افقدنا القدرة على الحكم بشيء من الموضوعية في مجال تقدّمه في تطوير الاساليب الموضوعات الغزلية ويمكننا في هذه الحالة ان نعتبر النماذج اليسيرة في شعره دليلا على منهاجه ومنواله في طرق الموضوعات الشعرية المختلفة في الغزل وغيره من الاغراض.

وقد طرق الاحوص اغراضا قلّما طرقها سابقوه كالاستعطاف وطلب الاستئذان بالقدوم من منفاه الذي أُودع فيه بأمر من عمر بن عبدالعزيز فكان هذا الموضوع ألصق بحياته الشخصية ولم يكن تقليدا للنابغة الذبياني أو لعدي بن زيد بل نلاحظ أن كلاً من هؤلاء الشعراء كانت له ظروفه الشخصية التي دعته الى القول في هذا المضمار. فنرى النابغة يطرق الاعتذار لمجرّد تهديد ورده من النعمان وهو حر طليق، وقال عدي اعتذارياته وهو في السجن، بينما نظم الأحوص استعطافه لعمر وهو غريب في دهلك وضمنّها ألوانا من القول لم تكن ترد في أشعار سابقَيْه لاختلاف الظروف بينه وبين كل منهما. لذلك لا يمكننا أن نعتبر الأحوص مقلّدا لغيره في هذا المجال بل مجدّداً مبتكراً وسابقاً.

اما مضمون القصيدة عند الاحوص فقد حفل بغزارة المعاني وجدّتها حيث كان لوحدة الموضوع التي ظهرت معالمها بوضوح في قصيدة الشاعر أثرُها في هذا المجال. فلقد دعاه الموضوع الواحد الذي كان يلحُّ على نفسه ويستأثر بهيكل القصيدة ويتفرد بها الى تلوين وجوه القول والتفنّن في تصريف المعاني وعرض الصور حتى غدت هذه الموضوعات المنسابة من قرارة نفسه النابعة من تفكيره الخصب ووجدانه المتوفّر عنوانا ودليلا على غزارة معانيه وغناها واصبحت شاهدا على سبقه في كثير منها الى الابكار الخرّد التي لم يفترعها قبله شاعر. ولقد وقف القدماء عند كثير من معانيه التي سبق اليها واخذها عنه الشعراء المتأخرون فأقروا له

بفضيلة السبق والابتكار وقوة الشاعرية في ذلك.

ونذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فقول الاحوص:

اني اذا خفي الرجـال وجـدتني كـالشمس لا تخفى بكـل مكـانِ

اخذه بشار فقال:

انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي الشمس للقاصي وللـداني

وقال ابن عبد ربه في بيت الاحوص المذكور إنه «أفخر بيت قالته العرب[1] ».

«وقول ابي نواس:

وان جرت الالفـاظ منّـا بمـدحـة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

اخذه من قول الاحوص:

متى ما اقل في آخر الدهر مدحة فما هي الا لابن ليــــلى المكرَّمِ

وقول دعبل:

أحـب الشيـب لمـا قيـل ضيـف كحبّي للضيوف النـــازلينـــا

أخذه من قول الاحوص ايضا حيث يقول:

فبـان مني شبـابي بعـد لـذتـه كأنما كان ضيفا نازلا رحلا[2] »

وقول الاحوص:

كــأن لبني صبــير غــاديــة أو دميــة زُيِّنَــتْ بهــا البيــعُ

اخذه ابو العتاهية فقال:

كــأن عتَّــابــة من حسنهــا دمية قسٍ فتنت قسها[3] »

---

(١) - العقد ٢/١٩٤.

(٢) - عيار الشعر ٧٦.

(٣) - شرح المقامات ١/٣٠٣.

«وقول الاحوص:

وإني لاستحييكم ان يقودني ... الى غيركم من سائر الناس مطمعُ
وان أجتدي للنفع غيرك منهم ... وانت امام للبرية مقنعُ

اخذه ابو تمام فقال:

رأيت رجائي فيك وحدك همّة ... ولكنه في سائر الناس مطمع[1] »

ولعل فيما قدمناه من نصوص دليلا واضحا على سعة ادراك الشاعر وغناه بالمعاني والصور وسبقه الى الطريف البكر منها فكان له فضل كبير في التجديد والابتكار في شكل القصيدة ومضمونها وموضوعاتها.

٥ - الاصالة والطبع:

يجد القارىء لشعر الاحوص نفسه امام شاعر مطبوع يتدفق الشعر من اعماق نفسه فيحكي ما يختلج فيها من مشاعر وما يضطرب من احاسيس وانفعالات. ولا غروَ أن يتميز الاحوص بالاصالة والطبع وهو الشاعر الذي سلك في الشعر سبيل التعبير عن افكاره وخواطره التي تدور في ذهنه والتي ملكت عليه لبّه واستبدت بإحساسه.

وتتجلى اصالة الاحوص الشعرية وطبعه السجح المعطاء في غزارة معانيه وتدفقها وتلوينها وفي تخيّر الاساليب الموائمة لها.

ففي الموضوعات التي تتصل بعزّة نفسه وتمسّ كبرياءه أو التي تتناول حقائق الكون التي وردت في مواعظه نراه ينتقي اللفظ الكريم الذي يقرع الاذن ويملأ الفم ويرسم الجو المناسب الذي اراده الشاعر ومثل هذه الصلابة الشعرية والفخامة اللفظية تطبع القسم الاكبر من شعره فنراه يقول في الفخر:

ما من مصيبة نكبة أمنى بها ... الا تعظّمني وترفع شاني

(١) - سمط اللآلي ١/٢٤١.

وتزول حين تزول عن متخمّط   تُخشى بوادره لـــدى الاقرانِ
اني اذا خفي الرجال وجدتني   كالشمس لا تخفى بكل مكان

ويقول في الفخر ايضا:

ولكنْ أبي لو قد سألت وجدته   توسّط منها العز والحسب الضخما
ولست بلاق سيدا ساد مالكا   فتنسبه الا ابا لي او عما
ستعلم ان عاديتني فقع قرقر   أمالاً افدت لا ابا لك او عدما

وتلمس القوة في التعبير ورسوخ الالفاظ في موعظته حين يقول:

الدهر ان سرّ يوما لا قوام له   احداثه تصدع الراسي من العلمِ
يستنزل الطير كرها من منازلها   الى المنيـــة والآساد في الاجمِ

ونحسُّ بالفاظ الاحوص تنساب وتتهادى مرحة تعبّر عن نفسه الطروب واجواء لهوه ونعيمه حين تصفو له الأيام وتنفرج همومه فنسمعه يقول:

قـامـت تخـاصره لكلّتهـا   تمشي تـأوّد غـادة بكرُ
حـتى اذا ابـدى هواه لهـا   وبـدا هواهـا مـا لـه سترُ
سفرت ومـا سفرت لمعرفـة   وجهـا أغرَّ كـأنـه البـدرُ

ونرى الاحوص يعبّر عن همومه واحزانه وما ينتابه من قلق وسقام باسلوب رقيق تمتد فيه الكلمات امتداد اوقات السهاد وتنبسط فيه المعاني انبساط الاحزان والهموم وتبرز فيه نبرات النغم كأنها لسعات الألم ووخزات السقم ومثل هذه النغمات والتعابير يسيطر على غالبية شعره الغزلي فهو يقول مثلا:

الا هـاج التـذكر لي سقـامـا   ونكس الـداء والوجع الغراما
سلامـــة انهـــا همّي ودائي   وشر الـداء مـا بطن العظـامـا

وقد أمدّه طبعه الشاعري الخصب بقدرة فائقة على التصوير الحي فكسا شعره بطائفة من الصور الرائعة جسّمت معانيه وابرزتها في اجمل

الحلل واوضح الاشكال بصورة عفوية ومأخذ قريب وزيّنتها الفاظه المتناسقة حيث استند في مجموع شعره الى العبارة الصلبة المتدفقة تدفق الماء في مجراه المتدافعة تدافع الموج في مسراه فاكسبت شعره موسيقى متناغمة طبعت اقواله وجعلتها في مقدمة الاشعار المغنَّاة في عصره. ومما زاد في حلاوة موسيقى شعره اعتماده البحور القصيرة في كثير من شعره كما ذكرنا وهذه ميزة تعود الى البيئة الحضرية والى ضروات الغناء في عصره.

فالموسيقى في شعر الأحوص متناسبة مع الموضوع تظلّله وتسبغ عليه رداءها، فهي في استعطافه حزينة النغمة تصوّر نفسه الكسيرة الشاكية وعذابه الشديد، وهي في حكمته هادئة رتيبة، وفي حنينه لأيام الصبا والشباب هامسة ناعمة، وهي في غزله متناغمة مختلفة الأصوات متعددة النغمات تبعا لاختلاف حالته النفسية واختلاف موضوعات الغزل التي وردت في شعره. بينما نجد هذه الموسيقى هادرة في هجائه لخصومه، قوة في فخره فخمة في مدحه. ويمكننا أن نلخّص القول في مكونات شاعرية الأحوص التي تُسْتَشَفُ من شعره، فنجد عنده معاني غزيرة متدفقة وأسلوبا رصينا محكم النسج متخيَّر اللفظ ملائما للمعنى في صوره وموسيقاه مما يُطفي على شعره سمة الأصالة ويُلبسه رداء العفوية والطبع.

٦ - عيوب في شعره:

لم يؤخذ على الاحوص اي عيب في تركيبه للالفاظ عموما ولم تذكر المصادر من مظاهر الاسفاف التي قد تلحق ببعض الشعراء اي مظهر عند الاحوص وان كان بعض العلماء قد تطوَّع للتفتيش عن الهنات التي قد تلحق باساليب الشعراء فانهم لم يلاحظوا مثل هذه الأمور عند شاعرنا بل كان علماء اللغة يستشهدون بشعره ومنهم العالم الأكبر سيبويه الذي استشهد بالعديد من ابيات الاحوص في كتابه.

غير ان الأحوص كان قد أجرى بعض الإيطاء في قوافيه ونجد منها مثلين في شعره الذي بين أيدينا، فذكر في إحدى رائياته كلمة المقابر مرتين في القافية فقال:

لقد بخلت بالودّ حتى كأنها خليل صفاء غيبته المقابرُ
اذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلوّ المقابرُ

وفي ميميته التي يهجو بها السري بن عبد الرحمن جعل قافية البيت الأول (ذمّا) وجعل قافية بيته الثالث (الذمّا)، ولعلّ العلماء كانوا لا يجدون حرجا على الشاعر في الايطاء إذا كان محصوراً في قافيتين، ووجد فيه قدامة بن جعفر بعض السماجة وقال: «فإنْ زادتْ على اثنين فهو أسمج[1]».

ولا نجد في شعر الاحوص عيوبا اخرى في التركيب وان عدّدنا فيما سبق بعض الامثلة في التضمين الذي كان يستعمله الشاعر فان التضمين لا يُعتبر في عصرنا الحاضر عيباً كما كان سالفا. ولربما جنح التضمين ببعض الشعراء الى الإسفاف إلا أنه بقي في شعر الأحوص متلائما مع صلابة التركيب ونجاعة المعنى، ولم يؤدِّ به التضمين الى الركاكة التي سقط فيها غير واحد من الشعراء. واذا ما تعدينا التركيب والبناء الى المعاني والصور وجدنا بعض المآخذ على الأحوص لا تكاد تبلغ عدد أصابع الكف الواحدة لكنها غير ذات أهمية وليست تضع من قوة الشاعر وعلو منزلته ورفعة مكانته بين فحول الاسلاميين.

II - مكانة الاحوص الشعرية:

١ - عند عامة متذوقي الشعر:

نال الاحوص مكانة مهمة في قلوب العامة من متذوقي الشعر وحلّ

---

(١) - نقد الشعر ١٣٥.

منزلة عالية في نفوسهم واصاب شعره حظوه في عيونهم وانتشارا بينهم وتأثيراً فيهم قلّ نظيره في ذلك العصر فلم يكن الاحوص مُسْتَلْطَفا في غزله فحسب بل كان مرهوبا كذلك في هجائه ومقدّرا في بقية اغراضه الشعرية. فإنْ كان عبد الحكم الجمحي قد اعتنقه وحيّاه وقال له «اما اذا كنت الاحوص فقد هان علي ما فعلت[1]» لعلو مكانة الشاعر في الغزل وغرقه في اللهو فان للشاعر بصمات في الهجاء طبعت آثارها في كتب الادب وفرضت على البعض اقوالاً وافعالا شهدت للاحوص على تقدُّمه في هذا المجال فابن حزم يقول لبعض انسبائه إن الاحوص قد عضهه ببعض شعره[2]،وسعد بن مصعب الزبيري يُغضي للاحوص على بعض هجائه ويمتنع عن ايذائه مقابل وعد من الشاعر الا يهجو زبيريا ابدا[3].

وكان لشعر الاحوص مكانة في اوساط مختلفة في الحجاز وغيره من الامصار فكان اهل دهلك يأثرون الشعر عنه[4] وكان الشعبي وابن ابي مليكة يرددان في طربها قول الاحوص:

اذا انت لم تطرب ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا[5]

وقد أتاه احد ولد جعفر بن ابي طالب فاستنشده قصيدته التي يقول في مطلعها:

ما ضر جيراننا اذ انتجعوا لو انهم قبل بينهم ربعوا

فأعجب بها الطالبي[6]. وكان ابن جندب يطرب لسماع قول الأحوص:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.
(٢) - الاغاني (د) ٢٣٧/٤.
(٣) - الكامل ٢٦٣/٢ الاغاني (د) ٢٤٤/٤.
(٤) - الاغاني (د) ٢٥٥/٤.
(٥) - نهاية الارب ١٣٩/٢.
(٦) - الاغاني (د) ٤١٤/٤.

لي ليلتـــان فليلـــة معسولـــة   القـى الحبيـب بهـا بنجم الاسعـدِ
ومريحـــة همّي عـــليّ كـــأنني   حـتى الصبـاح معلـق بـالفرقـدِ[1]

واستحوذ شعر الأحوص على استلطاف النسوة في عصره ونال إعجابهن وكانت اشعاره تشكل مادة مهمة من مواد طلباتهن، فحكاية الأحوص مع النسوة الخمس اللواتي دسسن اليه اليستمعن الى اشعاره[2] خير دليل على اهتمام المرأة بشعر الأحوص وسعيها لسماعه ، لسماعه كما كانت النسوة يعرضن الشاعر في العقيق وغيره من المنتزهات لسماع جديد اقواله ولطيف أشعاره[3]، وهذه امرأة اخرى تستنشد إبناً للأحوص بعض شعره فينشدها قوله:

لي ليلتان فليلة معسولة   القى الحبيب بها بنجم الاسعد...

ويدور اهتمام هذه المرأة حول تقرير ليلتي الشاعر وتفسيرها وتبيان كل منهما[4].

وبعيدا عن عالم المرأة كان شعر الاحوص يحظى باستحسان كثير من متذوقي الشعر لا سيما الغزلي منه، فكان عبد الأعلى بن عبدالله بن محمد بن صفوان الجمحي يقول «انسب بيت قالته العرب قول الاحوص:

اذا قلت اني مشتق بلقائها   فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما »[5]

وكان جعفر بن سليمان يقول: «ما سمعت باشعر من القائل:

اذا رمت عنها سلوة قال شافع   من الحب ميعاد السلو المقابرُ »

فقيلِ له: «اشعر منه الاحوص حيث يقول:

(١) - الاغاني (د) ٢٦١/٤.
(٢) - الاغاني (ث) ٢٦٦/١٦ - ٢٦٩.
(٣) - الاغاني (د) ٣٥٦/١.
(٤) - الاغاني (د) ٢٦٠/٤ - ٢٦١.
(٥) - اخبار القضاة ٢٤٩/٣ الاغاني (د) ٢٦٥/٤ نشوار المحاضرة ٢٧٣/٥ مصارع العشاق ٣٥٥ - ٣٥٦.

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا   سريرة حب يوم تبلى السرائرُ »[1]

والبيتان من قصيدة واحدة للاحوص

وطلب ابو السائب المخزومي من عبد الملك بن عبد العزيز ان ينشده قول الاحوص:

قالت؛ وقلت: تحرجي وصلي   حبل امرىء بغرامكم صب »...

فلما سمع الشعر طرب وقال: يا ابن اخي هذا المحب عينا...[2]

وانشد عبد الملك ابا السائب قول الاحوص:

لقد منعت معروفها ام جعفر   واني الى معروفها لفقيرُ

فلما انتهى الى قوله:

أزور على ان لست انفك كلما   اتيت عدوا بالبنان يشيرُ

أعْجبه ذلك فطرب وقال: أتدري يا ابن اخي كيف كانوا يقولون الساعة دخل، الساعة خرج، الساعة مر، الساعة رجع، وجعل يومىء بابهامه الى وراء منكبيه وبسبابته الى حيال وجهه ويقلبها ويحكي ذهابه ورجوعه.[3]

وانشد منشد في مجلس ضمَّ ابا عبيدة بن عمّار بن ياسر قول الأحوص:

اذ انت فينا لمن ينهاكِ عاصية   واذ أجرّ اليكم سادرا رسني

فوثب ابو عبيدة قائما ثم ارخى طرف ردائه ومضى يمشي على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العرض ثم رجع. فقيل له: ما شأنك؟ فقال: اني سمعت هذا البيت مرة فاعجبني فحلفت لا اسمعه الا جررت رسني[4].

---

(١) - الامالي ٢/١٦٠ - ١٦١ مصارع العشاق ٣٢٥.

(٢) - الامالي ١/٤٦ الاغاني (د) ٤/٢٦٤ - ٢٦٥ زهر الآداب ١/١٧٨ ذم الهوى ٢٣٩.

(٣) - الاغاني (د) ٦/٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) - الاغاني (د) ٤/٢٦١ - ٢٦٢ و(ث) ١٠/١٠٥ (مع بعض الاختلاف في اللفظ).

وبلغ الاحوص منزلة جعلته مفضّلا لدى بعض متذوقات الشعر على اصحابهن من الشعراء، فتلك عزة العاشقة الشهيرة تفضّل الاحوص على عشيقها الشاعر المشهور كُثَيِّر بن عبد الرحمن فقد رووا ان كُثَيِّرا دخل على عزة فقالت له: ما ينبغي ان نأذن لك بالجلوس. قال: ولم ذلك؟ قالت: لاني رأيت الاحوص ألين جانبا في شعره منك واضرع خدا للنساء وانه لأشعر منك حين يقول:

يا ايها اللائمي فيها لأصرمـــها ... اكثرت ان كان يغني عنك اكثارُ
ارجع فلست مطاعا ان وشيتَ بها ... لا القلب سال ولا في حبها عارُ

واني استرققت قوله:

ادور ولولا ان ارى ام جعفر ... بابياتكم ما دوت حيث ادور
وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... اذا لم يزر لا بد ان سيزور
لقد منعت معروفها ام جعفر ... واني الى معروفها لفقير

ويعجبني قوله:

اذا انت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
وما العيش الا ما تلذ وتشتهي ... وان لام فيه ذو الشنان وفَنَّدا
واني لاهواها واهوى لقاءها ... كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

فقال لها كثير: قد والله اجاد، فما استجفيت من قولي؟ قالت: أخزاك الله. اما استحييت حين تقول:

يحاذرن مني غيرة قد عرفنها ... لديّ فما يضحكن الا تبسّما
وقولك: وددت وبيت الله انك بكرة ... هجان وأني مصعب ثم نهربُ
كلانا به عرٌّ فمن يَرَنا يقلْ ... على حسنها جرباء تعدي وأجربُ..

ويحك لقد اردت بي الشقاء الطويل ومن المُنى ما هو اعفى من هذا واطيب[1].

---

(١) - الاغاني (ث) ١٢/ ١١٥ - ١١٦ زهر الآداب ٣٧١/٢ - ٣٧٢ ذيل زهر الآداب ١٥٠ - ١٥١.

ودخل الاحوص مع بعض الشعراء على عقيله بنت عقيل بن ابي طالب فجلست لهم مجلسا تطارحت فيه الشعر معهم، فقالت للاحوص: «أما أنت يا أحوص فأقل العرب وفاء في قولك:

من عاشقين تراسلا وتواعدا بلقا اذا نجم الثريا حلقا
باتا بانعم عيشة والذها حتى اذا وضح الصباح تفرّقا

الا قلت: تعانقا «بدل تفرقا» أما والله لولا بيت قلته ما اذنت لك وهو قولك:

كم من دنيّ لها قد صرت اتبعه ولوصحاالقلب عنهاصار لي تبعا»[١]

ونلاحظ انها لا تأخذ على الاحوص شيئا من السقوط والاسفاف ولا تتهمه بشيء من العيب بل يسوءها أن يتفرق الحبيبان فكانت ترجو لو ان الشاعر قال (تعانقا) بدلا من «تفرقا» لانها ترى ان التعانق اتم للحب وقت الفراق والزم عند الوداع. فالشاعر يرى في الاجتماع ثم الفراق تجربة من الحب وهي ترى التعانق لا الفراق نهاية كل حب. فهو عاشق متشائم كما اسلفنا وهي ناقدة متفائلة تريد للمحبين التواصل وجني ثمار الحب.

ومثل هذا الحكم صدر من سكينة بنت الحسين حين احتكم اليها رواة بعض الشعراء لتقرِّرَ رأيهم أشعر فقالت لصاحب الاحوص: اليس صاحبك الذي يقول:

من عاشقين تراسلا وتواعدا بلقا اذا نجم الثريا حلقا
باتا بانعم عيشة والذها حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبح الله صاحبك وقبح شعره الا قال: «تعانقا»[٢].

---

(١) - الموشح ١٦٠ - ١٦١.
(٢) الاغانيَ (ث) ١١٠/١٦ - ١١١ الموشح ١٥٩.

بينما نجد ان احدى نساء بني امية عيّرت الاحوص بقوله:

يقرّ بعيني ما يقر بعينها   واحسن شيء ما به العين قرّتِ[1]

وهذا البيت تقاسم نسبته كل من كُثَيِّر والاحوص وكانت سكينة قد عيرت به كُثَيِّراً في الخبر الاخير. واقدم مصدر أورد هذا البيت جعله في تائية كُثَيِّر المشهورة وهذا المصدر هو كتاب الزهرة[2] بينما اورده صاحب الاغاني وصاحب الموشح في اماكن متفرقة منسوبا لكثير مرة وللاحوص مرة اخرى[3]، ولا استبعد ان يكون بعض الرواة قد دسّ هذا البيت على الاحوص لينال منه لما عرف عنه من دنيء الاخلاق والصفات.

٢ - عند الخلفاء:

كان خلفاء بني امية ممن عاصر الاحوص يحفظون شيئا من شعره ويروونه ويستحسنون الوانا منه ويتأثرون بالوان اخرى. فهذا يزيد بن عبد الملك يطرب لشعر الاحوص ويسمع الغناء بشيء منه، بعد ان كان مسلمة دفعه الى الاقتداء بعمر بن عبد العزيز، فيرتد الى حالة اللهو والمجون مرددا قول الشاعر:

اذا انت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى   فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش الا ما تلذّ وتشتهي   وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

ويضرب الارض بخيزرانته ويقول: صدق قائل هذا الشعر ولعنة الله على مسلمة وعلى ما جاء به[4].

---

(١) - الاغاني (د) ١/٣٦٠.
(٢) - الزهرة ٨٧.
(٣) - الاغاني (د) ١/٢٩٥ و١/٣٦٠ للاحوص و(ث) ١٦/١١١ لكثير الموشح ١٨٧ للاحوص و١٥٩ لكثير.
(٤) - ابن سلام ٥٣٨ - ٥٣٩ الشعر والشعراء ٤٢٥ الامالي الزجاجي ٤٨ - ٤٩ مروج الذهب ٣/١٣١ البدء والتاريخ ٦/٤٨ الاغاني (ث) ١٥/١٠٠ التنبيه ٣/٢٧ وغيرها.

ووفد الاحوص مرة على يزيد وحمل معه الغريض وقال ابياتا صنع عليها الغريض لحنا جميلا فلما استقبله يزيد انشده الابيات وفيها يقول:

الاهاج التذكر لي سقاما ونكس الداء والوجع الغراما
سلامة انها همي ودائي وشر الداء ما بطن العظاما...

فصاح يزيد: «انا ذاك في هوى خليلتي وما كنت احسب ان مثل هذا يتفق وان ذاك لما يزيد لها في قلبي». واحتال الاحوص على يزيد في ذكر الغريض له كما اصطنعت سلامة حيلة اخرى لاستدرار محبة الخليفة لها وساعدها في ذلك الاحوص. فاستحسنت قوله واستلطفت عمله واثنى الخليفة على الشاعر بقوله: «يا احوص انك لمبارك»[١]

وكان يزيد بن عبد الملك معجبا باشعار الاحوص الغزلية منها والمدحية حتى انه اقرّ له باعجابه وتقديره لقوله:

واني لاستحييكم ان يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمعُ
وان أجتدي للنفع غيرك منهم وانت امام للرعية مقنعُ[٢]

وكان الى جانب ذلك يكرمه ويعطيه اكثر من تكريمه وعطائه لكُثَيِّر بن عبد الرحمن[٣]، ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات[٤].

اما عمر بن عبد العزيز فانه كان يقدر موهبة الاحوص ومكانته الشعرية ويسعى لأتقاء سطوة لسانه حين كان اميرا للمدينة[٥] وكان كذلك يحفظ الكثير من شعره وهذا ما ظهر جليا في احتجاج الانصار لديه حين وفدوا عليه طلبا للعفو عن الاحوص بعد نفيه[٦].

---

(١) - الاغاني (ث) ٣٤٦/٨ - ٣٤٧.
(٢) - الاغاني (د) ٢٥٠/٤.
(٣) - الاغاني (ب) ١٠٨/٨.
(٤) - الاغاني (ث) ٦٦/٩.
(٥) - الاغاني (ث) ١١٠/٢١ ذيل زهر الآداب ٥٩ - ٦٠؛ المنازل والديار ٤٣٠/١ الخزانة ٢٤٩/١.
(٦) - الشعر والشعراء ٤٢٤ الاغاني (د) ٢٤٧/٤ - ٢٤٨ و(ث) ٦٥/٩ سمط اللآلي ٧٨٦/٢ وغيرها.

وعرف الوليد بن عبد الملك منزلة مهمة للأحوص فكان يكرمه ويحسن معاملته وحين غناه ابن سريج ميمية الاحوص التي يمدحه فيها قال «احسنت والله واحسن الاحوص»[1].

اما ابوه عبد الملك فان له موقفا آخر من شعر الاحوص فمن جهة كان يحفظ الكثير منه على ما يبدو ومن جهة اخرى كان يتّخذ بعض ما يحفظ موضوعا لنقد هذا الشعر والنيل من صاحبه. فقد خاطب اهل المدينة حين جاءهم حاجا عام خمس وسبعين للهجرة بقوله: ما وجدت لكم مثلا الا ما قال مخنثكم واخوكم الاحوص:

وكم نزلت بي من خطوب مهمة　　خذلتم عليها ثم . لم اتخشّع
فادبر عني كربها لم اباله　　ولم ادعكم في جهدها المتطلّعِ[2]

وقال يوما لجلسائه: «اعلمتم ان الاحوص احمق لقوله:

فما بيضة بات الظليم يحفّها　　ويجعلها بين الجناح وحوصلَهْ
باحسن منها يوم قالت تدلّلا　　تبدل حبيبي انني متبدّلَهْ

فما اعجبه وهي تقول هذه المقالة»[3]

ولم يكن الاهتمام بشعر الاحوص يقف عند حدود خلفاء الامويين بل تعداه الى بعض خلفاء بني العباس ومنهم المنصور الذي كان يحفظ لامية الاحوص في مدح عمر بكاملها حسب ما تؤكد القصة الطريفة التي نقلتها مصادر عديدة والتي تدل على نباهة هذا الخليفة وفرط ذكائه[4].

اما المهدي فقد حكم لاحد ابيات الاحوص بانه انسب بيت قالته

---

(١) - الاغاني (د) ١/٢٩٧.
(٢) - الاغاني (د) ٤/٢٥٤ وعيون التواريخ ٥/١٦٩.
(٣) - الصناعتين ١١٣.
(٤) - ذيل زهر الاداب ٥٧ - ٥٨ ثمار القلوب ٢٥٣ السمط ١/٢٥٩ المنتخب من كنايات الادباء ٨٣خزانة الحموي ٢٣١ تاريخ الخلفاء ٢٦٩ وغيرها كثير.

العرب وهو قوله:

اذا قلت اني مشتفٍ بلقائها فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما

وفضّل المهدي هذا البيت على بيت امرىء القيس:

وما ذرفت عيناكِ الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتّلِ

كما فضّله على بيت كُثَيْر:

اريد لانسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيلِ

وقال المهدي: «احسن والله» (يعني الاحوص)[1].

٣ - عند الشعراء:

اما الشعراء من معاصري الاحوص فقد عرفه معظمهم ومدحه جماعة منهم وفضّله آخرون على كثير من زملائه واستحسن بعضهم شعره واستجادوا معانيه واسبغوا عليه اوصافا واصدروا على شعره احكاما قلّ نظيرها فقد قيل لمحرز بن جعفر: انت صاحب شعر ونراك تلزم الانصار وليس هناك منه شيء. قال: بلى والله ان هناك للشعر عين الشعر وكيف لا يكون هناك وصاحبهم الاحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه وذلك حين الفاجعات وحيني

لعمرك اني ان تحمّ وفاتها بصحبة من يبقى لغير ضنينِ

وهو الذي يقول:

واني لمكرام لسادات مالك واني لنوكى مالك لسبوبُ

واني على الحلم الذي من سجيتي لحمال اظغان لهن طلوبُ[2]

وفي هذا الخبر تقدير لموهبة الاحوص الشعرية لا سيما في الغزل والهجاء.

---

(١) - اخبار القضاة ٢٤٩/٣ الاغاني ٢٦٥/٤ نشوار المحاضرة ٢٧٣/٥ محاضرات الادباء ٣٢/٢ وغيرها.

(٢) - الاغاني (د) ٢٦٨/٤.

ولقي عمر بن ابي ربيعة الاحوص وقد اقبل من عند عبلة فقال له: «يا احوص ما زوّدت صاحبتك ولا تكن كالذي قال:

ساهدي لها في كل عام قصيدة   واقعد مكفيا بمكة مكرما

فاهدى لها مالا ينفعها». قال: قد والله فعلت. قال: انشدني ما قلت. فانشده.

الا يا عبل قد طال اشتياقي   اليك وشفّني خوف الفراقِ...
لأنت في الفؤاد أشدّ حبا   من الصادي الى الكأس الدهاقِ

فقال له عمر: ما تركت لي شيئاً ولقد اغرقت في شعرك. قال: كيف اغرقت في شعري وانت الذي تقول:

اذا خدرت رجلي ابوح بذكرها   ليذهب عن رجلي الخدور فيذهبُ

فقال: الخدور يذهب والعطش لا يذهب[1]

وكان كُثَيِّر يلوم الاحوص على استجدائه في المدح وقال فيه «انه لضرع قبحه الله»[2]. غير انه عند اجتماع الشعراء في خيمته انكر قول عمر:

قومي تصدّي له ليعرفنا   ثم اغمزيه يا أخت في خفر...

وقال له: أتراك لو وصفت بهذا هرة اهلك الم تكن قد قبحت واسأت وقلت الهجر انما توصف الحرة بالحياء والاباء والالتواء والبخل والامتناع كما قال هذا - واشار الى الاحوص -:

أدورُ ولولا أن أرى ام جعفر   بأبياتكم ما درتُ حيث ادورُ
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى   اذا لم يُزر لا بد ان سيزورُ
لقد منعت معروفها ام جعفر   واني الى معروفها لفقيرُ

(١) - الموشح: ٢٣١.
(٢) - الاغاني (ث) ٨/٩ الموشح ١٨٨.

ثم قال للاحوص: أبطل آخرُك أولَك اخبرني عن قولك:

فان تصلي اصلك وان تبيني   بصرمك قبل وصلك لا ابالي
ولا ألفى كمن ان سِيْمَ صرما   تعرّض كي يُردَّ الى الوصالِ

اما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت انفك »[١].

اما ابن قيس الرقيات فانه كان يحسّ بتقدم الاحوص عليه في الشعر وهذا ما جعله يخاصم الاحوص في منزل سلامة القس ويتهمها بمحبة الاحوص ومداراتها له رافضا حكمها بينهما[٢].

ونعود الى الفرزدق الذي قدم المدينة ثم خرج منها فسئل عن شعرائها فقال: « رأيت بها شاعرين وعجبت لهما: احدهما اخضر يسكن خارجا من بطحان والاخر أحمر كأنه وحرة على برودة في شعره (يريد الأحوص)[٣] ». وقال الفرزدق للاحوص حين نزل عليه ضيفا « قاتلكم الله يا اهل المدينة ما ارق اشعاركم واحسن مناسبكم[٤] » وقال له مرة اخرى: « ما احسن شعرك » وحين زاره مع كُثَيِّر قال لهذا الاخير: « قاتله الله ما أشعره لولا ما افسد به نفسه »[٥].

اما جرير فانه كان يقدر شاعرية الاحوص ويتعوّذ منه كي لا يعين عليه الفرزدق[٦]، ويهاب التعرّض له بالهجاء كما فعل الفرزدق حين استجار بها ابن بشير الانصاري فقال له الفرزدق: اليس هو الذي يقول:

الا قف برسم الدار واستنطق الرسما   فقد هاج احزاني وذكّرني نعما..

فقال: بلى قال: والله لا اهجو رجلا هذا شعره. فتركه مستعينا بجرير

---

(١) - الكامل ١٥٦/٢ العقد ٣٧٢/٥ الاغاني (ث) ١٠٦/١٢ الموشح ١٦٣.
(٢) - الاغاني (ث) ٣٣٩/٨ - ٣٤٠ نهاية الأرب ٥٣/٥.
(٣) - الاغاني (د) ٤/ ٢٣٢.
(٤) - النقائض ١٠٤٨/٢ الاغاني (ث) ١٠٥/١٥ و ١٢/٨ الموشح ١٨٨ تزيين الاسواق ١٩.
(٥) - الاغاني (ب) ١٩٩/١٨.
(٦) - الاغاني (ب) ٦٦/٧.

الذي قال له: اليس هو الذي يقول:

تمشّى بشتمي في اكاريش مالك بسبّي به كالكلب اذ ينبح النجما...

قال: بلى: قال: فلا والله لا اهجو شاعرا هذا شعره فاضطر الرجل الى مصالحة الاحوص[1].

وروى عن شيخ من هذيل كان خالا للفرزدق انه سأل الفرزدق بعد خروجه من عند الحجاج: من انسب الناس؟ قال: «الذي يقول:

لي ليلتان فليلة معسولة ألقى الحبيب بها بنجم الاسعدِ

ومريحة همّي عليّ كأنني حتى الصباح معلق بالفرقدِ

قال الهذلي: ذاك الاحوص. قال ذاك هو. ثم اتى جريرا وقال له: يا ابا حرزة من انسب الناس؟ قال: الذي يقول:

يا ليت شعري عمن كلفت به من خثعم اذ نأيت ما صنعوا

قال: ومن هو؟ قال الاحوص. فاجتمعا على ان الاحوص انسب الناس[2].

٤ - عند النقاد والمؤلفين:

لم يكن الاحوص عند النقاد والمؤلفين اقل حظوة منه عند الشعراء والخلفاء. فكانت له في عيونهم منزلة عظيمة ومكانة عالية فكان حماد الرواية يقدّمه في النسيب علي غيره من الشعراء[3]. وقال بعضهم الاحوص من اغزل الناس بقوله:

اذا قلت اني مشتف بلقائها فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما

وقال غيره بل جميل بقوله:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٦٣/٤ العمدة ٣٨/١ عيون التواريخ ١٦٩/٥.

(٢) - الاغاني (د) ٢٥٨/٤ - ٢٥٩ عيون التواريخ ١٦٨/٥.

(٣) - الاغاني (د) ٢٦٢/٤.

يموت الهوى مني اذا ما لقيتها ... ويحيا اذا فارقتها فيعودُ

وقال آخر بل جرير بقوله:

فلما التقى الحيان القيت العصا ... ومات الهوى لما اصيبت مقاتلُهْ

والاحوص عند النقاد اغزلهم في هذه الابيات الثلاثة لزيادته سقها اذا التقى المحبوب[١] وتناول قدامة بالنقد قول الاحوص:

انما الذلفاء همي ... فليدعني من يلوم...

وقال: «فهذا شعر ليس فيه معنى فائق ولا مثل سابق ولا تشبيه مستحسن ولا غزل مستطرف الا ان اعتدال وزنه قد كساه جمالا وصير له في القلوب حالا».[٢] وهذه الابيات تدخل في حسن النظم عند غير عبد الكريم من النقاد»[٣].

وحين قال الاحوص لاميته في مدح عمر اتهمه بعضهم بسرقة ابيات سليمان بن ابي دباكل وتغيير قوافيها، فردّ عليه الحصري بقوله: «والاحوص ان اغار على قصيدة سليمان فقد اربى عليه في الاحسان وكان كما قال ابن المزربان: «لكنه اخذ ماجاً وردّ عاجا وغلّ قطيفة وردّ ديباجا»[٤]

والاحوص من الفصحاء عند ابي زيد[٥] الذي علق على مفاخرة الاحوص لسكينة بقوله: «قد لعمري فخر بفخرٍ لو على غير سكينة فخر به...»[٦].

وتتبع العسكري اقوال النقاد في شعر الاحوص فقال: ومن بارع

(١) - العمدة ٩٧/٢.
(٢) - نقد الشعر ٧٥ العمدة ١٦٧/١.
(٣) - العمدة ١٦٧/١.
(٤) - ذيل زهر الاداب ٥٩ - ٦٠.
(٥) - النوادر في اللغة ٣١٢.
(٦) - الاغاني (د) ٢٣٤/٤.

المديح قوله:

ولي منك موعود طلبت نجاحه وانت امرؤ لا تخلف الدهر موعدا...[1]

وانسب بيت قالته العرب:

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائرُ[2]

وقالوا انسب بيت قالته العرب قوله:

اذا قلت اني مشتف بلقائها فحم التلاقي بيننا زادني سقما[3]

واجود ما في الشهرة والنباهة قول بشار:

انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني

وهو من قول الاحوص:

اني اذا خفي الرجال وجدتني كالشمس لا تخفى بكل مكان[4]

«واجود ما اختاره ابن الاعرابي قول الاحوص:

والنفس فاستيقنا ليست بمعولة شيئا وان جلّ الاريث تعترفُ
ان القديم وان جلّت رزيته ينضو فينسى ويبقى الحادث الانفُ

وهذا معنى جيد مسفر»[5] ورأى صاحب المحاضرات ان مدح الاحوص صدق غير منحول[6]، بينما وصف الثعالبي قصائد الأحوص بالقلائد[7].

ونال الاحوص من المؤلفين والادباء الكثير من العناية بشعره واخباره ولعل ابا الفرج الاصبهاني كان اكثر المؤلفين الذي تحدّرت الينا

(١) - ديوان المعاني ١/٦٧.
(٢) - ديوان المعاني ١/٢٢٨.
(٣) - ديوان المعاني ١/٢٢٢.
(٤) - جمهرة الامثال ٢/١٩٤.
(٥) - الاشباه والنظائر ١/١٧٤.
(٦) - محاضرات الادباء ١/٢٣٨.
(٧) - الاعجاز والايجاز ١٥٤.

كتبهم التفاتا الى الاحوص وعناية بتدوين اخباره واشعاره وكيف لا يكون وقد وضع كتابه على اساس الاصوات المائة المختارة في زمن الرشيد وللاحوص منها خمسة اصوات مختارة غُنِّيت بشعره عدا الاصوات العديدة الاخرى التي ذكرها ابو الفرج ولا اظن ان لشعر آخر مثل هذا العدد من الاصوات المختارة. وقد علّق ابو الفرج على بعض اخبار الاحوص بقوله: «وليس ما جرى من ذكر الاحوص ارادة للغض منه في شعره ولكنا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تُعرف به حاله من تقدّم وتأخّر وفضيلة ونقص فاما تفضيله وتقدّمه في الشعر فمتعالم مشهور وشعره ينبىء عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدّمه وحسن رونقه وتهذّبه وصفائه»(١).

وفي مكان آخر نقل ابو الفرج عن الزبير قوله: «وجعل ابن سلام الاحوص وابن قيس ونصيبا وجميلا طبقة سادسة في شعراء الاسلام وجعله بعد ابن قيس ونصيب». فأتبعه بتعليل لهذا الفعل قائلا: والاحوص لولا ما وضع به نفسه من دنيء الاخلاق والافعال أشدّ تقدّما منهم عند اهل الحجاز واكثر الرواة وهو اسمح طبعا واسهل كلاما وأصحّ معنى منهم ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة الفاظ ليست لواحد منهم وكان قليل المروءة والدين هجاء للناس مأبونا فيما يروى عنه»(٢).

سبق الاصبهاني او عاصره مؤلفون آخرون اهتموا بشعر الاحوص واخباره نذكر منهم «المبرد» الذي اورد ذكر الاحوص في عدة مواضع من كامله واثنى على ظرف الاحوص وجودة اشعاره.

ومنهم ابن عبد ربه الذي ذكره في امكنة كثيرة من عقده وجعل قول الاحوص:

---

(١) - الاغاني (د) ٢٥٦/٤.

(٢) - الاغاني (د) ٢٣٣/٤.

اني اذا خفي الرجـال وجـدتني كـالشمس لا تخفى بكـل مكـان.

افخر بيت قالته العرب[١].

وذكره القالي في عدة مواضع من اماليه وترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء واستشهد ببعض شعره في المقدمة[٢] وذكر له نتفا استحسنها من شعره. ولا ننسى ابن سلام الجمحي الذي وضع الاحوص وابن قيس الرقيات ونصيبا وجميلا في الطبقة السادسة من الاسلاميين، وترجم له وذكر عددا من اخباره ونتفا من اشعاره. وذكره الزجاجي في «جمله» وأماليه حيث اعتنى ببعض أخبار الشاعر لاسيما خبر نفيه من قبل عمر بن عبدالعزيز كما اسلفنا

أما الآمدي فقد ترجم له في مؤتلفه ووصفع بالشاعر المشهور المحسن في الغزل والفخر والمدح وذكر أشياء من شعره. وقال في ترجمته: «وقد ذكرت أشياء من أخباره ونتفاً من أشعاره مختارة في كتاب المشهورين وفي أخبار الأوس والخزرج[٣]». ومنهم المرزباني الذي ذكره في مواضع من موشحه واهتم بآراء النقاد في شعر. كما ذكره الوشاء في الموشى وجعله من العشاق المشهورين وقرنه بسلامة القس[٤] واستشهد بالكثير من أشعاره في مواضيع الحب ومظاهره وعلاماته وصفات الظرفاء واساليبهم، وكان في كل مرة يستجود الأشعار التي يتمثل فيها.

وأتى بعد الأصبهاني كثير من المؤلفين الذين اهتموا بشعر الأحوص وأخباره يضيق المقام دون حصرهم، وقد نقل أكثرهم عن الأصبهاني أو عن غيره من المتقدّمين. ونذكر من هؤلاء «الحصري» في «زهر

---

(١) - العقد ٢/١٩٤.
(٢) - الشعر والشعراء ٢٤.
(٣) - المؤتلف والمختلف ٥٩.
(٤) - الموشى ٨٤.

الآداب » و « ذيله » و « ابن رشيق » في « العمدة » و « البكري » في « معجمه » « وتنبيهه » « وسمطه » و « السراج » في « المصارع » وابن الجوزي في « ذم الهوى » « وسيرة عمر » و « النويري » في « نهاية الأرب » و « ابن القيم الجوزية » في « أخبار النساء » و « الكتبي » في « عيون التواريخ » و « ابن كثير » في « البداية والنهاية » و « العيني » في « شرحه » و « الأنطاكي » في « تزيينه » و « البغدادي » في « خزانته ». ويضيق المقام عن ذكر ما قاله كل من هؤلاء فيه فلنكتف بما قاله بعضهم:

لقد اثنى عليه المؤرخ ابن خلدون في مقدمته وجعله في قائمة الفحول الاسلاميين[١]. وقال عنه التبريزي في شرحه انه شاعر اسلامي مفلق مجيد[٢]. ووصفه العيني بانه شاعر مجيد من شعراء الدولة الاموية[٣]. وقال فيه الكتبي: «كان شاعرا مجيدا فصيحا نسابة سهل الكلام »[٤] ثم ذكر صنيع ابن سلام بالاحوص وتعليق ابي الفرج على هذا الموقف. اما البغدادي فانه قال فيه « والاحوص مقدم عند اهل الحجاز واكثر الرواة لولا افعاله الدنيئة لانه اسمحهم طبعا واسلسهم كلاما واصحهم معنى ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة الفاظ ليست لأحدٍ. وهو محسن في الغزل والفخر والمدح »[٥]

ولا ننسى كتب الاختيارات الشعرية كافة تلك التي حملت الكثير من شعر الاحوص المختار كما حملت كتب اللغة الكثير من الاستشهادات بشعره لا سيما كتاب سيبويه.

وهناك من القدماء من ألّف مصنفا كاملا في سيرة الأحوص

(١) - مقدمة ابن خلدون ١١١٥.
(٢) - مختصر العلامة التبريزي ٨٠.
(٣) - شرح الشواهد الكبرى ١/١٠٨.
(٤) - عيون التواريخ ٥/١٦٦.
(٥) - خزانة الادب ١/٢٣٢.

وأخباره ولكنها لم تصلنا وذكرها صاحب الفهرست حيث قال إن الزبير بن بكار ألّف كتابا اسمه «أخبار الأحوص»[١] كما ألّف نظيرهُ كلٌّ من اسحق بن ابراهيم الموصلي[٢] وابن بسام الشاعر[٣] وألّف بعضهم في أخبار العشاق المشهورين ومنهم «الأحوص وعبدة»[٤].

٥ - عند الادباء المحدثين:

كتب الكثير من المؤلفين ومؤرخي الادب عن الاحوص واخباره وفنّه الشعري في كتب خاصة او في هوامش كتب حققوها او في مقالات معينة وردت في بعض الموسوعات. ولعل اولاهم بالذكر طه حسين الذي كتب عنه رسالة موجزة في كتابه حديث الاربعاء تطرّق فيه الى تحليل شخصية الشاعر من خلال اخباره وبعض اشعاره ومن خلال الظروف السياسية والاجتماعية التي طبعت الحجاز واهله في ذلك العصر فدافع المؤلف عن الشاعر في مواجهة ما رُمي به من الصفات واعطاه بعض المبررات لاعماله لا سيما مفاخرته لسكينة بنت الحسين[٥] وعاد بعدها للتدليل على شخصية الاحوص الشعرية فقال «ان شخصيته الشعرية عظيمة جدا لم ينكرها عليه احد حتى من اشد الناس بغضا له وسخطا عليه. لقد اضطر ابو الفرج الى ان يشيد بمكانته الشعرية مرتين ولقد ابى الفرزدق وجرير ان يهجوه مخافة لسانه ولقد كان اشراف الناس يتقونه بالملاطفة حينا وبالنذير العنيف حينا آخر[٦]. كان الأحوص غزلا ولكنه كان مفتنّا في ضروب الشعر كلها له الفخر الرائع والمديح البديع والهجاء المقذع وذلك لانه لم يكن متكلّفا ولا محتشما وانما كان

---

(١) - الفهرست ١١١.
(٢) - الفهرست ١٤٢.
(٣) - الفهرست ١٥٠.
(٤) - الفهرست ٣٠٦.
(٥) - حديث الاربعاء ٢٦٩.
(٦) - حديث الاربعاء ٢٧٣.

يرسل نفسه على سجيتها، وكانت نفسه خصبة غنية بضروب الخير والشر فكان يكفي ان يعكف على هذه النفس لحظة فيجد فيها كل ما يــريد . كان حلو اللفظ متينه قويّ الاسلوب رصينه يبلغ الاجادة اللفظية من غير تكالف ولا مشقة ولم يكن كغيره من الغزليين المكّبين يعني بالمعنى ويستخف بالالفاظ وانما كان حريصا على التجويد في لفظه ومعناه جميعا »[1].

ثم اورد المؤلف جزءاً من قصيدة الاحوص «ثنتان لا ادنو لوصلها » كصورة من سهولة لفظ الاحوص ومعناه في جودة ومتانة ». وقال بعدها: « فانظر الى هذا الماجن الفاجر كيف عفَّ في هذه الابيات عن الجارة وعرس الخليل. وكيف احسن الحديث الى صاحبته في ظرف ورفق وصفاء طبع. وانظر الى قوله « عوجوا كذا » والى موضع «كذا » من هذا البيت فهو يختصر الظرف الحجازي كله ».

ثم اوصى المؤلف دارسي الادب بشعر الاحوص في ام جعفر « فهو على قلته - كما يقول - كثير الغناء »[2].

وممن تطرّق الى ذكر الاحوص بشيء من القول ابن ابي شنب في هامش « الجمل » فقال: هو شاعر سمح الطبع سهل الكلام عذب الالفاظ ولكن قليل المروءة والدين »[3]. وعبد الفتاح الحلو في هامشّ التمثيل والمحاضرة » حيث قال فيه: «شاعر هجاء صاحب نسب رقيق »[4]. وابراهيم الكيلاني في هامش « الصداقة والصديق » اذ قال: « الاحوص من شعراء الغزل المجيدين في العصر الاموي نشأ في البيئة الحجازية وتأثر بها كسائر الغزليين وامتاز بعصبية يمانية حملته على هجاء قريش »[5]. وقال أحمد أبو علي في ذيل « المنتحل »: « كان الأحوص شاعراً

(١) - حديث الاربعاء ٢٧٤.
(٢) - حديث الاربعاء ٢٧٥.
(٣) - الجمل ١٥٩.
(٤) - التمثيل والمحاضرة ٢١٢.
(٥) - الصداقة والصديق ٢٢١.

مقدّما عند اهل الحجاز لولا افعاله الدنيئة لانه اسمحهم طبعا واسلسهم كلاما واصحهم معنى وهو محسن في الغزل والفخر والمدح واما شعره فمشهور بالطلاوة والجودة »[1] وقال بطرس البستاني في دائرته بعد ان نقل بعض اخبار الشاعر عن كتاب الاغاني: « واما شعره فمشهور ينبىء عن نفسه ويدل على فضله فيه وحسن رونقه وتهذّبه وصفائه »[2]. ونقل عمر فروخ في تاريخه بعض اخبار الاحوص عن الاصبهاني وردّد حكم هذا الاخير على شعر الاحوص[3]. ولم يزد الزركلي شيئا على ما جاء عند غيره[4].

ولا بد لي من وضع بعض الملاحظات حول هذه الاقوال اذ كان اصحابها يعتمدون بشكل رئيسي ووحيد في نقلهم لبعض اخبار الاحوص على الاغاني دون غيره من المصادر فكان كثير منهم يقع في فخّ الخطأ خاصة في نقلهم لخبر نفي الشاعر ولكن الامر الاكثر مرارة هو تعليق الشنقيطي على خبر الزجاجي في أماليه حول نفي الشاعر. فقد كنا قد وافقنا الزجاجي في خبره وغلّبناه على بقية الاحبار لحسن سنده وقوته وموافقته لاكثر الأخبار الاخرى والتئامه مع كل المعطيات الموضوعية لهذا الامر، ومع ذلك نجد العلامة الشنقيطي يُضعف هذا الخبر في الهامش[5] ويجعل الصواب في روايات الاغاني مع أن الزجاجي متقدّم على صاحب الاغاني. وشيء آخر يمكن قوله هو ان اصحاب هذه التعاريف كانوا يطلقون احكامهم في شعر الاحوص من خلال اقوال ابي الفرج دون زيادة حرف واحد او انقاض مثيله.

وامر غريب آخر ورد في قول الكيلاني حين اتهم الشاعر بالعصبية

(١) - المنتحل ٣٠٢.
(٢) - دائرة المعارف ٦١٠/٢.
(٣) - تاريخ الادب العربي ٦٤٠/١.
(٤) - الاعلام ٢٥٧/٤.
(٥) - الامالي زجاجي ١٢٢.

اليمانية التي حملته على هجاء قريش كما يقول ولكن الواقع يختلف عما ذكره الكيلاني فالاستاذ طه حسين يقول: «ان جنسيته اليمنية لم تؤثر في شعره قليلا ولا كثيرا»[(١)] ونعود الى اخبار الشاعر فلم يُعرف عنه انه هجا قرشيّاً سوى سعد بن مصعب الزبيري اما بقية مهجوِّيه فهم من الانصار ونتذكّر قول ابي الفرج «كان الاحوص قد اوسع قومه هجاء فملأهم شرا فلم يبق له فيهم صديق»[(٢)]. فكيف يكون الاحوص متلبسا لعصبيته اليمانية في افعاله هذه؟.

وجاء في مقال دائرة المعارف لصاحبها فؤاد البستاني باسم قلم التحرير مجموعة من اخبار الشاعر منقولة عن كتاب الاغاني دون سواه والحقها المؤلف بقوله «تدل اخبار الاحوص على جودة شعره وفساد خلقه واما شعره في ام جعفر فلطيف عذب قريب المأخذ ظاهر الاخلاص واقعي التصوير على ما ظهر من نفاقه» ثم يذكر المؤلف ما ساقه ابو الفرج في تقويم شعر الاحوص ويتابع قائلا «فهو في مقدمة الشعراء الغزليين من ابناء الحضر في عهد بني أميّة يجاري العرجي وامثاله وان يكن يقصّر عن ابن ابي ربيعة. وله الى جانب الفن الغزلي لسعات موجعات في الهجاء وجولات متسامية في الفخر ومدائح لا تبلغ مستوى شعره في سائر الفنون»[(٣)].

ونقل حنا الفاخوري بعض اخباره ثم ختم مقالة بقوله «نشأ الاحوص ميالا الى هجاء الناس ويعتبر شعره صورة طريفة للشعر والفن في المدينة اثناء العصر الاموي وهو يدور بنوع خاص على الغزل ويحفل بحكاية العشق والصبابة والافصاح عن لواعج الحب وما ينتج عنه لاصحابه من عذاب ووصب. وقد علق الاماء من مغنيات المدينة وغزله

---

(١) - حديث الاربعاء ٢٦٤.
(٢) - الاغاني (د) ٤/٢٤٠.
(٣) - دائرة المعارف ٧/٣٣٧.

فيهن صادق العاطفة وغزله حافل بالطرافة لا يخلو من التصريح والفحش وهذا الغزل بالجواري والاماء ظاهرة أمويّة قبل ان تكون عباسيّة وهو يمهد الطريق لبشار وامثاله من شعراء العباسيين »[١].

وقال سامي الدهان « ان الاحوص ذو عاطفة جامحة ولسان شديد وتقلّب في الامصار وهو على جانب كبير من الموافقة والمتابعة لا يكاد يهجم كما يفعل العرجي وعمر بن ابي ربيعة ولا يكاد يغدر وانما يصرح في كثير من مواقفه فيقول:

قالت: وقلت: تحرجي وصلي حبل امرىء بغرامكم صبٌّ...

وهذا خلق نبيل لا نجده عند غيره الا عند العذريين اذا صحَّ انهم وجدوا حسب ما رووا. وشعره في الذلفاء شريف اللفظ رقيق الوصف عذب الكلام والوزن والقافية ومثله شعره في عقلية اما قوله في سلامة فهو بسيط سهل رقيق اللفظ قريب المعنى شريف الغاية والهدف »[٢].

وجعل جرجي زيدان الاحوص سادس الفحول الاسلاميين وترجم له مع الغزليين لغلبة التشبيب على شعره كما يقول[٣]. وفي ترجمته له نقل بعض اخباره عن الاغاني الا انه وقع في بعض الاخطاء وشيء من الغموض[٤].

وتناول بعض المستشرقين اخبار الاحوص ومنهم بروكلمان في تاريخه فذكر بشيء من الايجاز نتفا من اخباره وهي عبارة عن بعض جمل واردة في كتاب الأغاني[٥]. واوجز نالينو شيئاً من حياة الشاعر

---

(١) - تاريخ الادب العربي. ٢٦٣

(٢) - الغزل ٨٧ - ٨٩.

(٣) - تاريخ آداب اللغة العربية ٢٦٠/١.

(٤) - تاريخ آداب اللغة العربية ٢٨٩/١ - ٢٩٠.

(٥) - تاريخ الادب العربي ١٩٦/١ - ١٩٧.

وقال فيه «انه ذهب مذهب عمر في الغزل واذا قطعنا النظر عن مرثيته لمعاوية وعن آبيات يعاتب بها عمر لم يكن عيشه وشعره الا في الغزل»[١] وهذا القول الاخير يدل على ان المؤلف لم يطلّع على مجمل اشعار الاحوص ولعل السبب في ذلك يعود الى ضياع شعره وتشتّته في بطون المصادر المختلفة.

وكتب عنه بورجشتال مقالا هو بالتعريف أشبه. نقل فيه نتفا من اخباره دون رابط بينها ولا نظام[٢].

اما كارل بتراشك فقد كتب مقالا عن الاحوص في الموسوعة الاسلامية بدأه بالتعريف بالشاعر ثم قدّم تحليلا لنشأة القصيدة الغزلية الماجنة في الحجاز وانتقل بعدها الى التذكير بشيء من حياة الاحوص مختصرا نصوص الاغاني ونراه يبتعد عن الحقيقة في كثير من مواضع تحليله وخاصة في خبر نفي الشاعر وتحديد سنة وفاته. ويختم مقاله بقوله: «وكان الاحوص ذا اخلاق مشكوك بها. ليس له مروءة ولا دين. ولم يكن أقلَّ شهرة كشاعر وتميَّز على الاخص في الشعر الغزلي والمدح والفخر والهجاء. اسلوبه خفيف سهل، معانيه ممتازة رائعة، عباراته لامعة محبَّبة، قصائده تتسم بوحدة الموضوع، ولكنه اقل طبعا واقل تجدّداً من عمر بن ابي ربيعة وهذا يظهر في اختياره لاغراض الشعر التقليدية ولأتباعه المقاييس القديمة (عامود القصيدة) لغته متأثرة بلغة المدينة وظرفها»[٣].

وكتب بتراشك مقالا عن لغته الشعرية فقال انها خالية من الوحشي الغريب سهلة سلسة يكثر فيها الترخيم[٤] واعقبه بمقال آخر بسط فيه

---

(١) - تاريخ الآداب العربية ١٣٠.

(٢) - Litesaturg eschitc Arap PP. 232-237.

(٣) - الموسوعة الاسلامية (باللغة الفرنسية ١/٣١٤ - ٣١٥) Encyclopédie de L'ISLAM 1/314-315.

(٤) - Archiv Osiemtalni XXI PP. 244 - 246

الفكرة ذاتها[١].

ونعود بعد هذا السرد لاقوال المؤلفين المحدثين، الى تناول اقوال شوق ضيف الذي يتحدث عن الشاعر في مؤلَّفَيْنِ من مؤلفاته. ففي كتابه «العصر الاسلامي» اقتصر عمل المؤلِّف على ترجمة قصيرة للشاعر جاءت عباراته فيها متقطعة مبتورة المفاهيم ولقد ابتعد في كثير منها عن الحقيقة لا سيما في تعريفه لحنظلة الغسيل[٢] وفي تقرير سبب رد الأحوص من منفاه[٣]. وهذه الترجمة لا تعدو كونها تجميع لبعض الجمل من الأغاني مضافا اليها بعض تعليقات المؤلف. اما في كتابه «الشعر والغناء في المدينة ومكة» فقد كتب ضيف رسالة عن الأحوص بلغت ثماني وعشرين صفحة بدأها بنسب الشاعر وعائلته وعندما وصل الى التعريف بحنظلة الغسيل ابتعد اكثر عن الحقيقة اذ كان قد جعله خالد أبيه في الكتاب الأول فقال في كتابه الثاني «واذا صحَّ أنه خال أدنَى للأحوص وأنّ أمّهُ من اسرته يكون - الأحوص - أوسيا أباً وأماً»[٤] والحقيقة ان حنظلة هذا هو خال جد الأحوص عاصم بن ثابت بن ابي الأقلح كما اسلفنا.

ووسم المؤلِّف الشاعر بالنّزق والحمق والطيش مما دعاه الى هجاء الناس كما يقول[٥]. ولكننا لا نكاد نعثر على واحدة من هذه الصفات في المصادر العربية كلها، أما هجاء الشاعر لقومه فكان بسبب إذعانهم وخشوعهم أمام السلطة الأموية - كما بينا سابقا -، وذكر المؤلف رائيه الأحوص التي يمدح بها الوليد بن عبد الملك ويعرِّض فيها بالحزميين وجعلها في سليمان بن عبد الملك بعد أن جُلد الأحوص من قبل

---

(١) - Ibid XXVIII PP. 67-71.

(٢) - العصر الاسلامي ٣٥٤.

(٣) - العصر الاسلامي ٣٥٦.

(٤) - الشعر والغناء في المدينة ومكة.

(٥) - نفس المصدر ١١٥.

ابن حزم[١]، والحقيقة الواضحة في كل المصادر - كما بينا سابقاً - ان القصيدة قالها الأحوص بعد أن ضربه أيمن أخو أم جعفر بأمر من ابن حزم وقد أدَّتْ الى استصفاء أموال الحزميين جميعاً بأمر من الوليد. ولكن المؤلّف اتخذ هذه الأبيات للدلالة على ضعف خلق الشاعر. وقد اعتمد المؤلف في مجموع رسالته على مصدر واحد هو كتاب الأغاني سوى بضع لفتات الى طبقات ابن سلام.

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى تحليل بعض غزليات الشاعر ومن ثم تعرَّض لمدائحه وأهاجيه وختم رسالته بفصل قيم بيَّن فيه منزلة الشاعر بين شعراء عصره[٢]. ولا بد من الملاحظة أنه أعطى للشاعر في هذا الفصل الكثير من حقه وأعاد له بعض الاعتبار وأعلى قيمته الشعرية ورفع مكانته بين شعراء عصره. ولا يستطيع الدارس لهذه القضية أن يزيد على ما أورده ضيف سوى القليل من الحقائق والمعاني والعبارات.

وساحاول بعد هذا العرض ان اخوض غمار هذه القضية مسترشدا بحقائق بعض المصادر لا سيما الاغاني ومستدلاً فيها بآراء اصحاب المراجع لا سيما طه حسين وشوقي ضيف.

اذا جاز لنا ان نقسِّم الشعراء الذين عاصروا شاعرنا وجدناهم ينشعبون في فريقين كبيرين: احدهما يضم اصحاب الشعر التقليدي الذي يعتمد في اساس اغراضه على المديح والهجاء وغيرهما من الاغراض المتداولة في الشعر العربي القديم حسب عامود القصيدة المعروف، وكان موطن هؤلاء الرئيسي في العراق. والفريق الآخر يجمع اصحاب الاغاني او اصحاب التجديد في موضوعات الشعر واساليبه والفاظه واكثر مواضيعهم تدور في فلك الغزل والنسيب وما يتصل بهما وكان موطنهم في الحجاز.

(١) - نفس المصدر ١٢٠.

(٢) - نفس المصدر ١٣٨ - ١٤١.

لقد استطاع أصحاب الاغاني نيل التفوق على أصحاب الشعر التقليدي أثناء ذلك العصر بحيث بسطوا نفوذهم بشكل قاطع في أواخره إذ جعلوا من أشعارهم الغزلية نموذجا للشعر الشعبي العام فاتّسع محيط تأثير موجاته الشفافة حتى غطّت كل ما دونها من الأصوات التقليدية.

ولكن هل كان أصحاب الأغاني جميعهم مثل الأحوص حتى نضعهم في منزلة تعول منزلة أصحاب الشعر التقليدي؟ أو لنقل هل في استطاعتنا أن نجعل أصحاب الأغاني جميعا في أعلى منازل الشعر العربي في ذلك العصر؟

اذا عدنا الى طبقات ابن سلام التي وضعها لشعراء الاسلام نجده قد وضع في الطبقة الاولى من الاسلاميين جريرا والفرزدق والاخطل واكملهم بالراعي النميري. وكان لصنيعه هذا خلفيات لغوية اذ نلاحظ في حماسته لهؤلاء وتفضيله لهم وفي آراء اللغويين الواردة في ثنايا كتابه دواعي واسبابا لغوية كان علماء اللغة يعتمدونها في نظرتهم الى اشعر واصحابه.

ولكن النظرة الأدبية الخالصة تختلف عن اتجاهات اللغويين في الحكم على الشعر في وجوه كثيرة واذا ما عاينّا الشعر الاسلامي بمفاهيم ادبية خالصة وجدنا ان شعراء الغزل الحجازيين في ذلك العصر هم الفئة الوحيدة من الشعراء التي تستحق وبكل جدارة واهلية ان تحتلّ المنزلة الاعلى بين شعراء العصر وان تتربع على مرتبة الطبقة الاولى بين الشعراء. فهم الذين كانوا يعبّرون تعبيرا صادقا عن روح العصر الذي يعيشون فيه ويصوّرون فصول الحياة التي يحيونها ويجسدون واقع الحضارة التي عرفها مجتمعهم والتطور الذي طبع الكثير من جوانب معيشتهم بطابعه المميز. فغدت اشعارهم تلائم اذواق العامة والخاصة لانها تصبُّ في معين الاحاسيس الشخصية للسامع وتعزف باوتار

مشاعره احلى آيات التصانيف الموسيقية الجديدة فسمع العربي في الحجاز ومن ثم في بقية امصار الاسلام انغاما موسيقية جديدة تنساب في مقطوعات شعرية رقيقة تتناقلها افواه المغنين والمغنيات وتشيع في شتى الاتجاهات فكان لهؤلاء فضل عظيم في تجديدهم الموسيقى وفي تليين لغتهم الشعرية وفي تحديث مواضيعهم فصار شعرهم شعبيا يجري على جميع الافواه والالسنة.

« فنحن اذن نخالف ابن سلام وغيره من اللغويين في تقديم اصحاب الشعر التقليدي وعلى اصحاب الغزل واغانيه »[١] اذ كانوا يبحثون في الشعر عن المثل والشاهد وغريب اللغة والالفاظ ولم يكن لهم ميل للكشف عن القيم الفنية والصور الجديدة والمعاني المُستحدَثَة والاغراض المُبتكرة في الشعر. ولن نتساق مع اللغويين فيما كانوا يفضلون بل علينا ان نغلّب القيم الفنية على الحاجة اللغوية في درسنا للادب الأموي ومن اجل ذلك يمكننا ان نرفع درجة اصحاب الاغاني من اهل الحجاز ونقصر المنزلة العليا عليهم وحدهم ولا نصنع صنيع ابن سلام حين أخَّرهم في طبقاته فوضعهم في طبقة متأخرة هي السادسة بين طبقاته العشر ولم يقدِّم احدا منهم سوى كثير الذي وضعه في الطبقة الثانية. ولكننا لن نجعل كثيرا خير شعراء الحجاز الغزليين ولم يكن كذلك وانما قدّمه ابن سلام لانه بدوي يجد عنده من غريب اللغة ما لا يجده عند شعراء الحواضر أمثال الأحوص وابن أبي ربيعة الذي أبعده ابن سلام عن طبقاته.

ولقد قرن ابن سلام الاحوص بابن قيس وجميل ونصيب وجعله بعد ابن قيس ونصيب ويبدو ان تأخيره له كان لاسباب لغوية ولم يكن يهتم بالوجهة المعنوية او الوجهة الموسيقية ولربما كان لهذا التأخير خلفيات اخلاقية حملت ابن سلام على النيل من الاحوص وتأخير طبقته فجاء

(١) - الشعر والغناء في مكة والمدينة ١٣٩.

تعليل ابي الفرج لهذا التأخير مبيّنا لهذه الحقيقة فقال «والاحوص لولا ما وضع به نفسه من دنيء الاخلاق والأفعال أشدّ تقدما منهم عند اهل الحجاز وأكثر الرواة»[1]. وكأني بابي الفرج يتحفّظ على حكم ابن سلام ويرى أن الاخلاق والصفات الشخصية ينبغي أن تُوضع جانبا في الحكم على القيم الفنية للشاعر ايا كان وعلى الحاكم ان يكون متجرّدا عن الهوى والميول الشخصية والمصلحية. وفي رأي صاحب الاغاني ان يتقدم الأحوصُ كلَّ زملائه المقرون بهم في الطبقة السادسة أو ربما تقديم طبقته بين الإسلاميين.

واذا كان الكثير من الرواة والنقاد قد عمدوا الى النيل من شخصية الشاعر في رواياتهم المتعدّدة عن سوء خلقه فلا ينبغي ان ننساق الى مزالق هذه القضية في الحكم على شاعريته وقيمه الفنية. وعلينا ان نفرّق دائما بين خلق الشاعر وشعره فليس على الشعراء ان يحققوا المثل الاخلاقية العليا بل ان يبتكروا ويجددوا في محيط فنهم الرفيع.

«واذا كان ابن سلام قد قدّم كُثَيِّرا على الاحوص وزملائه فاننا لا نجد عند كُثَيِّر ما يجعله مقدَّما على الاحوص أو على عمر بن ابي ربيعة بل نؤكد بتقدم الاثنين عليه من حيث ما انتجاه لهذا العصر من الغزل الذي امدّا به المغنين والمغنيات في الحجاز»[2].

فالاحوص كان شاعر المدينة في النسب والغزل غير مدافع وكان يحقق لنفسه في هذا الجانب تفوّقا ممتازا حيث اتى بالبديع الطريف الذي يعجب معاصريه ويروقهم ولا ننسى أن عزَّة نفسها كانت تفضله على عشيقها كُثَيِّر وتقول له «الاحوص الين جانبا منك في شعره وأضرع خدا للنساء وانه لأشعر منك»[3].

(١) - الاغاني (د) ٢٣٣/٤.

(٢) - الشعر والغناء في المدينة ومكة ١٤٠.

(٣) - الاغاني (ث) ١١٥/١٢ - ١١٦ زهر الآداب ٣٧١/٢ - ٣٧٢ ذيل زهر الآداب ١٥٠ - ١٥١.

واذا كان البعض من المؤلفين قد تراكض وتهالك وراء الروايات المسلّية التي تحطّ من شأن الاحوص فان ابا الفرج اضطر الى الاشادة بشاعرية الاحوص مرتين مدافعا عنه بعد ان عرض اقوال الرواة في خلق الشاعر فقال في موضع آخر: «فاما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور وشعره ينبىء عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهذبه وصفائه[١].

ونستطيع ان نجعل الاحوص واحدا من اصحاب المنزلة الاولى للشعر في عصره وهو اذا قُرن حقا فينبغي ان يُقرَنَ الى عمر بن ابي ربيعة فهما أهمّ من نظم الغزل في العصر حيث كان عمر شديد الصلة بالمغنين في مكة في حين كان الاحوص شديد الصلة بالمغنين والمغنيات في المدينة وكانا الى ذلك صديقين متآلفين. «ومن يقرأ الأغاني - كما يقول ضيف - يحس أن عمر كان له قصب السبق في تأليف الغزل وأغانيه»[٢]، ولكن علينا أن نحتاط في الأخذ بمثل هذا الحكم لأن ديوان الأحوص مفقود ولأن أخباره تدل على أنه كان أكثر حرّية من عمر حيث تغزّل بالإماء والجواري الى جانب الحرائر في حين ظلّ عمر محافظاً على غزله في الحرائر سوى النادر الذي لا يعتدّ به.

«ومهما يكن فإن عمر والأحوص يُعدّان في الطبقة العليا من شعراء العصر الأموي ولسنا نستطيع أن نحكم بتفوق أحدهما على صاحبه حكما واضحا لأن أدوات هذا الحكم ناقصة على الأقل فيما يتصل بالأحوص[٣]» كما يقول ضيف. ولكننا إذا نظرنا الى شعرهما من حيث الأبنية والأساليب التي اعتمداها نجد أن أسلوب الأحوص كان رصينا وبنية أشعاره صلبة غير متداعية وديباجته صافية ولم نعثر على أي خبر

---

(١) - الاغاني (د) ٤/٢٥٦.

(٢) - الشعر والغناء في المدينة ومكة ١٤١.

(٣) - نفس المصدر والصفحة.

يطعن ببناء الأحوص الشعري في حين سقط ابن أبي ربيعة في الكثير من مزالق الإسفاف والركاكة[١].

«ولعلنا لا نتجاوز الحق حين نضعهما جميعا في الطبقة الاولى من شعراء الاغاني ثم نعمّم فنجعل هذه الطبقة اولى طبقات كل اشعراء الذين أنتجهم العصر الأموي من تقليديين وغير تقليديين[٢]».

فاصحاب الغزل لا سيما الأحوص أمدّوا الأدب العربي بثروة فنية عريضة وعميقة تمثلت في الخواطر والمعاني كما تمثّلت في اللغة والأسلوب وبلغت ذروتها في الألحان والأبنية الجديدة المصنوعة للغناء، فكان لهؤلاء اليد الطولى في التغيير الذي طرأ على لغة الشعر وأوزانه، والتقدُّم الذي طبع الغناء وألحانه.

اما ظاهرة التغزل بالاماء والجواري فليست في نظرنا مدعاة للحطّ من قيمة الشاعر وشعره بل هي ظاهرة جديدة تستحق الاهتمام والتقدير ولا ارى الاحوص خلالها الا رائدا من روّاد الادب القلائل الذين فتحوا مجالاته وعبّدوا سُبله فاذا به اماما للكثير من شعراء العصر العباسي أمثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد والعباس بن الاحنف ومطيع بن اياس وعكاشة بن عبد الصمد وغيرهم من شعراء الغزل والاغاني في العصر العباسي الاول.

III التأثّر والتأثير في شعر الاحوص:

١ - تأثّر الشاعر بالثقافة السائدة في عصره:

- **تمهيد:**

الفن بشكل عام والادب بشكل خاص حياة دائمة متجددة تستمد

(١) - عمر بن ابي ربيعه حب عمر ٤٨٤/٣ وما بعدها.
(٢) - الشعر والغناء في المدينة ومكة ١٤١.

مقومات بقائها من الماضي وتستمرّ بعطائها في الآتي من اطوار العطاء والأدب بنيان متعالٍ أسسُه ودعائمه تقوم على مجموع الابتكارات الاولى ويرتفع بمداميك التجديد التي يُرسيها الخلف على قواعد السلف.

والشعر أرقى أنواع الفنون وأكثرها أصالة في تراثنا العربي، وهذا الشعر يشكل نهر الخلود في الثقافة العربية فمتابعه الأولى كانت في النماذج القديمة التي أطلقها شعراؤنا القدماء، والتقت هذه المنابع بمثيلاتها فأغنتها وامتزجت بها حتى فاضت جنبات هذا الجدول وعمّ عطاؤه وأشرفت نجوم رياضه وأينعت أثمارٌ متنوعة في كرومه، ولا يزال يتجدّد بجديد أزهاره ويزداد امتلاء أهرائه بجديد ثماره بين السطور المتدافعة وعلى الشفاه المتذوِّقة لطعم الحلاوة في المعاني المُستجدثَة والأغراض المُبتكرة من قبل الفحول الذين حقّقوا لأنفسهم منازل عالية في سماء الشعر العربي بما قدّموه لنا من التراث القيّم فكانوا قمما عالية في سلسلة الشعر العربي، والأحوص واحد من هؤلاء الفحول الأوائل الذين تَمَثَّلوا القِيَم الفنية الشعرية وألَمّوا بموضوعات الشعر العربي القديم فانتقى من غرساته ما راقه ولاءم طباعه وظروف حياته وسقى غرساته من رحيق الحياة الاجتماعية في المدينة فأينعت في شعره زهرات ذات شذى طيب جديد وأنتج ثماراً ذات طعم رائق لذيذ لم يكن كثير منها مُسْتَذَاقاً من قبل.

أ - أثر السابقين في شعر الاحوص:

لم يكن الأحوص ليعطي إنتاجه بمعزل عن القيم الفنية المبتكرة قبله بل استند الى كثير من المعانِي المطروقة قبله وولج أبوابا مفتوحة أمامه وعاد يفتح أخرى أمام غيره من الشعراء ويعبِّد مسالك لم تكن معروفة ويقود قافلة العابرين فيها.

خاض الاحوص غمار المديح فجاء بمعانٍ مألوفة من قبل وابتكر

طريقة خاصة له في المديح لم تكن مستحسنة في عهده وانما اضطرتهُ اليها واقعية شعره حيث كان يجسّد واقع الحياة وواقع ظروفه الخاصة ولعلّ ما وُصف به من «الاستجداء في المدح» كان احدى الضرورات التي ابتكرها لعرض واقعه المؤلم دفعا للدّين والغرم والفقر وما كان يحيط به من الفاقة المادية، وكان من طريقته في المدح استخدام مفاهيم جديدة منها مفهوم الإمامة الدينية التي اطلقها على ممدوحيه وهذه سمة متجدّدة في معاني المديح المألوفة. واستعان ببعض نتاج المادحين قبله فقال:

وليس عطاء كان منه بمانعٍ وان جلَّ اضعاف اضعافه غدا

أخذه من قول الاعشى في مدح الرسول (ص) فيما ذُكر حيث أنشد:

له صدقات ما تغب ونائل وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وفي طلب العفو قال عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

أمعشر تيم قد ملكتم فاسجحوا فان اخاكم لم يكن من بوائيا

وقال جميل بن معمر:

أبثينُ انك قد ملكت فاسجحي وخذي بحظك من كريم واصل

ونظم الأحوص في هذا المعنى فقال:

أسلام انك قد ملكت فاسجحي قد يملك الحر الكريم فيسجح

وفي وصف الناقة قال كعب بن زهير في لاميته:

تخدي على يسرات وهي لاحقة باربع وقعهن الارض تحليلُ

وقال الاحوص في نفس المعنى:

وشواشة سوطها النقر الخفي بها ووقعها الارض تحليل اذا تَخدُ

وفي وصف الشيب قال النعمان بن بشير:

وإذ لِمَّتي مثل الجناح أثيثة أمشي الهوينى لا يروّع طائري

وقال الاحوص مقتفيا بعض معناه:

بشر يكون من الحرير ولِمّــــة　　مثــل الجنــاح وعــارض مصقولُ

وفي الفخر وذكر الصلابة في مواجهة نكبات الدهر يقول الاحوص:

اذا نــال لم يفرح وليس لنكبــة　　اذا حدثت بالخاضع المتضائل

وهذا المعنى مستقى من قول لقيط بن زرارة:

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده　　وليس ان عضّ مكروه به خشعا

وفي موضوع الحكمة واستشفاف لحظات انتظار الموت قال ضابىء بن الحارث:

لكــل جــديــد لــذة غــير انني　　وجدت جديد الموت غير لذيذِ

فقال الاحوص لدى قرب أجله:

مـا لجـديـد الموت يا بشر لـذة　　وكـل جـديـد تُستلَذ طرائفُهْ

وفي وصف دوام الحب وتجدّده يقول الاحوص:

علاقـة حب لـج في زمن الصبا　　فـابـلى ومـا يزداد الا تجـدّدا

وكان اسحق بن حسان بن قوهي مولى مرة بن عوف قد قال في هذا المعني:

تمر بــه الايــام تسحــب ذيلهــا　　فتبـلى بـه الايام وهو جـديـد.

وفي وصف ثغر حبيبته قال المرقّش الاكبر:

وذو أشر شتيـت النبـت عـذب　　نقي اللون براق برودُ

فنظم الاحوص بعض هذا المعنى في احسن نظام وقال:

قامت تريك شتيت النيت ذا أشر　　كـأنــه من سواري صيّــف بردُ

وفي مجال التشبّه بالعاشقين المشهورين في الجاهلية ومن قتلهم الهوى قال قيس بن ذريح:

فما وجدَتْ وجدي بها أم واجد ولا وجد النهدي وجدي على هندِ
ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

وقال جميل في نفس المعنى:

قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه مرقّش واشتفى من عروة الكمدُ

وقال الاحوص في نفس المعنى والمقام:

لو قاس عروة والنهدي وجدهما لكان وجدي بسعدي فوق ما وجدا

وليس في نيتي الاطالة في هذا المقام وتعداد وجوه الأخذ والمتابعة في شعر الاحوص بل سأكتفي بهذه النماذج لانطلق الى دراسة الاثر الذي تركه مجيء الاسلام في شعر الاحوص وساحاول ان أبيّن بشيء من الاجمال تعامل الاحوص مع المفاهيم الجديدة للدعوة الاسلامية وكيفية بروز هذه المفاهيم في اشعاره وأثر القرآن الكريم والقيم الاسلامية عامة في معاني الاحوص ومضامينه ومصانعته للاصطلاحات الدينية والفقهية في شعره...

ب - الأثر الاسلامي في شعر الاحوص:

نشأ الأحوص في عائلة مسلمة عريقة فجده عاصم بن ثابت من السابقين الأولين الى نصرة الدين الجديد في مدينة الرسول(ص) قاتل جهاداً في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ونال فضلا كبيراً من الله عزّ وجلّ حين حمتْ لحمَه الدَّبْرُ ومنعت الكفار من الوصول اليه. وخاله حنظلة بن أبي عامر كان بين صفوف المجاهدين في أُحُد ولقي الشهادة فيها واستحق نعمة الله عليه حين أرسل الملائكة تغسله بعد استشهاده. واذا كانت المصادر قد أهملت ذكر والده محمد بن عاصم فيظهر لنا أنه كان تقيّاً مؤمناً وهذا ما يفسر وقوف عبد الله بن عمر بين عامودَيْ سريره حين وفاته.

وكان ذلك الفضل الذي ناله كل من عاصم وحنظلة مجال فخر للشاعر ودلالة رفعة واشاره مجد له فقال فيهما:

فأنا ابن الذي حمتْ لحمَهُ الدَّبْـ ـرُ قتيـل اللحيـان يوم الرجيعِ
غسَّلـت خـالي المـلائكـة الأبْـ ـرارُ ميتـاً طوبـى لـه من صريـعِ

إذاً نشأ الأحوص نشأة محفوفة بالكثير من مظاهر الروح الدينية ومطعّمة بشتى رياح الأدب والثقافة المعروفة قبل عصره. فكان الأحوص مطّلعا على أكثر أشعار الجاهليين والاسلاميين الأُول ولقد بيَّنا شيئا من اقتباساته منهم، ومن الطبيعي أن يلّم شاعرنا بالقرآن الكريم إن لم يكن قد حفظ شيئاً كثيراً منه. ولنا في شعره دليل واضح على ما نذهب اليه، فقد تجلّى تأثير القرآن الكريم ظاهراً في شعره، مبناه ومضمونه معا، فجاء هذا الشعر محتويا على شيء من الصفات التي حملتها لغة القرآن الكريم من حيث الرقة في اللفظ والجزالة في التعبير واستخدام بعض الصيغ القرآنية الى جانب الاقتباس في اللفظ والمعنى ولعلنا لو تصفَّحنا ما جادت به كفُّ الدهر من الميمية الوعظية التي نظمها الشاعر لوجدنا معانيها كلها مقتبسة من الآيات القرآنية الكريمة، مدعومة بشيء من واقع التجارب التي مرَّ بها الشاعر والحوادث التي رآها أو سمع عنها.

وفي القرآن الكريم قوله عزَّ وجلَّ: «والجبالَ أَرْسَـٰهَا[1]» وفيه: «وأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكَمْ[2]...»، «وجَعَلْنا في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ[3]...». وقال تعالى في الكتاب الكريم: لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ[4]...».

---

(١) - النازعات ٣٢.
(٢) - النحل ١٥ ولقمان ١٠.
(٣) - الانبياء ٣١.
(٤) - الحشر ٢١.

اطلق الشاعر في ميميته صرخة الإتّعاظ من تقلّب الدهر وتبدّل الايام والنظر الى نتائج الحوادث والنوازل التي ألمّت بالشعوب السابقة والاشخاص السالفين مستندا الى ما ورد في الكتاب الكريم وما سمع من قصص التاريخ واستعان بالفاظ ومعان من الآيات المذكورة لا سيما وصفه للجبال بالرواسي واستعمال معنى التصدّع للجبل فقال:

الدهر ان سرّ يوما لا قوام له ... احداثه تصدع الراسي من العلمِ
يستنزل الطير كرهاً من منازلها ... الى المنيـــة والآساد في الأجمِ

والمعنى المقصود في البيت الثاني استوحاه الشاعر من القرآن الكريم. فهو يستدلّ في قوله على حتمية فناء الكائن الحي مهما علا مكانه وقوى جانبه وتطاول سلطانه ودلّل على ذلك بعلو الطير وقوة الأسد ورهبته في الغاب ولا شك ان هذا المعنى مقتبس من قوله عزّ وجلّ: أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ في بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ[١]... » و «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموتِ... »[٢].

وأكمل الشاعر مقصده مُقتَربا من مفهوم الآية الكريمة «قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ[٣]... » فقال:

ويسلـــب الآمن المغـــترّ نعمتـــه ... ويلحِق الموت بـالهيابـة الـبرمِ

وفي الكتاب الكريم: «وكَم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا[٤] ». وفيه أيضاً. «وكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُون مِنْ بَعْدِ نُوحٍ[٥].. ». وفيه قوله تعالى: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ[٦] ». وقوله عزّ وجلّ:

(١) - النساء ٧٨.
(٢) - آل عمران ١٨٥.
(٣) - الجمعة ٨.
(٤) - الأعراف ٤
(٥) - الاسراء ١٧.
(٦) - يس ٣١.

«أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ[1] ...».

أخذ الاحوص هذه المفاهيم ودلّل عليها في قالبه الشعري متوخيا الوعظ المنبعث من تذكير المرء بفناء الأمم السالفة وحتمية فناء كل حي واستحالة خلود أي كائن بشري فقال:

من يأمن الدهر أو يرجو الخلود به — بعد الذين مضوا من سالف الامم
ليس امرؤ كان في عيش يُسَرُّ به — يوماً باخلد من عادٍ ومن إرَمِ

وحكاية «عاد» «وإرم» وما اصابها من الله أخذها الاحوص من القرآن الكريم في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ★ إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ★ ٱلَّتِي لَمْ يُخلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَدِ★[2]». وفيه قوله عزَّ وجلَّ «وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ[3]». وقوله سبحانه «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولَى[4]». وفي الكتاب قوله تبارك وتعالى: «كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ★ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ[5]».

وتناول الأحوص موضوع غزيرة حب البقاء لدى الكائنات الحية وهواية الاستدامة لدى المخلوقات ورغبة الخلود لدى كل حي فأكّد أن هذه الأمور تبقى في حدود الهواية ولن تكون في يوم من الأيام حقيقة لأن المنية مكتوبة على كل حي، ولقد سلّط الله الموت على البشر وحكّم ملك الموت بأرواح العباد ولا مجال للهروب من قضاء الله ولا مردَّ لأمره المكتوب في الألواح السماوية ولا رَادَّ لقضاء الله المقدَّر المتحكِّم في كل صغيرة وكبيرة من نواحي هذه الحياة الدنيا، وِفْقَ ما ورد في القرآن

---

(١) - طه ١٢٨ وفي السجدة ٢٦ (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ).
(٢) - الفجر ٦ و٧ و٨.
(٣) - الحاقة ٦.
(٤) - النجم ٥٠.
(٥) - القمر ١٨ و ١٩.

الكريم: «قُل لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللهُ لَنَا[١]». و«قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ ٱللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ[٢]» و«كَانَ أَمْرُ ٱللهِ مَفْعُولاً[٣]». وفي قوله تعالى: «وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ[٤]». و«مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً[٥]». وَ«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ[٦]» و«ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللهِ مَالَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَالَكُم مِّن نَّكِيرٍ[٧]».

استقى الاحوص بعض هذه المعاني لا سيما استحالة رد القضاء المكتوب فقال:

يهوى الخلود وقد خُطَّت منيته ... ولا مردَّ خُطَّ بالقلمِ

وأتبعه بقوله:

لا بد ان المنايا سوف تُدركه ... ومن يعمِّر فلا ينجو من الهرمِ

وهذا المعنى الأخير اقتبسه الاحوص من آيات كريمة وردت في كتاب الله العزيز ومنها قوله عزّ وجلّ «وَٱللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ[٨]...» وقوله تعالى «وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ[٩]...» و«...ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ

(١) - التوبة ٥١.
(٢) - يونس ٤٩.
(٣) - النساء ٤٧
(٤) - الرعد ١١
(٥) - آل عمران ١٤٥
(٦) الروم ٤٣.
(٧) -الشورى ٤٧.
(٨) - النحل ٧٠.
(٩) - الحج ٥.

تَعْقِلُونَ »[1] ».

وضرب الاحوص مثلا على ما ذكر من الحقائق فقال:

أين ابن حرب وقوم لا أحسهم كانوا قريبا علينا من بني الحكمِ
بادوا وآثارهم في الأرض باقية تلكم معالمهم في الناس لم ترمِ

ولطالما ضرب الله الامثال للناس في كتابه العزيز ولنا في القرآن كثيرا منها تهدي الى الحق وما قول الاحوص «تلكم معالمهم في الناس لم ترم» الا اقتباسا من القرآن الكريم في قوله عزّ وجلّ «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ[2] ».

وفي غير الميمية المذكورة ورد الكثير من الاقتباسات التي أخذها الأحوص من القرآن الكريم فقال في مدحه لعبدالعزيز بن مروان:

رأيتَهم خشّع الابصار هيبتهُ كما استكان لضوء الشارق الرمدُ

فصورة: «خشوع الابصار» استقاها الشاعر من قوله عزّ وجلّ «أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ» و«خُشَّعاً أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ[4] ». و«خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ[5] ».

وفي احدى قصائده الغزلية قال الاحوص لصاحبته:

حلفت لك الغداة فصدقيني بربّ البيت والسبع الطباق.

وهذا القسم يدخل في نطاق اقتباسات الاحوص من القرآن الكريم خاصة في الالفاظ حيث أخذ عبارة السبع الطباق من قوله تعالى:

---

(١) - غافر ٦٧.

(٢) - طه ١٢٨ وآية السجدة ٢٦ المذكورة سالفاً.

(٣) - النازعات ٩.

(٤) - القمر ٧.

(٥) - المعارج ٤٤.

« ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً[١] » و « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقاً[٢] ».

وتَمَثَّل الأحوص الحياة الاسلامية في شعره وعرض بعض المفاهيم العامة والتقاليد وتطرّق الى ذكر غير واحدة من العبادات الدينية كما في قوله:

كفّناني ان مِتَّ في درع أروى وامتحالي من بئر عروة مائي
انني والذي تحجُّ قريش بيته سالكين نقب كداءِ

ففي هذا الشعر ذكر للكفن وهو من الأمور الدينية كما يرمز الشطر الثاني من البيت نفسه الى غسل الميت وتطهيره قبل دفنه وهذا الأمر من الشروط الاسلامية المتبعة في مثل هذا الموقف. وفي البيت الثاني قسم بالله رب البيت الحرام وذكر لعبادة الحج المفروضة على المسلمين. وفي موقع آخر يذكر الاحوص عبادتي الصلاة والصوم وهما من أسس الاديان السماوية عامة ولعله استقاها من تعاليم الدين الاسلامي بشكل خاص. ونطق الأحوص بالسلام الذي أمر الله به المسلمين في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، فقال:

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام
فلا غفر الاله لمنكحيها ذنوبهم وان صلوا وصاموا

والذنوب في هذا القول تأخذ مفهوما دينيا صرفا وغفران الذنوب عمل آلهي فوق قدرة البشر وفي الكتاب الكريم قوله تعالى « فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ[٣] ... ». وفيه قوله عزّ وجلّ: « إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ[٤] ». وامثال هذه المعاني

---

(١) - الملك ٣.

(٢) - نوح ١٥.

(٣) - ال عمران ١٣٥.

(٤) - الزمر ٥٣.

والتراكيب موجودة في أكثر سور القرآن الكريم ويضيق المجال دون حصرها.

وفي مديحه للامويين استعمل الاحوص كثيرا من المفاهيم والتعابير الاسلامية اطلقها على ممدوحيه أو وصف بها اعمالهم فقال في يزيد بن عبد الملك:

عمّ معروفه فعزَّ به الديـ ـن وذلّت لملكه الكفارُ
وأقام الصراط فابتهج الحـ ـق منيراً كما انار النهارُ

يتراءى لنا يزيد من خلال قول الاحوص قائداً اسلامياً كبيراً يوسع العطاء والعدل في الناس ويعمل لرفع شأن الدين وأصحابه وخفض جانب الكفر وأصحابه، فبه عزّ الدين وأهله وذلّ الكفر وأهله. وفي الكتاب الكريم قوله تعالى: «يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ[1] ...» وفي احد الأدعية الاسلامية قيل: «اللهم إنّا نرغب اليك في دولة كريمة تُعِزُّ بها الاسلام وأهله وتُذِلُّ بها النفاق وأهله[2] ...».

ومفهوم «اقامة الصراط» استقاه الأحوص من القرآن الكريم كذلك ففيه قوله عزَّ وجلّ «اهْدِنَا الصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ[3]» و«وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً[4]». و«وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ[5]». وورد هذا المعنى في آيات اخرى من القرآن الكريم. والحقُّ في قول الأحوص يأخذ بعداً دينياً واضحاً تبعاً لما سبقه من المفاهيم والمعاني.

ولم يكتفِ الأحوص باقتباس معانٍ كثيرةٍ من القرآن الكريم والحياة

(١) - المنافقون ٨.
(٢) - ضياء الصالحين ص ٤٦.
(٣) - الفاتحة ٦.
(٤) - الانعام ١٢٦.
(٥) - الصافات ١١٨.

الدينية الاسلامية بل تطرق الى المفاهيم المستحدثة والعبارات الشائعة في المقامات الإسلامية فأطلق على ممدوحيه صفة الامامة الدينية وهذه الصفة يطلقها الشيعة على أُولى الأمر من آل البيت. وهم اثنا عشر اماما أولهم الامام علي بن ابي طالب ومعه أحد عشر آخرون من ذرّيته والامام من يُؤتم ويُقتدى به ويُستجاب لرئاستة العامة في الأمّة. وقد خلع الاحوص هذه الصفة على ممدوحيه فقال في يزيد بن عبد الملك:

أهان تلاد المال في الحمد انه   امام هدى يجري على ما تعوّدا

وفي عبد العزيز بن مروان قال:

وإنا عدانا عن بلادٍ نحبها   إمام دعانا نفعه المتتابعُ

وفي عمر بن عبد العزيز قال: «وأنت امام للرعية مقنع».

واسبغ الاحوص على عمر بن عبد العزيز صفة «امير المؤمنين» وهي صفة تكاد تكون ملازمة للامام علي بن ابي طالب عند الشيعة واصبحت فيما بعد يُطلق على الخليفة أياً كان لمجرّد الاحترام أو كلقب يأخذ منها الظاهر الاسمي دون الجوهر المعنوي. وقد قال الاحوص في عمر:

أيا راكبا إمَّا عرضت فبلّغَنْ   هُديت أمير المؤمنين رسائلي

وقال فيه كذلك:

هَلَ انت امير المؤمنين فانني   بودك من ودّ العباد لقانعُ

وفي قول آخر يتناول الاحوص مفهوم «امامة الحجاج» ومسألة قبول العمل أو رَدِّهِ من قبل الله عز وجل، ويتوغّل اكثر من ذلك الى مسألة الولاية الدينية والسياسية فيجعل أمرها من عند الله سبحانه وهو الذي جعلها في بني أميَّة فيقول:

سليمان اذ ولاَّك ربك حكمنا   وسلطاننا فاحكم اذا قلت واعدلِ

يؤم حجيج المسلمين ابن فرتني   فهب ذاك حجا ليس بالمُتَقَبَّلِ

فانظر الى هذا القول الغريب ففي الوقت الذي يتهجم فيه الاحوص على افعال سليمان بن عبد الملك واستعماله لخصمه ابن حزم على المدينة وعلى الحج تراه لا يتردد ابدا في جعل ولاية سليمان امرا الهيا وفعلا ربانيا. ومن ثم نجده يستعمل مفهوم العدل في الحكم مقتبسا من كلام الله عزّ وجلّ حيث يقول سبحانه: «وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ[١]» و «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ[٢]...».

اما في مدحه للوليد بن عبد الملك فقد صرّح الاحوص برأيه الواضح في الولاية فجعلها اختيارا من الله في الوليد الذي اتاه الملك عفوا دون ان صراع ومتاعب ومن جهته لم يبذل في سبيل ملكه شيئاً من المال الحرام ولم يسفك في الوصول اليه اية قطرة من دماء الاخرين بل تخيَّره الله وليّاً على خلقه فيقول:

امام اتاه الملك عفوا ولم يُثبْ   على ملكه مالا حراما ولا دما
تخيَّره رب العباد لخلقه   وليّاً وكان الله بالناس اعلما
فلما قضاه الله لم يَدع مسلما   لبيعته الا اجاب وسلّما

إن مفهوم الحرام والحلال ينبع من الاصول الدينية وهو يرتبط ارتباطا وثيقا وكاملا بالدين وقد حرّم الله في كتابه أكل مال الغير كما حرم قتل النفس بغير الحق فقال عزَّ وجلّ في كتابه: «وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[٣]» وفيه قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ

(١) - المائدة ٤٢.
(٢) - النساء ٥٨.
(٣) - البقرة ١٨٨.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً[١] » وقال سبحانه: «وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[٢]...» ومسألة اختيار الولي من قبل الخالق اخذت جذورها الدينية في زمن مبكر من صدر الاسلام فكثير من المسلمين قالوا بولاية الامام علي بن ابي طالب وهم الذين عُرفوا فيما بعد بالشيعة. وما قول الأحوص الا محاكاة لهذا الرأي وتقليدا له في آن معا. وقد اتبع قوله هذا بحجة اقتبس مضمونها من القرآن الكريم حيث يقول الله عزَّ وجلّ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ[٣]» و«إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ[٤]» و«ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ[٥]». و«أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ[٦]» ومسألة علم الله بخلقه وبعباده مشروحة وموجودة في كثير من الآيات الكريمة. وفي البيت الثالث يتناول الأحوص موضوع البيعة فيجعلها أمراً من الله وقضاء منه وما على المسلمين الا الاستجابة لأمره عزَّ وجلَّ والتسليم بقضائه دون أي جدل او امتعاض.

والى جانب هذه المفاهيم اقتبس الاحوص مفردات وتراكيب يضيق المجال دون حصرها واحصائها. وخير مثل لنا في ذلك قوله:

رسول الإله المستضاء بنوره ... عليه سلام في الضحى والاصائلِ

وقوله:

ما ذات حبل يراه الناس كلهم ... وسط الجحيم ولا يخفى على أحدِ
كل الحبال حبال الناس من شعر ... وحبلها وسط اهل النار من مسدِ

وهكذا كان للقرآن الكريم وللحياة الدينية الاسلامية اثرها العميق

---

(١) - النساء ٢٩.
(٢) - الانعام ١٥١ والاسراء ٣٣.
(٣) - المائدة ٥٥.
(٤) - الاعراف ١٩٦.
(٥) - الاحزاب ٦.
(٦) - العنكبوت ١٠.

في شعر الاحوص فبرزت فيه المفاهيم والاصطلاحات الدينية كما طغت عليه معان كثيرة مستقاة من الكتاب الكريم ودخلت فيه مجموعة كبيرة من الالفاظ والمفردات والتراكيب المقتبسة من لغة القرآن الحكيم.

٢ - تأثير شعر الاحوص في الحياة العقلية العربية:

أ - تأثيره في الأدب العربي:

أصبح الغزل بفضل الاحوص وقرنائه الحجازيين شعرا شعبيا عاما وانتقل من دوره التقليدي الى دور جديد حيث أخذ يستقطب اطراف القصيدة ومضمونها. واصبحت القصيدة على يديهم انشودة حب وكتلة عاطفةٍ واحساسٍ ولم يعد الغزل وقوفا على الاطلال وبكاء الديار ووصفا للآثار بل اخذ يجسد عواطف العامة وشعورهم في قوالب شعرية رقيقة مرحة تتلقفها أوتار المغنين فتسحر ألْبَاب اهل الحجاز لا سيما اهل المدينة حيث كان الاحوص يُتحفهم بالوان لا تنضب من الأنغام العاطفية الظريفة بالفاظ مهذّبة وموسيقى منتظمة ومعان قريبة.

وكان لسعة انتشار هذا اللون اثره العميق في اذواق الناس لا سيما الشعراء منهم اذ لم تمض فترة طويلة حتى رأينا الكثير من الشعراء في جميع الاقطار الاسلامية يحملون لواء الثورة على القديم بجميع اشكاله ويسلكون سبل رواد التجديد الحجازيين لا سيما الاحوص الذي كان اول من خرق التقليد القديم وتغزل بالاماء والجواري اللواتي احبّهن او استلطفهن دون التقيّد بالاعراف التي تبعها الشعراء قبله في تغزلهم بالحرائر من النساء دون أي ذكر ذي أهمية للاماء في أشعارهم. وقد فتح الأحوص هذا الباب امام الكثير من شعراء القرن الثاني ومنهم بشار بن برد حتى اصبح التغزل بالاماء والجواري لا يحمل في طياته اي حرج للشاعر بل صار التغزل بهن سمة الجديد الذي لم يقف عند حدود المألوف في تطوره السريع. وصار موضوع الوحدة في القصيدة مطلب الشعراء ومرماهم واخذت القصيدة شكلها الجديد المتباعد عن الشكل

التقليدي بفضل التجديد الذي احدثه شعر الاحوص واقرانه من الشعراء الحجازيين. فوحدة الموضوع في القصيدة تكاد تطغى على مجموع شعر الاحوص لا سيما الغزلي منه ورقة الالفاظ وسهولة التعابير وقرب المعاني سمات طبعت هذا الشعر بطابعها المميز وابعدته عن الحوشي والغريب في الالفاظ والتراكيب المعقدّة مما قرّبه اكثر الى اذواق العامة والبابهم. وجرت هذه السمات في الشعر العربي فيما بعد حتى اصبح لزوم الغريب الحوشي من الكلام أمرا مستهجنا مستكرَها وسالت لغة الشعر العربي في سهولة لم تكن لتجد لها مبررات إلفتها لولا تلك الخطوات الجريئة الأولى التي خطاها امثال الاحوص واشاعها رواد الغناء في امصار العرب. ولم يكن تأثير الاحوص يقف عند هذه الحدود بل نجد كثيرا من الشعراء يقتبسون كثيرا من معاني الاحوص الجديدة. ولن اتعمَّد حصر هذه الاقتباسات فهي ابعد من ان تحصى بل سأحاول ان اعطي نماذج من اقتداء بعض الفحول من كبار الشعراء بشعر الاحوص.

« فأبو نواس يقول:

وان جرتِ الألفاظ منا بمدحة ... لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وهو مأخوذ من قول الاحوص:

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة ... فما هي إلا لابن ليلى المكرَّمِ

وقول الاحوص:

فبان مني شبابي بعد لذته ... كأنما كان ضيفا نازلا رحلا

اخذه دعبل فقال:

احب الشيب لما قيل: ضيف ... كحبي للضيوف النازلينا[1] »

وقول الاحوص في المديح:

(١) - عيار الشعر ٧٦.

واني لاستحييـــــــكم ان يقودني الى غيركم من سائر الناس مطمعُ
وان اجتـدي للنفـع غيرك منهم وانـــت امـــام للرعيـــة مقنـــعُ

اخذه ابو تمام فقال:

رأيت رجائي فيك وحدك همَّة ولكنـه في سائر النـاس مطمـعُ(١)

وقال ابو العتاهية:

فـاذاانقضى همّامرىء فقـدانقضى ان الهموم اشدهن الاحــــــدثُ

وهو من قول الاحوص:

ان القديم وان جلّت رزيته ينضوفينسىويبقىالحـادثالانـفُ(٢)

وقال الاحوص:

وما كل ما أملته انت مدرك ولا كل ما حاذرته عنك يُدْفعُ

فأخذه المتنبي وقال:

مـا كـل مـا يتمنى المرء يـدركـه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

وكان الاحوص يناجي الحمام ويبثه اشجانه في كثير من اشعاره وقد قال:

وهــاج لي الشوق القــديم حمامــة على الأيـك بين القريتـين تفجّعُ
وما شجوها كالشجو منّي ولا الذي اذا جزعت مثل الذي منه أجزعُ
فقلت لها لو كنتِ صادقة الهوى صنعتِ كما اصبحت للشوق أصنعُ
ومـا يستوي بـاكٍ لشجو وطـائرٌ سوى أنـه يـدعو بصوت وتسجعُ
فلا انا مما قد بدا منك فاعلمي أصَبٌّ بعيدا منك قلبا وأوجعُ

وقد جرى ابو فراس الحمداني مجرى الاحوص فقال في مناجاة للحمامة

---

(١) - السمط ١/٢٤١.
(٢) - اشباه ونظائر ١/١٧٤.

مع بعض الفروقات في المعنى لاختلاف الظروف:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة ايا جارتا لو تشعرين بحالي
ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي
ايضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد وصل صدى شعر الاحوص الى ما وراء البحر فتردد في الاندلس فقال ابن خفاجة:

فرفعت من ناري لضيف طارق يعشو اليها من خيال طارِ

وهو من قول الاحوص:

اني اذا خفيت نار لمرملة أُلفى بارفع تل رافعا ناري

وقال الاحوص في مجال التخلص من الغزل الى المديح:

فدعها واخلف للخليفة مدحة تزل عنك بؤسى أو تفيدك أنعما

فاخذ ابن خفاجة هذا الموقف في التخلص وقال:

دع عنك ثَيِّب كل نعمى والتمس منح ابن ابراهيم فهي عذارُ..

وهكذا ترددت اصداء معاني الاحوص في الشعر العربي ولا تزال تتجاوب ترجيعاتها في الاسماع، كما تلوّنت القوافي العربية باللون الجديد الذي اصطبغه الاحوص وزملاؤه في الحجاز ولونوا به اشعارهم.

ب - شعر الاحوص مصدر لكثير من الاسماء الجغرافية:

لم ينس الاحوص ان يشير في شعره الى مواضع بعض مغامراته او الى المدن والقرى التي قصدها أو مر بها في سبيل حبّه او في سبل اخرى. بل انه اورد في كثير من شعره الغزلي اسماء الاودية والغدران والبطاح والجبال التي كانت تشكل موضع اهتمامه وامكنة مقاصده. وفي شعره الذي وصلنا على قلته ما يزيد على مئة موضع ذكرها باسمائها

واشار الى مراكز بعضها بالنسبة للمدينة التي تجاورها او حدّد مواقع البعض الاخر بالنسبة لما حوله من المواضع حسب بعدها عن المدينة المنورة. فشعره من هذه الزاوية معجم جغرافي موجز لضبط اسماء بعض المواضع التي ينتفع العلماء من معرفة شكل اسمائها على الوجه الصحيح وهو دليل صادق على الاسماء التي كانت تُعرف بها هذه المواقع في ذلك العهد.

وكان لذكره هذه الاسماء في اشعاره اثر ادبي مهم في معاجم البلدان ومعاجم اللغة وقد حوت المعاجم الجغرافية كثيرا من الابيات التي حملت اسماء مواضع محددة في الجزيرة وغيرها.

وقد شكلت المعاجم الجغرافية مادة مهمة لجمع شعر الاحوص بعد ضياع ديوانه ففي معجم البكري ورد ما يزيد على اربعين بيتا في اكثر من ستة وعشرين مكانا منها سبعة عشر بيتا لم تردْ في أي مصدر آخر وانفرد البكري بايرادها في اربعة عشر موضعا. وفي معجم البلدان ذكر ياقوت حوالي اربعين بيتا في ثمانية عشر موضعا منها ستة أبيات انفرد بذكرها وحده في ثلاثة اماكن. ونقل صاحبا وفا الوفا والمغانم المطابة عددا اقل من الابيات في مواضع مختلفة من الكتابين.

في معجم البكري أبيات عديدة من شعر الأحوص وردت للاستشهاد بها على ضبط اسماء مواضع معينة او تحديد مواقعها كالمُوَقَّر وهَصْوَر ووَرِقَان ومَثْعَر والَداخِن وذي المُسَهَّر ومُنْشِد وخَيْف بني كنانه وبِيْشَة وبِيْش وجَنْجَب ورُواوَة وعَثْر وعَيْر وقُرح وأَرْثَد وغيرها كثير. ومن هذه الاستدلالات قوله: «بيشة: (بكسر الباء وسكون الياء) واد من اودية تهامة وقد حذف الاحوص الهاء ببيشة واتى به على التذكير فقال:

تحل بخاخٍ او بنَعْف سُوَيْقَةٍ ورحلي ببِيْشٍ أوتُهامة أونَجْدِ[1] »

وجَنْجَبُ: (بفتح الجيمين وسكون الباء) ماء لبني جعدة وقال ابن الاعرابي جَنْجَبُ: جبل وأنشد للاحوص:

فأنّى له سلمى اذا حلَّ وانتوى بحُلْوَان وأحتلتْ بمَزْجٍ وجَنجَبِ

وهكذا ضبطه بفتح الجيم[2] ».

« المُوَقَّر: (بضم الميم وفتح الواو وفتح القاف المشددة) والقَسْطَل (بفتح القاف وسكون السين وفتح الطاء): موضعان متجاوران من عمل البلقاء بدمشق. وفي شعر الاحوص ما يُنبِئُك أنَّ الموقر من شِقّ اليمن قال:

ألا طرقتنا بالمُوَقَّر شعفرُ من دون مسراها قُدَيْدٌ وعَزْوَرُ

بوادٍ يَمانٍ نازحٍ جُلُّ نبته غضيَ وأراك ينضح الماء أخضرُ[3] »

قُرْح: (بضم القاف وسكون الراء) موضع... قال الاحوص:

عفا السفح فالرَّيَّانُ من أم معمر فاكتاف قُرْحٍ فالجُمَانَانِ فالغَمْرُ

وهي مواضع متدانية محدّدة في رسومها[4] ».

فيف: واصله (فيفاء) (والفيفاء: كل ارض واسعة.. وقد وردت فيف وفيفا مضافة الى اماكن معروفة وهي غير هذا الموضع المذكور. قال الأحوصُ فأضافه الى غزال المتقدم ذكره:

بالنعف من فَيْفَا غزالٍ ذكرتها فطال نهاري واقفا وتلدُّدي[5] »

« قُبَاء: (بضم القاف) من العرب من يدكّره ويصرفه ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه. وقباء آخر المدينة وقال الاحوص في صرفه:

(١) - معجم ما استعجم ٢٩٣/١.
(٢) - معجم ما استعجم ٣٦٤/٢.
(٣) - معجم ما استعجم ١٢٨٠/٤.
(٤) - نفس المصدر ١٠٦٢/٣.
(٥) - نفس المصدر ١٠٣٧/٣.

ولهـــا مربـــع بـــبرقـــة خـــاخٍ ومصيـفٌ بـالقصر قصر قُبـاءِ[1] »

وامثال هذه النماذج كثيرة في المعاجم الجغرافية ولنا فيما تقدم دليل على اهمية شعر الاحوص في تعيين شكل الاسماء وتحديد موقع المكان بالنسبة لما يحيط به من المواضع ومن الاسماء ما استُدِلَّ عليها بشعر الاحوص كالمُوَقَّر الذي يقع في شق اليمن وجبل جَنْجَب وغيرها.

وقد رأينا ان نضع جدولا باسماء المواضع التي عثرنا عليها فيما وصلنا من شعر الاحوص مرتبا على الحروف الهجائية وقبالة كل موضع رقم القصيدة التي ورد فيها ذكره عسى ان يكون في ذلك شيئاً من الفائدة لمن يود الاطلاع على هذه الأمور:

(١) - نفس المصدر ١٠٤٦/٣.

(ارقام القصائد حسب تصنيف عادل جمال)

جـ - تأثير شعر الاحوص في تطور القصص العربي:

لم يكن عند العرب القدماء أي تمرّس في فن القصص ولم تكن حياة الجاهلية تسمح بنشأة هذا الفن لعدم توفّر الظروف الملائمة لنشأته وتطوّره وكان البعض منهم ينقل الاخبار الى الاجيال المتعاقبة باشكال وصيغ موجزة ذات طابع إلقائي دون أي ميل الى الاطالة والانشاء القصصي وكان الشعر العربي يُمثل المصدر الاكثر رواجا لاستقاء الاخبار القديمة وتسجيلها في قوالب إخبارية ومع قدوم الاسلام وتتابع الاحداث والغزوات نشأت حاجة ملحّة لتسجيل هذه الوقائع فرُويت اخبار الغزوات بشيء من التفاصيل الدقيقة التي شكلت مادة لروايات اكثر تطوّرا جُمعت بعضها الى بعض وشكّلت ما عُرف بالسيرة النبوية التي جُمعت بشكل روايات شفهية او مكتوبة في بادىء الأمر ثم تطوّرت لتأخذ مكانتها المتطورة في عهود تالية.

ورأى الاخباريون والرواة في حياة بعض الشعراء وفي اشعارهم مادة

مهمة لنسج نوع اخر من الروايات القصصية التي كان البعض منها يحاكي واقع الحدث والبعض الآخر منها كان يستهدف اثارة المتعة وايجاد التسلية للسامع والقارىء على حد سواء. فأُلّفت قصص كثيرة حول جوانب مهمة من حياة هؤلاء الشعراء كسيرة عنترة في الفروسية وقصة المجنون في الحب وغيرها القصص التي اخذت شيئاً من الواقع ونسجت عليه اشياء من الخيال.

وكان لشعر الأحوص نصيب وافر من التأثير في إيجاد مثل هذه الأقاصيص المسلية لما تضمنّه من العناصر المساعدة على تأليفها. فرأوا في قصيدة الأحوص: «خمس دسسن إليّ في لطف» مادة لقصة طريفة فحاكوا حولها نسيجا متكاملا وربما ابتعدوا عن واقع الحدث بتفاصيل تُدخل المتعة وعنصر التشويق الى الأقصوصة، فرووا أنه اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة وطلبوا منها أن تُرسل الى الأحوص لأنهن يرغبن في التحدّث اليه وسماع شيء من شعره فقالت لهن: إذاً لا يزيدكنَّ على أن يخرج إذا عرفكن فيشهركن وينظم الشعر فيكن. وتمضي أحداث القصة فيرسلن رسولا منهن اليه، فيأتيهن مخمَّرَ الرأس معصَّب العينين وتدور أحداث يسردها صاحب الرواية بذكاء وحنكة فيجعل للأحوص دالة على البيت الذي أتاه حيث يضع الشاعر يده في تُورٍ بين أيديهن فيه خلوق قبل أن يخرج ثم يمسح الباب بيده ليجد أثره في اليوم التالي، فيُمكنه التعرّف على المكان الذي أتاه[1].

ولربما كان كثير من هذه التفاصيل من خيال الرواة والقصاص ولا نستبعد ان تكون الرواية بأكملها من نسيج افكارهم ودليلنا على ذلك في ما نقله ابو الفرج بعد القصة والشعر حيث ذكر عن الزبير بن بكار صاحب الرواية الأولى نصّين آخرين حول مناسبة القصيدة يختلفان فيما

(١) - الاغاني (ث) ١٢٩/٩ - ١٣٢.

بينهما ويخالفان القصة الأولى. هذا عدا عن ان قصة مثل هذه تُروى عن عمر بن أبي ربيعة وفيها خلوق وحباء وخلالها يقوم عمر بغمس، يده في إناء الخلوق.

وهناك الكثير من الأخبار المنسوجة حول أشعار الاحوص منها حكاية وفوده مع كُثَيِّر والنصيب على عمر بن عبد العزيز وأشياء من اخبار خصومته مع ابن حزم ومعظم اخبار لقاءاته مع الشعراء لا سيما جرير والفرزدق وبعض اخباره مع المغنِّية جميلة واكثر الروايات التي تناولت خبر نفيه الى دهلك ورده منها.

وأثر الصنعة ظاهر في هذه الأخبار بصورة واضحة ولقد سبق الكلام عليها وحدّدنا في حينه ما رأيناه اقرب الى الحقيقة منها. ومعظم هذه الاخبار كانت شرحا لشعره او تعليقا عليه او تفسيراً لمناسبات إلقائه ولربما كان كثير من قصصه يدور حول ما ضاع من اشعاره بفقد ديوانه المصنوع ففقد قيمته بعد ذلك. ونحن لا نزعم ان كل اخبار الاحوص موضوعة بل اكثرها حمل من التفاصيل ما ابتعد به عن جادة الصواب ورماه في مضارب المتعة والتسلية ولكننا نؤكّد بوضوح وضع عدد من القصص ونسجها بشكل رائق وطريف منها حكاية الاحوص ومعبد مع الجارية التي كانت تُنشد شعرا لصاحبنا من تلحين معبد وهي تستقي من احد الغدران في ناحية من نواحي بلاد الشام. وقد حيكت هذه القصة ووُضعت تفاصيلها من خيال القصّاص بهدف تلوين اخبار الاحوص واعطائها نوعا من الظرف والمرح ونظم اصحابها ابياتا من الشعر تكاد تنفر عن اسلوب شاعرنا وأبنيته ومضامينه. وخير دليل لنا على وضعها ما احتج به ابو الفرج في نهاية القصة، معتمدا في حكمه على رواتها انفسهم(١).

---

(١) - الاغاني (ث) الأغاني (ث) ٢١/١٢٠ - ١٢٤ ذم الهوى ٦٥٥ - ٦٥٦ العقد الفريد ٤/٤٥٥ - ٤٥٦.

واعتاد القصاص على وضع الحكايات الغرامية التي تدور بين الشعراء وصاحباتهم فرأوا في اشعار الاحوص الغزلية التي نظمها في حبه لسلامة مادة مهمة لابراز مقدرتهم القصصية وانشاء اقصوصة مسلّية طريفة فكان ان نسجوا ثوب هذه الحكاية كله دون اي اساس حقيقي لها سوى ما ورد من ذكر لسلامة في اقوال الشاعر وجعلوا لها زمانا متقدما على ما عرف من اخباره معها وأوردوا تفاصيل تشبه علاقات العذريين في حبهم. ولم ينسوا ان يخرجوا هذه القصة بشكل شبه تام فجعلوا فيها مقدمة وعقدة وتطورات وحلا ساراً للعقدة على شاكلة الحلول المألوفة في الروايات العربية مما يلائم طبع العربي في المرح والتسلية. ووضعوا في سياقها اشعارا نسبوها لكل من الاحوص وسلامة وليست هذه الاشعار تشبه نمط الاحوص كما قال ابو الفرج في مقدمة خبره حيث ردَّ هذه القصة وأوضح انها من نسج الخيال[1].

وحكاية اخرى رواها ابن الأعرابي عن الاحوص جاءت تفسر اشعاره التي قالها حين أحسَّ بقرب أجله وكانت معه جارية له تسمى بشرة. فاستغل القصاص هذا الشعر وجعلوا بينه وبينها حبا قويا يحاكي حب قيس ولبنى واوردوا تفاصيل تحمل في طياتها بذور الوضع والنسج المُحكَم دون اساس واقعي منها ان بشرة هذه وضعت رأس الاحوص في حجرها حتى اذا حضرته الوفاة جعلت تبكيه وتنوح عليه حتى شهقت شهقة فماتت معه ودفنت الى جانبه[2]. ولا يخفى علينا ما في هذه الاقصوصة من محاكاة قصص العذريين السابقين. ومحاولة النسج على منوال حكاياتهم لا سيما قصة قيس ولبنى.

---

(١) - الاغاني (ث)١٢٩/٩ - ١٣٢ البداية والنهاية ٢٣٤/٨ - ٢٣٥ ذم الهوى ٦١٢ - ٦١٥.
(٢) - مصارع العشاق ٤١٩ شرح شواهد المغنى ٢٦١ خزانة الادب ٢٣٤/١.

وهكذا شكل شعر الاحوص معينا للرواة والقصاص ينهلون منه ليُشبعوا رغبتهم في التأليف القصصي الذي كان يتلَّمس خطاه وسط الفنون الأدبية الاخرى التي كانت تشهد مزيدا من التطور والتقدم.

خـاتمة

١ - خلاصة البحث:

حاولت في هذا الكتاب أن أرسم صورة جليّة لحياة الشاعر الأموي الاحوص بن محمد الانصاري وان اعرض لاغراضه وخصائصه الفنية فجاءت الدراسة في بابين اولهما تناول شخصية الشاعر وينقسم الى ثلاثة فصول ويتناول الثاني شاعرية الاحوص وفنه وفيه كذلك فصول ثلاثة.

طرقت في الفصل الأول من الباب الأول موضوع نقد المصادر التي حملت اخبار الشاعر واخبار عائلته وفصلت بين هاتين المجموعتين لتباين موادهما واختلاف نوعية الاخبار التي استقيتها منهما.

ثم انتقلت في الفصل الثاني الى الحديث عن بيئة الشاعر بمختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية حيث كانت المدينة في ذلك العصر مركزا لأهم ألوان التجديد في الحياة الاجتماعية وموطنا لأكثر ضروب اللهو والتسلية ومنطلقا اساسيا لفن الغناء الذي كان ميزة رئيسية من ميزات الحضارة والرقي اللذين عما اوساط الحجاز.

وفي الفصل الثالث تناولت بادىء الأمر عائلة الشاعر ونسبه فتحدثت عن جدّه حمي الدبر واعماله في سبيل نشر دعوة الاسلام ومن ثم تكلمت على خاله غسيل الملائكة وبقية اعضاء تلك الاسرة الشهيرة،

لاخلص بعد ذلك الى الحديث عن اسم الشاعر واختلاف المؤلفين فيه مستنبطا ما خلصت اليه من خلال عرض شامل لطروحات الرواة ومن خلال الاستدلال المنطقي في هذا الأمر. وانتقلت بعد ذلك الى ذكر مولدهونشأته الأولى في بيت بَعُدَت عنه اسباب الغنى والثروة وفي وسط تجاذبته الوان اللهو والمجون. وطرحت على بساط البحث علاقاته بمن يحيطون به من قومه ومن المغنين ومن الشعراء وعُدْتُ الى طرح موضوع اتصاله بالخلفاء الامويين وامرائهم بدءاً بمعاوية وابنه يزيد حيث وفد على معاوية مع ابيه ومدح يزيد بشيء من شعره. وفي عهد عبد الملك تكاد تنقطع اخباره وامكنني ان استدّل من خلال شعره على مدحه لوالي مصر آنذاك عبد العزيز بن مروان. اما سيرته مع الوليد فكانت تحمل نوعا من الموازاة في المعاملة والتعامل بين الشاعر والخليفة. حيث كان الأول يكثر من مديح الثاني ويقابله الممدوح بالاكرام والحلم والمسامحة. وفي عهد الوليد تبتدىء حكاية الاحوص المريرة مع ابن حزم ذلك الوالي الذي اذاق الاحوص مرّ الحياة وأبعده عن إلف المعاشرة. ولم يكن الاحوص ليسكت على ظلم ابن حزم له بل شكاه الى الوليد وأنزل به وبعائلته عقابا دام حتى عهد المنصور. وعند تولي سليمان بن عبد الملك للحكم كانت بداية المأساة الكبرى في حياة الشاعر حيث تمكن ابن حزم من نيل ثقة الخليفة فجلد الشاعر وأقامة على البلس وشهّر به في ساحات المدينة وأودي به في عهد عمر بن عبد العزيز الى المنفى. وحاول الأحوص أن يسترضي الخليفة وأخذ يستعذر منه ويستغيث به لكن كل جهوده ذهبت أدراج الرياح. ومع تولي يزيد بن عبد الملك مقاليد السلطة ضحكت الأيام للأحوص في وقت أزهر فيه الشيب في رأسه وعادت اليه حريته ونزل الإكرام لدى الخليفة غير أنه ذاق في تلك الأيام مرارة الجلد مرة أخرى على يد الجرَّاح في خراسان بسبب هجائه لآل المهلب طمعا بأعطيات الخليفة. ولم تبسط له الأيام من العمر

بعد ذلك كثيراً بل وافته المنية في أواخر عهد يزيد في وقت كان فيه يقصد البصرة هربا من والي المدينة آنذاك عبد الواحد النصري وأسدلت الستارة بموته على حياة لفّها العذاب وأغرقها اللهو والمجون.

وانتقلتُ بعد الفراغ من عرض صورة حياة الشاعر الى دراسة شعره وهي موضوع الباب الثاني من الكتاب وقد خصصت الفصل الأول للحديث عن مصدر شعر الاحوص وتناولت بالنقد فيه كتابين وُضعا في جمع شعره فبيّنت من خلال المقابلة بينهما اعتماد الدكتور السامرائي في كتابه على مؤلّف عادل جمال. ثم بحثت موضوع ضياع شعر الأحوص وأوردت الدلالات القائمة على ما ذهبت اليه.

وفي الفصل الثاني تناولت اغراض الشاعر فمهدت للحديث عنها بوصف عام لاتجاهاته الفنية ثم بدأت بالغزل وهو اكبر اغراضه واجودها واكثرها دلالة على شخصيته الشعرية ويكاد يكون الغزل عند الاحوص الميزة الاساسية والصبغة الرئيسية لهذه الشخصية الفذة التي استطاعت ان تقوم الى جانب البعض الآخر بمهمة تجديد الوان الشعر العربي وبعث روح جديدة فيه. وقد بدأت بالحديث عن مقدماته الغزلية فقسمتها الى ثلاثة انواع هي الاطلال المهجورة والاطلال المأهولة والاطلال المحسوسة ولاحظت ان الاطلال المأهولة كانت حاجة ملحة من

حاجات الحياة المدنية التي عاشها الشاعر أما النوع الثالث من الأطلال فكان جديدا في مضامينه وتعابيره وشكّل نوعا من اللفتات العربية القديمة نحو ما عُرف في وقت ليس بعيداً بالرومانسية. ثم انتقلت الى أشعار الأحوص التي نظمها في حبيباته أو عشيقاته وحلّلت مذهبه وطروحاته في تعاطيه مع كل واحدة منهن. وبعدها طرقت الموضوعات العامة في غزل الأحوص وهي تدور حول ظواهر الحب وشواهده ثم ذكريات الحب القديم والبعد والنزعة الى أرض الحبيب وتصرفات

الأعداء والعذال وحفظ السر والعتاب والتقلب والملل. وعرّجت في هذا المقام على فن الأحوص القصصي في الغزل ووصفه للمرأة.

وتناولت بعد ذلك مدح الاحوص لبني أمية من زاوية المعاني العامة التي وردت في مديحه لهم فرأيت انه مدحهم بالمجد والحسب والكرم والعز والسلطان وحسن الفعال والتقوى والامامة الدينية. اما هجاء الاحوص لخصومه فكان على نوعين هجاء شخصي لقومه وهجاء سياسي لابن حزم ولابن المهلب صبَّ الأحوص في كليهما جام غضبه على خصومه وعضهم بأشعاره. وعرضت بعد ذلك لاستعطاف الأحوص عمر بن عبد العزيز واستئذانه إياه بالقدوم من منفاه ومحاولات الأحوص رد التهم عنه والتعرض لخصومه الذين أوْذوا به الى دهلك. ومررت على أغراضه الأخرى كذكره الصبا والشيب ومعانيه الوعظية والحكمية ووصفه الناقة ورثائه لزوجته.

وفي الفصل الثالث فرغت لدراسة شاعرية الاحوص وفنه فاوضحت في مستهله الخصائص الفنية العامة التي طبعت شعره وهي التخصص بالحب واللهو ثم الاسلوب القصصي والوحدة في القصيدة والبحور القصيرة ومن ثم الرقة والطلاوة وحلاوة المنزع وبعدها الابتكار والسبق وصالة والطبع وعرضت لبعض العيوب المعنوية التي أُخذت على بعض شعره.

وبعد ذلك عرضت موضوع مكانة الاحوص الشعرية عند المتّصلين بشعره من عامة الناس وعند الخلفاء وعند الشعراء وعند النقاد والمؤلفين وفي الختام عند الادباء المحدثين وعرضت في كل قسم منها اقوال الفرقاء وحللت ما استوجب التحليل منها وناقشت ما لزمت مناقشته من هذه الاقوال وبسطتُ في نهاية المطاف بعض الرأي في مكانة الاحوص.

وانتقلت بعدها الى ابراز نواحي التأثر والتأثير في شعر الاحوص فعرضت لبعض المعاني التي اخذها الاحوص من القدماء وفصَّلت نواحي تأثّره بالقرآن الكريم والحياة الدينية في عصره. ثم أوجزت بعض تأثيرات الاحوص في الحياة العقلية العربية ومنها تأثير شعره في الأدب العربي ولحظت بعض المعاني التي اخذها كبار فحول الشعراء عنه وانطلقت للحديث عن تأثير شعر الاحوص في مادة تأليف المعاجم الجغرافية ومساعدة هذا الشعر على رسم اشكال الاسماء الجغرافية وتعيين مواقعها. وانتهيت الى رسم خطوط تأثير شعر الاحوص في تطوّر القصص الاخباري العربي حيث ساعد شعر الاحوص كثيرا من الرواة على نسج القصص الممتعة والمسليّة حول الشاعر وحياته.

٢ - نتائج البحث:

كان اول لقاء لي مع الاحوص من على صفحات تاريخ جرجي زيدان الذي صنَّفه بين فحول الشعراء الامويين وترجم له بين الشعراء الغزليين في العصر الأموي ورأيت من خلال الترجمة القصيرة وما اطلعت عليه في غير مصدر من مصادرنا ان هذا الشاعر الكبير جدير بدراسة مستقلة وافيه ومفصّلة وخاصة ان اكثر دارسي الأدب العربي في جامعاتنا لا يكادون يسمعون باسم هذا العلم الكبير من اعلام الادب العربي. ورأيت في كثرة التناقض بين المصادر في اخباره حافزا جديدا لي كي أقع على قريب الحقيقة في هذا المجال واقدّم بعض المساهمة المرجوة في ابراز معالم حياة هذا الشاعر الذي عاش حياة قاسية مريرة حاول خلالها اخذ نصيبه من اطراف الحضارة وضروب اللهو فأوغل في ذلك حتى المجون وتصدّتْ له قوى معارضة لاعماله فخاصم قومه وملأهم هجاء وشرّا وتربَّص له الدوائرَ أحدُ ولاة المدينة فكانت بينهما معركة قاسية استمرت حوالي سبع سنوات متتالية لم يسلم فيها الشاعر من النفي الى جزيرة ليس له فيها انيس ولا جليس.

واني لأرجو ان تكون هذه الدراسة التي قدمتها قد اعانت على توضيح حياة الرجل على ما فيها من مشكلات جمَّة وان تكون دراستي لشعره قد اسهمت في الانتصاف له من التاريخ الادبي الذي اهمله وانما اردت من ذلك ان أحلَّ هذا الشاعر المكانة التي يستحقها بين شعراء عصره وفي ميدان الشعر العربي عامة. فقد كان ثاني اثنين نهضا بالغزل نهضة واسعة جعلت منه محطَّ أنظار الشعراء بعدهما ومركز اهتمام العامة والخاصة من متذوقي الأدب فكان للاحوص حسب ما وردنا فضل كبير في معميم لغة الغزل في المدينة ومن ثم في باقي الامصار العربية كما كان للتجديد الذي احدثه في موضوعات القصيدة الغزلية ووحدة الموضوع في المقطوعة أثر كبير في نهضة التحديث التي عرفها العصر العباسي الأول فيما بعد اما المقطوعات المصنوعة للغناء فكان للاحوص الباع الطولي في انشائها فكانت اشعاره حتى التقليدية منها لينة الالفاظ سلسة التركيب سهلة المعاني قريبة المآخذ متناغمة المقاطع متينة البناء. وكان غزل الاحوص في الاماء والجواري فاتحة لهذا الباب الأدبي الذي فُتح على مصراعيه فيما بعد. وبمثل هذه المميزات يمكننا ان نعتبر الاحوص رائدا كبيرا من رواد التجديد في الشعر العربي وعلما عاليا من اعلام الغزل وواحدا من اكبر فحول الشعر العربي عامة فهو يمثل قمة شاهقة بين القمم المتعالية في سماء هذا الشعر ولسنا كما اوضحت سابقا مقيدين باحكام بعض النقاد والمؤلفين لأن منهم من كان يقوِّم الشعر على اساس حاجته اللغوية وبعضهم الاخر تناسى الشاعر لما عُرف عنه من سوء الاخلاق ولكننا نؤكد ان المصلحة والاخلاق لا يمكن ان تكونا من العوامل المؤثرة في تقويم الأدب الذي يُدرس بذاته بعيدا عن سِيَر أصحابه ولا يلتمس الدارس فيه سوى القيم الفنية التي يجود بها الأثر الفني.

ولعل كثيرا من دارسي الادب العربي قد احجموا عن دراسة الشاعر

وبخسوه حقّه ولم يعطوه مكانته التي يستحقها لعل ذلك كان بسبب ضياع معظم شعره وتشتُّت ما بقي في بطون المصادر المختلفة أو لارتكاز بعضهم على مصدر واحد أو بعض المصادر في دراستهم له، فلم يستطيعوا الإحاطة بِكُلّ جوانب شخصيته وفنّه، فبقي هذا الشاعر مهملا مغموراً ولم يأخذ مكانته في صدر الدراسات الأدبية التي تُورِّخ للأدب العربي لا سيما االأموي منه.

الحياة الانسانية بتجارب شعورية جديدة، فمع كل شاعر كبير يولد عالم جديد وتبنى حياة جديدة.

واني لأرجو ان تكون هذه النتائج التي وصلتْ اليها هذه الدراسة حافزا للدارسين على دراسة ما خلص الينا من شعر الشعراء المغبونين امثال الاحوص ممن لم يُسَلَّط عليهم الاضواء بعد وعسى أن تضيف هذه الدراسة الى التراث العربي غنياً فنية جميلة وحقائق كونية خالدة وتمدّ الحياة الانسانية بتجارب شعورية جديدة فمع كل شاعر كبير يولد عالم جديد وتبنى حياة جديدة.

ثَبَتُ بالمصَادِر

١ - القرآن الكريم

٢ - ضياء الصالحين في الادعية والزيارات - جمعه الحاج محمد صالح الجوهري مطبعة الاداب النجف ١٩٦٩ م ١٣٨٩ هـ ط ١٢.

٣ - الآمدي - ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحي (- ٣٧٠ هـ) المؤتلف والمختلف - تحقيق عبد الستار فراج. دار احياء الكتب العربية - مطبعة الحلبي ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٤ - الأبشيهي - ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد (٧٩٠ هـ - ٨٥٠ هـ) المستطرف في كل فن مستظرف. مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٧٩ هـ

٥ - الأتليدي - محمد بن دياب (اوائل القرن الثاني عشر هـ) (حوالي ١١٠٠ هـ) إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس، مطبعة الحلبي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م. ط. ثانية.

٦ - إبن الأثير - عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (- ٦٣٠ هـ)

أ - أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة - المكتبة الاسلامية - طهران ١٣٧٧ هـ مصوّر عن طبعة مصر ١٢٨٥ هـ.

ب - الكامل في التاريخ - المطبعة الازهرية - مصر ١٣٠١ هـ.

٧ - الازهري - ابو منصور محمد بن احمد بن طلحة (٢٨٢ هـ - ٣٧٠ هـ)

تهذيب اللغة - تحقيق هارون - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٨ - الاصبهاني - ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (- ٣٥٦ هـ)
أ - الاغـاني (د) دار الكتـب المصريـة الطبعـة الاولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١م الاجزاء ١ - ٤ و٦ فقط.
ب - الاغاني (ب) طبعة بولاق ١٢٨٥ هـ - الاجزاء كلها

(ج) الاغـاني (ث) دار الثقـافـة - بـيروت - ١٩٥٥م - ١٩٦٠م. الاجزاء ٢ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٢ ومن ١٥ الى ٢١.

٩ - الاصفهاني - ابر بكر محمد بن داود بن علي (- ٢٩٦ هـ)
الزهرة - تحقيق نيكل وطوقان - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٣٢م - ١٣٥١ هـ.

١٠ - الاصمعي - ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن اصمع (١٢٣,٢ هـ - ٢١٦,٥,٤ هـ).

فحولة الشعراء - تحقيق تورى - دار الكتاب الجديد ط. اولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٧١م

١١ - الإنطاكي - داود بن عمر البصير (- ١٠٠٨ هـ)
تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق - المطبعة الازهرية ط ٣ - ١٣٢٨ هـ.

١٢ - البخاري - ابو عبدالله محمد بن ابي الحسن (١٩٤ هـ - ٢٦٥ هـ)
أ - صحيح البخاري - بولاق ١٣١٤ هـ.
ب - التاريخ الكبير - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٦٠ هـ - ١٣٦٤ هـ.

١٣ - البصرى - صدر الدين ابو الحسن علي بن ابي الفرج بن الحسين

(- ٦٥٩ هـ) الحماسة البصرية - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ط. اولى ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.

١٤ - البغدادي - عبد القادر بن عمر (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية - بولاق ١٢٩٩ هـ - ط. اولى.

١٥ - ابن بكار - ابو بكر الزبير بن بكار بن عبدالله (١٧٢ هـ - ٢٥٦ هـ)
جمهرة نسب قريش وأخبارها - تحقيق محمود شاكر - مكتبة خياط - روائع التراث العربي - ١٣٨١ هـ.

١٦ - البكري - ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي (- ٤٨٧ هـ)
أ - سمط اللآلى (اللآلي في شرح امالي القالي) تحقيق الميمنى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ. - ١٩٣٦ م
ب - معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع - تحقيق السقا - ط. اولى مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.
ج - التنبيه على اوهام القالي في اماليه - ملحق بالامالي - دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥.

١٧ - البلاذرى - احمد بن يحي بن جابر (- ٢٧٩ هـ)
أ - أنساب الاشراف -
ج ١ = تحقيق حميد الله - دار المعارف ١٩٥٩ م مصر
ج ٣ = تحقيق المحمودي - دار التعارف بيروت - ١٩٧٧ م - ١٣٩٧ هـ.
ج ٥ = طبع القدس ١٩٣٦م ج ٦ و ٧ و ٨ مخطوط بدار

الكتب المصرية رقم ٤٨٥٦ تاريخ (الديوان)

ب - فتوح البلدان - طبع ليدن ١٨٦٦م.

١٨ - التبريزى - ابو زكرياء - يحي بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني (- ٥٠٢ هـ).

ديوان الحماسة (مختصر من شرح التبريزي) - وقف على تصحيحه اديب من أفاضل الادباء - مكتبة صبيح - الازهرية ١٣٣٥ هـ

(- لم أوفَّق الى العثور على المجلد الاول الذي يضم أخبار الاحوص في مكتباتنا الكبيرة ووجدت المجلد الثاني فقط في الامريكية).

١٩ - التنوخي - ابو علي - المحسن بن علي التنوخي (- ٣٨٤ هـ)

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - تحقيق الشالجي - دار صادر - دار بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

٢٠ - الثعالبي - ابو منصور - عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (٣٥٠ هـ - ٤٢٩ هـ)

أ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - مط. الظاهر - القاهرة - ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م.

ب - الاعجاز والايجاز - المكتبة الكلية بيروت ١٩٠١م - ط. اولى - المطبعة العمومية - ١٨٩٧م.

ج - المنتحل - تصحيح احمد ابو علي - المطبعة التجارية الاسكندرية - ١٣١٩ هـ - ١٩٠١م.

د - الكناية والتعريض - ملحق بكنايات الجرجاني - مط. السعادة - ط. اولى ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م.

هـ - التمثيل والمحاضرة - تحقيق الحلو - دار احياء الكتب العربية - مط. الحلبي - ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م.

٢١ - ثعلب - ابو العباس أحمد بن يحي (٢٠٠هـ - ٢٩١ هـ)
مجالس ثعلب - تحقيق هارون - دار المعارف ١٩٦٠ نشرة ثانية. (الاولى كانت عام ١٩٤٨ م).

٢٢ - الجاحظ - ابو عثمان - عمرو بن بحر بن محبوب (١٦٠ هـ - ٢٥٥ هـ)
أ - التاج في اخبار الملوك - المطبعة الاميرية - القاهرة ١٣٣٢ هـ.
ب - الحجاب - (رسائل الجاحظ) تحقيق هارون - الخانجي ١٣٨٥ هـ.
ج - الحيوان - تحقيق هارون - مكتبة ومطبعة الحلبي ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م. ط. اولى
د - البيان والتبيين - تحقيق هارون - مكتبة الخانجي - مط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢. ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
هـ - البخلاء - تحقيق الحاجري - دار المعارف - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٣ م.
و - البرصان والعرجان والعميان والحولان تحـ. الخولي - دار الإعتصام - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٢٣ - الجرجاني - القاضي ابو العباس احمد بن محمد الثقفي (- ٤٨٢ هـ)
المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء - تصحيح النعساني - ط. اولى - مط. السعادة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

٢٤ - ابن الجوزي - ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن القرشي (٥١٠ هـ - ٥٩٧ هـ)
أ - سيرة عمر بن عبد العزيز - صححه الخطيب - مكتبة

المنار - مط. المؤيد - مصر لا تاريخ ط.
ب - ذم الهوى - تحقيق عبد الواحد - دار الكتب الحديثة - ط. اولى - مط. السعادة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م.

٢٥ - الجوهري - ابو نصر اسماعيل بن حماد (- ٣٩٣ هـ)
الصحاح - بولاق ١٢٨٢ هـ.

٢٦ - ابن حبيب - ابو جعفر محمد بن حبيب بن أميّة بن عمرو الهاشمي البغدادي (- ٢٤٥ هـ)
أ - المحبر - (رواية السكّري) - تصحيح شتيتر - دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م.
ب - كنى الشعراء (القاب الشعراء) - نوادر المخطوطات رقم ٦ - ط. اولى تحقيق هارون - ل. ت وت و ن - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

٢٧ - ابن حجّة الحموي - ابو المحاسن تقي الدين ابو بكر بن علي بن محمد (٨٣٧ هـ)
أ - خزانة الادب وغاية الأرب - بولاق ١٢٩١ هـ.
ب - ثمرات الاوراق - بهامش المستطرف - مط. الاستقامة ١٣٧٩ هـ. القاهرة.

٢٨ - ابن حجر - ابو الفضل - شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني (٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ).
الإصابة في تمييز الصحابة - المكتبة التجارية الكبرى - مط. مصطفى محمد - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م مصر.

٢٩ - ابن ابي الحديد - ابو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (- ٦٥٥ هـ).

شرح نهج البلاغة - دار الكتب العربية الكبرى - المطبعة الميمنية ١٣٢٩ هـ.

٣٠ - ابن حزم - ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (٣٨٤ هـ - ٤٥٦ هـ)

أ - جوامع السيرة - تحقيق عباس والاسد - دار المعارف مصر لا تاريخ ط.

ب - جمهرة أنساب العرب - تحقيق هارون - دار المعارف مصر - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٣١ - الحصري - ابو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني (- ٤٥٣ هـ).

أ - زهر الآداب - تحقيق مبارك - ط ٢ - مط. السعادة ١٩٥٣ م - ١٣٧٢ هـ.

ب - ذيل زهر الآداب (جمع الجواهر في الملح والنوادر) - مكـ. التجارية الكبرى - مطبعة. الرحمانية ١٣٥٣ هـ.

٣٢ - الحلبي - نور الدين علي بن برهان الدين - علي بن ابراهيم بن احمد بن علي بن عمر (٩٧٥ هـ - ١٠٤٤ هـ)

السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون) مطبعة. العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ. مصر.

٣٣ - ابن حنبل - احمد بن محمد (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ)

المسند - شرح احمد شاكر - دار المعارف - مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.

٣٤ - ابو حيان التوحيدي - علي بن محمد العباسي (٣١٠ هـ - ٤١٤ هـ)

أ - الامتاع والمؤانسة - تصحيح امين والزين - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤ م.

ب - الصداقة والصديق - تحقيق الكيلاني - دار الفكر - دمشق ١٩٦٤ م.

٣٥ - ابو حيان الاندلسي - اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف القرطبي (٦٥٤ هـ - ٧٥٤ هـ).
البحر المحيط - تصحيح الذيب - مطبعة. السعادة ١٣٢٩ هـ - مكتبة النصر الرياض.

٣٦ - الخالديان - ابنا هاشم: ابو بكر محمد (٣٨٠ هـ) وابو عثمان سعيد (٣٩١،٩٠ هـ).
الاشباه والنظائر - تحقيق يوسف - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م - ١٩٦٥ م.

٣٧ - ابن خرداذبة - ابو القاسم عبيد الله بن احمد (٢٠٥ هـ - ٢٨٠ هـ).
المسالك والمهالك - ليدن ١٣٠٦ هـ.

٣٨ - الخطيب البغدادي - ابو بكر الحافظ احمد بن علي (- ٤٦٣ هـ)
تاريخ بغداد - مطبعة. السعادة القاهرة ١٩٣١ م.

٣٩ - الخفاجي - شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (١٠٦٩ هـ)
طراز المجالس - المطبعة الوهيبية - القاهرة - ١٢٨٤ هـ.

٤٠ - ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ)
ديوان العبر - (المقدمة والمجلد الثاني) دار الكتاب اللبناني ١٩٦٧ م بيروت.

٤١ - ابن خلكان - ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨ هـ - ٦٨١ هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء

الزمان - تحقيق عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية - طبعة اولى - مطبعة السعادة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م.

٤٢ - دحلان - السيد احمد زيني (- ١٣٠٥ هـ)
السيرة النبوية والآثار المحمدية - بهامش السيرة الحلبية مطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ. مصر.

٤ - ابن دريد - ابو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (٣٢١ هـ)
أ - المجتنى - دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن طبعة ٢ - ١٣٦٢ هـ.
ب - الاشتقاق - تحقيق هارون - الخانجي ١٩٥٨ م - ١٣٧٨ هـ.

٤٤ - الديار بكري - الشيخ حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦ هـ)
تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس - مطبعة. عبد الرزاق العامرة العثمانية ١٣٠٢ هـ.

٤٥ - الدينوري - ابو حنيفة احمد بن داود (٢٨٢ هـ)
الاخبار الطوال - ليدن ١٨٨٨ م.

٤٦ - الذهبي - شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨ هـ)
أ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير من الأعلام. مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ.
ب - تراجم رجال روى عنهم ابن اسحق رئيس اهل المغازي - ليدن ١٨٩٠ م.

٤٧ - الراغب الاصفهاني - ابو القاسم حسين بن محمد المفضل (٥٠٢ هـ).

محاضرات الادباء - جمعية المعارف - القاهرة ١٢٨٧ هـ.

٤٨ - ابن رشيق - ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ)

العمدة في صناعة الشعر ونقده - مطبعة امين هندي طبع. اولى ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م.

٤٩ - الزبيدي - ابو الفيض محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرزاق (١١٥٤ هـ - ١٢٠٥ هـ)

تاج العروس - المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ.

٥٠ - الزجاجي - ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق البغدادي (٣٣٧ هـ)

أ - الامالي - شرح الشنقيطي - مطبعة السعادة - طبعة اولى ١٣٢٤ هـ.

ب - الجمل - تحقيق ابن ابي شنب - مطبعة كلنكسيك باريس - طبعة ثانية ١٩٥٧ م - ١٣٧٦ هـ.

٥ - الزمخشري - ابو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨ هـ)

المفصل في علم العربية - مطبعة التقدم - مصر - طبعة اولى ١٣٢٣ هـ.

٥٢ - ابو زيد الانصاري - سعيد بن اوس بن ثابت (١١٥ هـ - ٢١٥ هـ)

النوادر في اللغة - دار الكتاب العربي - بيروت - طبعة ٢ - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٥٣ - السخاوى - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (٨٣١ هـ - ٩٠٢ هـ)

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٥٤ - السراج - ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين (٥٠٠ هـ)

مصارع العشاق - الجوائب - ١٣٠١ هـ - ١٣٠٢ هـ طبعة اولى.

٥٥ - ابن سعد - ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ هـ - ٢٣٠ هـ)
الطبقات الكبرى - دار صادر - دار بيوت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٥٦ - السكاكي - ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي (٦٢٦ هـ)
مفتاح العلوم - المطبعة الاديبية ١٣١٧ هـ.

٥٧ - ابن سلام - ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحي (٢٣١ هـ)
طبقات فحول الشعراء - تحقيق شاكر - دار المعارف ١٩٥٢ م.

٥٨ - ابن سلمة - ابو طالب المفضل بن سلمه بن عاصم (٢٩١ هـ)
الفاخر - تحقيق الطحاوى - دار احياء الكتب العربية طبعة اولى ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٥٩ - السمهودي - ابو الحسن - نور الدين علي بن احمد (٩١١ هـ)
وفا الوفا باخبار دار المصطفى - تحقيق عبد الحميد - مطبعة السعادة طبعة اولى - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٦٠ - سيبويه - ابو بشر عمرو بن عثمان (- ١٨٠ هـ أو ١٨٣ هـ)
الكتاب - بولاق ١٣١٦ هـ.

٦١ - ابن سيد الناس - فتح الله اليعمري الاندلسي (٦٧١ هـ - ٧٣٤ هـ)
عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير - القاهرة - مطبعة القدس ١٩٥٦ م.

٦٢ - السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر بن محمد (٩١١ هـ)
أ - المزهر في علوم اللغة وانواعها - دار احياء الكتب العربية - مطبعة الحلبي طبعة ثانية - لا تاريخ ط.
ب - شرح شواهد المغنى - تصحيح الشنقيطي - المطبعة البهية - مصر ١٣٢٢ هـ.
ج - تحفة المجالس ونزهة المجالس - تصحيح النعساني - مطبعة السعادة - طبعة اولى - ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م.
د - تاريخ الخلفاء - المطبعة الميمنية - مصر ١٣٠٥ هـ.
هـ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة - مطبعة الموسوعات مصر - ١٣٢١ هـ.

٦٣ - الشريشي - ابو العباس احمد بن عبد المؤمن (٦١٩ هـ)
شرح المقامات الحريرية - القاهرة ١٣٠٦ هـ

٦٤ - الشنتمري - ابو الفرج يوسف بن سليمان بن عيسى (٤٧٦ هـ)
تحصيل عين الذهب - بهامش الكتاب سيويه - بولاق ١٣١٦ هـ.

٦٥ - الصابي - ابو الحسن محمد بن هلال (٤٨٠ هـ)
الهفوات النادرة - تحقيق الاشتر - مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٦٦ - ابن طباطبا ابو الحسن محمد بن احمد العلوي (٣٢٢ هـ)
عيار الشعر - تحقيق الحاجري وسلام - المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٦ م.

٦٧ - الطبري - ابو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ)
أ - تاريخ الرسل والملوك - روائع التراث العربي ٣ -

مكتبة خياط بيروت ١٩٦٥ م.
ب - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تحقيق شاكر - دار المعارف مصر - لا تاريخ ط.

٦٨ - الطوسي - محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ)
تلخيص الشافي - النجف ١٩٦٣ م.

٦٩ - ابن عبد البر - ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم النمري القرطبي (٣٦٣ هـ - ٤٦٣ هـ)
أ - الاستيعاب في اسماء الاصحاب - بهامش الاصابة - المكتبة التجارية الكبرى - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
ب - بهجة المجالس وآنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس - تحقيق الخولي - الدار المصرية للتأليف والترجمة لا تاريخ ط.

٧٠ - ابن عبد ربه - احمد بن محمد الاندلسي (٢٤٦ هـ - ٣٣٧ هـ)
العقد الفريد - تحقيق أمين وزملائه - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - طبعة ثالثة - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.

٧١ - ابو عبيدة - معمر بن المثنى التيمي (٢٠٨ هـ او ٢١٣ هـ)
النقائض - دار الكتاب العربي بيروت - عن طبعة ليدن ١٩٠٨ م - ١٩١٢ م

٧٢ - ابن عساكر - ابو القاسم ثقة الله علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)
تاريخ دمشق - تصحيح بدران - روضة الشام ١٣٢٩ هـ - ١٣٣٢ هـ.

٧٣ - العسكري - ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (٣٩٥ هـ)
أ - كتاب الصناعتين - تحقيق إبراهيم والبجّاوي - دار

إحياء الكتب العربية - مطبعة الحلبي - طبعة أولى - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
ب - ديوان المعاني - تصحيح كرنكو - مطبعة القدسي ١٣٥٢ هـ.
ج - جمهرة الامثال - بهامش مجمع الامثال للميداني - المطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ.

٧٤ - ابن العماد - ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (١٠٨٩ هـ)
شذرات الذهب - القاهرة - مطبعة القدسي ١٣٥٠ هـ.

٧٥ - العيني - ابو محمد بدر الدين محمود بن احمد بن موسى (٨٥٥ هـ)
شرح الشواهد الكبرى - بهامش خزانة البغدادي - بولاق ١٢٩٩ هـ.

٧٦ - ابو الفداء - عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور محمد بن المظفر (٦٧٢ هـ - ٧٣٢ هـ)
المختصر في اخبار البشر - دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠ م.

٧٧ - ابو الفرج - قدامة بن جعفر (٣٣٧ هـ)
(أ) نقد النثر - تحقيق حسين والعبادي - دار الكتب المصرية - ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م.
(ب) نقد الشعر - تحقيق سابا - المطبعة البولسية - حريصا ١٩٥٨ م.

٧٨ - الفيروز آبادى - ابو الطاهر - مجد الدين محمد بن يعقوب بن ابراهيم (٧٢٩ هـ - ٨١٧ هـ)
(أ) المغانم المطابة في معالم طابة - تحقيق الجاسر - دار اليمامة - الرياض - طبعة اولى - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

(ب) القاموس المحيط - مكتبة ومطبعة الحلبي - مصر ـ طبعة ٢ - ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

٧٩ - القالي - ابو علي اسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ)
الامالي وذيل الامالي والنوادر - دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م - ١٩٢٦ م.

٨٠ - ابن قتيبة - ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (٢٧٦ هـ).
(أ) الشعر والشعراء - تحقيق شاكر - دار الثقافة ١٩٦٤ م.
(ب) عيون الاخبار - دار الكتب المصرية - ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م.
(ج) المعارف - غوتنجن ١٨٥٠ م.

٨١ - القرطبي - ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (٦٧١ هـ)
الجامع لاحكام القران - دار الكاتب العربي - ١٣٨٧ هـ - ٩٢٣ م (عن طبعة دار الكتب المصرية).

٨٢ - القسطلاني - احمد بن محمد بن ابي بكر (٨٥٣ هـ - ٩٢٣ هـ)
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - مطبعة شاهين المحروسة - مصر ١٢٨١ هـ.

٨٣ - ابن القيم الجوزية - ابو عبدالله - شمس الدين محمد بن ابي بكر (٧٥١ هـ) اخبار النساء - دار الفكر - لا تاريخ ط.

٨٤ - الكتبي - محمد بن شاكر (٧٦٤ هـ)
(أ) عيون التواريخ - مكتبة الجامعة الاميركية - ميكروفيلم أ - ٤٠٨ (مصور عن مخطوط المكتبة الظاهرية دمشق)

Mic A-408 V5 C2

(ب) فوات الوفيات - تحقيق عباس دار صادر ١٩٧٣ م.
٨٥ - ابن كثير - ابو الفداء اسماعيل بن عمر - عماد الدين بن الخطيب القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية - مكتبة المعارف بيروت - مكتبة النصر الرياض - ١٩٦٦ م.
٨٦ - مؤلـف مجهول - (القرن الخـامس الهجري - الحـادي عشر الميلادي)
تاريخ الخلفاء - نشر غريازنيويج - موسكو ١٩٦٧م سلسلة آثار الآداب الشرقية ١١.
٨٧ - المبرد - ابو العباس محمد بن يزيد (- ٥ - ٢٨٦ هـ)
الكامل في اللغة والادب - دار ومطبعة نهضة مصر - ١٩٥٦ م.
٨٨ - المرتضى - الشريف علي بن الحسين الموسوي العلوى (٣٥٥ هـ - ٤٣٦ هـ)
الامالي - تحقيق ابراهيم - طبعة اولى - دار احياء الكتب العربية - مطبعة الحلبي ١٣٧٣ هـ × ١٩٥٤ م.
٨٩ - المزرباني - ابو عبدالله محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤ هـ)
(أ) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - جمعية نشر الكتب العربية - المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٤٣ هـ.
(ب) معجم الشعراء - تحقيق فراج - دار احياء الكتب العربية مطبعة الحلبي - ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
٩٠ - المسعودي - ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (- ٥ - ٣٤٦ هـ).
(أ) مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق عبد الحميد -

دار الرجاء - المكتبة العصرية بغداد ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.
(ب) التنبيـــه والاشراف - مراجعـــة الصـــاوى - دار الصاوي - المكتبة العصرية - بغداد ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.

٩١ - المصعب - ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (١٥٦ هـ - ٢٣٦ هـ)
نسب قريش - تحقيق بروفنسال - دار المعارف - القاهرة ١٩٥١ م - باريس ١٩٥٣ م.

٩٢ - المقدسي - المطهر بن طاهر (ت ٩٦٦ م ، ٣٥٥ هـ)
البدء والتاريخ - باريس ١٨٩٩ م - ١٩١٦ م.

٩٣ - المقرّي الانباري - ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد (منتصف القرن السابع الهجري).
المختار من نوادر الاخبار - بهامش مفيد العلوم للخوارزمي - المطبعة العلمية - طبعة اولى. ١٣١٠ هـ.

٩٤ - المقريزي - تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥ هـ)
امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع - ج اول - شرح شاكر - لجنة التأليف وت و ن. ١٩٤١ م.

٩٥ - ابن منظور - ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ)
لسان العرب - بيروت ١٩٥٥م - ١٩٥٦م.

٩٦ - ابن منقذ - ابو المظفر مجد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصير (٥٨٤ هـ)
المنازل والديار - نشر خالدوف - دار النشر للآداب الشرقية موسكو ١٩٦١ م.

٩٧ -ابن منقذ - موفق الدين عبدالله قدامه بن منقذ (٦٢٠هـ)
الإستبصار في نسب الصحابة من الانصار - تحقيق نويهض - دار الفكر ١٩٧٢ م. - ١٣٩٢هـ.

٩٨ -ابن النديم - ابو الفرج محمد بن اسحق (٣٨٥ هـ)
الفهرست - روائع التراث العربي ١ - مكتبة خياط بيروت ١٩٦٤ م.

٩٩ -النواجي - شمس الدين محمد بن الحسن (٨٥٩ هـ)
حلبة الكميت في الادب والنوادر المتعلقة بالخمريات - (الفه سنة ٨٢٤ هـ) مطبعة ادارة الوطن ١٢٩٩ هـ.

١٠٠ -النويري - ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ)
نهاية الابد في فنون العرب - دار الكتب المصرية (١٩٢٣ م - ١٩٢٤ م) (١٣٤٢ هـ - ١٣٤٣ هـ)

١٠١ -ابن هشام الانصاري - ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد (٧٦١ هـ)

(أ) شرح شذوره الذهب - تحقيق عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة السعادة طبعة ٦ - ١٣٦٢ هـ - ١٩٥٣ م.

(ب) اوضح المسالك الى ألفيه ابن مالك - دار احياء التراث العربي - طبعة ٥ ١٩٦٦ م. تحقيق عبد الحميد.

١٠٢ -ابن هشام - ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب (- ١٣ - ٢١٨ هـ)

سيرة سيدنا محمد رسول الله (ص) - تحقيق وستنفيلد - غوتنجن ١٨٥٨م فرانكفورت ١٩٦١ م.

١٠٣ - الواقدي - محمد بن عمر بن واقد (١٢٩ هـ - ٢٠٧ هـ) المغازي - تحقيق جونس - اوكسفورد - دار المعارف ١٩٦٦ م (تهران انتشارات اسماعيليان).

١٠٤ - الوشاء - او الطيب محمد بن اسحق بن يحي (٣٢٥ هـ) الموشى أو الظرف والظرفاء - دار صادر - دار بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

١٠٥ - وكيع - ابو بكر محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦ هـ) اخبار القضاة - صحّحه المراغي - طبعة اولى - المكتبة التجارية - مطبعة الاستقامة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.

١٠٦ - ياقوت الحموي - شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (٦٢٦ هـ) معجم البلدان - ليبزك١٨٦٦ م - ١٨٧٠ م.

١٠٧ - اليعقوبي - احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٨٩٧ م - ٢٨٤ هـ).
تاريخ اليعقوبي - دار صادر - بيروت لا تاريخ ط.

فهرس المراجع الحديثة

١ - الاعلام (خير الدين الزركلي) طبعة ٢ مطبعة كوستاتسوماتسي (١٣٧٦,٣ هـ - ٤ ، ١٩٥٧ م.)

٢ - البدائع (زكي مبارك) طبعة اولى مطبعة الصباح ١٩٢٣ م.

٣ - تاريخ الأدب العربية (كارلونالينو) طبعة ٢ - دار المعارف ١٩٧٠ م.

٤ - تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان) دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٧ م.

٥ - تاريخ الآداب العربي (كارل بروكلمان) - ترجمة النجار - دار المعارف - مصر - ١٩٥٩ م.

٦ - تاريخ الادب العربي (حنا الفاخوري) المطبعة البولسية لا تاريخ ط.

٧ - تاريخ الادب العربي (عمر فروخ) دار العلم للملايين ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ.

٨ - تاريخ العرب السياسي (فيليب حتي ورفيقاه) دار غندور ط ٥ - ١٩٧٤م.

٩ - جمهرة المغنين (خليل مردم بك) - المجمع العلمي العربي - دمشق - المطبعة الهاشمية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٠ - حديث الاربعاء (طه حسين) - المجموعة الكاملة - مجلد ٢ - دار الكتاب اللبناني طبعة ٢ - ١٩٧٤ م.

١١ - دائرة المعارف (بطرس البستاني) مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٧ م.

١٢ - دائرة المعارف (فؤاد أ. البستاني) بيروت ١٩٦٧ م. مجلد ٧.

١٣ - دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحق (عبد العزيز الدوري) مطبعة العاني بغداد ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

١٤ - الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك) النجف ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.

١٥ - شعر الاحوص الانصاري (جمع عادل س. جمال) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

١٦ - شعر الاحوص بن محمد الانصاري (جمع ابراهيم السامرائي) مكتبة الاندلس بغداد - مطبعة النعمان النجف - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

١٧ - الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أميّة (شوقي ضيف) دار المعارف مصر - طبعة ٣ - ١٩٧٦ م.

١٨ - العصر الاسلامي (شوقي ضيف) دار المعارف مصر - طبعة ٧ - ١٩٧٦ م.

١٩ - عمر بن ابي ربيعة (جبرائيل جبور) دار العلم للملايين - بيروت - طبعة ٢ - ١٩٧٩ م. ٣ اجزاء.

٢٠ - الغزل (سامي الدهان) دار المعارف ١٩٥٤ م.

٢١ - فجر الاسلام (احمد امين) دار الكتاب العربي بيروت - طبعة ١٠ - ١٩٦٩ م.

٢٢ - المفضل في شرح ابيات المفصّل (محمد بدر الدين النعساني الحلبي) - بهامش المفصل للزمخشري - طبعة اولى مطبعة التقدم

١٣٢٣ هـ - مصر.

٢٣ - المنتخل في تراجم شعراء المنتخل (أحمد ابو علي) ملحق بالمنتحل للثعالبي - مطبعة التجارية الاسكندرية ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م.

٢٤ - هداية السالك الى تحقيق اوضح المسالك (محمد محي الدين عبد الحميد) - بذيل اوضح المسالك لابن هشام - طبعة ٥ - بيروت ١٩٦٦م

٢٥ - Encyclopédie de l'Islam (Nouv. Ed.) Brill–Leyde 1960.

٢٦ - بعض الدوريات المنوه عنها في حينه.

فهرس الاعلام والأماكن والكتـــــــب والنجوم والقبائل

ح

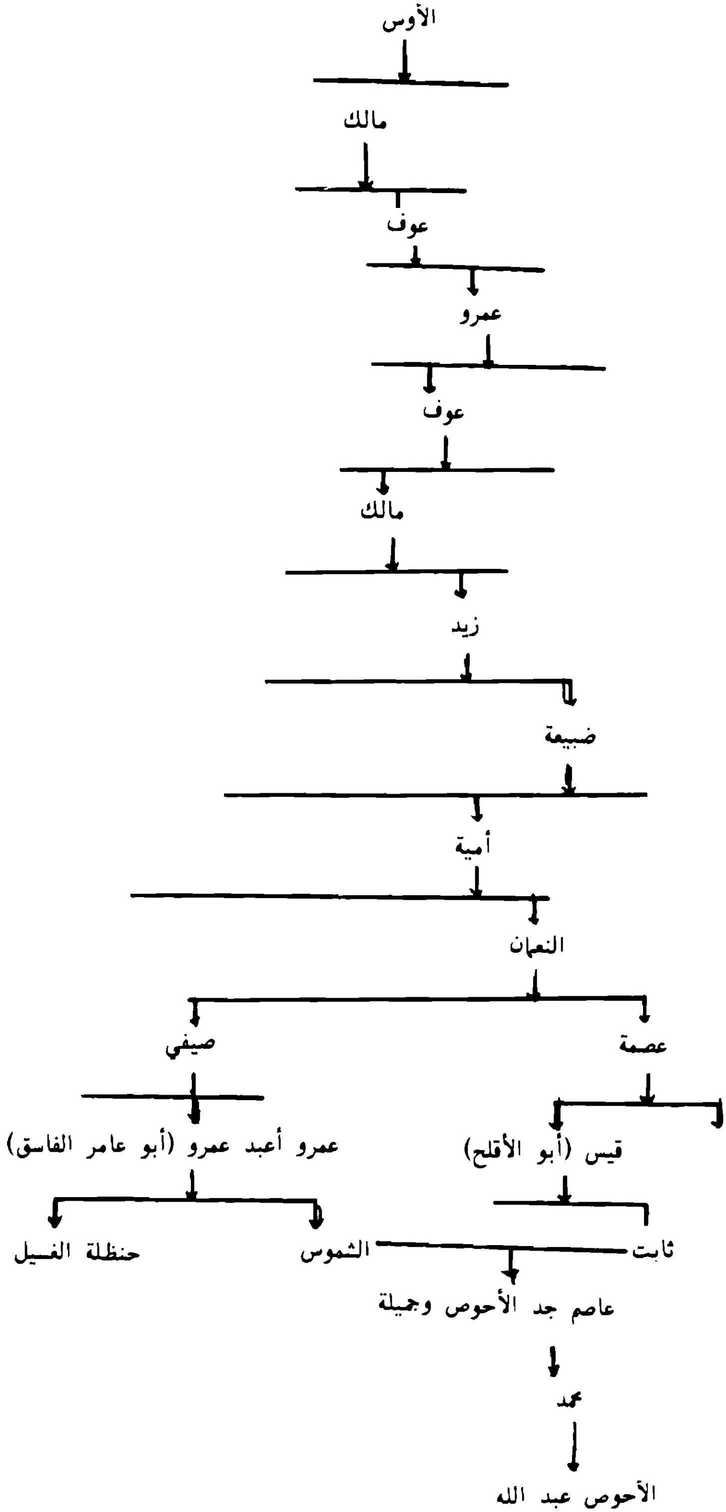
ش

ك

ن

فهرس الموضوعات

مصوّر مساعد لمعرفة تطبيقات نسب الأحوص



AL-AHWAS IBN MUHAMMAD

AL - ANṢĀRI

HIS LIFE AND HIS POETRY

by

MUHAMMAD ᶜALI - SAᶜD

AL-AḤWAṢ IBN MUḤAMMAD

AL - ANṢĀRI

HIS LIFE AND HIS POETRY

by

MUḤAMMAD ᶜALI - SAᶜD

Dar al_Afaq al Jadida BEIRUT_LEBANON

الثمن : ٢٥ ل.ل.